

أمين الرحباني

ملوك العرب

أو
رحلة في البلاد العربية تشمل على مقدمة وثمانية أقسام

مترجمة بالخرائط والرسوم
وفهرست اعلام

الجزء الاول

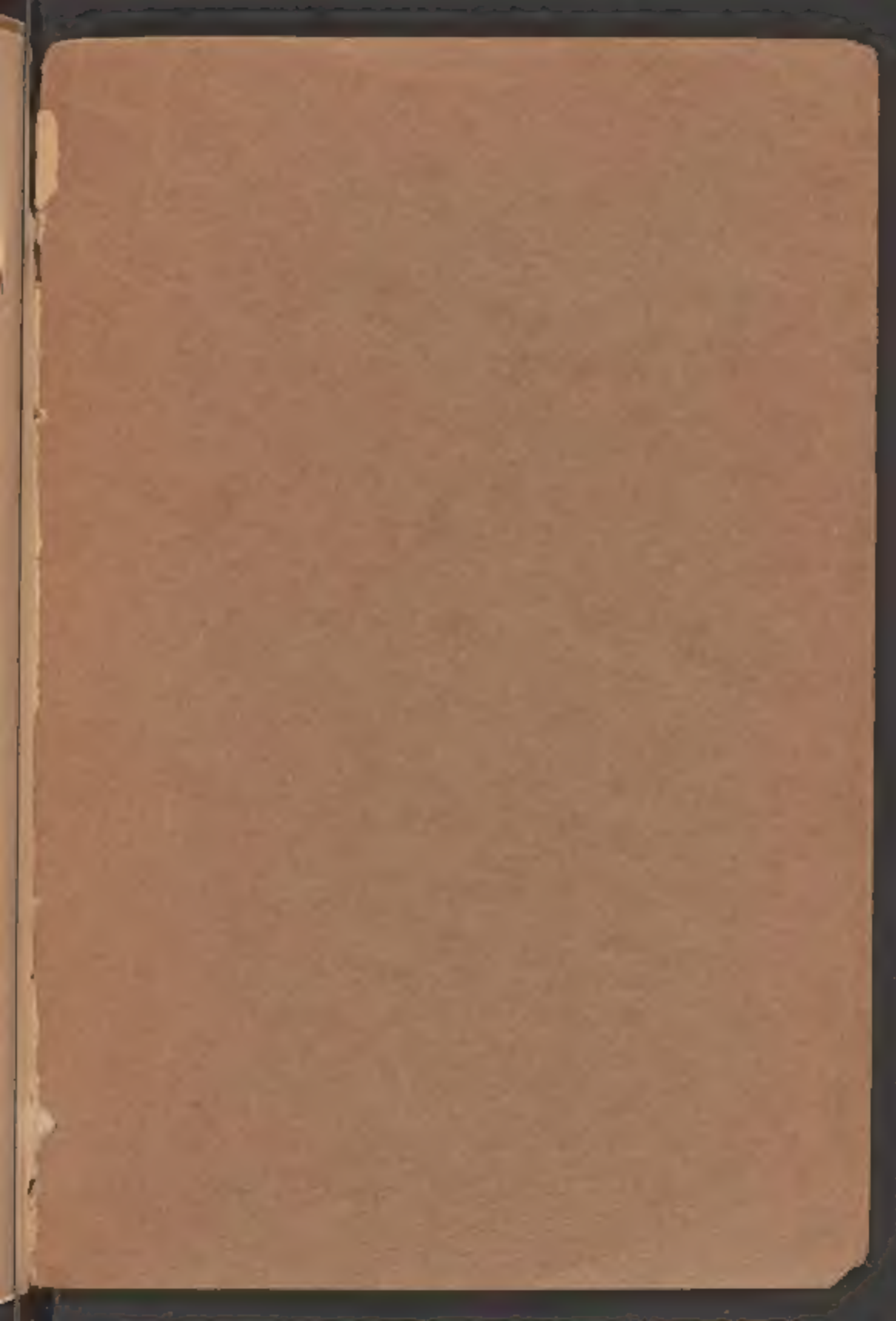
الحجاز - اليمن - صير - الحج

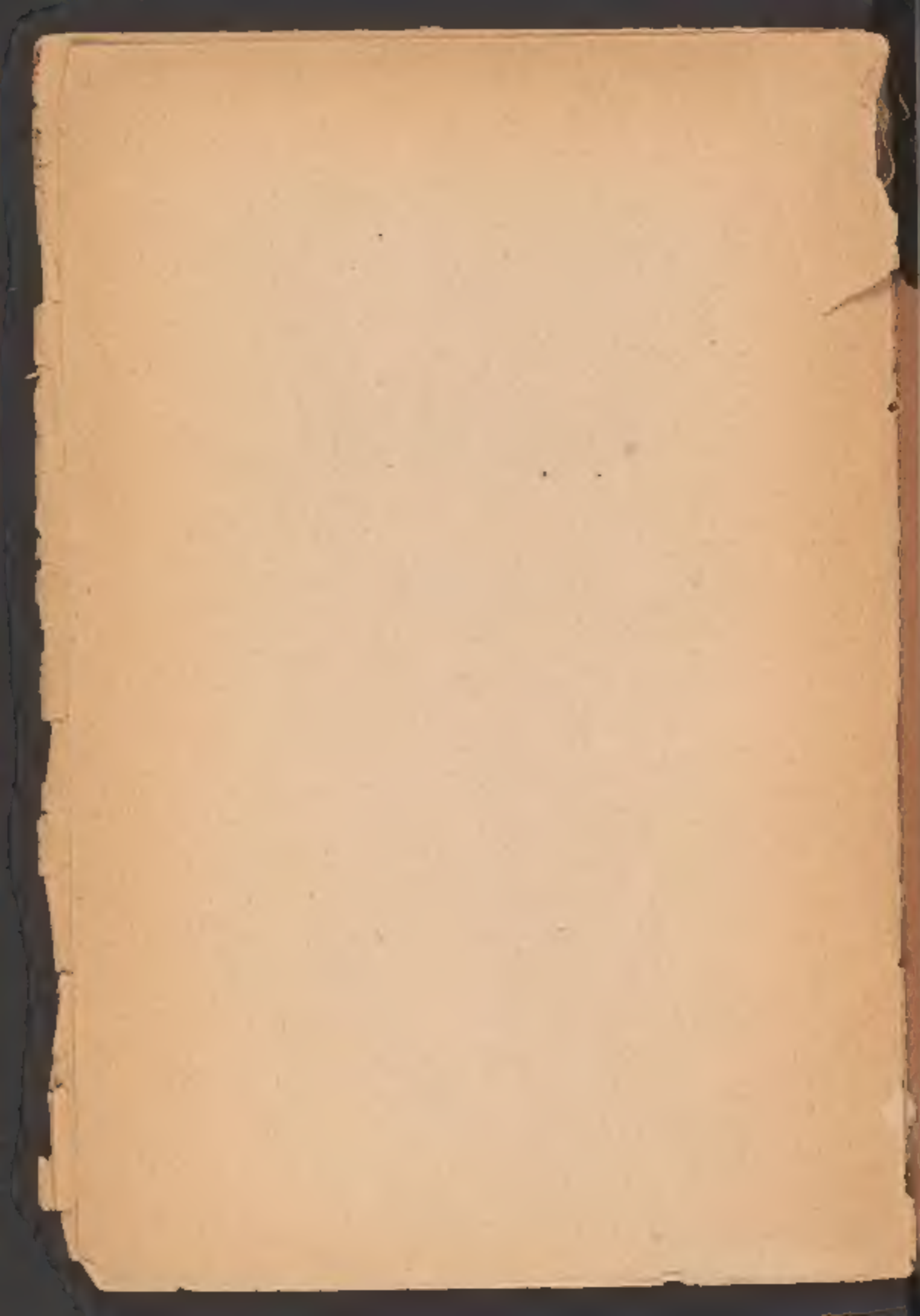
والنواحي القسح المحيطة

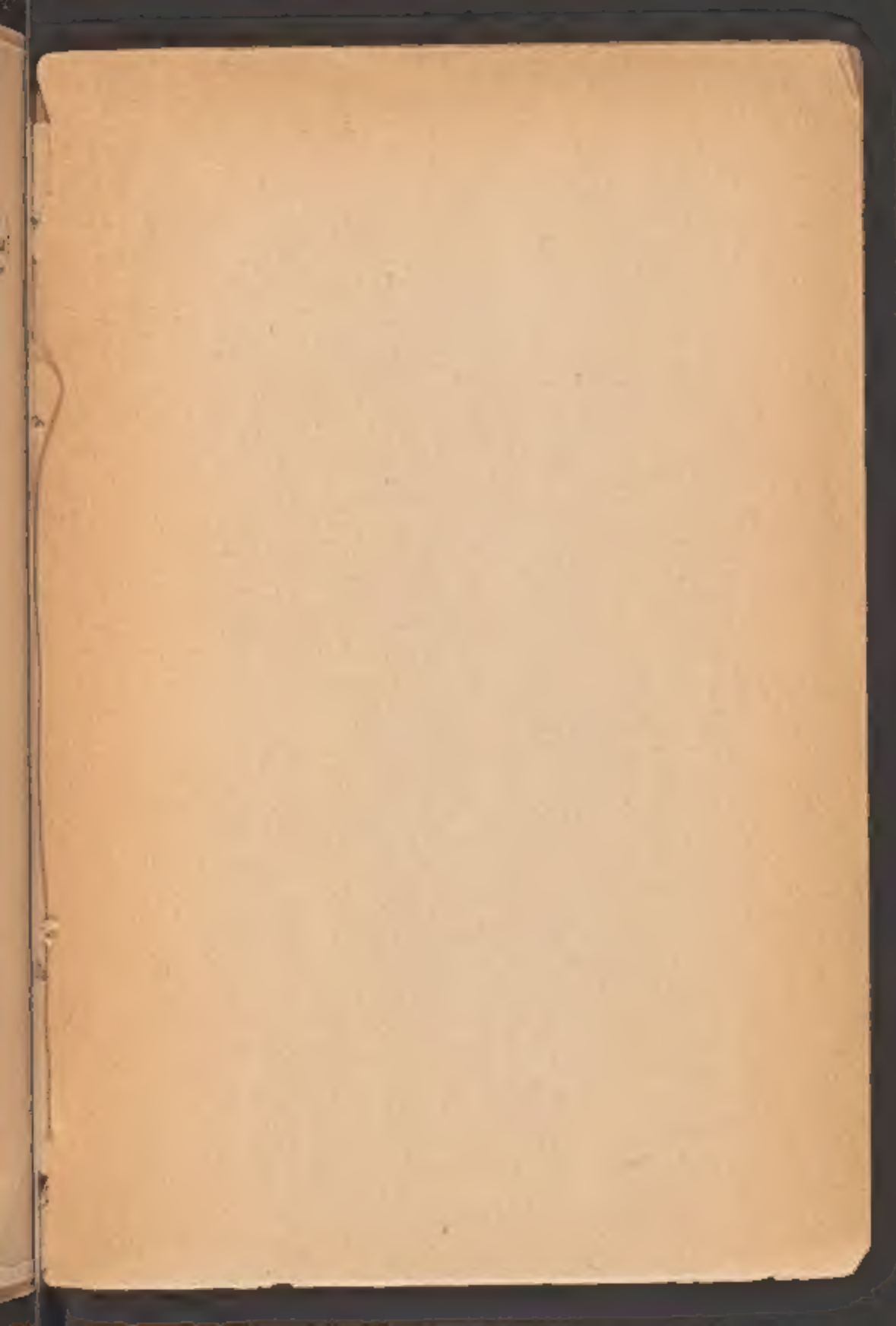
الطبعة الثالثة

اشرف على تصحيحها وطبعها البوت الرحباني شقيق المؤلف

طبع في مطابع صادر رحباني - بيروت ١٩٥١







Rihani, Ameen Fares

Mulūk al-ʿArab

أمين الريحاني

مُلُوكُ الْعَرَبِ

أو
رحلة في البلاد العربية تشمل على مقدمة وثمانية أقسام

مزينة بالخرائط والرسوم
وفهرست اعلام

الجزء الاول

الحجاز - اليمن - عسير - الحبح
والنواحي التسع المحيطة

الطبعة الثالثة

اشرف على تصحيحها وطبعها البعث الريحاني شقيق المؤلف

طبع في مطابع صادر ريحاني - بيروت ١٩٥١

الطبعة الاولى : بيروت - ١٩٤٦

الطبعة الثانية : بيروت - ١٩٤٨

الطبعة الثالثة : بيروت - ١٩٥١

DS

49

7

R5

1957

V. 1

C. 1

10 my good
friend Mr. R. White.

بسم الله الرحمن الرحيم
المستندات
١٥/٤/١٩٥١
عبد الرحمن

اقدم

هذا الكتاب

للناشطة العربية الناعمة

في كل مكان

امين
الحسيني

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
وياتيك بالاخبار من لم ترو
طرفة من العبد

فهرس الجزء الاول

صفحة

تقدمة	٥
المقدمة	٩

القسم الاول الملك مدين به على

الحياز	٢٨
الفصل الاول البدو والحضر	٢٩
الثاني من الضب الى الطب	٣٥
الثالث الابداع في الاصلاح	٤٠
الرابع تليذ في البداة والحكمة	٤٦
الخامس قرون السياسة	٥٣
السادس بين الاستانة ومكة	٦١
السابع بين مكة ودون سقرت	٦٧
الثامن الوحدة العربية	٧٢

القسم الثاني الامام يحيى به عمير الرب

اليسن	٨٠
الفصل الاول التبليغ في القديع	٨١
الثاني في الطريق الى صناء	٩٤
الثالث اليسن الانحضر القديم	١٠٥
الرابع صناء اليسن	١١٩
الخامس الضيف المأسور	١٣٠

صفحة		
١٤٠	الفصل السادس	حكم الامام
١٥٠	» السابع	الضرائب والسلاح
١٥٦	» الثامن	الشأنل القدسية
١٦٣	» التاسع	الحو ينجلي
١٧٣	» العاشر	الضم المنصور
١٨٢	» الحادي عشر	اليهود واليهود
١٩١	» الثاني عشر	المسئلة السياسية الكبرى
٢٠٣	» الثالث عشر	تسمة المفاوضات
٢١٠	» الرابع عشر	المعاهدة

الفصل الثالث البير الادريسي

٢٢٠	بلاد السند او ما يحكمه الادريسي من عبيد
٢٢١	الفصل الاول
٢٣٥	» الثاني
٢٤٦	» الثالث
٢٥٦	» الرابع
٢٦٦	» الخامس
٢٧٨	» السادس
٢٩١	» السابع
٣٠٩	» الثامن
٣١٥	» التاسع
٣٢٥	» العاشر
٣٣٤	» الحادي عشر
٣٤٠	» الثاني عشر
	جوارر وسادات

الفصل الثالث عشر	تجارة الرقيق	٣٥٩
الرابع عشر	خطوات الى الوحدة	٣٦٢
الفصل الرابع عشر		
الفصل الخامس عشر		
طبع والنواحي التسع المحمية		٣٧١
الفصل الاول	الثالث المادي في عدن	٣٧٢
الثاني	من اجل شركة الهند	٣٨٦
الثالث	سلاطين طبع	٣٩٢
الرابع	طبع في الحرب العظمى	٣٩٩
الخامس	التشديد الحديث في طبع	٤٠٤
السادس	النواحي التسع المحمية	٤١٥
	لائحة الرواتب الشهيرة	٤٢٧
	فهرس الاعلام	٤٢٨

فهرس الرسوم والخرائط

خريطة البلاد العربية (في صدر الكتاب)	
جلالة الملك حسين بن علي	٢٩
حضرة الامام يحيى بن حميد الدين	٧٨
حضرة السيد محمد بن علي الادريسي	١١٨
صمو السلطان عبد الكريم فضل	٣٦٩
خريطة طبع والنواحي التسع المحمية	٤١٦

المقدمة

١

كنت في الثانية عشرة من عمري عند ما سافرت للمرة الاولى الى الولايات المتحدة . فلم اكن اعرف غير الشيء اليسير من اللغتين العربية والافرنسية ، وما كان في ذهني من العرب واخبارهم غير ما كانت تسمعه الاممات في لبنان صغره من . هم ، ما البدوي والبدوي والاعرابي واحد اذا رأت الامم ، بما تحوف به اولادها .

هجرت وطلي وفي صدري الخوف من اكل لقهم والبعض لمن في عروقي شيء من ذمهم . والبعض والخوف هما ثواب الجهل .

اذا الامة الافرنسية لما كتبت اعرف من امة الارض سواها . ولكنها مرفوعة . طواسة كانت المدارس تنشر افكارها في لبنان : ان فرنسا لأعظم امة الارض ، هي اشرفها واعناها وارقاها . بل هي قلب المدنية ، وماصمة النور والجمال - هي الطاموس بين الامم .

كذلك كانت مدارسنا ، مثل امهاتنا تسقينا العلم في كأس التسوية . الا ان في كأس المداوس خلوة زادتنا كرها « لبيع » الاممات . هي كأس الجهل في الحالين : الجهل الذي يولد الخوف والبعض ، والجهل الذي يولد الحب والاعجاب .

اما اميركا فقد كنت في ما عرفت . بها بعيداً عن الامم وعن المدرسة . تناولت الكأس من يد الوجود وقد حلاه الشعب الاميركي بنفسه . ومع ذلك فلم تخل مما اشرقت به الكاسات الاوليان . وشقت في نيويورك الجلام

تأثر أخام من العلوم المشوبة وفيها أشياء من الجهل المتلاقي. وما يارجه من الحروف والاعجاب .

غدوت بعد عشرين سنة في أميركا معجبا بشاط الشعب الأميركي وبحريته في الفكر والقول والميل ، خائفاً من نتيجة الحساد المادي هناك ومن التكاليف في سبيل الحياة الدنيا . وما كان حوفي على الآراء الأميركية وأنا في ذلك الحين ، في عين رأيي ، قطب كل ما اهتمت له وبقطة اندازة في كل ما مات إليه . خفت ان اطلب في ذلك الجهاد ، اشقت على نفسي من ذلك التكاليف .

وسيت فرسما اذا في ذاتها ، تدت الاداب التي رادتي ضعفا وتودداني مضار الحساسة . صرفتني من حدائق الوجود المادية ، وربتني في القنوين الجلية لطائف المعنوية . صرت في نيويورك كنيذا يحمل كتاباً ، وعادوا من غواة القنوين يمتشي في الطائفة الموعوية سبهلاً ، وانفتحت امامي ابواب من العلم متعددة واتسع مجال الافق شراب والغرور

ولكن الاداب الانكليزية عادت بي الى الشعب الاسكتلندي فوجدته في امور كثيرة ، اخلاقية واجتماعية ، ارقى من الشعب الأميركي ، ار احب الى من كان مثلي . هجستان لي في هذا العلم غونا على مقاومة تيار الاقتباس والتأمر ، ولم اثنى من سواي من السوريين هناك باخلاق الأميركيين كلها . والفضل في ذلك نسلي هو لغيرهم امرسون الذي كان دليلي الاول الى محاسن الاسكتلندي في ما كتبه عنهم وعن مجايهم^(١)

وقد عرفني امرسون الى كرتيل ، وكان كرتيل اول من عادني من وراء البحار الى بلاد العرب . اجل ، وقد يستغرب قولي اني عرفت بواسطة

(١) « المجايا الانكليزية » English Traits of Ralph Waldo Emerson

تأليف رالف والدو امرسون .

الكاتب الانكليزي الكبير سيد العرب الاكبر النبي محمد^(١) فأحسست
لاول مرة بشي من الحب للعرب وصرت اميل الى الاستراثة من انصارهم .

ثم في غزواني للكتب الانكليزية عنمت كتاباً استوقفتني ظاهره الفخيم
ورافقي صوره فيه . ومكان العنوان ينشئ بشي اكبره او احب . قرأت
كتاب ارنست^(٢) ودركت ان المؤلف يريد باعنوان طراء ، وعرفت ان
اخرها هي اولوة راج العرب في الاندلس .

به انت ايها البلاد العربية التي ما بشأفك ان جهات حياتي كلها ،
فبعت الي . وانا بعد عنمت . الكتاب يعرفني الى رسولت وامير كبايصند
لي .

بعد ان قرأت كتاب الطاء مزج عقلي الاميركية الانجليزية
الانكليزية شي من احوال التي . ودرت احلم بذلك انجد الماضي الحلام
تقلني حياً فيه بل قلته حياً اعاصي .

بعد ان ولدي كتاباً يحمد كتاباً ، ويرعب في ان يكون الكتاب
منه كتب وكتاب . وكنت ما اعرف من اعني وداها عبر اليحير اليحور ،
التفاعلات في سراديب دون ان اربي حالي . ولما انما انقيط في دياحي اللغة
بشت سبل كتاب شعر ادبي الكسائي وسبويه و كان من علم حرفاً في
البصرة والسكوفة .

حين الله سبحانه وتعالى بالي العلاء المعري بعد ان هداني بواسطة
اقتباس الانكليزي الى اسرار المعري . قرأت الترويضات محبباً بها . ثم

(١) الاطال Heroes and Hero - Worship by Thomas Carlyle

وتأليف الاطال : تأليف طامس كركليل وقد ترجمه الى اللغة العربية عبد السباعي .

(٢) الاطال The Alhambra by Washington Irving

واشنطن ايرفينج .

قواتها وتوحيها ورحلت افانجوني من الامة التي نفع فيها هذا الشاعر الحر ،
اليسود ، الحكيم

٢

عدت الى اميركا استمع صاحب التوميات ، وكنيت ترجمانه هناك .
عصافتي الهمة الى الدارة الذوقية في دار الكتب العمومية ، فاجتمعت فيها
بعدد من المستشرقين الذين صودروا في حياة راحة في الارض دائمة ، وصووا
الارض مادية ترسة سمع فيها محمد بن عبدالله العرشي وامر القيس الكندي ،
الشعر والذوق والنداء ، والوانعت في نور من ارمال ، والنخيل في الواحات
يهدس في انصافها النسيم ، وتبرز مدوعها الموم ، وصوت الساقية وهي تقي الارض
المنوعة في ظلال النخيل ، وبينة البدر تقي لجل الساقية - وماذا في نيويورك ؟
ماذا في نيويورك عبر الضوضاء والغناء والبلاد ؟

هذا الرحالة المذرف^(١) وترجمانه المذاني الذي صار يعدد ، بطريق
عظيماً^(٢) "محدثاتي عن شعر والفصح والعرض والرياس ، وذلك المستعرب
بركهات^(٣) وقد دخل الى مكة حاجاً ، مسلماً صادقاً نقياً . وهذا العلامة
برنس^(٤) يفض قصة عجيبة بطلها براؤ من محرق قد حمل الكتب - تقنا
هندي شاش حور يا بنات ! يكشف له اسرار الطريق - تجر كعب العباس ،
وكان دليله ابيس ، فافتق^(٥) اثر بركهات لغرض في النفس ، ونظم قصيدته

(١) قلب البلاد Central and Eastern Arabia by W. G. Palgrave

العربية وقلبها تأليف وليد شراف

(٢) النظر برنس الخريجي .

(٣) سياحه في بلاد العرب Travels in Arabia by J. B. Berkhardt

تأليف جان بركهات .

(٤) الحبيب الى مكة والمدينة A Pilgrimage to Al-Medina and Mecca

تأليف ريتشارد برنس by Richard F. Burton

كفرية كفريا عن كل مآتيه في التليس .

وهذا خليل^(١) الذي راح يبول بنصرانيته في وجه البدو ، فقام في رحلته الاهوال ، ونجا غير مرة من مخالب الافخلال . اضطهد في بريده ، وطارد من غيرة . وسلب ودسب ، وترك في النفوس بهم على وجهه وليس في جيبه غير حصة رباذات ، وليس في قلبه ذرة من التدليس والتليس . الدرويش خليل ، كأنه صكان يهوى الاخطار فيجذبها اليه . خليل النصراني ، جاء بتعصب اسكتلندي يثير في العرب التعصب الاسلامي . خليل النصراني الكافر ! انصروا رأسه بالسيف ! ولكن الله اخرجهم من شبه الخزيعة حياً ليكتب كتاباً لا يموت .

وكل هؤلاء من الاجانب يسبحون في بلاد كانت قديماً ولا شك بلاد اجدادي . ويخاضعون بانفسهم فيها حياً بالعلم ، فيكفون عنه الحق ، ويلبسون المصدأ ، ويغفرون الذم ، ويفرون في الديد المتيد . وانا في نيويورك كتيب يحمل كتاباً . ويضيق البحر الاسكاذبي المتعرج ماباً . ادب شمره طبل ، وصدره علب ، نسف من ذهب الحياة في تسويد المقالات . آلة كاتبة ، يوقظ خوفها الهمة والامل متعاصرين . اف لها من زوجة ذقاقة ، ومن حذينة لباب الشهرة ذقاقة ، واحة عبودية اشد من عبودية الآلة الكاتبة وانعت . طلقها ثلاثاً ، وعدت الى بلادتي اعد العدة لرحلة تبعثني عنها وعن الكتب والمجلات ، والادباء والادبيات .

وكان لي صديق في دمشق يجر قيرداً للحياسة لينة محلول التفلت منها . كبره ذات يوم فثار السلطة عليه ، فضبع السلطة وفر هارباً الى القرية ، فحل فيه اهلاً وتول سهلاً - سهلاً في القلوب . ويجدر في الوادي . اقام

(١) التجوال في البلاد Wanderings in Arabia by Charles M. Doughty

المرية تأليف شارلس دوطي وقد اكمل اسم خير .

محمد كرد علي عندما اسبوعاً عددها من شوارذ الزمان . الوادي مهد الحرية وحضنها الحصين . صني صديقي اردد ذات يوم هذه الكلمات فقال : لا تلغدع يا امين . الوادي قويس من دمشق ومن بيروت وفي المدينتين اليهودية سيد وللظلم سادة رعابيد . لا بأس بالهوس : والحمد لله اولكتك اذا رفعت صوتك تسمك الصغور وتم عليك وعلي .

فقلت : صدقت ، وفي نيتي ان اهجر حتى هذا الوادي في نيتي رحلة الى البادية ، الى البلاد العربية على هجين يمدني عن كل مقالة وكل « روبة » فهل صديقي وقال : في روبة . وانفذ يومئذ ان تستعين بتجار من محمد في الشام يهدون لنا السبل ويؤودونا بكتب التوضيعة الى المهبط وراء العود . لكن الايام عدوة الاحلام ، وانما لا تحقق منها غير . كان ماضياً في القلوب . تأثرت الحلقة الانسية صديقي كرد علي فاضطر ان يتركني وحدي في القويكة ويفر هارباً من سوريا . ثم سافر الى اورشليم فذاق من حلو اندية فيها ما استلته فاستراح . فقلت له : بعد فقد ، فتعددت رحلاته من الشرق الى بلاد المغرب واثرث غاراً مليئة فحده في كتبه « غرائب الغرب »^١ . اما لما فقد طوحت بي الاقدار واعدتني ثانية عن الوادي وعن بلاد العربية كلها ، عادت بي الى نيويورك . ثم نسكت الانسانية بالحرب العظمى فزلزلت الارض زلزالها ، فاستعادت ما لها من الغراب الذي كان تسير مسند محارماً ، وقضت ، في الكثيرين ممن استدقت ، على هجين الاحلام والامال .

٣

ومن الاحلام ما يصبح جزءاً من حياة الانسان فلا نملك تجميعه وان

١١ « غرائب الغرب » كتاب اجتماعي تاريخي اقتصادي ادبي . طبع في جزءين في المطبعة الرحمانية بدمر . تأليف محمد كرد علي ونشر للمجمع العلمي بدمشق الشام .

شاخت ، فتحرضه وتستجته حتى يسمى في تحقيقها ويقطع في مساعاه .
 وافقت العرب في خروجهم على الترك أثناء الحرب ، وافقتهم في المجالات
 الانكليزية والخرائد العربية فكانت اقوم في ما اكسب بعض الواجب الذي
 يفرضه الحب والاعجاب . وتوقفت في تلك الايام الى زيارة الاندلس فوقفت
 في الجراء في القرقة التي كتب فيها واشتعلوا ارفين كتابه النفيس ، قدمت
 اصواتاً تناديني باسم القومة ومن اجل الوطن ، وتدعوني الى مهبط الوحي
 والنبوة .

اتجرت تلك حين الذي استنفر القبائل على الترك وارسل اولاده
 الامراء الاربعة الى ساحات الوغى . وكان الناس في اميركا يمججون
 بروذفلت^(١) الذي قدم ثلاثة من ابنائه الى وطنه ، فقلت : ولا يصغر العربي
 الهاشمي اذا قابله بالاميركي الكبير . عندما انتهت الحرب كان الملك حسين
 اول من صورته الاحمال ملكاً يفتح لي بها . وبينما انا افكر في طريقة تحمل
 اليه امنيتي القصوى ، جاءني حملة صديقي سليم سر كيس وفيها خير زيارته
 تلك السنة الهاشمية المباركة .

واهم من ذلك يومئذ عندي خبر قرأته . دهرش سرور . جاءني الصديق
 بصديق آخر ، وهو من الحلال الاولين الذي كانوا يذرونني في الفريكة بعد
 سودتي الثانية من اميركا وشجعوني في اقبالهم على رسائلي كتابة وخلاصة
 في سبيل الاصلاح الاجتماعي والتهذيب . وهذا الصديق هو قسطنطين يني
 الذي ابعده عن الحرب العظمى وحرمتي الجوار . فجاها القرية سر كيس ،
 كأنه رسول العناية الي ، يشرفني بوحوشه في خدمة جلالة الملك حسين .

هلت وكبرت . وتناولت القلم وكتبته نوا كتاباً الى العزيز قسطنطين
 فيه بين السلامين مئة سؤال وسؤال ، اولها : هل يأذن جلالة الملك بالزيارة ؟

وأخيراً : هل تراقبني أنت في هذه الرحلة ؟ وما معنى الشهر الأول وانتصف الثاني حتى جائي منه الجواب وفيه ما يلي :

« اتفق أن وصل كتابك إلي وجلالة الملك حسين في جده فقرأته له كلمة حكمة وتباحثنا ملياً في الموضوع . . . وهو يرحب بك إذا حضرت . ومن رأيه أن لا لزوم للسياحة في جزيرة العرب كلها فهو يساعدك على زيارة الحجاز من اقتضاه إلى اقتضاه ، ويعطيك المعلومات اللازمة ، ويطلبك على جميع العقود والنصوص والمفاوضات بينه وبين الدول من . طلع النهضة إلى اليوم ليكون في استطاعتك تأليف كتاب عن العرب مشرقاً من جميع أوطانهم . ومن رأيه أنك متى درست أخلاق قبائل الحجاز تكون درست أخلاق بقية القبائل لأنهم كلهم متقاربون بالعادات والمشارب . . . أما زيارتك الرياض وابن سعود فهذه مستحيلة لاستحكام العداء بينه وبين الحجاز . . . والسياحة توافق أن تكون في فصل الشتاء ولا تستغرق أكثر من أربعة أشهر ولو انتهت في بغداد . . . وأني بكل سرور أرافقك حيث شئت . . . أما الكعبة فلا يؤذن لك بزيارتها في الوقت الحاضر إلا بأسباب المعروفة . . . والسياحة تكلفت بأقل من خمسة جنيه . »

في هذه المعلومات يبدو القاري شيء من سؤالات سألها ولم أجب فيها عند حد من حدود التحفظ والندارة . ولا يؤم علي ، وأنا بعيد حقيقة وعلماً عن البلاد العربية ، إذا استقرت . كل ما يجري في رحلتي قبل أن أقدم عليها . ولكن سؤالي عن زيارة الكعبة ، وأنا مسيحي ، بيت يهيوكي لا يعرف من العالم غير بلاده ، فإذا قيل له أنه لا يؤذن للمسيحي بالدخول إلى مكة اعتراه الدهش والحبس .

أما : فما دهشت ولا اسفت . بل كنت اعلم النفس بتحقيق امنيتي

بعد ان اقبل جلالة الملك ، كيف لا وهو زعيم النهضة العربية القومية
الاصلاحية ، ومعتقد العرب الاكبر ، كيف لا والمسيحيون السوريون من
العرب ، والأتقاء والمساواة زكيات من اركان النهضة . ما اعرب الاحلام
التي كنا نلحها في بلاد القرايب وما بعدها . لا اثن ان من كان قادماً من
القمر او المريخ يثمن احلام العرب مثلاً واعجب

وفي معلومات قسطنطين ثما استرعي له نظر القارئ ايضاً قول جلالة :
« ان لا زوم للسياسة في جزيرة العرب كلها » . ولكنني لم اتقيد بهذا القول
لاني كنت اعرف في الاقل اوليات الجغرافية العربية ، وتأكد ان « من يزور
الحجاز من اقاص الى اقاص » لا يكون قد زار البلاد العربية كلها ولا جزءاً
كبير منها . وهناك غير ما تقدم من المعلومات التي تأكدت بعدئذ الخطأ او
التحفظ او القصد المياسي فيها . وما كان صديقي شير ناني في استقراء
كلام جلالة الملك الذي لم يشأ عنى . يظهر ان ازور عبر الحجاز . وقد خبر
قسطنطين - اخبرته في اليمن مثلاً وعبر بخصوص القبائل التي يختلف بعضها
عن بعض في الملابس والشارب والامادات . وتأكد مثلي ان من يزور الحجاز
فقط لا يستطيع ان يثقف كتاباً عن العرب مستوفياً من جميع ابوابه .
واذكر بعد رحلتنا الاولى من جده الى مدن بان نفقت السياحة تتحرك
ضرب ما ذكره . وان مدتها قد تتجاوز السنة ولا سيما اذا تكدت من السياحة
في نجد . وما كانت زيارة الرياض وابن سمون ، والمجدلة ، بالامر المستحيل
على اني اذا ما ذكرت ان اضحك من تلك البساطة التي حملتني على توجيه
السؤال بخصوصها الى جلالة الملك حسين . انها لبساطة تدني من البلاء لان
ليس فيها شيء من الخبث .

٤

وهذا الكتاب وفيه ترجمة سبعة من امراء العرب غير الحسين بن علي ،

وكلمهم ملوك وان اختلفت الاقلام مستقلون بنعمة الله بعضهم عن بعض ،
وجاهلون شخصياً بعضهم بعضاً . قاتنا اذا استشهدا الملك حينئذ والله الملك
فحصلاً لا نجد بينهم ، او في الاقل بين الكبار منهم ، من يعرف زمينه الملكي
معرفة شخصية خاصة ، او يعرف من الاقطار العربية معرفة حقيقية تامة غير
القطر الذي هو حاكمه .

ليس في ملوك العرب اليوم ملث ساح في البلاد العربية حكتها ، وليس
فيهم من يستطيع ان يقول : انني اعرف بلاد العرب وحكاما وسكانها
وقبائلها واحوالها الاقتصادية والزراعية وشؤونها السياسية الداخلة والخارجية
تماماً . من نقدر العارفين واخبار المتربين عن الاعراض السياسية والتجزيات
المذهبية . ولا استثنى من هذا القول الملك حينئذ او الامم يحكي او السلطان
عبد العزيز آل سعود .

قد يكون الملك حسين اكثرهم علماً بالحوال سكان البلاد من بدو
وحضر ، وعذاهم وتوابعهم وتعارفهم وعدواتهم وسياسة امرائهم ، وان
مركزه المشرف بالشكبة التي يحجبها المسلمون من البلاد العربية كافة من من
اقطار العالم الاربعة يساعد على ذلك . وقد يعرف من احوال جاريه
الادريسي وابن سعود ما يستطيع ان يستند اليه فينفعه في سياسته التجارية ،
ولا ينفعه بل قد يضره في سياسته العربية . اريد بذلك ان عنه ، وان تجاوز
ما يتناول قبائل نجد وسير وما يستقيم كل من حاكمها ان يجند من الناس
ويجمع من المال . ومن هم النفوذ الاكبر في بلاديهما ، فلا يصل ذلك العار
الى عقلية الادريسي مثلاً او الى قوة ابن سعود الشخصية والمعنوية . ان
سلطان نجد في ذهن الملك حسين صورتيين لا ثلاثة لها صورة تخدم بوعه
فلا يكتفون بها وحده تنفي ذلك النوع فيقول عليها . فكيف السبيل مع
هذا الجهل الى التناغم والولاء ؟

أما الأعلام ينجي فلا شك أنه يعرف ، وهو العالم الأكبر في امراء العرب ،
 افطار اليمن وسير وحضرموت وبعض الجعد معرفة حقيقية تامة . ولكنه
 يجهل البلاد النجدية وسنطانيا وحققة حال أهلها من بدو وحضر . أو أنه
 لا يكتفى بذلك . ولا شك أن السلطان عبد العزيز أكثر ملوك العرب علما
 بأهل البلاد والمشرق في نجد والحجاز ومات الشام وفي مسقط وعمان ومطهر
 ولكنه قام بكتابات ذكر اليمن في سير السياسة . فإذا حسنته عن
 ذات أهل ذلك القطر القديم وأحوالهم البرامية والاقتصادية والاجتماعية
 فكأنك تحدثه عن شعب ليس بعربي فتفكره ويستفيد .

أنت مائة إذا قلت أن ليس في البلاد العربية اليوم رجل واحد يعرف
 البلاد العربية كلها . وليس في أمم اليوم وبها الأسب من يحوط كلها . لا قطار
 حضاعة ويشترها جماء ، يجهلهم وقبائلها ورياستها وصايرتها . خراجها
 وحروبها ، ومشايخها وأمرائها ، وسكانها ، يتخلص بأمورها السياسية الداخلية
 والخارجية من الحكومة أو الكايند أو بائري وزارة المستعمرات فحسب .
 فهي تصدر كتاباً عن البلاد العربية "مبتدأ على تقرير وكلائها السياسيين
 والسباح العامة ، تصححه وتعيد طبعه كل خمس سنوات مرة . وهو مع ذلك
 لا يخرج من الأعلام إذ نشر في . يتخلص بكل قطر منه ابن البلاد المسلم
 بشؤون القطار المذكور كلها . قد عسى ذلك أن الكتاب لا يشتر عاموم
 وقد يرى خارج الدوائر الرسمية

ولا أظن أن من وثيقة الحكومة الانكليزية أو من واجبات ، أقطار
 عن ميلها وصلحتها ، أن تعرف ملوك العرب بعضهم إلى بعض . أو أن
 تطلعهم على أحوال الأقطار العربية كلها . ولا أظن أن احداً من أمم العرب
 (1) Manual of Arabia هو كتاب تاريخي احداثي سياسي مترجم في البلاد
 العربية تطبعه وزارة المستعمرات وتوزعه على الوكلاء السياسيين والتواصل والسفراء
 لدولة بريطانيا العظمى فقط .

يستطيع ان يقوم بهذا الواجب دون ان يوحل الرحلة التي رحلتها .

فها انا اذن في هذا الكتاب ، ولا فقر ولا اعتذار ، اعترف سادتي ملك العرب بمقتضى الى بعض تعريفات يتجاوز الرغبات والسطحيات . وليتحقق - دني ان ليس في البناء في ما كتبت تركت او مدهانة ، ولا في النقد تشيع ، وتحمّل . انما غايي القصوى تهديد السب الى التفاهم المؤسس على العلم واخبار اليقين . ولا علم ولا يقين الا في تدبير الادواء ، والمارة الاذهان .

٥

وفي هذا الكتاب من النص ما ينبغي ان يشير اليه . كان قصدي اذ اول ، عندما سافرت من نيويورك ، ان اشرح في الجواز واليسر ولقد اعلمني ان في هذه الاقطار الثلاثة تجتمع العرب كافة ، ففي اليمن قحطان . وفي الجواز ولقد قرنا بمقات اي مضر وربيعة .

ولكن المشاهدات الاولى عوت من قصدي مشددة ونقحت فيه حتى اصبح يشمل على ما في شبه الجزيرة خارج الجواز من امارات او شيعة مستقلة . اما الجواز وان كان اصغر الاقطار الاربعة الاولى - حة ، واقلا عدا ، فبر اهمها مركزاً ، واوغا في السياسة الدولية مذاماً . وقد صار بفضل جلالة الملك محمد بن عبد العزيز من العرب اعلمين في سبيل الوحدة العربية . فقل من لا يعرف شيئاً عنه . الجواز كتاب مفتوح . واعلم ما في الكتاب اليوم . من هذا الحرم هو الفصل الذي عنوانه : الملك حسين ، الهبة العربية . فقد انتهيت بهذا الفصل ورايت وجهي الاقطار الاخرى ابقي لزيارتها كلها . ولكني لم اتفق الى ذلك . الزمت السفر الى حضرموت عندما كنت في عدن ، فاجتعت وانا في بيت شرفة البواخر المتدبة بربان البوخرية التي

سافرت فيها الى جيزان . وكانت هذه المرة تفقد مكلًا ميتاء حضرموت
فقلت للربان : اني معك ثابة ، فضحك وقال : لا اشدك تيروى الحياة .
فقلت : واي خطر على الحياة في بحر العرب وفي فصل الصيف ؟ فاجاب
الملاح الانكليزي : هو فصل الموت - فصل الامم منصوره ^(١) .

ثم قال : وليس لمكلا ميتاء نسووه . وقد لا تسمع الانواء بالوسو في
عرض البحر . وانت تعرف باعرتي ، عرفتها في هذه البحر الاحمر . وماذا
في حضرموت ؟ اقبل لتصيحني اخ .

فانصرفت اسفا . فحاء هذا الكتاب وليس فيه غير بعض الشيء . عن
حضرموت اخذته عن رجال من تلك القطر اجتمعت بهم في عدن والحديدة .
وهذا اول نقص فيه .

اما مسقط وهم البلد الاول في شبه الجزيرة الذي دخله الأوروبيون
والاميرانيون ^(٢) فلظني ان الرواية قدمت فيه لما اخرج عليه وما مات اليه .
وقد اكون مخطئا فأتوفق في اني قبل اني تلامي هذا النقص الآخر في
الكتاب .

وهناك عمان وقطر ، تلك البلاد التي تمتد من الساحل لبحراء العرب
جنوبا الى مسقط . وفيها اربع او خمس « شيخات » مستقلة . فما عذري فيها ؟
احب بكلمة واحدة : العجز .

(١) الموسون Monsoon ربيع غيب في اشهر الصيف من الجنوب الغربي وبحري
في بحري الهند والشرق شرقا لنهل تحصل الامطار الى اشد وجنوبي اليمن . وهو
رياح مرمرة شبيهة بريح الجنوب في الصحراء تشد منها الاتواء في الاوقيانوس الهندي
والبحر العربي اشتدادا يروح حتى للملاحين .

(٢) في ٢٤ ايلول ١٨٣٣ عقدت حكومة الولايات المتحدة بواسطة وسكيبها
المصري ادمون دوبريس Edmund Roberts معاهدة ولاية تجارية مع سلطان
مسقط - محمد بن سعيد .

عندما عدت من رحلتي في نجد رأيتني موطئاً إلى حد يفتي مسبح الزيادة
الاستسقاء أو بالأحرى أصيبت وذهني ونفسي كالأسفنجة وقد امتلأت ماء
فإن أخذت من الزيادة نقطة واحدة . وما رأيت . وأنا في البحرين . أن الزور
تلك . الشيوخ . في عمان قبل أن الزور سلطان نجد في أرض . لم سلف
علي . حشرت في جانب ما كنت . وسكنتي لا تزال اقل النفس بالآفات .
فأعريف في المتعبد أن شاء الله قديماً آخر إلى الكتاب أو قسرين في فيه
عالم . وسقط وحضر موت حقها .

بني ذلك القدر الحديد في الشمال العربي الذي أنشقه السياسة الجديدة
سياسة « بعد الحرب » وأمرت عليه النجل الثاني من الخيال الثالث حسين
الأمير سداه . لما نسلت الإدارة في عتقادي من الامارات العربية الثالثة
الذاتة . قد لا قول في عهد اميرها الاول ، وقد يكون اميرها الاول الخامن
عند نوايا الاتحاد إلى ما وراء الأردن أو إلى ما دون العقبة وتبوك . أما إذا
فارت سياسة التقسيم وثلثت اربعة شرقي الأردن فاعلمت إلى صو اميرها
والشكفي ورو مؤخر إذا بقا الله وانيه على مسرح الحياة .

٦

وفي هذا الكتاب طائفة من الآراء التي تهم العرب خصوصاً والإسلام
عموماً ، والتي تهم الأوروبيين عموماً والامسكين خصوصاً ، يخدم القارئ في
مكتابها من البحث . أما الذين لا تهمهم السياسة بقدر ما يهتم العلم
والادب ، واختيار الاستقاء ، فقد خصصتهم بدم ثا كتبت . وقد اتخذت
في ذلك اسلوباً يقرب من القارئ ، ما شاهدت بعيني ، وصحت بإذني ، ولمست
بيدي ، فيشله ، إذا تم القصد الفني ، حباً لديه .

وليس في الكتاب ، أدباً كان أو سياسة ، وصفاً أو نقداً ، إلا الحقيقة

غير المحرفة ، لأن في التجرد ، في العربي ، شيء من سوء الأدب ، لأنها إذا
كان المجرد والمجرد في العربية ، وما ينسى القصارى . فإنا الله إلى جنت إلى
البلاد العربية من أوطى قصة يكثر فيها التجرد حقيقة ومعنى . ثم سجت في
بعض أرض الهند حيث يستمر الناس الغوا ، ولا يلبسون أحياناً غير نسيج
من الشمس والقبار . فسمت التجرد . ولكنني لا أعطي الحقيقة في مسا
ألمها وتأتني بالفارسي . يقول : إن في احتجابك على العربي شيئاً من الدهاء .
فاعتد إليه في ما قد يمد مكابرة إذا اعترفت بالذنب . نعم ، وفيه كذلك
شيء من تلك الصناعة التي يندب بها أرباب أدب على الدوام ، وتارسها على
الدوام السوء .

وما الضرر في اليسير من المساحيق والألوان ، وفي المهمل المظنر من
الخطا . إذا كانت الحقيقة مجردة حملة فهي في ثوبها المهمل الجميل وإذا
كانت تبلم فهي في زينتها ادعى إلى الألم والحزن . إلا أنها في كل حال لا
تجاس التعصب ، ولا تدنو من التشيع والنشيع . فمن هذه الوجهة أن
تحسبها أنها الفارسي . العزيز مجردة كل التجرد .

وقد نجني في بعض الأماكن ناقصة أو مخطئة ، شأن كثير من الأمور
والأفكار البشرية . لذلك لأن النقص في كل ما يرى ويدرك موجود ،
والخطأ لا يستدرك كله . فقد بذلت في التحقيق والتدقيق طاقتي ، ولا عذر
مع جهد قاهي .

على أنني متيقن أن كل من يطالع الكتاب من النافذة بالضاد ، هما كان
عنه في البلاد العربية وأهلها نجد فيه بعض الشيء الجديد المفيد ، ولاخواني
الأدباء خاصة ، في سوريا كانوا أو في مصر وأميركا ، أقول : تعافوا سيحوا
معني فأعود بكم إلى ما أبعدكم عنه التفريح والتأمل ، إلى حقائق لمناظرة
في آداب العرب القديمة ، وإلى حقائق استنساياها الأيتم والعربة ، وإلى

حقائق يجملها كثيرون حتى من العرب أنفسهم ، وإلى حقائق نقلها عن علماء
الأفرنج ملقوبة مشوهة .

تعاودا سيجوا معي فأعود بكم إلى بلاد عجيبة مهر كان قعرها ، وإلى
شعب كريم مهر كانت آفته ، وإلى أمة حرة أبية مهر كانت دنوبها . أيها
الاخوان الأدباء ان في آثار المدارس السورية اليوم روحاً اجنبياً من شأنه ان
يبعد السوريين والمبانيين عن كل ما هو عربي في لغة اللسان ، ولو استطاع
لا يعدم كذات عن اللسان - فكل فيهم حب اللغة العربية . وفي البلاد
اليوم سياسة تعضد المدارس في خطتها فتوسع اللغة بيننا وبين العرب
وببلادهم . أنظروا دائماً حيث كنا عند خمسين سنة ؟

اعود إلى الكلمة التي امتنعت بها هذه التمهيدات . ان انقبض والخوف
توأما الجهل ، ومن الجهل . يولد الحب والاعجاب . وأن الروح الذي يسمى
في ابداننا عن العرب لا يفلح ان شاء الله في معناه . فقد بددت الألبام تلك
الاوهام التي صدرت لنا الكمال كله في الأمة الامرسية ، ونسى ان هذا
الكتاب يبدد الاوهام التي صدرت لنا « البع » في العرب .

امين
الحسين

الغريكة : لبنان

في ٢٧ ايار سنة ١٩٣٨ و ٢٣ شوال سنة ١٣٥٨



جلالة الملك حسين بن علي

الفهم الاول

املك حسين بن علي

الحجاز

سنة ١٩٢٢

•

مروره : يحده شمالاً العقبة وامارة شرقي الارض ، وجنوباً القنفذة وجبال
عسير ، وغرباً البحر الاحمر ، اما شرقاً فحدوده مختلف عليها
وغير معروفة اليوم تماماً

عدد سكانه : نحو ثلاثمائة الف واكثرهم من البادية

مساحة : نحو خمسة وسبعين الف ميل مربع

اهم قبائله : حرب وعتيبة وجهينة والحويطات وبنو تقيف وبنو سفيان
الاشراف : البادية (ومنهم البيت المالك) ودور حسن وقريش

اهم بلدانه : في الداخل : مكة والمدينة والطائف . وعلى البحر : جدة
وبينع وادجه

مذاهبه : السنة : حنفيون وشوافع ، والشيعة : جعفريون وزيديون

الفصل الاول

البدو والحضر

الشلون في الحجاز - عربية لا رطانة فيها - قمور الملك - رسمه وخطبة معبد -
الديرة امنية العرس - القتال والصناعة - الحضر والترحال - تقبيل اليد والركبة - للناحات
والاميلات - الحضر - حشوة العربة - التاجر والحائل - ملك من الانبياء - اللغة التي يلهجها
البدو - الانبياء - العرب والاسلام - السوربون في اميركا - ملك يقوهر في الحجاز .

في اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط ١٩٢٢ (٨ رجب سنة ١٣٤٠)
وطئت لأول مرة ارضا في شبه الجزيرة العربية وقابلت ملكاً ما عرف
الفرييون غيرة من ملوك العرب . جئت من نيويورك اذوره وفي قلبي بعض
التردد لما تصورت في راسي الذي كسرت الجرائد ، وجاء من مكة وفي ذهني
صورة وشهرة جسمها لديه صديقي لي في خدمة جلالة « بل صديقان ، هما
قسطنطين بني والشيخ فؤاد الحطيب . وقد اجتمعنا في بيته يوم وصلت اليها .
وكانت اولي دهشة في ان محافظ المدينة الذي تفضل فلاقاني على الرصيف
بلغ جلالة الملك بافتاف غير وصولي .

الهاق في مكة المكرمة اولئكته مستررب تماماً . فالحجاز هي
البلاد العربية الوحيدة التي لا تسع فيها : آل آل . الناس هناك يهتفون
ويشاهدون بلغة عربية لا رطانة البتة فيها .

- مركز « اعطني مكة .

ولا انتظار ، ولا ابطاء ، ولا تمويه ، ولا متاعمة .

- مكة ، محافظ جده يشكلم ، الديوان ، خير . قل لجلالة الملك ...

خير . . . خير . . . ابشر .

ثم كفني المحافظ قائلاً : سيدنا لم يتأكد قدومكم في هذه البادرة ،
فذلك لم يزل ملاقاتكم . ولكنه يجي . اليوم .

وبعد ثلاث ساعات من حديث الهاتف جاء رسول يقول : سيدنا دخل
البلد . ثم سمعنا صوت السيارة في الشارع فارعنا الى باب القصر نتظر قدوم
جلالته . وكان قد اجتمع هناك نفر من اعيان جده وعلماها .

وقفت امام الباب سيارة فضة فخرج منها ناظر الخارجية ، ثم ناظر المالية ،
ثم الامير زيد ، ثم الملك حسين .

صافحته مسلماً سلاماً عربياً - حي الله مولاي بالحسين ولا اذكر بأية
كلمة حيائي . ولكنني لا انسى اننا في صعودنا الدريج كان يتلطف فيأخذ
بيدي لاسير الى جانبه .

دخلنا ردهة الاستقبال في الطابق الثاني وهي طويلة تشرف على البحر
غرباً وشمالاً . وليس في فرشها ما يتاز من فرش البيت ، بيت الضيافة ، الذي
اؤلت فيه . ان البساطة تشدو في القصر من التقشف ، فتبدو في السجاد
العادي ، وكراسي الخيزران ، والدواوين المغطاة بقماش من القطن ، والجدران
العادية الخالية حتى من الايلت ، كأنها تنازل الى شيء من المدنية اكراماً
للزائرين الاجانب فقط . . ولكنها اندى قراطينية العربية في بعض مظاهرها
التي تروق على الخصوص القادمين من البلاد الاميركية . وهناك مظاهر اخرى
في ظاهر صاحب الحلالة ، اي في حديثه ، وفي لبسه ، وفي اكرامه الضيف .
من عادة المصريين انهم بصناعتهم يحبون في حضن الاحايين صرور
الناس . ويظهر عقراً في رسوم بعض الناس شيء من الحسن فلما يبدو في
وجوههم . اما رسم الملك حسين الذي نشر في اوروبا واميركا اننا ، الحرب
فهو لا يشبهه ، ولا يمثل ما في وجهه من البشاشة وقد مازجها شيء من الفهم ،
ومن الجلال المقرون باللطف وليس فيه تصنع واعتناء .

وكانت دهشتي الثانية اني اجتمعت بليك كنت اظنه من رسمه رجلاً

قطرباً جافياً قاسياً ، فكذب ذلك الرسم الوجه منه والحديث . اجل ان في
 حياً الملك حسين سياف جلال طبعي لم اشاهد مثله في غيره من ملوك العرب .
 بل فيه تتجلى روحانية شرقية قرنت بالتأديب الغربي . ولا غرو ، وهو من
 بني نهي من سلالة الرسول ، وقد اقام عشرين سنة في الاستانة . ان حديثه
 اذن مصدرين من الانس والكياسة ، الاول اخلاقي نبوي ، والثاني اجتماعي
 اكتسابي .

وفي وجهه ما يفصح عن الاثنين مما غاب ويا للعجب في رسمه . فهو رقيق
 الادم صافيه ، عدل الانف دقيقه ، له جبين رفيع وضاح يظهر بسكرل بهانه
 عندما يرفع العقال ويلبس العمامة . وفي نظريه نور يشع من حدقتين تسليتين
 تحيط بهما هالة زرقاء . وله فوق ذلك ابتسامة ما عرفت اجذب منها للقلوب
 فير ابتسامة خصه ابن سعود السلطان عبد العزيز .

اما صوته فألطف من النور في مهبه . واما انامله فان فيها دليلاً انصح
 واصلق ما في كتب الانساب على طيب الارومة والشرف الاثيل . وقد
 كبرت هذه المحاسن في نظري لانها عارضة من مظاهر الابهة والجلال . فالك
 لا تيز الملك عن احد مشايخ العرب اذا كان مسافراً لولا عقال من الحرير
 اصفر فوق كوفية اخف اصفراراً منه . وهذا العقال اوث ثخين . هو عقال
 بني نهي ، عقال بيت الشريف ، بل تاج الملك فيه . واذا اتم الملك فسلا
 ترى فرقاً بينه وبين احد الاعيان او العلماء لولا دذابة عمامته البيضاء . هالك
 في القيافة مظهرأ من مظاهر الديمقراطية التي يشاهدها السائح في كل ملوك
 العرب وامراتها

جلس الملك في زاوية من الديوان وانشأ الى يمينه فجلست وفي بعض
 الحيا . من التصدر في حضرته . ثم دخل اعيان جده وكبارها مسلمين على
 صاحب الجلالة ، المنقذ الاحكهم ، يهتبه بقدمه السيد . فانهت في
 سلوكهم الديمقراطية . وغدوت حائراً لا ادري اينتدى . في الحجاز التتلك في

البلاد العربية ام ينتهي .

دخل عرب المدينة « عرب جده » مطاطين الرؤوس ، مكثفين ، صامتين ، خاشعين . فكان الواحد منهم يقبل يد الملك مرة ، والآخر مرتين ، والآخر ثلاث مرات . ومنهم من قبل منها الكف والظهر ، ومنهم من زاد على ذلك قبل الركبة الملكية . وكان جلسته يأذن بذلك ويقبل بعض الزائرين في وجوههم . وقد يسحب يده مانعاً من عم ارفع مقاماً من الجيم ، اي الاشراف العبدالة وهم اقارب الملك الادنون .

ان التقبيل درجات اخذ في الاحترام وفي العبودية . وكل من المقبلين والمقبلين يعرف مقامه فلا يتعداه ، ولا يخجل من ان يعرفه سواء . اجل ، ان بين من يقبل ركبة الملك ومن يقبله الملك في جيبته ، او ينع عنه يده ، يوماً شامساً في المقامات لا يخفى على احد من الناس . واذا خفي على عرب البادية ، على البدو ، فلائهم لا يفهمون هذه الرسميات او لا يكثرثون بها . يحمي البدوي الى البلد فيقف تحت نافذة القصر وينادي « يا هو علي »

وهو ساعد الرأس ، صريح الكفة ، فحجته لجة الاكفاء والقرناء . قل هي لجة ابناء القفار . والملك حسين يقبلها كما يقبل قبلة الاحترام والاجلال من المتدينين المتكرمين بل يقبل فروض العبودية من الحضر باشاً كما يقبل هاشاً من البدو خشونة الحرية وسماحتها . ولا يتغير في الحالين ، ولا يأمر بتهديب هذا او بتخفيف ذاك . ايدهشك منه هذا السلوك الملكي النبوي ؟ هو اعلم مني ومنك بأمور ملكه وبدعائم السياحة فيه .

ان الحضري عادة تاجر ، والبدوي غالباً مقاتل . والاثنتان لازمان ، فنأخذ من الاول لنعطى الثاني ، ونذل الاول احياناً لنسكن من الاخذ والمطا . ولا سيما اذا كان الثاني خشن الخلق ، صعب الشكية ، ويحصل فوق ذلك البندقية . والبدوي لا يفهم غير لفتين ، لغة الدينار ولغة السلاح ، بل لغة القوة التي تتمثل في سلاح امضى من سلاحه وساعد اشد من ساعده .

اما جلالة الملك حسين فليسوا الحظ لا يحسن في معاملة البدو اليوم غير لغة واحدة هي لغة الدبنار - وستعود في ما بعد الى هذا الموضوع .

- البدو يا حضرة الفاضل ساذجون فقراء ، ولكمهم صادقون . اقول : صادقون . وهم يعرفون اليهود .

في النصف الثاني من كلام جلالة نظر ، بل فيه باب الرب فسيح . الا انه اراد حكا عنت بعدئذ غزوة ساة الانكليز الذين لا يشبهون البدو في سياهم وفي عهودهم وقد عاد الى هذا الموضوع مراراً في المقالات التالية انه في احاديثه السياسية كثير الالغاز والرموز ، قلما يصرح بفكره ، وقلما يشرف عدوه بذكره . واسكنه في الجلسة الاولى لمس من الموضوع اطرافه واستعاض عن البحث بذكر الايات ورواية الاشعار وهو شغف بالاولى وله حافظه لا تزال على سنه قوية .

كان الكلام في العرب والاسلام وكان جلالاته يدعم كل ما يقوله بآية او بحديث شريف او بيت من الشعر - " من اعز العرب اعز الاسلام - اعتصموا جميعاً بمجل الله ولا تفرقوا - الاسلام يا حضرة النجيب لا يقاتل غير من اعتدى عليه - لا تخارب الا دفاعاً عن انفسنا . اقول : دفاعاً عن انفسنا . الاسلام يعلم البساطة والصدق والمساواة والتعاضد . . . وليس ما يتبع المسلمين من الزواج بالمسيحيات - حبذا السوريين لو جاءوا من اميركا واقاموا في الحجاز يتاجرون ويسعدون - اقول : ويسعدون فيساعدوننا في تشييد الملك العربي وتميز الوحدة العربية " .

وكنت قد رفعت الى جلالاته سلام اخوان لي في نيويورك وتحيات بعض العرب والمستعربين في مصر -

- نحن نشكركم على هذه الزيارة ونكبرها منكم . فقد جنتم من اقاصي البلاد واعظمتها ، اقول : واعظمتها ، الى بلاد متأخرة قليلة بينها وبين الحضارة مراحل طويلة . ولكنكم جنتم تلبون دعوة القلب . معتم ،

يا حضرة النجيب صوت الضمير . عدم بعد هجرة طويلة الى الاصل . بارك الله فيكم .

في صوت الملك حسين الدمعي خفوت تضيق عنده الكلمة فيعدها متبناً بكثاً - اقول يا حضرة النجيب - كذلك يتكلم .

وكان اعيان جده وكبارها جالسين على الدواوين وهم مثل التاميل في معابد المصحين لا يفصح عن حالهم غير السكوت والخشوع . ثم نهضوا مستأذنين ، وقبلوا يد الجلالة مودعين كما قبلوها مسلمين . فتهضت على اثرهم فأشار جلالة تاجها ان اجلس . فعدت الى مكاني . ثم قال ، والاعتذار في صوته وكلامه ، صحيح قصير : ان حياتنا في هذه البلاد غير ما آلت يا ايها العزيز ، وخشونة العيش عندما لا يشفع بها غير الحب والغيرة . . . فحاولت ان اماريه في هذا الميدان فذكرت التنازل الجميل في مجيئه من مكة ليقابلني . فأسكتني بإشارة من يده ، وافحمني ، بل زاحني خجلاً وعباً ، اذ قال : وهلا نقتطع فرساً لتلاقي من قطع البحار وتبتم الاخطار في زيارتنا ؟

الفصل الثاني

من الشب إلى الطب

التبادل بين المصنف والروايات - الأكليل - ذو - الخيف - الناظر الجديد - العذرات
والدبابات - الضب - شمر في غير الجوز - عقد من شب الحب - فصل
الكتاب - اجتماع - ملك - المصنوع - حبيب - العبد والخط العبد -
الغار الديوان الهاشمي - التعليل في السامية - الخليفة - حديد - الثاني من
فراس - منو - السب - الكي - وقد إنصرفت قد بواسطة طاب من
في - معني - السب من معني - الملاء -

إن الملك حينئذ ليعتقد مبدأ التبادل في المحامد والواجبات ، إن كان في
السياسة أو في الاجتماعيات . وعنده من الدين على ذلك براهين . لقد امرنا
الله بالصوم والصلاة وقراءة الزكاة ، ووعدنا في مقابلة ذلك بالجنة . وهذا هو
التبادل بالمحامد والواجبات . وقد أخذ الأنكليز منا عهداً في القتال فاقبلنا على
العهد ، وقبلوا لنا عهداً بالاستقلال والوحدة العربية ، ولكنهم وبإللاس
نقضوا العهد .

عندما يذكر جلالاته الأنكليز يستعوز عليه الحق والغم فينادي أحد
تفلاذه ، الناظر الحضرمي ، ويكون قد دور له حيلة للقلية أو مفرقة يشرح
لها صدره . والناظر الحضرمي ضعيف المص ، سريع التأثر من عريب
الحركات والاصوات ، شديد الخوف من اخشرات والدبابات وفي الماداهات .
وبكلمة صريحة هو جبان - الجبان الأول في الديوان الهاشمي ، أما الثاني فهو
الناظر الشاعر . إذ كل شاعر في رأي جلالاته جبان .

أما الملك حينئذ فلا الاصوات ولا الخيالات ، ولا * يصع * السياسات
يحدث فيه ما يمد عيناً في الرجال . إنه لشديد البأس ثابت الجان يوم
ضرب الأتراك مكة والكعبة كانت تقع قتالهم على قصره وهو فيه ثابت

لا يبالي . اما الاثراك فهم في نظره مثل الحشرات والدمهات التي يروى طارها
ويستخدمها احيانا لترويع الناس . فقد علمت انه شغف بها ويدرس اتصالاتها
وعاداتها . وقد يكون فيها فائدة خاصة لجلائته ، لانها تساعد الناظر
الحضرمي فيدد المصوم الملكية ، وتذيع الغم الاكبر الذي يتولاه لمجرد
ذكر الانكلاير

حاصني احد عبيده ذات ليلة يقول : سيدنا بينك . فأسرعت اليه فاذا
بفتصل يربط نيا العظمى هناك . وبعد ان حدثنا ساعة عن الابل والاهوية في
الطجاز ، وعن البدو وعاداتهم ، سألني قائلا : انعرف ايها العزيز الضب ؟
قلت : في الكتب فقط يا مولاي . فقال : سغربك الضب حتى اذا كتبت
منه تحسن الوصف وضرب كما على كف فحضر عبد من العبد - هات الضب
نظرت الى الفتصل وكان ينظر الي ، كأن قد خطر بباله ما خطر ببالي ،
فتبادلتا ابتسامة فيها اندهش والاعجاب من هذه البطلة الملكية التي صار
فيها جلالاته امتدادا في التاريخ العليبي والحيوان .

دخل العبد ويده حيوان يشبه الخرواء فأخذه المات منه ووضعته على
الديوان بينه وبين

- هذا يا حضرة الفاضل الضب ، وهذا ذنب الضب . قال ذلك وهو
يربته بيده . " انقد من ذنب الضب " ترى ان المثل صادق . وذنبه هو
سيده ودرجه .

قال الفتصل : انه يشبه الخرواء وأخذه هو بيده . فترجمت كلامه جلالة
الملك فقال : الخرواء ذو الضب ، والفرق بين في الذنب .

ثم اومأ الى الفتصل ان تقدم وافضه . فنهض ودقا من الذب ، فأخذ
الملك بيده ووضعها على الذنب الشوكي وضغط عليها ، فبدت في وجه الفتصل
علام الام قضحك جلالاته ، واستأنف الحديث - هذا ضب صغير يا حضرة
الفتصل ، وقد رأيت منه ما يزيد طوله الياع - كأنه ضب الياصة .

والذئب كما ترى هو نصف جسمه ، اذا ضرب به ادمى ، وقد يقل خصمه بضربتين . اقول : بضربتين . اما هذا الصغير فلا اثر فيه يتقى ولا خير يوحى . دخل اذ ذاك الحاجب يني . بقدم الناظر الحضرمي . فقال الملك : بلى بلى ، فيه خير (اي في الضرب) وهو يوارى الحيوان تحت جبهته .

دخل صاحب الاقبال الناظر الحضرمي ، باشار الملك الى مجلس قريب منه . وما كاد ينبوء حتى مدت اليه يد الجلالة ، وصاحبها هادي . البال ، وفيها الضرب ، وضعت في حجر الناظر المسكين . فصرخ وصاح صيحة طفيل سرعوب ، ووثب على الديوان وثبة حاب فيها الباب ، واصطدم بالحاجب هناك . فقهقه الملك وكاد يستلفي ، وضحكنا كنا ضحك الصبيان ، وقتنا الناظر الشاعر الذي كان جالساً متكئاً على عادته ، وقد كان يحاول الخفاء سروره في ابتسامة فيدها النأذب . ولكن صيحة الناظر ووثبة فكنا منا القيود فتسارعى في فترة بريجة الملك والشاعر والجد المملوك . الا ان جلالة حسان اول من ثاب الى الزانة فطأطأ الشاعر موبخاً : لا حق لك انت بالضحك . لا حق لك حتى تركب الطائرة او في الاقل الحبل . والناظر الشاعر يخاف ركوب الانين خوف زميله الحضرمي من الحية والضرب .

عندما خرجنا من مجلس الملك ذلك الليلة قال لي الفصل : هي الذ ساعة قضيتها مع جلالاته وهو في غير موضوع السياسة اقصي الحديث والطف الجلوس . فظننت ذلك من مثله جوراً في الحكم وان كان مصيئاً . لان كل من عالج السياسة رسمياً يشهد القبوض احياناً في حديثه . ولكنني علمت بعدئذ ما يقاسيه الوكيل العريضي في جده من فك التماس الديوان الهاشمي وكشف الستار عن رموزه . وخجرت بنفسي اناء اقامتي هناك ما جلالاته من القوة في التعميد ، والبراعة في التورية والالهام . بل هو يطوف حول نقطة سبع مرات كأنها الكعبة ولا يلصقها . فيدور منها اطرافاً في بعض الاحايين

ثم يسعد عنها متقلبا مسرعا ، وجليسه ، وهو يعدو مباريا ، وقد اعتراه من التطواف الدوار ، يدق رأسه بالحائط او يضطدم بباب في هيكल الاسرار ، فيتلفت ليرى اين هو من صاحب الجلالة فيراه ، وأسفاه ابعدا ويقف خجلا مبهوتا لا يدري ما يقول . والمضيبة في السكوت مثلها في النطق . فاذا قال : فهت يا مولاي مكان من المجملين . واذا سكنت لطن سكوته استهجانا . فهت برأسه تخلصا من الاثنين وينتظر الفرج من نواضع الحكمة ، في يوارق الحنسة .

وطالما استالتني اشارة مولاي المظيفة قلت بمقولي الى السر في يديه وفي ناظريه ، وكنت كالسحور في فيض من المضاميل بسيل من التامل ومن نظرائه . وما السياسة ، وما الحقائق ، وما الحكمة صحتها ، عند سحر ينسبك شغفات الناس وخزجلات الامم

اجل ، ان لمولاي صاحب الجلالة المضحية ، والقوامض السياسية ، وفقات في حديثه تروي بالغصاحة والبيان ، واشارات تفك طلاسم الكهان ، ونفارات تقيد منك العقيل والجان . يسهل يديه اشباعا اذا احس من نفسه انه افحكك ، ويضربها الى صدره تطلقا اذا توقع منك جوابا . ويعالج عقاله او يحرك عمامته اذا رأى منك فتورا او دبرا . ويفجر جلسته على الديوان اذا اوجس فيك الملل . فاذا نهك معانيه ومقاصده وهو امامك الدهر الحلال مجددا !

كنت استغنى القوصة عند ما يفك جوده او يعقدها فأسأله سؤالا لا علاقة له بالموضوع ، متمسكا لتعلمتي المتفر في حب العلم وفي السياحة من اجله . - نعم ايها العزيز . الباقي من قرش قرب خمسة الاف وهم ثلاثة اقسام : قرش الاعاصيد ، وقرش الفيس ، وقرش الطائف . ولا يزال بينهم وبين السلالة النبوية كثير من الحب والطف . . . اما بنو سعد ، وهم الذين ارضعوا النبي ، فديوتهم قرب الطائف ، وفيهم بيت يحسن اهل الجراحة

وبتوارثونها بعضهم عن بعض . . . هل تعلم يا حضرة الطبيب ان الحمى
تداوى بالكبي ٩ بنو سعد الجراحون يداوونها بالكبي .

وكشف جلالة عن نجاح طريقتهم في نفسه اذ انه مرض مرة بالحمى
واكتوى فاراني اتر الكين ، واحد في زنده الايمن والاخر في ساقه اليسرى .
- السر في مكان الكبي . فهم يختارون اماكن في الجلم تتصل
بالاعصاب التي تنتهي بجسوعها عند موضع المرض . لذلك لا يترك الكبي
مفتوحاً ليخرج منه الصديد كما يفعل غيرهم ، بل يخبثونه خالاً بشي . من
الملح ، اقول : شي . من الملح ، يذرونه عليه .

وكان قد انبته حالته حركة في يدي تدل على الم فسالني عنها فاجبرته
فقال : وقد يشفيك انه بواسطة طبيب من بني سعد . وبعد يوم وصل
الطبيب من مكة . جاء باسر جلالة يداويني فسالني ثلاثة سؤالات فقط ،
ولم يفهمني والحمد لله فعصاً طياً . ثم قال : لا ينفعك الكبي . سخن السمن
وخذ الثوم دقه وامزجه فيه وادهن ثلاث مرات كل يوم . وستشفى باذن الله
تعالى وتذكرني بطير . قال هذا وودع وانصرف .

وها اني اذكرك يا اخا العرب ، يا راعي الابل ، يا طبيب الملوك ، يا خير
من قابلته في حياتي من الاطباء . وسأذكر دائماً ثبات البساطة فيك ، وذلك
النور في ناضريك ، وتلك العظمة في صوتك ولهجتك وحركاتك . وسأذكر
كذلك انك لم تصف لي ١٠ هو اصل علاجاتك كلها كما يفعل الاختصاصيون
في البلدان المتقدمة . بل اشركت مع علاجك انه ، فكنت اكبر الحكماء
واصدق الاطباء . سأذكرك دائماً يا راعي الابل ، يا طبيب الملوك ، لاني
كلما ذكرت اني آلامي ، وهذا لمعري خير علاج والجمع دواء .

الفصل الثالث

الأبدان في الأحلام

طريقة حو - التوفيق في الاصلاح وعلايقة الملك حو - الحجاب ويمن زعم -
 ابناء اكدسة امدنية - اوبنة - في انا في حق - اجاهر حل شي - طاهر -
 والصفية لا تص - القف - في الكروب - انشفي في مكة - تقرير مد -
 اصفة ال - - الناصر الصفي في ابرية اب سم - معجر الطور - معجر
 امران - البنة الجبة فخص الجار الصعبة في الشرق - المعاهدة الانكليزية
 الصغارية - اصاب الصحة واصاب لاسلا - عوفة اوسفي المنكية -
 طريقة انا في اصفاعها - كتاب من جلالت -

ان جلالة الحسين طريقة في الاصلاح تختلف مبدئياً عن طريقة عمه الشهيد
عون الوفيق الذي حمل مرة على الادراة وشرع في تهديم قبور عمه وعقاداته .
اما جلالة الملك فهو اذا حافظ على تقاليد فيها بقية ، او ليس فيها شيء من
الحجر ، يسمي هادئاً ، يتخذ الطرف الالهي في اصلاحها او ابطاها .

من مظاهر الحج العجيبة مثلاً أن بعض الحجاج من الهند ، لشدة إيمانهم وتقدير بركات اجتدادهم ، كانوا يرمون بأنفسهم في بئر زمزم تبركاً واستشفاءاً ، واعتقاداً منهم أنها أسرع وأسلم طريق إلى الجنة . فلم يقل الملك حسين أن هذا غلو بل جنون في الدين ، ولكنه أمر بوضع شبك من الحديد على فم البئر فقطع بها الطريق القصيرة - المثيرة في لغة أهل اليمن - على المستهذين . ولعله يقل اقتراح أحد رجاله المجهولين بالبعثات القنبية والشاريع الاقتصادية جنون أولئك الحجاج الذين فيأذون بوضع مياه زمزم في القناني لتباع للحجاج - ماء مقدس ومعدي مما ؟ أنها نعمة تشكر وتمتدح ، 'تستثمر في سبيل الصحة العامة . وقد يأسر حالته بعض الأمر المتعلق بها .

• ليس من ينكر ان الامراض والاوبئة كانت ملازمة الحجاج في الماضي

ان كان في الاماكن المقدسة او في الطريق منها والها . وقد ادرك الملك حين ذلك واكتشف السبب الاول فيها . ان قني الماء في متى مكشوفة والحجاج وعم في بيحات الحج لا يسهم المكروب ، هم يدوسونه بأرجلهم ويزجونه بالاروساخ ثم يشربونه ويقضون عليه . للظاهر كل شيء ظاهر . والمكث حين كذلك يقول هذا القول . الا ان الحنفية لا تضر بالطهارة . وكل ما فيه راحة الحجاج وليس فيه ما ييسر العقائد الدينية محلل . ومن ذا الذي ينكر في مكة او خارجها ان الشرب بواسطة الحنفية هو اسهل منه عباً او صياً .

عند الملك انية على ان يجنب عن الحجاج وجه المياه ، فامر بان تغطي القني في متى ثم توضع القساطل والحنفيات لشرب الحجاج منها . وهكذا قضى على المكروب او كاد . ثم اسس مستشفى في مكة "مجهزاً بالآلات والادوات القلبية" يتعمم مساعيه الشريفة في استئصال الاوبئة ومكافحة الامراض . انه ايدهم سلامة الحجاج وراحة العرب قبل كل شيء . وهناك في جزيرة ابي سعد في مياه جده حجر صحي يتأخر الملك به وبلدت اليه نظر الانكسار قائلاً :

(١) - في تقرير بحث ١٠٠١ الدكتور محمد الحسيني نائب مدير الصحة العام في مكة : احداثاً في اوساط طاقى المستشفى فوجدنا فيه اوبئة اقسام ذات شأن استوت عن منه واربين مريضاً . فقم منها لتعريض الجنود وافراد الشرطة . وقم لتعريض الاماكن . وقم لتعريض النساء . وقم لتعريض الاطفال . وقد اختص المستشفى اربعة اشهر لتعريض الفقراء المحتاجين اما عدد المقيمين حضروا الى المستشفى في خلال ثلاثة اشهر مضت فهو كذا :

٢٠٦٥	برس العائنة
٢٠٣٠	برس العائنة في المستشفى
٢٠١٧	تغير القروح
٢٠٣٢	الوفيات
٢٠٣٩	عمليات جراحية

— وما الفائدة من محجر الطور ومحجر قران وهذا محجرنا كامل الاجزاء ،
نظيف الزوايا والارحاء ، ولا يُظلم فيه الحجاج ولا يُغبنون ! ثم ابتازنا
واخواننا ، ولا نظنكم تقارون على صحتهم وراحتهم اكثر منا .

قد وافقت جلالة الملك الى تلك الجزيرة وكان فيها يومئذ مشه ونيف
من حجاج جاوا ، تهافتوا على جلالة وحاقوا بها . فغفروا — ولا استمارة —
امامها وجوهمهم ، وقبلوا اليد والحية والركبة والرجل الملكية ، ثم التراب ،
ثم بدأوا بالشكوى . وقد علمت ان الماء قليل ، وان الخدامين ، وعلى
رأسهم رجل تركي ، يتاجرون به ، وان الطعام ردي . واقامه غالية ، وان
غرفة التطهير مقلقة لحلل في عدتها . اما البيوت التي يقع فيها الحجاج ثلاثة
ايام فهي نظيفة لانها خالية خاوية ، يلعب فيها الهواء . على الدوام . وهذه
لعمري فضيلة المحجر الصحي البخاري اوحيدة .

انتهى الينا يوم كنت في جده خبر البشة الطيبة لفحص المهاجر الدحية
في الشرق وكانت يومئذ قد وصلت الى مصر . فاقترحت على جلالة الملك
ان يدعها لفحص المحجر في جزيرة ابني سعد لعله يدرك بعد ذلك بعض النقص
فيه . فقرأ في اقتراحي ببر ما قصدت وامر ناظر الخارجية ان يستحالا ينبا
يرقي الى المتسدد المشمي في القاهرة يأمره بان يدع البشة المذكورة لزيارة المحجر
الصحي في جده وبعض اسباب التطهير والصحة فيه .

ولا اظن ان جلالة يعتقد بغير الشمس والهواء تطهيراً . — تأمل
يا حضرة النجيب طمع الناس . ياخذون من الحجاج في الطور راتب تطهير فلما
يفقد ، ياخذون راتباً في قران ، ويغنون فوق ذلك مد ايديهم الى ابني سعد
لنتم لهم السيادة على الحجاج ابتازنا واخواننا . وهذا مستحيل ، اقول : مستحيل .
ان من يتود المعاهدة بينه وبين الانكليز تلك المعاهدة التي جاء بها
الكرنل لورنس والمرحوم حداد باشا في شتاء سنة ١٩٢١ فرفضوا ، ان يكون
لبريطانيا العظمى الحق في تعيين اطباء انكليز في جزيرة ابني سعد . فاني

الملك حسين ، لظنه ان الانكليز في طلبهم هذا يبتغون اكثر من معاش بعض
الاطباء اطبائهم واكثر من السيطرة على الحجاج . وقد لا يكون لهم في
الامر من غرض يذكر ويحس . الا ان اساليبهم الحديثة لتدخلهم في شؤون
البلاد وبسط سيادتهم عليها تشمل الاسباب الصحية كلها ، وقد تنصر
احياناً بها .

والحق يقال ان محجور ابي سعد من الزيادات غير الخفيفة بالنظر الى محجور
الطور في شمال البحر الاحمر ومحجور قرآن في الجنوب منه . فاذا امر الملك
بإقفال ابي سعد يقفل باب الصحة القومي الذي يتذرع الانكليز به لتعريض
سياستهم في بلاده ويرجع الى الحقيقة العلمية الباردة في الطور وفي قرآن فينتفع
بها . وقد يتوصل الى اصلاح ابي سعد او بالحري إبقائه في المستقبل على
داربنته المخصوصة في الاصلاح وال عمران التي تعدم ذكرها .

والى القارىء مثال آخر منها . ان في مكة جوقة موسيقي مأكية اسمى
امرها من التعاليد الهامية المقدسة . وفي تضرع اعم القصر ثلاث مرات
كل يوم وترعج جلالته كل يوم ضمنى الثلاث المرات ، بل تكاد تخرجه من
توب الحكمة وثوبه . ولكنها التعاليد بنفسي احترامها على ضررها ، ثم
مددواتها باقبي هي احسن . ومن تقاليد هذه الجوقة ان وجالها لا يعزلون ولا
يبدلون فيخدمون فيها مدة الحياة . وعندما يموت احد اعضائها يعين الملك من
يحلغه وهناك طريقة صاحب الحلالة والحاشية في دفع هذه التكلفة واستقصاها .

مات منذ ستين راعي (صاحب) الدف فل يعين خلفاً له . ومات في
السنة الماضية احد الزمارة فقال الملك : وما العجز اذا نفقت زمراً ؟ ثم
مات راعي الطبل فكان سرور الملك عظيماً . وانه يعرف الله وعزرائيل
يتخلص تدريجاً من الجوقة كلها .

لئن المصلحون يجيئون مكة طالبين العلم والارشاد ؟ الا انهم اذا كانوا

مثلي ومن مثلي فلا يتجاوزون في مسيوعم حداً^(١) ولا اظنهم ينامون جزاء
سبيهم اكلوا مما نلت .

بعد ان اقام جلالة اسوعين في جده عاد الى مكة لاشغال هامة وظل
معي من قبله وزيره الشاعر الشيخ فؤاد الخطيب وحاشته ، اي حاشية الشيخ
فؤاد ، المؤلفة من امرى القيس والنايلة الذيراني والاعطى والمثنوي ، وكان
الشيخ قسطنطين بني راعي السكاس والفرعاس فلا يدع فرصة تفوت او
كلمة من الشعر توش .

ومع ذلك غدوت كثيراً فكتبت الى جلالة كتاباً اشكو فيه الم الفراق
والالم الاخير الاشد من تقليد ، قسم بخطاره ان يحرمني زيارة ام العري .
فكتب اليّ برنذر - وترقيعه الماسكي في رأس الكتاب - عذراً اضعفاً عذراً
يصح فيه ما قيل في الشعر - كتب جلالة :

عزيزي المحترم

« بعد اعدائي حضرة كرام السلام وجزيل الاحترام . يا امل الشوق
والسكرام تلقت رقيبك ، وبقدرا ابتهاجي به وما احتوته ، يا حاشه
الكريمة كان ناجلي من نقاشكم في هذه هذه المادة . وبخاصة لكم
حتى على نفسه حرمان لذاته واستفاوته من فضائلك وكرمك ، فان
معه حسرت ضرورة اسباب هذا الحرمان لا اجده الا حدة علي .
وعلى كل حال ففي كمالك ومذاكرتها ما يعني عن كل بيان ، وبها

(١) في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي في الجزء الثالث صفحة ٢٢٥ :
هذا بالفتح ثم التشديد والمد مدودة واد فيه حصن ومن بين مكة وجده - بسوئه
اليوم حداً . قال ابو حنيفة الحمدي :

بينهم ما بين حداً والحنا واوردهم ماء الانيل فاما

منهم يحيط كل ما هو في معنى ذلك . وليس لي ما يهون تلك الوزيرة
التي احكم بها على نفسي الا اعتقادي بان اسماها ودواحبها هي مما
تهم لها فضائلهم . والله يحفظك ويمن علي متلافي ما فات عزيري . *

فهل في مروج الذهب ورياض الجنة العلف من هذا الكلام واعذب ؟
عاد حالته بعد اسبوع من مسكة ليودعني ومعه الضب يراضيني به . وكفى
بجملته رضىة وسلوانا .

الفصل الرابع

تليذ في البداوة والحكمة

هذات أولك - الألقاب - الشهرة - اليدوي الجديد - تليذ في البداوة - حقوق
 O الهوة - والعامة - الضيف العارمة - الشب الدابة - رقيق العيشة -
 الاستعانة - الحكمة عند الهدو - الجزامون - المبرجون - الماورون - الطب
 في جوار مكة - الأرونة - القالة التي لا ترفض ولد غيرها - حبة الاعراب -
 علس الضيفان ورجل - شهادة الطلوي عباس وشهادة السلطان عبد الحميد -
 اادي الحفلة - ملايكات الثلاث - عساو - الحصة - لال الدين الرومي - اي
 يعني ان القالب .

لا حاجة في الضيافة العادية الى صلة بين الضيف وروب البيت . فانك
 تقبل ما يقدم لك او ترفضه ، وتطلب او تنسى ما تشاء ، ولا رسول بينك
 وبين ضيفك . غير رسول الادب والذوق . اما في الضيافة الملكية فالامر
 غير ذلك . والقاعدة الاولى فيها هي انه لا يجوز ان ترفض شيئاً يهدي اليك
 او ينعم به عليك .

وملوك العرب ، على ما يظن فيهم من البداوة وخشونة الذوق ، مثل
 سائر الملوك في انهم لا يبادعون الضيف فيرتبك فلا يحسن القول او الدابة .
 لذلك هم يمينون ، فوق من يتدبون خدمته ، رجلاً يقيم معه فيكون له رفيقاً
 ومبيراً ، ويكون بينهم وبينه رسولاً يحقق البنيات وينبه الى ما فيه تدارك
 المزعجات .

كان صديقي قسطنطين بني هذا الوفيق والسميع والرسول ، فجا ، في
 اليوم الثالث بعد وصولي يحدثني بالاقاب ، قد كثره بايام الفريكة والمزلة في
 الوادي ، ثم قلت : ومن يقيم في اميركا عشرين سنة مثلي لا يفسد رأيه في

الموضوع وقد أخبرني بما كان من امر صديقي سر كيسى قبلي ، فقلت :
وعسى أن لا اضطر مثله أن ارفض شرفاً هامياً . ان امري في يدك
يا قسطنطين ، تدارك النعمة قبل حلها فقال : والمدايا ؟ فقلت : اقبل كل
ما يجيئني منها .

وجاء في اليوم التالي عبد من عبيد جلالة الملك يحمل اليّ كسوة عربية
وغنجرًا مكياً ، وقطعة مزر كشة بالذهب من ستار الكعبة . فله در قسطنطين ،
الرسول الأمين ، القائل لجلالته : هذا الزيجاني فأكسك تليق به الآثار المقدسة
ولا تليق به الألقاب . وفي الحقيقة ان قطعة من ستار الكعبة هي علق من
الأعلاق لا يجوزها غير المقربين .

لبست السبيص البدوي ذات الأردان ، ثم الباقة ، ثم عقال الذهب ،
وقنطقت بالخنجر^(١) ورحمت توأ اشكر صاحب الجلالة . فلما رأي في هذه
الصورة بسط ذراعيه هاتفاً : يا حبيبي يا عيني ! وضعتني الى صدره وقبلني .
فأحسست من شدة التأثر بشي . غشي عيني ، فبادرت الى مكان المنديل من
ثوبي الجديد ، فلما وجدت حتى الجيب فيه " فمسحت الدمع بردني ، فتعجك
جلالته وقال : حقاً انك بدوي الآت .

وجلسنا نتحدث في السياسة . ثم جاء قنصل فرنسا وبعض التجار مسلمين
فانتقل جلالته الى البدو - اكراماً لهذا البدوي الجديد التليق في البدوة -
وحدثنا في حقوق الحياة والحرة .

- ثلاثة لهم حقوق الحرة والحياة : الصيغ السارح^(٢) والطبيب العام^(٣)

(١) يدعى الخنجر في الحجاز قديمة ، والذاف تلفظ حيا - جدوة - لانه يحمل من
قدام ويدعى في اليمن حبة لانه يحمل على الجنب

(٢) من كان في سفر

(٣) من دخل الديرة مستجداً ، مراد بالطبيب البيت بيت الشعر ، وهو من باب تسمية
الشيء بجزء منه . ويراد بالبيت صاحبه وان كان حاجباً سائداً لا بيت له ولا مقر .

ورفيق الجنب^(١) وإذا دخل الضيف السارح بدأ أو « ديرة » يضيئه أول بيت يمر به . له الحق الأول في الضيافة . اقول : الحق الأول . فإذا تجاوز السارح إلى جاره بعدها اهانة فيطالب الجار به — من الغريب بيتنا قبل أن يمر ببيتكم . وإذا كان لا يطالب بهذا الحق ينظر إليه بعين الاحتقار . . . ومن أضاف سارحاً إليها العزيز ، عليه أن يجبه مدة اثنتي عشرة ساعة بعد أن يرتحل . والاستجداء ، نعم له حدود . يرغم العرب الاستجداء إلى خمسة أجداد فقط وما وراء ذلك فلا حق فيه لمستجد ، ولا فرق بين العرب والأشراف من هذا القبيل إلا في القصاص . حياة الشريف إذا قتل عداً بجارتين . وللدو طرائق في المذاكرة وتقاليد يحترمها حتى اليوم ملوك العرب كلهم . فلا يضطرونهم في كل أحوالهم إلى الخضوع الأحكام الشرعية . من تقاليد البدو مثلاً أن على كل امرئ أن يتكلم في خصومة إذا رفعت إليه . أما إذا كانت الخصومة بين قبيلتين فنقسم غالباً في ديوان الملك الخاص .

حدثنا جلالتهم في طريقة المرافعة قال : ينتخب لكل فريق اثني عشر رجلاً لاثبات دعواه ، فينتخب المدعي رجلاً من قبيلة خصه والعكس بالعكس . ويكون من الاثني عشر رجلاً أربعة هم الجرائمون ، وأربعة هم المساوون . ويحلفون كلهم اليمين المأهولة قبل أن يشهدوا . يقول الجرائم : القضية كذا وكذا ويقول الخصم : سمعت بها كذا وكذا . ويقول المساوي : إذا كان كذلك فينبغي أن يكون كذا وكذا .

أي أن الجرائم يبسط الدعوى والخصم يشهد والمساوي يحكم فيها . وانك لترى في هذه الطريقة البدوية شيئاً من أحكام الأمة المتقدمة بل فيها ما هو أقرب للعق وضمن للعدل ، لأن كلًا من المدعي والمدعى عليه ينتخب رجلاً ، أي وكلاءه وشهوده وقضاة ، من قبيلة خصه . وما أشبه المساوون

عند البدو بالـ «جوري» عند الأوروبيين .

قلت ذلك جلالة فقال : الله سبحانه وتعالى لم يخص الأوروبيين بكل فضيلة . عندنا نحن العرب بعض الفضائل . وامت ايها العزيز الشجيب اعلم بذلك . ليس كل ما يحجب من اوروبا خالياً من الفس او من الشر والحق . قد يحجب الاوروبيون اشياء نعلمها ونعالم بها . خذ الطيب مثلاً . قد شاعرت ايها العزيز اعظم الاطباء فلم يشفوك من آلام العصبية . وعسى ان يشفيك انه بواسطة طبيبنا ، فتقول لهم اذ ذاك : جاني الشفاء من حوار مكة من الله . ثم قال : وقد يكون في ما تشكر منه بعض الوهم ايها العزيز . اقول : بعض الوهم : والوهم يسطر على الناس كما يسطر على الحيوان . اذكر لك مثلاً في الابل . من النوى ، مزاج فيهن او املة عصبية ، من لا يوضن ولدانهم فيحمل العرب اولاد الذي لا ترضه امه الى ناقة اخرى . وهذه لا ترضه لانه ليس يولدها . فيحتال الامراي على الناقة ، يسقط عليها الوهم . اقول : يسقط عليها الوهم . وكيف ذاك ؟ انه يضع في حياها حرقه مطوية او شيئاً آخر يسمونه الدُرْجَة ثم يشد على عيها عصابة وعلى انفها اخرى ويترك الناقة كذلك اياماً ، فيأخذها ثم كتم الخاض . ثم يجل الرباط عنها ويخرج الدُرْجَة ويلطخ بها ولد غيرها فتظن انه ولدها فقرضه .

وكان ينتقل جلالة من موضوع الى آخر وفي كل منها استغرب من اللذة والسيط المفيد من الحكم والامثال . وهي تتعلق ببلاد وشعب يعرفها كما يعرف الكتاب الكريم .

- ما حرمتنا الله كل فضيلة ايها الشجيب وما حرمتنا كل ثمرة من خيراته . قد ازلناك بواد غير ذي زرع . هذا صحيح . ولكن الحجاز ، على فقره ، يفاخر سائر الاقطار العربية بشيئين ، بمطه ورماته . عندما جاء الحديدي عباس حاجباً آكل من عسلنا وكان يقول بعد الشهادتين : واشهد ان لا عمل

في العالم مثل غسل الحجاز . أما الرمان ، وهو يجي من وادي ليه قرب الطائف ، فيصير كبيراً كالجلب (البطيخ) وهو كبير الحبة خال من البذر . اكبر والذي ما في الدنيا . ارسلنا مرة صندوقاً منه الى السلطان عبد الحميد فقال : هذا اجل رمان جاء من اجل رقة في ارض الله . وهو يليق بالهدية . كذلك يتادي بانع الرمان : من وادي ليه ، للهدية . نعم ايها العزيز في غسلنا ورمائنا يرهان ان الله سبحانه وتعالى لا يتساقا نحن العرب ، عرب الحجاز . وكيف يناسم وفي جده مظهر من مظاهر الودع والتقوى ما شاهدت مثله في غير مكان . هو نادٍ قليل الاعضاء ولكنهم كلهم حكماء ، صغير الحلقة ولكنهم حافة نور صغي ليس فيه خيط واحد من الظلام . هو نادٍ فريد في ابه لا وقيل له ولا بيت ولا قانون ، يجتمع اعضاؤه كل يوم عند الغروب على كتيب رمل قرب البحر خارج البلد ، فيصاؤون المغرب اولاً ، ثم يبادرون الى اكرة من حديد فيتمنون ويتبدلون في رملها ، ثم يجلسون في حلقة على الرمل ويتحدثون في الادب والشعر والتاريخ .

انه يدعى نادي الصلاة ، ولكنه في غايته الثلاث اي رياضة الجسم ، ورياضة العقل . بعد الرياضة الروحية ، قد جمع بين اطراف الحكمة كلها . لا اظن ان في العالم شرقاً وغرباً نادياً آخر مثله ، ولا اظن ان فريقاً من الناس غير اعضائه ، غربيين كانوا او شرقيين ، توصلوا قولاً وفعلًا الى غايات الحياة الثلاث القصوى ، اي المحافظة بواسطة الرياضة على سلامة الروح ، وسلامة العقل ، وسلامة الجسد معاً .

وما اجملها ساعة تذكر الله فيها ، ثم تذكر نعماءه في الاجسام فتسمى دائماً في حفظها صحيحة سليمة ، وتذكر نعماءه في العقول فلا نهملها في الرياضة والتمارين لتساوي الجسد والروح صحة ونشاطاً .

ان نادي الصلاة في جده هو مقاصد الحياة كلها . ويصح ان نذكره

نادي الحكمة العلمية الثلاثة الزوايا . فان الحكمة كل الحكمة في المداواة والتوازن بين الروح والعقل والجسد .

اما اعتناء النادي فهم كما قلت من حقيرة الناس ، كلهم اتقيا . عقلاء حكام . وقد شرفوني يوم كنت هناك بان ادخلوني في الحلقة المباركة على نقص وخل في مثلثة الزوايا عندي . فقد غلبني شيخهم الاكبر في رمي الكرة ، وغلبني شيخهم الاصغر في المساجلات الادبية والشعرية . اما في الصلاة فكنت اشاركهم ، دون ان اقف في الصف وراء الامام .

ومن هو الشيخ الاكبر الذي يرمي الكرة ؟ الشاب ومن هو الاصغر ؟ اما اذا ادخلت القاري ، الى النادي القريدي في قصده وبينه فيناهي لي ان اتم العمل فاعرفه الى الاعضاء ، وعددهم هو العدد السري القدسي سبعة فقط .

هذا الحاج زين علي رضا شيخهم الاكبر يخرجه التجار في الحجاز وفي بياي وتعرفه وتحميه كل الاولاد في جده . ذلك لانه في عيد رمضان يختصم بهم بقسم مما كسب في التجار . فيجس في ايوان داره والى جنبه اكياس من النقود الفضية ، ريبالات وروبيات ، فوزنها على الفقراء ، وخصوصاً على الاولاد . يرون امامه صفوفاً في ذلك اليوم وكثير ما يمر الولد الواحد ثلاث مرات فيأخذ قسمته ثلاثة اضعاف ، والحاج زينل عالم بذلك ضاحك محبوب .

وهذا الغوه الحاج عداقة محافظ جده وهو حاتم الحلقة الاكبر وصاحب الفكرة في حفظ التوازن بين العقل والروح والجسد . وان عدل الحاج عبدالله في الحكم ليجاري البر والحكمة في اعماله الخيرية واهمها المدرسة العمومية التي انشئت في جده .

وهذا الشيخ محمد نصيف اديب جده الاكبر وامير الكتب فيها . فان عنده مكتبة حافلة بالقديم والحديث من التأليف لا يقتنيها للعرض فقط بل ليتفجع وينفع بها . يحجي الادباء الى دار الشيخ محمد كأنها دار الكتب العمومية فيعبرهم ما يشاؤون منها ويشتري ما يعرضون من مخطوط او مطبوع .

تفليذ في البداوة والحكمة

وهو دائرة معارف ناطقة يجب على السؤالات التي توجه اليه ويهدي الى مصادر الثقة في العلوم الادبية والتاريخية والفقهية .

وهذا الشيخ سليمان قابل رئيس البلدية واخوه عبد القادر ، وهما من العرب الذين لا يقادون بنعيم الدنيا في سبيل النعيم السرمدي المنتظر ، بل يشركون بين الاثنين ، او بالحري يحملون الواحد مقدمة للآخر ، فيلبسون الدمقس والاستبرق ويتطيبن بعد الاكل وقبل النوم ولا يستكثرون الخس الجنبهات يدفعونها عن زجاجة واحدة من الروائح الطيبة ، ولا الخس الصلوات يصلونها كل يوم .

وهذا الشيخ محمد الطويل ، اصغر الاعضاء قداً ، وأتقن كساءً ، والطاهر منبأً ، واقدرهم في عهد الاموال وتصريفها . اجل ان الشيخ الطويل هو المصرف الهاشمي ، هو خزانة الملك حسين ، هو ناظر الخواص في القطر الحجازي . وعليه دفع الكبيرة والصغيرة . فاذا شاء جلالة الملك ان ياعم احداً بنة روية يحيله على الطويل ، واذا شاء شراء دشرة او سرباً من الطيارات فالدفع على الطويل .

ولا نفلن ان اخذنا ايادى يقوق الشيخ محمد في علمي الادارة والاقتصاد . ولا يفوقه يقيناً في الزراعة والاخلاص .

وهذا الملا حسين الشيرازي العالم بأسرار الميكانيكيات والتخوف ، يصلح العناصير وآلات الخياطة ويروي من اشعار مولانا جلال الدين الرومي باللغة الفارسية فيشدو ولا شدو الدليل . فيجاوبه الحاج زيل بتسلك اللغة الفصحى الشريفة ، ثم يترجم لي بمرية انظم واشرف .

قال مولانا جلال الدين : اي عود قطع من الشجرة وضم منه الناي فهو في صوته يحن دائماً الى القاب .

واي وان كنت ضياعاً سارحاً احس باي عود قطع من تلك الشجرة المباركة شجرة نادي الصلاة في جده ، وضمن نايأ صغيراً . والناي يحن دائماً الى القاب .

ولكن انما لم تسفر عن شيء مفيد . ولا يعلم جلالة اليوم اكثر مما كان يعلمه قبل قدومهم . نعم ، ان في جوار الوجه نغماً ينبع على الشاطئ . من البحر ، وفي جبال الحجاز نخاساً وطقاً وحديداً ، وفي مكان حول مكة معدناً من الماس ، وليس في البلاد العربية شركة مالية ذات قوة فنية تستثمر هذه المعادن ، فتخلص جلالته من فني مغالب الشركات الاجنبية .

اما شركة النماني ، وفيها لا شيء مال وعلم اجنيان ، فلم تحجز الخطوة لدى جلالة الملك . وقد يكون رفض الامتياز الذي طلبته منه ، على شروط الحصة المتأخرة^(١) لاسباب سياسية تتعلق بانه هذه الانكليزية الحجازية التي لا تزال قيد المفاوضات . وقد يكون « لشركة المشاريع العامة »^(٢) في جده كلمة نافذة لدى جلالته في تخصيص هذا الامتياز فيما بعد على يداه .

قلت ان اعمال البعثة الفنية لم تسفر عن شيء مفيد . وما الفائدة من مدرسة زراعية بمكة وليس في الجبال ارض توجب الاهتمام بهام الزراعة . وقد اؤثرك بارض غير ذي زرع .

(١) من شروط هذا الامتياز الذي يشمل من اجل الدعوت والاسباب اراض الحجاز كلها ، ان صاحبه يدفع للحكومة الحجازية اربعين في المئة من صافي ارباح محمية الامانة . ونلاحظ الحكومة بحق الامتياز في شراء حصة وعشرين المئة من نفول الميناء . والامانة على اساس حق لنفق مد حم مصارف النقل الى حدود اوروبا . وتشكل الشركة اشياء على حديدي بن حده ومكة وخط حديد بين يسم والدلا لاسباب الحكومة وذلك عند مباشرة نفول . وتنام حديد الحطين الى الحكومة القائمة بكل لوازمها فيصيران ملكاً للحكومة . ثم تنوحي الشركة قية ما تصرف على اشياء الحطين مع الفائدة القانونية من كابل واردات الايام بالية الفائدة الى الحكومة . ومع تم استهلاك ما صرف على اشياء الحطين تعود البعثة الاربعون بالمئة كاملة .

(٢) هي افادة وطنية ترمي الى تحسين اقتصاديات البلاد من كل الوجوه المروعة ويدخل في برنامجها الذي اعادته الحكومة انشائية ان لا تنظر في الامتيازات فتستثمرها الحكومة قبل ان تطير امتيازاً لاحدى الشركات .

١٠ المدرسة الحربية فلا بأس بها لو كان البدو يقبلون عليها ، ومعلوم ان أكثر اهل الحجاز من البدو ، وانهم لا يحتاجون الى من يعلمهم القتال وحمل البنادق وقد يستكبرون ذلك . ١١ اذا كان لا بد من جيش منظم فالحكومة تضطر على ما نظن ان تدفع للبدو ، يدل ان يدفعوا لها ، راتب التعام ، وليس جلالة الملك من الموارد الآن ما يساعد على القيام بتفقات هذه المدرسة ، التي يرجو منها إعادة الجيش الهاشمي المنظم الى مكائده وقوته قبل وقعة ترابه^(١) وما وقعة ترابه غير نكبة نكبة الحجاز بها ولا يزال متأثراً منها .

فلا عجب اذا كان سيد البلاد يهوى اهله ليعيد اليهم ، بواسطة الجيش النظامي ، غزاً قضى « الأخوان » عليه . ولا غرو انه يخص التجار بما يستوجب به تسليم البدو . فسادا ابوا بتسليط غيظاً ويستسلم الى نزعته فيه تركية اكسابية . قد قيل لي انه في ساعات الغضب يخف هائل وانه اذا استدعى احداً منهم الى مكة ، بريئاً كان او مذنباً ، يكتب الرجل وصيته قبل ان يخرج من بيته .

رسا الاسطول الانكليزي ذات يوم في مياه جدة وكان حديث الناس ، فقال احد الطرفاء بل البسطاء ان الاسطول الهاشمي اكبر واعظم منه . ولو لم يكن كذلك لما جاء الاسطول الانكليزي ملأاً والياً فوصلت الكلمة الى جلالة الملك ، فطلب الرجل الى « مكة » وأنزل السجن عند وصوله اليها ، فظل فيه اربعة اشهر دون ان يعرف ذنبه ، ودون محاكمة . ثم جي به الى حضرة صاحب الجلالة المنفذ الاكبر ، فقرصت اليد الملكية اخذ ذلك المسكين واستمع اللسان الملكي من الحكمة ما يميته في المستقبل على حسن الكلام في الحكومة الهاشمية او في اسطولها .

(١) في وقعة ترابه في البلد التي تدعى هذا الاسم وقعت في ربيع ١٣١٩ بين حرب نجد « الأخوان » وجيش الامير عبد الله النعمان الذي كان حاكمراً المدينة والتي لم ينتج عنها غير الامير وخيمة من رحاله . راجع تاريخ نجد الحضر الفصل ١٧ صفحة ٣٠٩

حدثت احد وجهاء جنده في ولد له ذكي ورغبت اليه ان يرسله - لا الى اوروبا - بل الى مصر او الى سوريا ليتلقى العلوم فيها . فقال : وعنده ربي ولكن سيدنا لا يأذن بذلك ، وقد تأكدت ان في جدو غيره من الناس الذين يرغبون بتعليم اولادهم خارج الحجاز - في مصر او في بيروت - ولكن سيدنا لا يأذن به .

الا هو الشرع ، لتعود الى الشرع وإلى الكتب والسنة . وان كل ما يخالف ذلك في حياة المسلم ، قولاً او عملاً ، وكل ما فيه شيء يطلق في المسلم حرية قد تخرجه عن المشرع والمفهوم ، بل كل ما فيه جرثومة عام قد تكون نتيجتها ، ولو بعد جيلين ، حيوان كافر كبير ، فهو من الولايات التي يحاربها المشرع الحكيم والحكمة العادل ، البعيد النظر ، اجل ، انه يهربها قبل ان تظهر الى عامه الوجود .

وجلالة الملك حسين من ملوك العرب الذين يهيم فوق كل شيء - سعادة المسلمين الدائمة السرمدية - وهذه السعادة التي نص عليها النبي ووصفها الله في كتابه وصفاً جليلاً لا تقوم بالموسيقى ، او بالرقص ، او بشرب الخمر ، او بكسب المال ، او بالتعلم في المدارس الاجنبية .

واذا ما تساهل حلالته في امور لا تمس « السعادة السرمدية » بضر ، كالطيارات مثلا او الديابات التي يدها الخف على « الاخوان » او كالة تصفية الماء ، الذي جعل الله في ارضه المقدسة مائلاً ، او كعمل مصنع الثلج ، فهو لا يتساهل قطعاً في ما يبلل الازهار ، ويفسد الاخلاق ، ويخرج العرب ولو قيد قرع عن دين هو كرامة الثمين في الدنيا وفي الآخرة .

— لا يمتنا نحن العرب من العلم ، يا ايها النجيب ، غير ما يوافق حالنا وملاذنا ، ويمسكتنا ضمن حدود الدين ، نقول : ضمن حدود الدين ، من الانتفاع بالكلمات .

ان في جده افاضل من التجار والعلما، ساحوا في العالمين ، عالم المادة وعالم الفكر ، وخبروا الزمان ، ولم يفقدوا كفة الايمان . وهم يرون في التعلم ، حتى في مدارس الاجانب ، غير ما يراه صاحب الجلالة ، ولكنهم ١٠٠٠٠

اذا قلت الحال رفعت صوتي وان قلت اليقين اظلت همي

وفي جده اتاس فيهم ما في غيرهم من اصناف الناس من النزوع الى الكيف ، فيطربون لصوت الدود ، ويتهيجون بثلث التي تشمع في الكأس ويحسون امب الـ «يوكر» ولكنهم ، اذا جاء المعلم ، يتأديون واذا ناب يلعبون . بكفي ان اقول ان في جده غير نادي الصلاة فيها نادي الكأس ابداً ، ولكن اعضاءه الذين لا يتجاوزون المدد المقدس اي سيمة لا يجشعون الا مثل النوضيين سراً . حدثني احدهم وكان الاخرى به ان يستمع صبر الجمع الحاضر بدل القائب ، قال :

— عجيب يا استاذ امر الناس في هذا البلد . ولا تستغرب قولي ان في جده خوفاً يستعوذ عليهم من مجرد ذكر صاحب الجلالة المنقذ الاكبر . فتراهم عندما يشرف البلد كأنهم في ماتم ، وعندما يعود الى مكة يبيدون . فيخرجون من الصناديق ، الكأس والابريق ، وترى حتى الجليل ، مستوراً في التمهيل . هذا الشيخ قاسم يشهد على ما اقول :

فقال الشيخ قاسم ، وهو البارح الحاذق في افانين الحديث ، فيخبر الموضوع دون ان ينتقل منه او ان يمي : عندما كنت في الاستانة كنت اقول لزميلي سليمان البستاني : لا يصلح هذا الكيون الا بامرئ ، ان اصير انا بابا رومه ، وتصبح انت شيخ الاسلام .

فقال الضابط : لا يصلحه الا السيف .

فلجأه الشاعر : قد كان السيف بيدكم وما اصاحتموه .

فقال التاجر : مصيبتنا البدو ، البدو مشكل لا يحله الا الله .

فأجابه الحكيم : جهل مطلع يزيد علم مطلع .

— احسنت احسنت وهذه المدرسة الحربية الهاشمية قد است فذه الغاية .

— اقول لك بحرية ان هـ الهاشميات هـ كلها لا تصاب شيئاً . يظل ذوو

حسن^(١) الى آخر اندهر اصوصاً عصاة ، وبدو الرويس^(٢) لا يتغيرون ولا

يصلحون . والبقوم^(٣) يتذبذبون ويتهاقون ولا يذعنون الا للقوة وانتم — صل

على النبي .

بيننا نحن في هذا الحديث جاء الامير زيد لينتهي بان جلالة الوالد قائم

لإدارتي . فارتفعت الحجة وبعد دقائق دخل عبد يقول : سيدنا فخطفنا

الى استقبائه ووقفنا في الباب نتظره حتى نزع نملأ من رجسه يلبسه فوق

حذائه ودخل فجلس في كرسي الى جنب الديوان الذي خصني به . ثم جاء

الحادم بالقهوة وجاء عبد جلالة بالفتجان الملكي الخاص اندي يحمله في بيت

من حوزة مزركشي بالاولو الشيخ .

وكان للكتابة يومئذ خيال على جبينه العالي هـ بل ظل في وجهه الصافي

الاديم . وكان الحديث في السياسة ، وفي النهضة ، وفي مؤتمر فرساي ، وفي

الانسكايز ، وفي فيتل .

(١) هم اشراف ذوي حسن يقومون بين الليل وجده يطعمون الطرق براً وبحراً

فيسلمون ويهبون ولا تستطيع الحكومة الهاشمية تأديبهم

(٢) بدو الرويس . مثل ذوي حسن الاشراف ، ولكنهم يمارسون مهنتهم في الشمال

بين بضع وحده .

(٣) البقوم عشيرة تسكن تربة والحرمه وفيها من الاشراف الذين «دينوا» اي

اعترفوا المذهب الوهابي . قال لك حين يدمي رعايتهم لانهم من بني لوي ، اشراف

الحجاز ، والسultan عبد العزيز آل سعود يدمي ذلك لانهم وهابيون . وقد فصل

السيف ، سيف نجد ، يشع في رقعة تربة .

— لا تظنني اشكو يا ايها العزيز النقيب اقول : اننا ثابتون في خدمة البلاد مهما تشعبت الاحياب وتعددت الصعوبات - ولا نبغي غير عز العرب والموريون من صميم العرب . فاذا صعدنا في الكيالات ، وبعدنا عن مقاصد المفسدين ، ودانس النفعيين ، ولا استحي اقرب الناس اليّ — اقول : اقرب الناس اليّ . يحزنون او يحزنون — فالحجاز يتبع سوريا وانا يا حضرة الفاضل اتبع من تخارون للخدمة وللزعامة . اقول : اتبع من تخارون .. وكان الكاتب الاول في الديوان الهاشمي الشيخ احمد السقايف وهو كاتب سر جلالة يحمل حقبة فمر بفتحها ففتحها وقدمها لملك فخرج منها اوراقاً رسمية اداني عليها

— ما جئتك شاكياً يا ايها النقيب العزيز ، ولكنها العهود ، وحقوق الاب علي بنه .. ان احقر البدو لا يحزن عهداً يعاهد به . ولو اتبعوا نصيحتي ، لو امتثلوا لامري ، لما كان ذلك التساهل والتذيق في المؤتمرات فتحو لانفرايس باب سوريا ، ركابت سياستهم تقضي على القضية العربية . قد علمت بعدئذ من شرح المقنن لجلالته ان الضمير في « اتبعوا » « وامتثلوا » « وفعلوا » هو عائد الى من كان يمثل في الشام وفي فرساي وعلى رأسهم الامير فيصل ؛ وعلمت كذلك ان جلالة الملك حسيناً كان يرغب بالقدوم الى سوريا ، وبان يمثل العرب في مؤتمر السلم الاول ، اذن هو قائم على فيصل . وقد قيل لي انه يوم عاد الامير آخر مرة من اوروبا الى الحجاز لم يتزل جلالة الوالد ليلاقيه في جده كما كان يفعل سابقاً .

انها لمن المؤتمرات . اما الحقيقة في القضية ، الحقيقة كلها : فهي مقسة لا تجتمع لواحد من آل هذا البيت الشريف . فلو مثل الملك حين العرب في باريس ولندن ايام المؤتمرات لكن الامر ولا ريب انتهت في يديه ، وكانت النتيجة احسن للعرب . ولكن وجود الملك حسين في الشام ، في

سوريا ، يضع ما قد يكون كبه في مفاوضة الاحلاف بباريس ذلك
لان السويين كانوا اميل الى فيصل منهم الى والده لعلهم انه عصري ، رحب
الصدر ، دمت الاخلاق

فالمصاهرة التي تفيد في لندن وباريس لا تفيد في الشام . ومهما قيل في
الملك حسين ، ومهما تعددت مناقبه الشريفة ، فهو في صفته الدينية لا يبرز
زعيماً كان او ملكاً ، في بلاد تعددت اديانها ، واشتدت من جراء ذلك
التعرات والتكبات .

ولكننا اذا ما نظرنا الى القضية من وجهة الماث الايوبية نرى ، في
حقوق تقضي عليها الحوادث ويجو اثرها الزمان ، مأساة بشرية في قلبها شبح
جليل نبيل . وهو مع ذلك ناست في عزمه ، وفي ديوانه ، وفي جريدته . يبرز
على اعدائه السيف والبراع ، ولا يسه من الملك ما ضاع ، او ما لا يعطى
منه ولا يباع فهو ، ما دامت له قوة ، يطالب به على الدوام ، ولا يرضى
بغيره ملك العرب ، لقباً وان كانت سيادته لا تتجاوز الطائف شرقاً والغنفذة
جنوباً ، رضى امراء العرب ام لم يرضوا .

ملك مغبون ، وشيخ في بيته محزون ، لا يشكو الزمان ، واضيق في
قلبه من الزمان حجرة حامية . ولا يابوم العربان ، وفي صدره من العربان دالة
دائمة . ولا يرتد على ما تقدم في سبيل النهضة من المساعي والذنوب . فهو
النهضة اولاً وآخراً ، وهو لا يزال باخذ الله قوياً عصياً ، هو كان من امر
« فيصلنا » و « زيدنا » و « عزيزنا » في شرق الاردن . قد قول بأراك « ان ابننا
اعدائنا » . وما اصدقها كلمة ولاسماً على الاسر الشريفة المالكة .

الفصل السادس

بين الاستانة ومكة

الملك ملوك العرب واضعهم - ملك الحجاز وملك العرب - فداء - الاكبر
الثورة على الترك - نشر الدعوة في اوربا - سيرة الملك حسين - دفاعه في
الاستانة - رجوعه الى مكة - عرب الرفيق - قتل الملك حسين - في مكة
الملك حسين - الرجوع الى الاستانة - نصر اليه مجلس شوري الثورة - اظهر
مكة - العدا في انصار مكة - اعلان الثورة - عشور الاستقلال -
حور البقرة - العرب غير المسلمين - الدين في النهضة - الاصلاح (التركي) -
انتشار الفكر - عهد العهد القديم - مكة وعرفق - البحر والسمور

ان الملك الحسين اذن لأكبر ملوك العرب سناً ، واظهرهم جلالة ،
وارفعهم من الوجبة الدينية مقاماً ، واغضهم في السياسة ملكاً ، واضفهم
اليوم سلطة ، واشدهم كروباً وغماً . هو ملك الحجاز في المعاهدات الدولية ،
وماك العرب في الجريدة الرسمية ، والمثقف الاكبر في عين اولئك الذين لا
يعرفون من البلاد العربية غير الحجاز . وليس من ينكر انه كان متقدماً في
برهة من الزمان لا اذن التاريخ يسدها ، او الاقدار تسح بتسديد اسبابها ،
فتسكن الملك حسين من تحقيق امال المهوسين وآماله الوطنية ، بل احلامه
الهاشمية .

ان فضله الاكبر لم يثري ثورته على الترك ، وان كانت المصلحة والمساومة
فيها مربية اكثر من المبادئ التي اعلنت من اجلها . ثم في شره الدعوة
العربية في اوربا ، وان كان ذلك ضيقاً في سبيل آل البيت الخاص . ثم في
الثبات المدهش في مطالبته بحقوق العرب وان كانت عمومية الى حد الابهام .
ان في النهضة العربية مجد الملك حسين واتجاه الوسائل الذين حاربوا في
سبيلها ، وان في الوحدة العربية المفاخرات التي ضاعت فهلكت فيها كل

الاهم . ومن المسؤول في ذلك ؟ ان في سيرة الملك حسين ما يحل غوامض الموضوع ظاهرة جلية .

واليس كما بالانجاز . هو حسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون^(١) ولد سنة ١٢٧٠ هـ في الاستانة وجاء في السنة الثانية من سنه الى مكة مع والده وجده ، ثم عاد والده الشريف علي الى فروع واقام فيها الى ان توفاه الله سنة ١٢٨٧ هـ وكان في خلال تلك المدة عضوا في المجلس الاعلى ثم صار وزيرا وعين عضوا في مجلس شورى الدولة . فزاره ابنه الحسين وهناك لا يزال في طول الفترة ، فشا هناك في بيئة تركية عربية .

ثم عاد الى الحجاز بعد وفاة والده فاقام في كنف عمه الشريف عبدالله بضع سنين وتزوج بابنته عبيدة خاتمة^(٢) كان الشريف عبدالله يومئذ اميرا مكة . وهو مثل اكثر كبار الاشراف وبيب الاستانة التي اكسبته شيئا من الكتابة الاسلامية والاشياء من السياسة التركية .

وكان له حين اعمام آخرون تولوا الادارة بعد عبدالله ، منهم الحسن الصالح ، الذي قتل في جده ، وعون الرفيق المصالح الذي كلل بيل في عقيدته

(١) في ما نسب الطبعة الزائدة من تولد اجداده للكعبة ، التي سبدا سنة ١٠٩٨ هـ . (١٢٠٠ م) . وقدر ان يومئذ هذا فروع من قبيل الهاشمي اسر كل فرع منها رجل كبير نبع في قومه . فالفرع الذي اسسه في مطلع القرن الماضي في زمن ابراهيم باشا الشريف محمد بن عبد المعين بن عون نائب الشريف حسين هو صوا آل زيد الذي نطق عليه . وهذا الفرعان اللذان كانا ينافيان الامارة وسدانة الكعبة ما من بني حسن الذين نبع فيهم جد الاشراف الاكبر محمد بن ابي نبي . ويتصل نسب ابي نبي بكبير اخر في السلسلة الهاشمية هو قتادة ابن ادريس . وقنادة من ولد موسى الجوني . وموسى هذا هو ابن حفيد الامام الحسن بن علي بن ابي طالب وابن بنت الرسول

(٢) هي ام الاميرين علي وعبدالله والملك فيصل . وبعد وفاتها تزوج الملك حسين بتركية من اسم الاتراك الكبرى هي ام الامير زيد .

الى الزهانية . فحمل حملته المشهورة على الاولياء ، فأمر بهدم القبور والمقامات ، وكان جهاده يذهب حتى يقبر «امنا» حواء لولا تدخل القناصل وقولهم للشريف عون : لك ما انتاه في الاولياء ، ولكن حواء ام الناس اجمعين ، ونحن نحتاج على هدم مقامها . فاقنع الشريف بما قالوا وعفا عن ذلك المقام الاسكندر^(١) وفي ايام الشريف عون ظهرت مواهب ابن اخيه الحسين فتلاً ذكاه واشتد غرمه وكان في شجوره ومساعيه عربياً كرمياً ، غيوراً على قومه وبلاده ، لجوباً متفوساً . ولا نرو وعه الشريف عون كان يومئذ مثاله الاعلى . فرأب الاستانة امراء ، فاستدعي اليها سنة ١٣٠٩ هـ ليكون ضيف البادشاه واسيد . مثل من تقدمه من الاشراف ، فثرب هناك روح السيادة العالية ومبادي السياسة التي اشتهر بها المايرين .

صعد الشريف حبيب في الدواوين الى مقام المقربين من السلطان واسندت اليه رتبة الوزاة مثل ابيه ، وعين مثله عضواً في مجلس شورى الدولة ، فاستمر في وظيفته الى سنة ١٣٤٦ هـ اي اول سنة الدستور العثماني وكانت مدة اقامته هذه المرة في الاستانة سبع عشرة سنة . ثم عاد الى ام القوي اميراً عليها ،

(١) هذا المقام او القبر هو في جده ، طوله خمسة وسبعون قدماً ، وامنا حواء مدفونة فيه . وقد شاعت في البلاد العربية القبور الاخرى للعائلة الاولى البشرية وكل واحد منها يوجد مئات الاميال عن الآخر . قد يكون قايين فرحادياً بعد ان قتل هابيل فجهاد البلاد التي تسر اليوم دواب ، ومات ودفن هناك . فان الصيادين بدولته على كهف عال في الجبل الى البسين وانت سائر من النواحي الى عدن القديمة . هذا قبر قايين ! اما قبر ابره قد دفن سميت به في الجف بل هو هناك وقيل من يعرف ذلك من غير اهل الشيعة الذين يزورون المشهد اي مقام الامام علي . فثم اي الزوار . عندما يقفون تحت القبة المباركة امام ضريح الامام ، يسلون قائلين : السلام عليك يا علي وعلى جميعك آدم ونوح . اوتوا آدم مدفون اذن مع علي في النجف ، وبين النجف وجده حيث قبر امنا حواء ما يزيد على السبعة ميلاً . لا بأس بالاساطير اذا كانت تثير . اللهم لا تشق هذه الامة العربية وان كثرت ذنوبها كما شتت العائلة البشرية الاولى .

وظل غاصاً الدولة او متظاهراً بالأخلاص حتى السنة الثانية من الحرب العظمى
عندما أعلن الثورة وشهر الحرب على الأتراك .

ان ما يستغرب من امره في مدة امارته هو ان الحجاز في تلك الايام ايام
راغب باشا السوداء ، كان مهاباً للناهبين ، ومهبط رجال السفهاء . من الاتحاديين ،
تعددت من فوضى الاحكام المظالم ، وغدا العدل شريداً ، والامن طريداً ،
فكان الحجاج والمطوفون يسلبون حتى في ظل البيت الحرام في راحة النهار .
ومع ذلك فلم يفضب الشريف حسين اثم من ماتم الذك يومئذ اكثر من
خروجهم ، وهو في نظره الاثم الاكبر ، على التقاليد الاسلامية البالية . انها
لعمرى فضيلة فيهم يستحقون من اجلها احترام الامم المتقدمة .

اما الملك حسين فسجلها عليهم في رأس المفاصد والآثام . وقد عدد منها
في منشور الاستقلال الذي اصدره في ٢٧ حزيران سنة ١٩١٦ و « رمضان
سنة ١٣٣٦ » فعاتب قسمين ، قديماً نشأ مع الدستور وكان ملازماً له فصدر
جلالته في سنوات دور ان يحرك ساكناً عليه ، وقديماً نجم عن الحرب العظمى
والسياسة التركية الجديدة . وقد ذكر من الذنوب الاخيرة في منشور
الاستقلال « مخافة نصوص المرائع الاسلامية » و « اهانة النبي » و « التبديل
في شريعة الوراثة الشريفة » و « المساواة في الحقوق بين المرأة والرجل » و « اعفاء
الجنود الموجودين في دمشق والمدينة ومكة من المحافظة على الصوم » و « اصدار
الاحكام التي فيها مخالفة صريحة لنصوص سورة البقرة » و « مد ذلك احتج
على اعدام الاحرار في سوريا .

ومنشور استقلال العرب هو اساس الوحدة العربية : افاح لنا ، أو لا
يحق لنا ، ان نقابل نحن العرب غير المسلمين : ماذا يهتنا من نهضة اساسها
سورة البقرة ؟ واي دخل لنا في ثورة اطلعت في فلك السيل وتليك الاسياب
الدينية ؟

على انه اذا اتبعنا النظر في سيرة الملك حسين ترى ما له من اندماء وغريب اساليب السياسة نتأكد انه اتخذ الدين او المظلة الدينية في العرب سبيلاً الى تحقيق مقاصده .

لست انكر اخلاصه في احتجاجة على ما به تقدم بدية في سلوك الاتحاديين . الا ان الحكمة في سياسته قصرت دون المراد . قال : النهضة العربية عزوها ، وهو عالم بان احد ركنيها - مسيحيو سوريا الذين لا يستحسنون الصيغة الدينية فيها ، والركن الثاني - مسلم سوريا ، واكثرهم يمتطون على الاثراك ويستحسنون الاصلاحات الدينية التي يسعى الحزب الرافقي منهم الى ادخالها في الاسلام . ليس في ما يخلو الحقائق مثل الايام ، ولا في ما يظهر كاهن الشور ، مثل الحوادث . ولعمري ان ملوك العرب لا يفعلون ، لا يفوزون فوزاً نحسن نتائجه ونقدم ، ما زالوا يتخذون الدين وسيلة لتأييد سيادتهم ، وتحقيق مقاصدهم ، وتعزيز المصبة فيهم . والملك حسين ، في فوزه وفي خيبته ، برهان شريف على ما اقول .

انه ليصوب على من نشأ بين الاثراك ، وتكرار روحهم ، ومارس سياستهم عشرين سنة ونيفاً ، ان يتجرد غمام التجرد من آفاتهم ، او ان يحاربهم اصلاحهم اعلم به منه واقدر على احتوائه . ولا يقول لك ان الاثراك حاولوا مراراً ان يطنوا على اوردها الجهاد ولم يفلحوا . قول يفلح جهاد فريق من المسلمين على اخوانهم في الدين وفي هذه الايام ؟ انما لمن اخزات . وسها كان من انتصار العرب على الترك في الحجاز وفي سوريا باسم الدين او لا فان انتصار الروح التركية على زعيم النهضة وكبيرها انما هو رأس الحية والفشل في سياسته كلها .

يدعونه عبد الحميد الصغير . ونسري اذا صي التشبيه بالتصغير لا يجوز ، لان الامور تقاس ببيئاتها والاشياء كلها نسبية بما فيها من خير او شر . ان

مكة في نظر المسلمين لاعظم من فروع ، وقد قيل لي ان سجنها اظلم من
اعماق اليمفور ، فسا قول اهل جده وقد شاهدت بعيني ولمست بيدي ذاك
الحرف المستولي عليهم ؟ الحرف من رجل مكة الظالم ، ومن سجن مكة
المظالم ، ومن وحشة مكة عند المغضوب عليهم هي وحشة لا يتخللها
بصيص من الرحمة او المعروف

ثم حدثت الفظائع في سوريا ، ورأسها شقيق احرار العرب ، فانارت
غضب الشريف فكتب الى جمال باشا يحث على اعماله القاسية ، فأجابته جمال
ان يتقي نفسه بدل ان يدافع عن سواء . وكان الامير فيصل في الشام يومئذ
يخاف الملث عليه واحببه عما كان يذره من امر الثورة الى ان يخلص ابنه
من الخطر هناك . فكتب الى جمال باشا يقول انه مهم بالتجديد وسيشارك
العرب مع عساكر الدولة وحليفاتها المانيا في الزحف على ترعة السويس اللهم
اذا اسرع فأرسل الامير فيصل الى الحجاز هذه الغاية . فجازت الحيلة على
جمال باشا وجاء الامير فيصل الى المدينة ومعه عشرة آلاف ليرة وأربعة آلاف
بنديقة .

وكان الانكليز في اثناء ذلك يواصلون مفاوضاتهم السياسية مع الشريف
المستردد المتوحد ، فارساوا اليه المستر ستورس الذي صار بعدئذ حاكماً على
القدس والكرنل هروارث ثم الكرنل لورنس فأسفرت المفاوضات كلها عن
الشروط الخمسة التي تم الاتفاق عليها في الشهر الاول من ١٩١٦ وهذه هي :

اولاً : تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل
مصر في الاستقلال في داخليتها وخارجيتها ، حدودها شرقاً خليج فارس ،
وغرباً بحر القازم والحدود المصرية والبحر الابيض ، وشمالاً حدود ولاية
حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات ومجموعة سبع الدجلة الى مصبها في
خليج فارس ، ما عدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود . وتتعهد
هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي اجرتها بريطانيا العظمى مع
اي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بانها تفي بمحلها في رعاية
وصيانة حقوق تلك الاتفاقيات مع اربابها امراء كانوا او من الافراد .

ثانياً : تتعهد بريطانيا العظمى بالحفاظ على هذه الحكومة وحياتها من
اي تدخل سكان باي صورة كانت في داخلتها ، وبسلامة حدودها البرية

والبحرية من كل تعدد ، أياً كان الشكل ، حتى لو وقع فتنة داخلية من
دسائس الأعداء ، أو من حد بعض الأمراء ، تساعد الحكومة المذكورة مادة
ومعنى على دفع تلك الفتنة . وهذه المساعدة في الفتق والثورات الداخلية
تكون مدتها محدودة أي الى حين تم للحكومة العربية تنظيماتها المادية

ثالثاً : تكون ولاية البصرة تحت مشاركة بريطانيا العظمى الى ان تم
للحكومة الجديدة المذكورة تنظيماتها المادية . وبين من جانب بريطانيا
العظمى في مقابلة تلك المشاركة مبلغ من المال يراعى فيه حالة الحكومة
العربية .

رابعاً : تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاج اليه ربيعتها
الحكومة العربية من الاسلحة والذخائر والمال مدة الحرب .

خامساً : تتعهد بريطانيا العظمى بتطعيم الخط من مرسين او من نقطة
متناسبة في تلك المنطقة بتخفيف وطأة الحرب عن بلاد ليست مستعدة لها .

وشمل الشريف حتى بعد هذا الاتفاق الذي تم في كانون الثاني من سنة
١٩١٦ بمسند يوسف الانكليزي وبعد المصادقة سرا بعمل الخليلي ، يتأهب
للوثوب . وكان قد كتب الى مندوب السامي في مصر كتاباً بامره بذلك
فاجابه السير انثور مكماهون في كتاب مؤرخ في ١٠ آذار سنة ١٩١٦ (١)
جادي الاول ١٣٣٦ هـ يقول :

« قد تلقينا رقيسكم المؤرخ في ١٤ ربيع الآخر ١٣٣٦ عن يد
رسولكم الامين وسررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تتوون اتخاذها
وتزونها موافقة للاحوال الحاضرة . ان حكومة جلالة ملك بريطانيا
العظمى تفيدها ويسرني ان اخبركم بان حكومة جلالة الملك وافقت
على جميع مطالبكم وان كل شيء رغبت بالاسراع فيه وفي رساله هو
مرسل مع رسولكم حامل هذا . وستحضر امشياء الباقية بكل

سرعة ممكنة . فبقى في بورت سودان تحت امرته الى حين ابتداء الحركة واعلامنا رسمياً بها . وقد افتتحت الينا اشاعات مؤداها ان اعداءنا باذلون الجهد في اعمال السفن ليبتروا واسطتها الاتام في البحر الاحمر ، ولا يخلق الضرر بصالحنا هناك . فخرجوا ان تسرعوا باخبارنا اذا تحقق ذلك لديكم . »

موت اربعة اشهر على الانعاز الانكليزي العربي قبل ان يطاق الشريف حسين بتدقيقه من قصر الادارة بشكة . وكان الجواز ياتي من شدة الحرب واهوالها اكثر من سواء من الاقطار العربية . فسدت ابواب البحر ، وانقطع الحجاج عن الحج ، وزقد القليل مما كان في البلاد من زاد ، فضجت الناس وهلك مئات من الجوع . وقد قال جلالة الملك انه ظل واهل منزله سنتين يأكلون الدخن

موت الاربعة الاشهر وكان قد اصبح الامير فيصل في مأمن من الأعداء ، ولديه فوق ذلك من الهم وسلاحهم ما لا يستهان به . وكانت الدخائر والسلاح والمال بدأت ترد عن طريق بورت سودان من المصدر الذي لا تنفذ عداته وقواته .

فتوكل الشريف على الله . ونهض في صباح اليوم التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ هـ (٢ حزيران ١٩١٦ م) قبل الفجر ويده بتدقيقه اطلقها طلقة واحدة كل لديها صدى في جده والطائف والمدينة . أعلنت الثورة في مكة وجده في اليوم الاول ، وفي الطائف والمدينة في اليوم الثاني . وكان ما لديه من القوات العسكرية موزعة متأهبة كلها « فعاصر الامير زيد بحزبه قلعة « ابياد » بشكة ، وهجم الامير عبدالله على الطائف ، وكان الشريف محسن قائداً في جده ، والاميران علي وفضل ، وقد خرجا من المدينة ، يجبهن العربان ليحاصروا التل فيها .

وقد برهن ابتداء الشريف خصوصاً صغيرهم الامير زيد على بسالة فيهم
اظهرها القتال، وعززها الجلد في النضال ولم ير شهر على حصار قلعة «أجياد»
التي كانت تصب نواها على مكة، وخصوصاً على قصر الامارة فيها، والشريف
في غرفته الخاصة في ذلك القصر يدير الحركة ولا يبالي بشظايا القنابل التي
كانت تخترق السقوف والجدران، فلم يمر شهر حتى كمال الحصار بالنصر .
سدت «أجياد» في ١ رمضان . ثم استولى الامير عبد الله على الطائف
في ٢٦ ذي الحجة من تلك السنة .

وفي «محرم ١٣٣٥ هـ (٣١ كرمين الاول ١٩١٦ م)» يوسع الشريف
حسين بالملك، وفي الشهر التالي اعترفت به دول الاحلاف الكبرى، اي
انكلترا وفرنسا واطاليا، ملكاً على الحجاز، وجاء الاسطولان الانكليزي
والافرنسي الى جدة يحملان الى جلالة الملك تان. تلك الدول احلافه،
فخطب في حضرته اميرال اسطول الافرنسي ودعاء باعظم امراء العرب .
قد ينسى الملك حسين تلك الخطبة وذلك الامراء من الاميرال الافرنسي
وانكته لا ينسى ما اُخط على الورق وما نديه من الوسائل التي كان يحملها
كاتب سره في تلك الحقيبة الصغيرة يوم شرفني بزيارته في دار الضيافة هوذا
كتاب من خليف السر آرثور مككهون في مصر المندوب السامي الذي
رد جينلر ونجت، مؤرخ في ١٩ نيسان سنة ١٩١٧ م و ٢٧ جادي الثانية
١٣٣٥ هـ وفيه ما يلي :

فاؤمل ان لا يرجح من يال جلالتهكم ان الحكومة البريطانية هي
التي تحترم الماهدات وهي حامية دمار الحق والعدل، والخليفة الوفية
التي لا تحون المهود .

الفصل الثامن

الوحدة العربية^(١)

رأس البلية فيها - معاهدة سيكرميكو - كتاب المرادوارت غراي الى سفير
 فرنسا في لندن - بشرط ان تكون تحت الاربع - حصر وحماه والشاعر وحايه للمغرب
 - تنازل الملك عن جزا من سوريا - وماذا في شبه الجزيرة - قبيلة العرب الكائنين
 - الامم من اسباب الحرب في الاساس - فضل الحين قبل ان صار ملكا - طامو -
 - عداوة الامم العرب - المظلي في سياسته وتبالة فيها - اسباب واماني مارك
 العرب - الشرط الثاني من الشروط الخمسة - حذر - إيطاليا المظلي - خذوا
 وكلاهما او جهاد - صدقة العرب - دولة سوريا هاشمية - تنازل الملك والسلاطنة
 = لا يلبوا =

انه ليصيب على من انعم النظر وكان منصفاً ان يقول من هو رأس
 البلية في القضية العربية ، واذا ما بيننا الحقيقة كل الحقيقة في الموضوع ، اي
 موضوع القتل ، يبدو امامنا في اربعة اجزاء تجسدت في انكلترا وفرنسا ،
 ومن تولى الزعامة من العرب ، ثم العرب انفسهم ، رأس البلية اذن اثنين ذو
 اربعة رؤوس .

ولكن هناك عاملاً واحداً يعيد من اسباب احية والقتل يشترك معه
 عامل اخر . اذ هو الحياة الدولية السرية . نتجنب التعميم . ان المعاهدة
 السرية - التي كانت سرية - بين فرنسا وانكلترا ، اي معاهدة سيكرميكو
 هي من اهم اسباب القتل في تحقيق الوحدة العربية .

وقد تم عقد هذه المعاهدة في ١٥ ايار سنة ١٩١٦ اي قبل ان اعلن
 الشريف حسين الثورة على الترك بسبعة عشر يوماً . فبينما كان المرادوارت
 حكمايون يفاوض مكة ويقطع للعرب العهد كان السيوييكو والكروئل

(١) هذا البحث لاحق في خاتمة الكتاب في اخر الجزء الثاني

سيكس قد اتقا عملها المشؤوم فقام البلاد السورية الى مناطق سياسية اقتصادية ، زرقاء ، وحمر ، وحمر ، وهي شكلها اليوم اذا اعتبرت مصلحة البلاد مناطق سوداء .

على ان الحكومة الانكليزية لم توافق على تلك المعاهدة دون تردد او دون شرط وقيد . فقد كتب السير ادوارد غراي ناظر الخارجية يومئذ الى سنجر فرنسا في لندن المسيو كيون كتاباً مؤرخاً في ١٥ ايار سنة ١٩١٦ يقول فيه ان حكومة جلالة الملك توافق على المشروع (مشروع التقسيم) اكراماً لمصالح الاحلاف العامة بشرط ان يشترك العرب بالحرب ويكون لهم المدن السورية الاربع اي حمص وحماة وحلب ودمشق .

وكان جلالة الملك حسين قد طلب من الانكليز البلاد السورية كلها ، ثم تنازل عن عرسين واسكندرونه ، واستمر يطالب بالمدن الاربع والسواحل ايضاً . ثم اتفقت الانكليز كما يظهر من الشرط الثالث في الشروط الخمسة بالمشاركة - وقد ترجمها ترجمان اندريان الهاشمي بالاشغل - على ولاية الموصل . نعم ان الشرط ينص حرفياً على الاستيلاء مشارفة كان ام اشغالا والاستيلاء يبدأ غالباً بالشروط وينتهي بالاطلاق

ايكون ان نقول اذن انه نولا المعاهدة السرية بين فرنسا وانكلترا التي تقدمت المعاهدة بين انكلترا والشريف ، لكانت تمحقت اليوم الوحدة العربية ؟ ليس من ينكر ان تلك المعاهدة تمضت على القضية في الشمال ، في سوريا وفلسطين . ولكنها لم تحل بشكل اسبابها المدمرة الى شبه الجزيرة . واني في هذا القول لا انطق بغير نصف الحقيقة .

اما نصفها الآخر فهو ان الشريف لم يكن ليعتم بشبه الجزيرة يومئذ اهتمامه بسوريا وفلسطين ، ولا جزءاً من ذا الاهتمام . وماذا في شبه الجزيرة ، اذا مال بوجهه اليها ، غير الامراء الاعدا . واثباتل المتسردة ، والصحاري

والقفار ؟ اما سوريا وفلسطين ، قبلة العرب الفاتحين ، فينبغي ان تكونا جزءا من الحجاز او يكون الحجاز جزءا منها . لا فرق عند الشريف . وفي ذلك الانضمام لتحقيق الوحدة العربية .

اقلا ترى في هذه الخطة ان صاحبها يتم بسقف البيت قبل اعتماده بالاساس ؟ وليس الاساس ايها العربي الفيور في سوريا وفلسطين ، بل هو في نجد واليمن ومصر ، في الامراء الاعداء والقبائل المتسردة . فلو تمكن الملك حسين من ضم كلستهم الى كاسته ، وجمع شتاتهم تحت رايته ، لكانت له ميادة تذل عندها عقبات الشمال ، وتروى الوان المناطق السياسية كلها . ولكنه ، وقد فشل في سوريا وفلسطين ، امسى ولا نفوذ له يذكر في شبه الجزيرة .

اقول هذا واناء عالم بالجلالته من الفضل في سبيل القضية قبل ان صار ملك الحجاز . وانه في نيانه ومضائه ، وفي دهانه وابائه ، عندما كان يهد السبيل الى العمل الحظير ، ذاك العمل الذي لم يقدم عليه الا بعد ان نال من دول الاحلاف مطالبه المادية كافة ، من سلاح وذخيرة ومونة ومال ، واخذ منهم الوعود بتعقيق مطالبه السياسية كلها ، انه ، وان كان مبدؤه المساومة ، لجدير بالاعجاب والاحلال . ولكنه بعد ان صار ملك طمع بان يكون ملك العرب . ولم يكن في اساس عمله ما يجوز مثل ذا الطمع . فهو فوق احتقاره امراء العرب المالكين اضمر لهم الهداء كما يظهر من الشرط الثاني في الشروط الخمسة . ومهما كان من غزوه وثباته في الدفاع عما يتقدمه حقاً ، فان الخطل في سياسته العربية تقدم السداد في ثورته الحجازية .

ومما القائدة اليوم من ضربة قتل الدوائر السياسية احتجاجاً ، وقد انكشف الستار ولم يعد في القضية سر يستسره الدهاء . انه لوهم قديم طلي يذهب حلم جديد ولكن الملك حينئذ اصل سياسة الارض اليوم رأياً وايدهم نوداً . فهو وان ثابت الاوهام ، وهومت الاحلام ، لا يطوي

العلم ولا يسكر الحسام . وقد يموت شاهراً سيف السياسة والدها . على
اعدائه الحقيقيين والوهميين في سبيل المجد المآخبي ، والوحدة العربية . ما
اعطاها ولا اجملا ثقة ، تلك الثقة بالنفس .

اجل ، ومن يطلب ما طالبه الملك حسين من دولة بريطانيا العظمى غير
رجل طامح ثقته بنفسه اعظم من ثقة الانكليز بانفسهم ؟ ومن من امراء
العرب الذي يعرف بعض الشيء عن زملائه واخوانه في الجزيرة يعطل النفس
بتحقيق تلك الاماني ، اماني الشريف ، واماني الملك ، واماني المنتد الاكبر ؟
وهي كلها واحدة لا تتغير .

ولكنها لا تتفق مع اماني الآخرين . قلت انه اخبرهم العدا في
الشرط الثاني من شروطه الحجة . فقد جاء فيه ان « لو وقعت فتنة داخلية
من دسائس الاعداء او من حسد بعض الامراء » تتعهد بريطانيا العظمى ان
تساعده « اداة ومعنى » عليهم . ولا ريب ان ابن سعود والادريسي كانوا في
ذهن الملك عندما امر وزيره ان يكتب هذا الشرط . ولا ريب ان معتقد
بريطانيا العظمى كان يدرك ذلك لما بين الملك وابن سعود والادريسي من
العداء القديم . ولكن سلطان نجد وسيد عسير من اصدقاء بريطانيا العظمى
واحلافها فكيف يمكنها ان توافق على شرط قد يوجب عليها محاربتهم من
اجل الملك حسين ؟

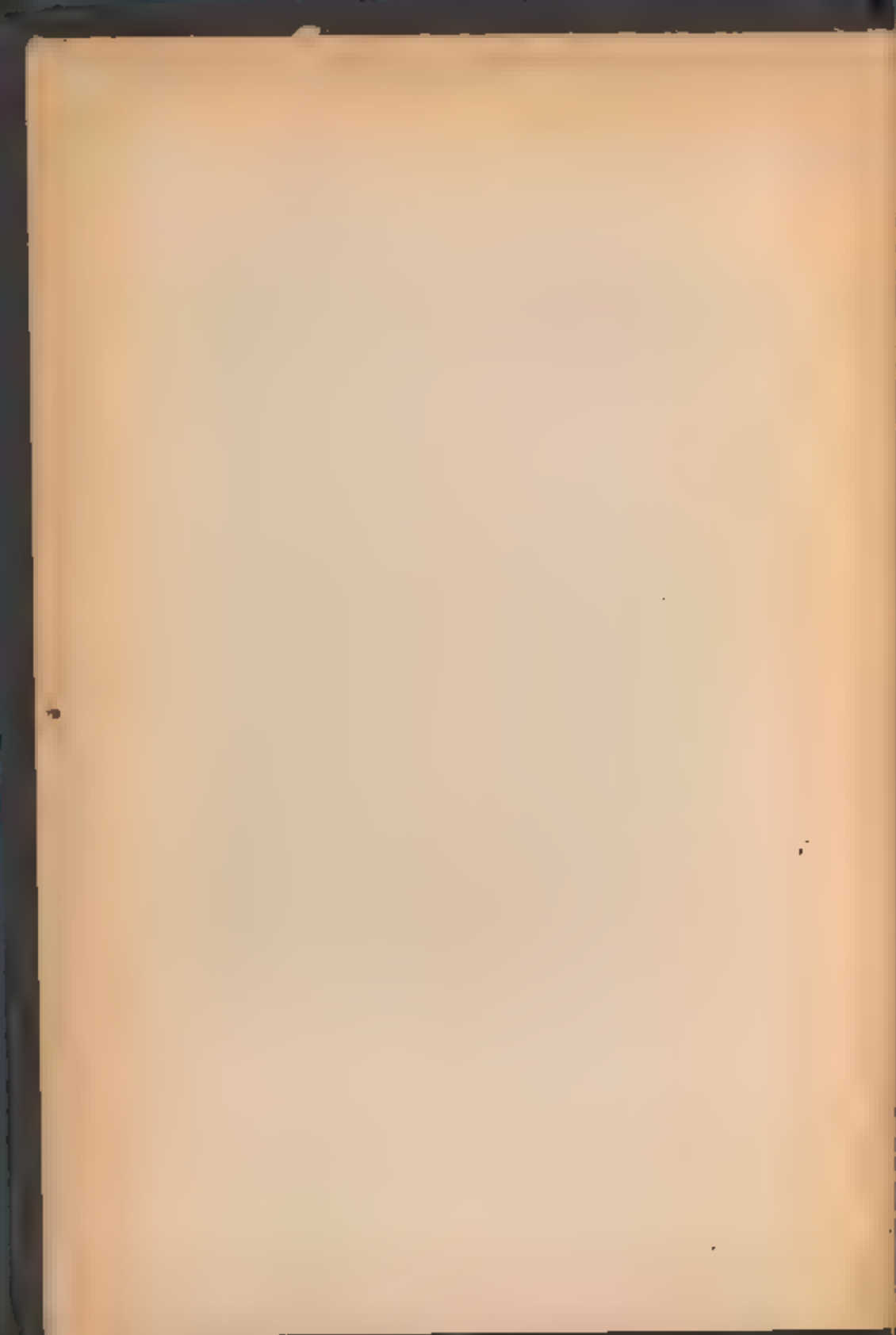
وكيف يستطيع الانكليز ان يقوموا اليوم بشروط اتفاق نسخته معاهدة
سيكرس بيكو ؟ ان تلك الصفقة اصفقة يائس مستهتر وان في تلك الشروط
دليلاً على سذاجة في المنتد الاكبر مهما يكن دهاءه السياسي . وان في قبول
بريطانيا العظمى بها دليلاً على جهل في معتداتها ، او حماقة في رسلها ، او
خدعة في حكومتها مهما كان من قول رجالها في برأها بانعود ومحافظة على
اليهود .

قد أدرك جلالة الملك حسين حتى قبل انتهاء الحرب وعورة المسلك الذي سلكه في تأسيس دولة عربية ، يريد لها أولاً سورية ، وقد لا يريد لها هاشمية . فكذب قبل انتهاء الحرب بثلاثة أشهر الى فضاة نائب الملك في مصر كتاباً يقول فيه : « فتي اصفنا عليه تظاهر عجزني بعدم حصول ما كان يؤمل من النتائج يتحتم عليّ الانسحاب من الامر والتنازل عنه » . ثم قال وهو لا يزال بصر على الشروط الحسة : « فاذا كان لابد من التعديل فإلي سوري الاعتراف والانسحاب . . . وانها (اي بريطانيا العظمى) لا ترقب في اني واولادي اصدقائنا الذين لا يتغير ولاؤهم واخلاصهم . . . ثم تعيدون البلاد التي يستحسن اقامتنا فيها لاسفر اليها في اول فرصة » .

ولا تزال هذه هجة الملك ولا يزال هذا قصده منذ ذاك الحين الى يوم تشرفت بمقابلته في جده ، وقد قال لي يوم ودعته . وهو يقيض على حديثه : « اني لا ابغها (اي الزعامة) لا ابغها . ليتفق امراء العرب عليها وانما انا انازل . ليتفقوا على تأسيس الوحدة العربية فانسحب اذا لم يوافقوا واشاركهم بما يتفقون عليه تبعاً كنت او متبوعاً . اقول : يا حضرة النقيب ، تبعاً كنت او متبوعاً » . وهذا ما وُلد في يومئذ احد المقاصد من رجائي ، فشجعتني في رسالتي الوطنية العربية ، وجبب اليّ خدمة حلاوته في قيود السبيل الى التفاهم بينه وبين امراء العرب .^(١)

الشمس المسمومة الاول

(١) في تاريخ عبد الحديث للمؤلف ، صفحات ٢٠٣ - ٢١٦ قضية تاريخ الملك حسين .





حضرة الامام علي

نصير المولف

الضم الثاني

الامام يحيى بن حميد الدين

المتوكل على الله

اليمن

حدوده : جنوباً خط يمتد من المخا على البحر الاحمر الى تنزفاويه فقطيبه .
شمالاً خط يمر في بلاد خولان وبني بشر الى نجران ، غرباً البحر
الاحمر من الشيخ سعيد الى ميدي وشرقاً البحر السافي او
الربع الخالي .

الريث : لوا، صنعاء ، ولوا ، الحديدة ولوا ، تعز ولوا ، صنعاء .

عدد سكانه : نحو مليوني نفس ونصف مليون ٢,٥٠٠,٠٠٠

مساحته : نحو اربعين الف ميل مربع .

اهم قبائله : حاشد وبكيل وحمدان والحوارثة وذو محمد وذو حسين وبتر
اسلام وبتر مطر والمكارمه .

اهم بلدانه : صنعاء ، وذمار ، وريم ، إب ، وتعز ، وزيد ، بيت الفقيه ومناخه .

مذاهبه : الزيدية والاماعيلية والسنة (شوافع) واليهود .

الفصل الاول

التبليغ في الترويع

٥ والله نديب ٥ - ٥ سرك الله الدين - ششش - ٥ وصورنا ان عشت -
 ٥ باور من التلاكم " التفتيش الاممكي - وكش وريانا المظفر - الموري وعمر
 انهيام - الغفر في القبر في اليمن - ٥ لا يمكن ان نصيب " الاشاعات
 والشبهات - سمان نحم برحت بنا - ريدو بقبو - الاعتراف على باقي
 " المعجزي ٥ - الجواسيس - الساسة في الترويع - وعين الامام يحيى في
 عدن - اللغة العربية في البحر - سفور بعين سفا وجره - المفسدون -
 حبال الامنة - ومنع الامم - حجاب من دار الاعتقاد - حجاب من وعين
 الامام - الجاسوس الثاني .

كنت ذات يوم في ادارة احدى الجرائد التبويورية حين دخل رجل
 غريب الماهجة لا اللسان يفتي حكاباً يملفه الحديث في اللغة الانكليزية .
 فسأته : من اين انت ؟ فقال : من اليمن . وكنت يومئذ في امة السفر
 الى بلاد العرب فاستأنست بالرجل وبلهجه وقلت : وانا راغب في الاستفادة :
 اجلس وحدني من بلادكم . فقال على الفور : بلادنا جلية الهواء والماء .
 ولكن اهلها دائماً في احتراب . قلت : ومن يجاربون ؟ فاجاب : حاربنا
 الاتراك ، وحاربنا القبائل ، وحاربنا الادريسي ، ويجارب دائماً بعضنا بعضاً .
 - وهل الامام يحيى حاكم اليمن كله ؟

- لا . هو يحكم جزءاً صغيراً منه . نحن اهل اليمن لا نخضع لاحد
 دائماً . نحب الحرية ونحارب من اجلها . نذبح اقرب الناس الينا لنكون
 مستقلين . نقول للامام : هذا الرجل لا يشتهي (لا يزيد) حاكماً ، ونقيم
 منا شيخاً علينا ونقول له : انت حاكنا انت امامنا .
 قلت : واذا ابي عامل الامام التنازل عن منصبه ؟ فاجاب بلهجة هادئة :
 والله نذبحه .

ثم سأله ما اذا كان من اجانب في اليمن فقال : لا . وانه لا يؤذن لهم لا بالاقامة ولا بالسفر هناك .

- واذا جاءكم الاجنبي .

- والله نذبحه .

- واذا سأل متشكراً .

- اذا عرفناه فوالله نذبحه .

- او ما يؤذن للسوري وهو عربي مثلكم ؟

- اذا كان مسيحياً فهو والفرنجي سواء عند اهل اليمن . وقد يحبه لسانه او يصرف النظر عنه .

قلت واذا انكشف امره ففرقتوه ؟ فأجاب الرجل دون ان يغير لهجه الناعمة اللطيفة : والله نذبحه . كأنه يقول ضيفه ونسكرمه .

سألت من نيويورك وفي من قصة « نذبحه » ما يضعك ويزعج ممأ . ثم رويت في مصر . قلت في بيت احمد الاصدقاء اني مسافر الى اليمن وكان الاديب السوري نديم شقير^(١) حاضراً فقال على الفور : غير ممكن . فذكر في رحمه الله بالقصة وحاقني في اشباح من بلاد « نذبحه » . قلت : ولماذا ؟ هل من خوف على حياتي ؟ فأجابني ثانية . مستحيل . غير ممكن . ثم صرح بما فيه بعض الاطمتنان اذ قال : لا يأذن بذلك اولياء الامر .

- ومن هم اولياء الامر ؟

- الانكليز .

- وهل للانكليز سيادة في اليمن ؟

(١) له ناكيف ادية وتاريخية منها « تاريخ السودان » وكان قبل وفاته يشغل في تأليف « تاريخ الحج »

— هم في عدن يوصدون الابواب . ما لك واليسن ؟ قد يأذنون بزيارة سلطان حلب وهذا يكفي . في اليسن حرب اليوم ، والاختلاف كثيرة . . . زد على ذلك . . .

ولم يزد شيئاً جديداً . سحكت فروع ثم قال : مستحيل سفرك الى اليسن مستحيل . ودعاني للعشاء في بيته . فقلت : اني اقبل دعوتك بشرط الا تقول ان سفري الى صعاء . مستحيل . فقبل الشرط رحمه الله وما لمنا في تلك الليلة في الحديث حاشية من حواشي اليسن .

جئت الى جدته واجتمعت فيها بصديقي القديم قسطنطين بني . وخطر لي ان لا بأس بل لا بد في السفر الى جبال اليسن من رفيق فسألت جلاله الملك حسين ان يأذن لقسطنطين ان يرافقني فأجاب تلقافاً - ولى . فسافرنا متوكلين على الله ، انا في ثياب افرنجية وعقال احمل جوازاً اميركياً ، وهو في ثوب ملازم في الجيش الحجازي يحمل جوازاً حجازياً . وكانت الطلائق بين الانكليز والمملك متراخية في ذلك الحين كما اسلفت القول في الفصل الاخيرة من القسم السابق .

وصفنا الى عدن فاستقبلنا على الوصف ضابط انكليزي وبمد ان اطلع على جوازاتنا احتفظ بها قائلاً : باسر من الحاكم . فقلت : وهل هو امر عام او انه يختص بنا فقط ؟ فأجاب : هو امر عام يا سيدي . ثم اخذ متواتنا ووعدنا بان يعيد الجوازات الينا في ذلك اليوم ولكن ذلك اليوم والايام الثلاثة التالية شهدت على الانكليزي فتيقنا انه لا يعد دائماً بوعده .

وقد كنت احمل كذلك كتاب تعريف من الوزارة الخارجية براشتطون فقدمته للقنصل الاميركي وسأله ان يطلب من الحاكم إعادة جوازي . ثم اعلمته بقصدي ففصر مدهوشاً ثم قال : وقد يُقطع رأسك ولا أحد يسأل عنك . . . انصحك لا تسافر — هذا اذا اذن لك . . في البلاد حرب اليوم ، والطرق

غير امينة ، وانا لا اقدر ان احياك .

فقلت وكاد يلكني القبط : اسمع يا رجل ، قد تنازلت في العاصمة وفي الوزارة الخارجية عن حقوقي كلها . ولا اسألك الآن غير كتاب تكتبه الى الحاكم تمرني اليه وتقول له اني ابغى مقابلته . فكتب القنصل الكتاب في الحال ولكن الحاكم ابطأ في الجواب كما ابطأ في اعادة الجوازات

جاءني القنصل صباح اليوم الثالث وفيه بعض الاضطراب يقول : لست ادري ما السبب في التأخير ولكنني اجتمعت في النادي مساء البارح بالمعاون الاول . تعال تزوره الآن . فذهبنا الى دار وكالة فاستقبلنا معاون القنصل : قد كتب اليك الجنرال وعين هذا اليوم للقاء . وتلطف حضرته بان قابلنا في تلك الساعة . دخلنا الى مكتب الجنرال سكوت " ووصل بريطانيا العظمى والحاكم المدني والمسكري في عدن ، فاذا هو يكمل حلويل العامة طلقت الحيا . صافحنا وامر بالجلوس فجلس معننا المايور ريلي معاونه الاول . وكان القنصل اول المتكلمين . ثم قال الجنرال مخاطبي : قبل لي اذك شاعر . فقلت : صدق من اخبرك . فضحك وتبع الموضوع فكأن الحديث في شعراء العرب والنجم . فذكر الجنرال مر الحيام ، ورجال الهندية يعرفونه ويهجون به اكثر من سواهم لانه يشبه الحر والاهو والثناء . ثم قال : اما الشاعر الذي ترجمته الى اللغة الانكليزية . . . فساعدته في لفظ اسم ابي العلاء المدي . وقلت كلمة اجابة لطلبه في الفرق بين الشعراء : فلسفة المعري عقلية وفلسفة الحيام محض حسية .

عجبني من الجنرال انه يفاجئني ، فيجيبني ، كما يفعل موظف اميركي ، في الحديث عما ابغى منه . وكان في ذلك اشبه بموظف شرقي . ولا عجب وهو من رجال حكومة الهند خدم بلاده هناك عشرين سنة . تطرقنا من

الشعر الى العقائد الدينية ثم الى السياحة فجهزت بقصدي فقال : او لا تهتك
الاخطار ؟ فقلت : هي لذة الاسفار . فقال : ولكن في السفر الى اليمن
خطراً اكيداً ، خطراً كبيراً على المسيحيين . ونحن لا نستطيع ان نحمل في
ما تجاوز حدودنا .

فقلت : يا حضرة الجنرال ، هذا قصلي وقد غسل يدي بماء
في قديم الزمان . واناراض بذلك . فلما كنت لا ادرك الحاجة من خدمتي
اعوز لي ان اخدمهم انكم ؟ . . . اني مسافر الى صنعاء يا حضرة الجنرال
وايس لي مهمة سياسية . لا علاقة لي باية حكومة من حكومات العالم الا
اني احد العرب ، وانا اصلاً منهم ، واحب في سياستي ان اخدمهم ما استطعت
فاذا تأكدت بعد البحث والمساعدة انهم في حاجة الى مساعدة انكثروا
انصح لهم بالتفانم واحتمهم عليه . والي اجبر اعمام وامام قنصل اميركا
بذلك لملي انما كحكومة وكلفة لا يهملنا اليمن ولا مزارعنا في البلاد
العربية . فاذا كنت تستطيع ان اخدم انكثروا في ما اعتقدوا فافهموا العرب
اقول ذلك مسروراً وبخيراً . لا اسئلكم مكافأة غير الاذن بالسفر الى
صنعاء . واذا مهدتم لي السفر اني نجد كذا كذا اكون لكم شاكراً وفي ما
فيه مصالحة العرب خادماً اميناً .

فقال الجنرال : لا دخل الحكومة عدن بنجد . اما السفر الى صنعاء فهو
كما قلت محفوف بالاعطار وخصوصاً اذا كان المسافرون مسيحيين . فاذا اذا
لكم باجنيز حدودنا لا نكون مسؤولين قصداً عن حياتكم وسلامتكم
دون تلك الحدود .

فقلت : وهل تريد ان اكتب لكم صكاً اتأذن فيه عن حقوقي بل
عن حباتي ؟ فنهجت ، ثم سكنت ، ثم وقف قسلاً : سأؤظر في الامر
واكتب اليكم قريباً .

وقال القنصل عند خروجه من دار الوكالة : يظهر ان الجنرال يعرفك
وسأبحث لأعرف بعض ما يعرفه او يظنه غير ما سمعناه الآن . وما كان
مواظباً او مبطناً . فأدركني في اليوم التالي على ما كنت اجهله من غرائب
الامور التي اصبحت في البلد حديث الناس .

اولها ، اني رسول الملك حسين السياسي الى الامام يحيى . والبرهان على
ذلك رفيقي الملازم في الجيش الحجازي . فكيف يأذن لنا الانكليز بالسفر
الى صنعاء . وهم لا يرتاحون الى عقد معاهدة بين الملك والامام .

وثانيها ، اني قادم من اميركا من قبل بعض الشركات المالية ابني
امتيازات من حاكم اليمن . والبرهان على ذلك اهتمام القنصل بامري . فكيف
يأذنون بالسفر الى صنعاء . وهم المنافسون ؟ فاذا كان هناك من امتيازات ،
فانما يبقونها لانفسهم .

وثالثها ، اني ممثل حزب النهضة العربية في مصر وقد جئت سائطاً في
البلاد ابث هذه الفكرة فاستجيب العرب على الانكليز . والبرهان . . . سبقنا
الى البرق الى عدن .

فهل يستغرب الترويع بعد ذلك ؟ وهل يستغرب صدور الامر الى
ادارة الشرطة براقبتنا انا ورفيقي ؟

ولى الاسبوع وانا انتظر واحاول في الظنون التثبت والانصاف . وكنت
اثنا . ذلك طلبت ان ازور السلطان عبد الحكيم فضل سلطان لحج واراد
القنصل مرافقتي قبل لي : ينبغي ان اكتب الى سموه وان استأذن كذلك
الانكليز . فكشبت الى سمو السلطان والى معاون الحاكم فجاءني الجواب من
الاول مؤهلاً مرحباً ، وجاءني ورفيقي بواسطة القنصل اذن من الثاني مصحوب
بكتاب يقول فيه ان الجنرال خارج حدود لحج محظور وممنوع . وان السفر
بدون حرس لا يكون ، وان امر الحرس « منوط بهذه الدائرة » اي دائرة

الحاكم . اذنه خاف ان يسافر من الحج بدون اذن منه ونسنتني كذلك عن الحرس . على اننا والحق يقال بنتا والخطر الاكيد احب اليانا من التدوير والقيود .

دفع القنصل الكتاب الي وحذرتني من اولئك العرب الذين يتكلمون اللغة الانكليزية : اكثرهم يزورون الملايخو ريلي بعد ان يزوروك . ثم قال : ويظهر ان اعتراض اصحابنا على رفيقتك اشد من اعتراضهم عليك . فاكملت له ان رفيقتي صديق قديم وان لاصقة له رمية في هذه السياحة ، واني ارفض الاذن بالسفر اذا صدر باعني فقط .

بعد ثلاثة اشهر اي بعد رجوعي من صنعاء عرفت السبب في ابطاء سمادة الجنرال الحاكم . فقد اضطره امرنا الى مراجعات كثيرة طويلة بعيدة اتصل بعضها بوزارة المستعمرات بلندن ، وبوزارة الخارجية الاميركية واشنطن . ومن هو امين الزيماني ؟ وهل يزذن له بالسفر الى صنعاء ؟

عندما رأت الوكالة البريطانية ان لا بد من الاذن اتخذت خطة اخرى فسمت بواسطة اصحابها ، ومنهم اولئك العرب الذين يتكلمون اللغة الانكليزية ، ان تقنني بان السفر الى صنعاء من الجديدة هو اسهل طريقاً واقل خطراً . وقد ارادت بذلك ان ازور اولاً صديق الانكليزي السيد الادريسي فاري في تهامة ما قد يقنني عن زيارة خصصهم حضرة الامام . فرفضت بشاناً وكنتت الى معاون الحاكم ، جواباً علي ما جاني في كتابه الى القنصل ، اسأله ان يتفضل فيوقفنا بالحرس اللازم الى حدودهم اي الحدود التي تنتهي عندها حمايتهم . فجاني منه جواب يقول فيه : قد كنتت الى سلطان الحج بخصوص طلبكم وسأعلمكم بما يجد .

اقت عند هذا الحد في القصة لارجع الى مصدر اخر من مصادرها القريبة . بعد ان زورت الوكالة البريطانية وحت اقتصد الى وكالة اخرى سياسية . تمت

في فم البركان في عدن القديمة ، ومعي رفيقي قسطنطين ، بيت القاضي عبدالله العرشي وكيل حضرة الامام يحيى وسفيره الى الانكليز في عدن .
 فلما وصلنا الى دار السعادة الثانية باءد الى استقبالنا عند الباب رجل صغير
 نحيل في قبض من القطن قصيرة ، تحتها قبض اخرى من الصوف زرقاء . وفي
 وجهه الحنف ، وعلى رأسه ، وقد نزع العمامة ، طاوية بيضاء . هو القاضي عبدالله
 صغير الحضرة الامامية

جلستنا على سجادة صغيرة في زاوية من غرفة تكاد تكون عادية وكان
 الى جانب سند القاضي عدد من الجرائد المصرية والسورية وفيها جريدة
 نيويورك اشار اليها فضيلته قائلاً : نعم الجريدة غيرة انشاء العرب في امريكا
 على اوطن والمنة . ولكنني اقف حائراً في مصالحتي هذه الجريدة عند القاض
 فيها ونماذج ليست من العربية بشي . أفلا يقرأون النحو واللغة على اساندة
 من العرب هناك ؟ . . . اما هذه - واثار الى مجلة مصرية ، فاسألوه « ناهي »
 (جميل) . . . ومن القريب يا حضرة الفياض ان يوم وصلنا برفقتكم
 من بورت سودان وصلت هذه المجلة وفيها مقال عنكم ، طالعنا والاعجاب
 بكم يسابق الشوق اليكم . فشكرونا الله الذي حقق امنا بالقاء . . .
 ومولانا الامام هو عالم كبير وشاعر مجيد . وخذته مكتبة من الكتب
 المخطوطة لا مثل لها في البلاد العربية كلها . . . يوم وصلنا برفقتكم
 يا حضرة الكامل اشرفنا بالسانك (تلفرات) حضرة الامام . ومتى جاء
 الجواب لسارع اليكم به . نحن في خدمتكم . وهذا قليل نجاه من وقف
 نفسه على خدمة العرب . . .

وفي اليوم التالي جاء فضيلته ، لابساً ثيابه الرسمية ، راكباً السيارة ،
 يزورني في المنزل . وكان في مصيته كاتب سره واثنان من الميبد . دخل
 احدهما علي يقول : مولانا القاضي . فليست عقالني وخففت الى استقباله .
 ونؤلا العبد المبشر بقدومه لما عرفته لأول وهلة امين القميص والطاوية والحنف

من هذه المطارف الفضة التي جاء برفل بها . وهذا البرد الباني المخطط بالاصفر والاحمر وقد طرحه على حكتفه كأنه رداء روماني . وهذه الهامة العامرة الباهرة الألوان « والسيف يحمده بيده » والخنجرية في زيارته . هوذا حقاً سفير الحضرة الامامية دام نصرها .

والغريب ان حضرة القاضي كان في تلك الزيارة رصياً في حديثه كما كان في ثيابه . فما انعش لي املاً ، ولا قال انه زار كذلك صباح ذاك اليوم الوكالة البريطانية . فلا غرو اذا فتحت اذني لرواة الاخبار الذين قالوا انه راح يستشعر الحاكم في امري ، وانه لا يقدم لي عمل لا يستحسن في دار الوكالة ، وانه يقبض منهم ، لا من الامام ، المشاهرة . وقال بعضهم - بنس المفسدون - انه يقبض من الاثنين ، وانهم ، اي الانكليز ، اذا شازوا ان يمنوني عن السفر فلا يقيمون مباشرة اكروماً تمتثل اميركا ، ولكنهم يوزون الى القاضي عبدالله بان يقول لي ان الطريق الى صنعاء مفرقة بالاعطار ، فلا يستطيع ان يرفقي بالخرس اللازم ، وغيرهما من الاقاويل . اللهم منك يا عدن ما اكثر الدسائس فيك والجواسيس .

جاءني بعد ايام كتاب من فضيلة القاضي « بعدداً للوعاد » وكذا للوداد » يشرني فيه بوصف برفقة من حضرة الامام محبياً بالايحاب . ثم قال : فاي وقت تريدون ان تسافروا عرقي فأنوسل معكم احد خاصتي الى امير الجيش في مأويه ^(١) واعطيكم كتاباً اليه فيكرم وفادتكم ووقفكم بن يقوم بخدمتكم وحراستكم الى السدة الثريفة . انتم منا وعلينا واجب الحب والاحكام . . .

وصلني هذا الكتاب واقفا في لحج ضيف هو السلطان عبدالكريم فضل انتظر الفرج من الوكالة البريطانية . وكنتا ، على جميل ضيافة سموه وحفائره

(١) هـ عند حدود اليمن الجوزية وهل مائة غبة وسبعين ميلاً من عدن

بنا ، في حالة تعددت همومها . فقد مرض اولاً الرفيق قسطنطين بالحمل
ومرضت انا بداء القال والقليل ، وكان داء الجدري متفشياً في البلد فنغبت ان
يكون قد اصاب رفيقي به . واطلاني السلطان ذات ليلة على كتاب من
الطام : لا تأذنوا لفلان وفلان ان يتجاوزوا الحدود قبل ان يجيئهم الاذن
منا . فاذا غفل القارى . تلك الحال ، وقد بقيتا اسرا . في القصر بلجى ، يدرك
شيئاً من سروري بكتاب القاضي عبدالله العوشي .

اسرعت باعلام القنصل فراح الى دار الوكالة يسألهم البت في الامر .
ومرت خمسة ايام حبستها خمس سنين وانا اجتهد ان اكون عسناً بالانكليز
الظن . ولكنني سئمت التسويف والمماطلة ، ونفرت من الآلة في امر اربعة
اخماسه بيد سواهم حقاً وعملاً . ولو كان كله موكولاً اليهم لما كنت انوم .
فما ان صاحب البلاد رجع بنا ووكله في عدن بعدنا بنا يلزم من الخدم
والحرس في الطريق من ماويه الى صنعاء . والسلطان عبد الكريم ، رغم
رسائل الوكالة ، يوقفنا ساعة يشاء . بحرس الى حدوده . وانا ورفيقي ، وحياتنا
على كفنا ، مكثيان بهذه الضمانة .

١ - واذا مت يا مولاي (كان السلطان عبد الكريم يحاول تسكين خاطري)
اموت رافقه في حبكم ، في حب العرب .

فضحك سموه وامر لي بداعة^(١) وامر كاتب سره ان يسكب الى الطام
في عدن يقول انه مستعد ان يوقفنا يوم نشاء . بالحرس الى ماويه . فبما في
والحمد لله بعد يومين الكتاب التالي :

(١) تدعى التاجيلة في اليمن هداعة واقتنا تحريف هداعة لفظاً ومعنى . ففي الناموس
الهداة تغيد الدعاء الى الطعام وفي اليمن المداعة هي الدعاء الى الانس والسرور .
وقد قال الشاعر فيها : مداعني انيسي جليسي في وحدتي
نقول في كركرها بالله تحذني بالتي

اما الخطر وان جسمه الانكليز فقد حكان والحق يقال في حيز اليقين
وخصوصاً في بلاد الخواشب ، احدى السلطنات الداخلة في حماية الانكليز ،
الكائنة بين خليج واليمن الجنوبي . وكانت تسافر الامام في الزحف تلك
السنة على المقاطعات النعم المحمية قد وصلت الى الخواشب ونسكنت بهم ،
فارسل الانكليز على اليانين طيارتين رمتهم بالقنابل فتفرقوا وعادوا
خاسرين لذلك كان العداء لا يزال متسكناً بين الامام والخواشب . ولذلك
اطلقوا الرصاص على رجال اوقد الباني عندما مروا بارضهم قبلنا بشهر واحد
في رجوعهم من الحجاز الى صنعاء . فلماذا عسى ان يكون حفظنا منهم ونحن
قادرون من الحجاز ووجهتنا الحضرة الامامية ؟

قيل لنا اننا اذا اجتازنا ساليين المستعير ، عاصمة السلطنة الحوشية ، نكون
قد اجتازنا منطقة الخطر الاكبر في طريقنا . ولكن كلمة قالها القاضي عبدالله
العرشي في صفته الرسمية - اذا لم يكن الامن موجوداً فنعين نوجده - ان
اجلحكم - وكلمة كتبها تطردان كل ما تهافت على آذاننا وتراحم في قلوبنا
من كلمات الترويع والتهميل . اما الكلمة التي كتبها الى حضرة الامام وقد
اذن لنا بنسخها فاقنا ندونها في هذا السفر لتوضين ، فيطلع القارىء أولاً على
اسلوب المراسلة في اليمن اليوم ثم على مثال من كرم الاخلاق وحسن الظن
يندر في رجل لم يعرف عن المؤلف غير ما طالع في مجلة عربية . قال عافاه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

امد الله مدة مولانا ، ومالك امرنا امير المؤمنين ، والحجة على الخلق
اجمين ، المتوكل على الله رب العالمين ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته يردد
في كل وقت وحين .

وبعد فصدورها للسلام ، مقبلة يواظن الاكف والاقدام ، وهي لكم

صحة السيد الماجد . . امين الريحاني الذي فيه سبق الاشعار من
المساوك اليكم بوصوله الى عدن وقصد الوصل الى حضرتكم الشريفة
الغزيرة والمعرفة وقادية ما معه من خدمة ونصيحة . وقد وجدته على
جانب عظيم من الحب والمودة للعرب ، ومن اللطف . . وعرفت ان
لا مانع من توجهه الى حضرتكم . وكتبت في التوصية به وتسهيل
سفره وحسن وقادته الى امير الجيش في ماريه ، حياها الله . وسيوضح
لكم حسن نيته وما هو عليه من المحبة والمودة للامة العربية كافة عند
المواجهة وربما تستفيدون منه ومن نصائحه ومرفته بالاحوال ما يكون
فيه نفع الوطن وعمرانه . وليس لمن مثلي ان يشير الى من مثلكم فقد
نورك انه بمعرفة كل شخص فتعلمونه حقه وفوق حقه . وفي هذا كفاية .
والله تعالى يصلح بكم جميع الامور والسلام عليكم .

في ٨ شعبان المعظم سنة ١٣٤٠

من المساوك

عبدالله العرشي

قبل ان اختتم هذا الفصل المؤلم المفكك مما ينبغي ان اسجل على اولياء
الامر فلة قد يفيدهم ثمر غيرها . عندما صدر الاذن بسفرتنا استخدمت
الوكالة البريطانية رجلاً عربياً لرافقتنا سرّاً في رحلتنا الى صنعاء فیتجسس
اخبارنا ، ويدون احاديثنا كلها . واعطته الوكالة كتاباً مختوماً ليفحصه بعد ان
يخرج من الحج ويميل توجيهه .

ولكن الرجل تاب في آخر ساعة الى ربه وأبى القيام بتلك المهمة . زد
على ذلك انه قضى الكتاب في السوق بعدن واطلع بعض التجار على ما
احتواه . ممثلاً في الحرب العظمى بالتريب القظيع من اخبار الجاسوسية ،
وهذا بعد الحرب التريب المضطك منها .

الفصل الثاني

في الطريق الى صنعاء.

حدود نجد - الحواشب - اجسام العرب - وادي دن - جبل وروه - حد ث
الولد الجندي - البندق - ابن السنان - الحنا - العرب - القصر في المسير -
العنا - السنان - ابن دن - الحنا - العرب - الحنا - العرب - الحنا - العرب -
الشهري - ابن دن - الحنا - العرب - الحنا - العرب - الحنا - العرب -
علي رحابنا - وهو يحملون - وهو يحملون - وهو يحملون - وهو يحملون -
والقطر - الساطعة - الحنا - العرب - الحنا - العرب - الحنا - العرب -
السيد علي بن الوزير - الحنا - العرب - الحنا - العرب - الحنا - العرب -
- وجبال القرب في بيت من الشعر - انك صول ولولاه .

ركبنا قبل انبلج الفجر سيارة صغيرة وخرجنا من حليج نبعفي الدكيم التي
كانت يومئذ حدود السلطنة الاحجية شمالاً وفيها حامية انكليزية من الجنود،
وكانت الحلة قد سبقتنا اليها ومعهما الحرس يركبون الهجن، ورسول القاضي
عبدالله المرشي الى امير الحليش، وبعض المسافرين الذين احبوا ان يرافقونا .
وكان في الدكيم ايضاً عشرة جنود من جيش سلطان الحواشب علي بن
مانع، جازوا بأمر منه يستقبلوننا ويضجوننا في بلادهم . والحوشي لا يتقل
نفسه بالعدة والسياب . ليس في العالم جندي اخف منه حملاً، وأشد منه بأساً .
ولا اظن ان في جنود الامم المتعددة اجساماً مثل اجسام العرب في اليمن
الاسفل . هالك الحوشي مثلاً وجلده الاسود او الامر يلعب في نور الشمس
كالنحاس المصقول، وعضلاته الشديدة المقولة تتحرك كالأجزاء الدقيقة في
آلة كهربائية، وقامته المتناسقة الاعضاء كسر بالعري فيكتفي بالقطعة يشدها
على وسطه ليستريحها عورته . هوذا مريض محاسن من صنع الله تتمع به ناظر بك
اذ يتب صاحبه، والبندقية على كتفه والامان في قلبه، كالقرال انشاد امامك .
من هؤلاء الحواشب ولد لا يتجاوز الخامسة عشرة متى الى جنبي وهو

ينظر الي من حين الى حين كأنه يبغي الحديث . مرنا في وادي دُين ، وهو طويل يتصل شمالاً بمدينة اب ، والشمس حتى في نيدمان تشوي الضب . وكنا بدأنا في التصيد ، فترأى لنا خيال اسحم على الافق البعيد ، فوق فن من الجبال كثيرة . فهتف الجندي الصغير قائلاً : هذا وروءه - جبل وروءه - تراء من عدن وسواء غداً من ماويه . لم اتأكد القم الاول من مقاله لاني لم اهتم وانما في عدن بالجبال . ولكنني تأكدت المبالغة في التعم الثاني منه . رافقنا وروء يوماً واحداً وغاب عن الابصار . وكذلك الجندي الصغير الذي تأسفت على فراقه . كان يحدثنني وهو ينقل البندق ثقله من كتف الى كتف ، ويثني على بؤس حاله ساعد الرأس .

— العقوا يا امير حضرتك من الشام ؟ اجبه بالاجاب .

— وهل راضية الشام بالسلطان ؟ اخبرته بان حكم السلطان فيها قد انتهى ، فما سره الجبر ، فقال : السلطان رجل طيب يا امير ، ما فيه شر . سألته : وهل تحب الاتراك ؟ فجز رأسه وأشار بعينه ان نعم ثم قال : سعيد باشا^(١) رجل طيب . كنا في ايامه مستريحين ، وكانت الفلطة^(٢) كثيرة . اما الآن يا امير فلا سعيد ولا فلط . انظر الى ذلك الجبل . وراء الصبيحة أشتر العرب . وهم دائماً يمتدون علينا نحن الطواشي المحافظين على الامن . الحوشي فقير واسكنه منيع ، ورفع بندقيته مشيراً اليها ، ثم قال : سلامة القوافل في يده .

اما الصبيحة يا حضرة الامير فهم يحاربوننا لانهم لا يحبون الامن . ونحن نهجر حقولنا ومواشينا ورزقنا لنحمل هذا البندق ، نتوجد في البلاد الامن للعباد ، وحضرة الامير - الحق - لا يقدر ان يسافر وحده ، لا والله . بنادقنا

(١) علي سعيد باشا الشركسي كان القائد العام في اليمن أثناء الحرب

(٢) الفلطة اي النقود الذهبية والفضية

وحياتنا ملك السلطان ، وهي الآن تحت امر الامير . هل انتم تحكمون
في بلادكم ؟

قلت له ان اسمي امين لا امير ، واني محكوم مثلكم لا حاكم .

— ومن يحكمك يا حضرة الكامل ؟

— يحكمني الان الانكليز . هل تحب الانكليز ؟

— يقول السلطان ان الانكليز ما فيهم شر .

— وهل الخواشب يحبون سلطانهم ؟

— اي واثق نجده ، علي بن مانع رجل طيب ، ما فيه شر . ولكن من
هو الخروشي وما هي اهميته ؟ البندق على كتفه ، والموت قدومه ، ولا يعرف
في الليل اذا كانت تشرق عليه الشمس .

سرنا في الوادي وادي ذبن والحيال حولنا وامامنا تمتع عشا الهواء ولا
تقينا حر الشمس ، فوصلنا الظهر الى الخندق وهي قرية خيامها من القش
والقرف ، فيها سمسرة^(١) للقوافل والمسافرين . فاسترحنا هناك ساعة الغداء ،
وارسلنا مبعوثاً يحمل منا كلمة سلام الى سمو السلطان علي وينبهه بقدمنا .

استأذنتنا السير بعد الظهر فالتقينا في نصف الطريق بين الخندق والمسبير
بفرقة اخرى من جيش السلطان ، يتقدمها ابنه الصغير راكباً جواداً رائعاً .
جاؤوا من قبله يلاقوننا ، فدوث في ذاك الوادي اصوات البنادق ترحيباً
اطلقوا ثلاث طلقات فاجبتناهم بثلاث ، ورحنا وابن السلطان يتقدمنا ، ورجله
الطافية في الركاب ، ويده اليمنى على عمامته الكبيرة الرقيقة ، الطويلة الذؤابة
الكبيرة الالوان كأنها عمامة العيد ، ترقص فرحاً على رأسه ، وهو على ظهر
الجواد انبث منها .

(١) الخان في اليمن يدعى سمسرة والقبوة منبابة

وصلنا عند الغروب الى قصر السلطان في المسير ، وهي قرية بيوتها من الحجر واللبن قائمة على روية خضراء ^١ ينساب عند سفحها في وادي دين سلسيل فضي ، الى جنبه الحقول المزروعة وهي تسوج حول اصكواخ من القش . ان الحال الذي يجلب المكان لينبي . بالسلم القروي ولكنه مفقود فلا في سلطنة ابن مانع وجدناه ولا في قلبه . ومن المسؤول ^٢ سيجيب السلطان على - وائلنا - هذه جنود تطلق البنادق ثانية ولا : لا مداء ، تأهلاً لا تمويلاً .

دخلنا الى بيت في القصر أعد للضيوف . وبعد قليل جاء صموه للسلام ^٣ يتبعه الخدم وبين ايديهم اطباق الطعام : خبز اسن وسكر ، ومرق وبرغل وحلم وعسل . فجلستنا في حلقة على الارض فنطلع بابديننا الزاد . وكان السلطان وهو ينظر الينا ، أعجب بسفي الوجل سفا فقال : انت منا يا امين ! انت واقف منا . . .

كان السلطان علي نحيلاً كالحبال ، عصبي المزاج ، حاد الطبع ، حر الكلمة . حدثنا بعد العشاء عن احواله قال : اتاين اربعة يا امين ، والاربعة يقصرون حياتي ^(١) هذا ابني وهذه طيبي البيضاء . هو ابني الوحيد يا امين ، ولكني اذبحه والله ولا اسلمه رهينة لاحد ^(٢) اما الاربعة فالواحد منهم فوق ^(٣) يشهر علينا الحرب لاننا هادئون ساكتون لا نمتدي على احد . والآخر نحت ^(٤) يقروننا لظنه اننا اغنياء . وان خواتة الانسكلبر نحت امونا . والثالث هناك ^(٥) لا يخاف انه . والرابع ^(٦) عدونا اليوم ، صديقنا غداً ، لا نعرف والله متى يتقلب ولماذا يتقلب او علينا ان نخاربههم كلهم . واننا واقف نخاربههم يا امين ،

(١) قد توفي في عام ١٩٧٣ (٧) يشير الى الرهائن التي يأخذها الامام يحيى من محاله وسبيهم . ذكرها (٣) اي امام صنعاء الامام يحيى (٤) اي حرب الصيحة (٥) اي حرب الضالع جيران الخواشب شرقاً (٦) اي سلطان الحج

ونحاربهم حتى نفتيهم اويقتونا . لا والله . لا نأخذ من القوافل الا مجيديا
واحداً على كل جمل . والامام يأخذ مجيدين وصاحب لحج يأخذ ثلاثة .

— وكم تأخذون مشاهرة من الانكليز ؟

نظر السلطان علي الي وبده على حايته ، وثلاثة اصابع من الاخرى
مرفوعة ، وقال ثلاثة روية وهي والله عجز كاملة . يدفعونها لنا كل سنة
اشهر ولا يدفعون غير الف وستة روية . احسبها . علينا ان نؤمن
للقوافل الطرق ، وان نطعم اهلاً ورجالنا ، وعندنا قبائل يذكرنا حين
يجوعون وينسوننا حين يشبعون . الانكليز ضرورة يا امين .

قلت ولو دفع لك الامام مشاهرة مثل الانكليز اتزكهم وتواله ؟

فاجاب على الفور : لا والله . انا متعاهد والانكليز فلا اخلف .
وسأبقى صديهم دائماً . اي والله . الانكليز يا امين يعقلون . عندهم حكمة
كما عندهم مال . نعم هم غير مسلمين ، والمسلمون اخوان . ولكن القلب
يعرف الاخ يا امين والسياسة لا تعرف غير الضرورة .

ان الحواشب مثل الشوافع في اليمن وعسير يسكوهون الامام ، لا لانه
عدوهم في الحرب فقط اي في ضرورات السياسة ، بل لانه عدوهم كذلك
في الدين ، وفي المذهب . هو زيدي شيعي ، وهم سنيون .

ودعنا السلطان تلك الليلة شاكرين له حسن الحفاوة والضيافة واعلمناه
اننا سننهض باسكراً للرحيل ، فلانكلفه مشقة القيام مثلنا ليودعنا ثانياً .
وفهنا منه انه قبل بذلك الا اننا في صباح اليوم التالي هربنا كان المكارون
والخدم يجلبون دعشنا بل دعونا لحادث فيه متعنى الترابية . كنا مقيمين في
جناح من القصر قبالة الجناح الذي يسكنه الحريم ، وبيننا الخوش الذي
كانت فيه الركائب والخدم ، فسمعا بفتة ان اتاه من الفناء تكسر فيه ،
فقلنا انه وقع من السطح . ولكن اتاه اخر تبعه — رأينا يرمى من النافذة

ولم نزل الرامي - فاصاب احد المساكر فرقع صوته شاكياً . ثم جفنة ، ثم قتامة اخرى من الفخار تحطست بين اقدام البغال ، فعلت الضجة في الحوش وسجنا رجالا بصيحات : عم يطردوننا ، يجلووا يا ناس ، هذه ضافة ابن مانع ، عجلوا بالرحيل .

خرجت وقسطنطين مسرعين فركبنا وسرنا نتقدم الحملة . نزلنا من الجبل الى السهل فالتهمر وقلنا - قول قلبي ولا اتهم رفيقي - يتخلج حنقا ورعبا . ظننا اننا بعدنا عن الخطر وعن ضيافة صاحب السور الحوشي عندما وصلنا الى الهمر . ولكننا قبل ان اجترأنا سمنا احدانا تنادي : قفوا قفوا . فلم نقف ، فاطلقوا اذ ذاك البنادق طلقت متعددة ، فقلت لرفيقي : هوذا الحطير الذي نتوقه . دنت الساعة يا قسطنطين ، قف واشهر - الاحاك .

بعد قليل قرب الغوم . افاذا عم خدم السلطان يحملون على رؤوسهم الاطباق ومعهم بضعة مساكر . جازونا بالقطور اي يافه . كيف نساو قبل ان نغفر ؟ وكيف نساو قبل ان نودع السلطان الذي نهض باكراً لادراع ؟ سألناهم عن الفخار الذي رموا به ، فاجابونا ان السلطانة ، وهي في خدرها رأتنا من على السطح في اهبة الرحيل ، فهضت كذلك باكراً من اجلنا . فازادت تنبيه الخدم الثاقين في الطابق الاسفل ولم نشأ ان نسمنا صوتها او تربنا من النافذة وجهها فرمهم بالفخار تستفيقهم لينهضوا ويبيتوا لنا الطعام . الضيوف ، انهضوا للضيوف ، والحقوهم بالقطور ، واطلقوا الرصاص اذا كانوا لا يقفون .

اكثر الله ايتها السلطانة من قطارك ، وجعلنا السنة فطارك . انك في الضيافة شاعرة الاقران ، وفي البلاد العربية فريدة الزمان . وكيف لا وانت السيف في اكرام الضيف . تضربين من اجلنا الكسل ، وتلعيننا بالسل . تروعين ايتها الحوشية الالمية ولا تجوعين . قد كنت حديثنا وموضوع

اعجابنا حتى في بلاد الزيد ، التي تسمى المرء الحبيب والمعبود . وقد تسمى
القرية الجديدة ، غرائب عديدة ، كما حدثت في ماويه اول بلد من بلدان
الزيد^(١) شمالي عدن .

دخلناها في اصيل ذاك النهار وهي مثل المسير مختبئة في الجبل وراء
الوادي الذي اجتراه . فشف اذاننا لما كنا مصمدين اليها صوت كان وقع
جيلاً في ذاك الوادي الموحش وفي تلك الساعة ، فاستأذنت به ايما استئناس .
كاننا عند حدود الامام عندا الى المدينة والنظام . ولما بلغنا رأس النقية
وأبنا على سطح من السطوح صاحب ذاك الصوت ، وهو جندي بيده البزوان
(البوق) ينفخ فيه مرحباً بنا باسم امير الحشر .

وكانت قائحة الانطاف . فلما دنونا من القصر سمعنا الموسيقى العسكرية
تعزف ينشيد اليمن الوطني وراينا فرقة من الجنود النظامية مصطفة خارج
السور لاستقبالنا وعلى رأسها ضابط تركي ، فترجلنا نود الحلام ، ودخلنا
البوابة الى الحوش بين صفوف من المساكر مستعطي الشعور ، اللابسين
القمصان والعنق المصبوغة بالليل ، الملاحق بالنادق والحبيبات . وعندما
وصلنا الى الباب يتقدمنا كاتب سر الامير واثنان من وجاله ، اوقفنا الحارس
عناك ونادى بمكلمة حارماً آخر داخل القصر فجاء الجواب مؤذناً بالدخول .

دخلنا وكانت بدانة الرعب والسكراب ، صدقنا في درج لولي مظلم ،
ذكرتني درجاته بدرجات الهرم الكبير ، كل واحدة منها دكة ، وعلى كل
دكة واحد او اثنان من ذوي الشعور الطويلة ، والثياب الخفيفة ، التي تفوح
منها رائحة النيل الطري السائل كذلك في اجسامهم^(٢) سكنت واقفاً انفس

(١) الزيد ينسبون الى زيد بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي ابن ابي طالب
وم وان قالوا في الفرد زيدي لا يقولون في الجمع زيديون بل زيد سكأنهم يريدون
بذلك ان زيدا متجسداً في كل واحد منهم وان امتهم امة الزيد .

(٢) م ينسبون ثياجم بالنيل ولبسوها قبل ان تنشف ليميل الصباغ على اجسامهم

حاربنا قتل القائمة بل السجن في ذلك القصر واتصور نفسي اسيراً فيه ، فجاء الاضطراب مع التفرز يفسد علينا بهجة الاستقبال العسكري ، وما هي الا فائمة الكروب ، ففتدما وصلنا الى السابح الاخير اوقفنا الحرس ثانية امام باب صغير ، ثم دخلنا فاذا نحن في غرفة صغيرة نواقذها مقفلة الا واحدة منها ، وهو اؤها وقد امتزج بالدخان كثيف فاسد ، وارضها مفرشة بالاش والحشيش ، والى جانب الاربعة الجيطان غمام بيضاء كبيرة ، اصحابها جالسون على الارض صوفاً مزروعة ، وكلهم في تلك الساعة يحضون القات بل يحوتون^(١) وفي

وبدأنا نريد المام من الجلد ويقيم حسب اعتقادهم من البرد . وقد قيل لنا ان عماسكر الامام وكثيرين من اهل اليمن يتناولون ٧ امانه للبرد بل مداداً على السمين . على ان اليوم في هذه المدة اصبح من التقاليد كما يقتر لان السادة وم اول بالحد لا يتناولون نرجس

(١) سادة القات عند اهل اليمن مثل سادة الشاي عند الانكليز ولكن القات في الشاي . القات حشيشهم وابوهم والذكور منهم وهم يدمنون ادمان الاوروبيين الحمر . قال شاعرهم المأمر :

نمرداً بالطف الاصحاب اوفظناهم بمفره . العشر احياناً واوقانا
يا اعدائي من حصول القات من كمدنا . لا نترك القات احياناً واموانا
وقال في مدحه الشاعر المتصوف :

براك مراح قاي حين يصعد جبريل روحه الى اعلى سواواي

ان في القات على ما يظهر خاصة الحشيش الاولى اي الكيف ، وشيئاً من خاصة الاقيون المخدرة ، وبعض ما في المسكرات مما يبه الفكر . وبكلمة اخرى هو يطرب النفس ، ويغدر الحواس ، ويهيج الفطن بل يبعث على اعتقاد اهل اليمن صاحب النشاط يقويه على السير والسل في الليل . قد تحدث بنفسه انه يوهق ويحدث في المدة بوسة واتقياساً وفي الله حقاً وغفوة مثل البوط يطالب صاحبه الماء كثيراً . ولكنني لم احس بشيء من الكيف اي خفة النفس . ولم يتهيء الفكر الى غير الاوهام التي تستحوذ على الناس فتقتل بحكم التأثير الطويل المتوارث فعل الحقائق المحسومة . قد يكون هذا وما في لان تأثيره في من يستعمله مرة غير تأثيره في من يستعملونه دائماً ، ويقتلونه على غير يومهم .

كل الناس في اليمن ، من رجال ونساء واولاد ومن اغنياء وفقراء ، يأكلون

الزاوية عند منقطة صغيرة ، الى جنبها مداعة ، بين اكمة من الاوراق ورزمة من القات ، رجل صغير المنكب والقامة حاد النظر واللسان ، ناصع الجبين والبيان ، قدمنا اليه كاتب الاسرار ، فعرفنا انه السيد الامجد علي بن ابي زيد امير جيش الامام في لواء قمر .

صافحناء وهو جالس كأنه احد ملوك اليمن في الزمان الغابر السعيد ، فإشار الى قتر من السجادة حشرت فيه بين شيعين هائلين ، وكان كل من اولئك الاجلاء المحترمين ينظر اليها شزراً كأنه ياتسب لنفسه عذراً من مجرد النظر . وما اظن اننا ظفرتا بشعاع من العطف في تلك الميرون ولا قرنا بنظرة واحدة فيها شيء من الارتياح او التساهل .

الذات - يزنون . والتخزين هو ان تضع الاوراق مقفلاً بطريقاً كما يضع بعض الامبركيبين التبغ ، ويحفظونها مخزينة « اي كثة » في القم يحترقوا . ولكنهم لا يصنعون مثل الامبركيبين الا عندما تذوب التخزينة فيصفون اذ ذاك في الماء من النحاس ما تبقى منها ويخزنون غيرها ان عجل الذات لا يتم غير اباريق الماء وكودوس الحامس الخجلة الشكل الشبه بالكودوس الذهبية التي تشتمل على الكنائس وقت القداس . اما الاقرب من ذلك فان اهل اليمن لا يشربون قهوة التي بل يكتفون من قهوة قشر الثمن الذي يخلونه كالشاي ، فظنه البايونج لظمه بدون سكر وهو على ما اظن مفيد لانه يلازم بعض المقاومة مقهر الذات ويخفف من اضراره . لا ريب في ان الذات تضر بالصحة والنسل . فهو ينقد المرء شهوة الاجسك ، ويفسد اسباب العلم ، ويحدث مثل الافيون شللاً في مجاري البول ، ولا يقوي الباه بل يضعفه .

ان اسمه العلمي (Catha edulis) وهو نبات شبيه بالبطن ان شجرته صغيرة وورقة مثل ورق النعنع ، يزرعه اهل اليمن في البساتين . مثل اشجار النار ويحرقه باسماء غالية اذا كان من النوع الجيد اي الرخص الصغير الاوراق . ثم يطفونه اغصاناً ويرسلونه الى المدن وزمناً ملتققة بالحشيش الاخضر ومربوطة بقشر الشجر ثم يحترقون بالزهم الى المجالس يجالس القات . فيسكنونها ويرمون بالشر والحشيش والذبيان على الاخر . ثم يدأون بالتخزين بعد ان يغفلوا التبايك ويستماروا المداعات (التراجيل) تسمى الفرقة في تلك المداعة كهجرة الحاشين في دماخا وكربوخا وكلاصطبل في فرشها .

بعد ان سلفنا على الامير قدمنا له كتاباً من القاضي عبدالله العرشي وفيه يعرفه اما خطأ واما تعلقاً ، الى السيد^(١) امين الريحاني ، فظنني حضرته مسلماً من اشراف المسلمين وادان ان يعرف الى اي الفرعين انتسب ، فساأني قائلاً : هل انت حسني او حسيني ؟

وقع السؤال علي كالصاعقة ، فبدل الحائط مني (اول وهلة وعقل الانسان) فجلت في ذهني بل جرت كعجى برق صور كلها سوداء تنذر بالبلاء . افلم يندروا الانكسار بالخطر على المسيحيين ؟ افلم يحدرونا عرب عدن و طنج من الزيد المتعصبين ؟ وما نحن في مجلس اميرهم و علمائهم ، وفي قلعة ظلماتها كظلمات السجن او اشد ، وروائعها مثل نظرات اصحاب الغم بل احد ، ولا تزال والحديث في بداية الرحلة ، وهل انت حسني او حسيني ؟

جاوب يافتي . هل تكذب على الامير فتتسبب ، وما الحسن وما الحسين في مثل تلك الساعة ؟ اذكر اني في خمس لحظات غيرت ديني خمس مرات ، فكنت انتقل كالبرق من الحسن ، الى مارون ، الى الحسين ، الى دروين . اما اذا اكتشف الامير بعدئذ حقيقة دينك - اصدقه بالخبر يا رجل ولكن - هل تعان ايام الجمع الزيدي الوهيب مارونيتك او مسيحتك او دروينيتك ؟ قد يوقنونك فيأسرونك ، يوجعونك الى حيث جئت ، هذا الخف ما في البلية ومن جهة اخرى اشدها .

جالت هذه الصور والسؤالات في نفسي ، جرت عجى الكهرباء ، وانا اتنا . ذلك اسير خوف اشد من خوفي ساعة اطلق الحواشي الرصاص ليوقفونا للفظور . وما خفت على حياتي خوفاً من تعرقل مسطاي - من القتل ، من

(١) لا بدعي سيداً في اليمن غير من كان من السلالة النبوية . وليس هناك غير طبقتين من الناس ، السادة وهم الذين ينسبون الى الحسن او الى الحسين ، والعرب وهم الفلاحون البدو منهم والمضر .

الرجوع الى عدن مدحوراً مذموماً ولكنه سبحانه ، بعد ان غيرت فكرى
خمس مرات في خمس لحظات ، فتح علي فقلت محبباً : انا عربي يا حضرة الامير ،
احترم كل المذاهب الاسلامية ، واحب كل العرب ، واتمثل دائماً في مثل هذا
الموقف بقول الشاعر :

ولكنك ربح من ويوعك حرمة وهوى تغفل في صميم فزادي^(١)

اظن ان الامير استحسن الجواب او انه احسن اداء العلماء المدارة
وصكان من رجاله الذين استقبلونا خارج القصر رجل بش قدومنا بشاشة
الصديق قلنا القلب منه في سلامه وتبادلنا وايه الثقة والولاء . فقال يهتف
على جواني مخاطباً الامير : حضرته من سادات لبنان .

فبدت منه ، بارك الله فيه ، شارة القبول والافتتاح وغير الحديث دون
ان يبعد كثيراً عن الحديث . بدأ الامير علي وهو فصيح اللسان بحفلة رأسها
الذي والاسلام وذبلها اولئك الذين يفسدون بالبدع الذين . يتقربون حباً
بالمال او السيادة من الافرنج ويدنسوا الشرف النبوي بالنياشين الانكليزية .
يرأون الكفار ويفتخعون لهم حتى ابواب الحرمين . . . الى ان قال : الايمان
بالله رأس الفلاح والصلاح ، والجهد في سبيل الله واجب على كل مسلم مسلم
ايمانه . وفي سبيل من يجاهد الملك حسين واولاده ؟ في سبيل الله ؟ استغفر الله ،

فتجدي قسطنطين تدافع عن الملك وقلت انا كلمة اتمت ما قال الرفيق
في ما يختص برفضه المهادنة مع الانكليز . ثم قلت وانا اتوق الى الهواء :
قد يريد الامير ان يصلي المغرب . فاذن لنا بالانصراف وامر كاتب سره
ورجاله ان يصحبونا الى المضيف ويستولوا بامرنا صافضاه مردعين فلم يقف
لنا ولا وقف احد من العلماء . في مجالس القات تقل الترهات .

(١) كل مرة اذكر هذه الحادثة اشكر صديقي الشيخ فؤاد الخطيب صاحب هذا
البيت الذي فرج عني في موقف حرج هذا .

الفصل الثالث

اليمن الأخضر القديم

الطيارات - الفاتحة - الاحمر - وادي الذهب - وادي لحلان - تليل - الحرس
- نجد الاحمر - ويحين لبنان - جبل بدران - ساحة الاستقبال - مركب الزيد
- اسماعيل باسلامه عامل امب - مدينة قديمة عالية - وادي للرفد - شجر
البن - تليل سماره - ثمانية الاف قبيلة فوق البحر - ماء الحقل - بربر -
الرمال - طمار - امير الجيش ابن الوزير الثاني - خطبة المدح - ٧٥٥
في البلاد ولا زل - والوالي - حديث الجنود وشكواهم - رفقتنا الد
معبد - التمر من زياتي الامام - البيوت في اليمن وحيد - الوعدة والاستقلال

مشينا من قصر الامير الى قصر الضيافة ، بل الى قلعة اخرى عالية
مظلمة ، وكل البيوت في تلك الجهات من اليمن قلاع وحصون ، ولولنا في
الطابق الاعلى ، في غرفة سقفها واطرافها ضيقة صغيرة ضاق منها صدري ،
فهربت الى السطح ونحيت سريري هناك .

وكان كاتب سر الامير الاديب التركي « الذي ادرك بعض ما في من
الانقباض والاضطراب » يحاول تسكين خاطري واليمني بما قصه علينا من
قصص الحيوانات المفترسة في اليمن الاسفل . فقلت له ، وانا احس ان الحيوان
المسجون في وفي تلك القلعة يشتهي الفلاة : اننا زوم الوصول الى الحضرة
الشريفة بأسرع ما يمكن ونلتبس من امير الجيش ، وان مكان ذلك غلّا
باداب الضيافة ، ان يسهل امرنا فنسافر في القد . فوعدنا خيراً .

ثم جاءنا بعض وجهاء البلد زارين وفيهم احد اقارب الامير يحمل اليانا
هدية من القات . فاستقبلهم الزفير قسطنطين وحدهم وتناقشوا وياهم في
موضوع الطيارات . نقرأ عليها الفاتحة فتسقط كالطير المذبوح الى الارض .
فأنعم القسطنطين ، وبادر الى القات يستكشف فيه اليقين . اما انا فاعتصمت

بالسطح ابغى الغزلة والهواء ، فصحبني ذاك الفاضل الذي جعلني من سادات لبنان ، فشكنا اليّ اموراً واسراً أخرى : لا شك ان حضرة الامام رجل كبير قدير ، ولكنه ظالم يرهق الرعية بالضرائب المتعددة ، ولا يمتدح السنين الشواقع في بلاده ، ولا يحسن السياسة مع الانكليز ، فقد استول على جنوده هول طياراتهم ، ولا يفتح المدارس في البلاد ، ولا يعزل الظالمين من عماله مثل عامل هذا البلد ، ولا يحود بما رزقه الله وهو القوي الاكبر في اليسن كله .

غث تلك الليلة وانا افكر بالسلاح الجديد اي الفاتحة ضد الطيارات وبما عدته الشافعي من سينات حكم الامام - فطلعت حلقاً غريباً عجيباً ما ذكرت منه عندما استفتت غير لي كنت والامام يحكي نظيره في طيارة صنعت في انكلترا ، وكنت على جناحيها فاتحة القرآن ، ونقشت على الواحها سورة التوحيد . فباي سلاح يا ابن الوزير تحارب طيارة المؤمنين ؟

سامرنا في اليوم التالي عند الغروب راكبين البغال بدل الطيارات ، مصحوبين بحرس من جنود الامير المنيلة اتوا بهم ، المدهونة بالسن شعورهم . فتبنا في ضوء القمر ساعة عادت فيها اليّ الاحلام ، وانا على ظهر الدابة شطران ، شطر نائم وشطر يقظان ، فكانت تدور الارض تحتي بما فيها وعمر في الاشجار كأنها عرائس من الجن . وكنت اجمع القسطنطينين يناديني فاطنه في قارة وانا في اخرى ، ثم رئيس القافلة : هذه هي الطريق ، ثم احد الجنود : هداك الله يا مقدم ، فينخيل اليّ اني في ارض غريبة الفل والسراب ، فيها اشباح تتكلم كالغرب .

وفي الساعة الثانية بعد نصف الليل وصلنا الى قرية تدعى الشيخ صلاح ، فزلنا هناك والتمب والجرع فينا يساوران النوم . فنام رفقا في كنف صفيح لا يليق في بلاد الله بغير المواشي - ما رأيت اناساً يحشون البعد مثل اهل اليسن - وغت انا في الغلاة على سطح ذاك السكن ، ساعتين لا غير . ثم نهضنا

١٠٧ قبل الطيور فتأنف السيح ، والتعب لا يزال حليف الجوع علينا .

فطردنا عند شروق الشمس وسرنا في ارض خضراء تفوح من ادغالها
روائح النبات الطيبة ، ومورنا بوادي الذهب ولا حيف بالاسم . فهو من اجمل
الاودية واخصبها في اليمن الاسفل ، تجري فيه المياه ، ويؤرع ثلانا في السنة
الواحدة . رأينا الناس يحصدون ، عندما مورنا به في شهر نيسان^(١) ثم اجتزنا
وادي نخلان وفيه رأينا لأول مرة سلك التلغراف الذي يوصل تعز بصنعا ،
وصعدنا من الوادي في نقيز^(٢) المحرس الى رأسه فاشرفنا منه على مشهد بهيج
من السهول المزروعة ، ومن القمم الخضراء والجرداء . دون تلك السهول
ثم دخلنا في ما يدعى « نجد الاحمر » وهي بقعة من الارض الحمراء صغورها
تصل اربعة الاف قدم عن البحر « فجفت الهواء » وبرد الماء ، وتعددت حولنا
النباتات والرياحين التي ذكرني بعضها بلبنان فهوذا اليلسان وذاك اليانسون ،
وفي تلك الادغال شجيرات من البطم والنار .

عندما وصلنا الى اعلى درجات نقيز المحرس تراءى^(٣) منها جبل بمدان
وراءه جبل حب اعلى وابعد منه ، واتكشفت امامنا مشهد اخر من السهول
والمضايق ، في وسطها ، عند منحدر من جبل بمدان ، مدينة اب القديسة .
التي تنساري في علوها ووادي نخلان ، لاننا بدأنا في القبول اليها فوصلنا بعد
ساعتين الى ساحة تدعى عند اهل المدينة ساحة الاستقبال . هناك يترجل
المسافر اذا كان معروفاً ويتنظر قدوم المرحبين .

ترجلنا طائعين ، وكان قد تقدمنا احد العساكر يني . العامل بقدمنا ،
فبنا ننتظر « استقبالا يليق بنا » كما قال رفيقنا رسول القاضي عبدالله العرشي .

(١) من مزدوعات اليمن الحنطة والشعير والذرة والذخن والعدس والبطاطس
والورس والمليحة والبقا

(٢) النقيز في اصطلاحهم هو النقية او الطريق السالكة في الجبال العالية .

وما عشت ان تحركت الجموع وغرجت من المدينة ، فشاهدنا عسكراً زاحفاً
الينا وسمنا اصوات الاوراق والطبول . جاء العامل اسماعيل باسلامه بخيله
ورجله ، ويجنده وجمعه ، وبنوته واهازيجه ، يستقبلنا ويرحب بنا باسم الامام .
وبعد السلام ركبنا وانخرطنا انا ورفيقي في ذلك الجمع المنبل المهلل نحسب
انفسنا في حلم من الاحلام ، او في موكب من مواكب الجنان ، والجنود
مستقرسو الشهور ، مككجوا الصيون ، المزيعة عمائمهم بالورد والريحان ، حولنا
وامامنا ينددون بصوت جبلي رهيب :

يا من يخالف امر مولانا ويعصيه لا بد من يوم نواه
لا بد من يوم يشيب الطفل فيه والطير يرحي في مماء

دخلنا المدينة دخول الفاتحين وتولنا على الرحب والسعة في بيت من بيوت
العامل اسماعيل ، المشهور في بلاد السن ، اعلاها واسفلها ، بسكره وفضله
وعدله ، فقمنا ، بعد ايام من المشقة والشقاء ، بنواعم العيش وطيباته ومثلها
اسرعنا من ماويه ابطاناً في اب ، بلا حياء في الحالين . فجانا ونحن هناك
برقية من الامير علي بن الوزير يقول فيها انه عزون لقراقتنا فأخرجنا وعاد بنا
الى ما كدنا نلناه من التأديب في الثيرة . على ان التأديب في المشقات اجتهد
يزيد المرء بلاءاً ، والحجل في السياحة ولا سيما في البلاد العربية ، يرض ويميت .

من حسنات اسماعيل بك باسلامه انه لا يخطب في ضيوفه ، ولا يفاخر
بدينه ، ولا يردد بلاد الكفار بالدهار . هو رجل هادي . الخاطر ، ودبيع
النفس ، غني كريم ، يحبه كل من يشغل في ارضه ، حكما يحبه كل من في
حكمه . وهو يخلص الى الامام اخلاصاً لا يشك الامام به ، ولا يخشى من
قلبه . انه العامل الوحيد على ما علمت الذي لا يأخذ الامام رهينة^(١) منه .

(١) سمعت بالرهازي في حلب فاستغربتها واستنكرتها ، وصككت انكر صفة ما
سمعت . الا ان اغرب الامور هي اقربها في بعض الاحايين الى الخفية . فالامام

وقد يكون السبب في قسائه ورحابة صدره انه سني حضرمي . وقد تكون هذه الحلال من فطرته وصفا . ارومت . على ان المحاسن الروحية والذوقية مثل السيئات تتغذى خصوصاً في الشرق بالذهاب والاديان . ان اول رجل لمس قلبه قلبنا في اليمن هو شافعي ، واول رجل اضافنا ولم بسبب الكفار هو شافعي . على اني اظن ان اسماعيل باسلامه ، ولو كان من عباد الاشجار ، بظل في فضائل الجملة قريباً من الله والناس .

جاءنا صباح اليوم التالي يسلم علينا ويده طاقة من ورد نيسان قدمهالي . وزرت وايام بساقيته التي يزرع فيها من الثمار انواعها ، تلك التي تصلح في الشمال وفي الجنوب ، في المنطقة الباردة والمناطق الحارة ، فوايتا الزيتون ، والموز ، والقمح ، والقمح ، والقمح ، والقمح ، والقمح ، ان هذه الاشجار تنمو كلها في اليمن الاسفل ، لان تلك البقعة من الارض تملأ خمسة الاف قدم عن البحر ولا تبعد اكثر من عشر درجات عن خط الاستواء . فتستوي فيها لذلك حرارة الهواء والتربة .

اما مدينة اب قسورة ، وهي واحة ومزدخمة ، تروق الناظر اليها من الخارج فقط . بيوتها من الحجر واكثرها ثلاث طبقات ، تستخدم الاولى للدواشي والدواب ، والثانية للخدم ، والثالثة لاهل البيت . ليس في المدينة مدارس غير ما في المساجد لتعليم القرآن ، وليس فيها احد من الاطباء ، ولا نقطة ولا جبة من الدواء . ويسكن فيها الجذري والحلي واكل القات . اننا

يجي يتقاضى حقل موظف من موظفي حكومته الكبير ، المكين والمكويين ، رهينة واحدة ، ابنا او اخاً او نسباً عزيزاً ، يبقى في حوزته كفالة الاسلام والاستقامة في الخدمة ، وضمانة الصديق والوفاء في النابرة . وهو لا الزمان - عند الامام على ما قيل اربعة الاف منهم - يندسون في المدن المختلفة كل بعيد عن اعله ومقط رأسه . فتعلم الحكومة بعضهم وناسر البعض وتنتج الآخرين ، بكفالة احد وجها المدينة ، حرية الجولان فيها .

كلما صعدنا في اليسن نرى « التخزين » في ازدياد وصحة النسل في نقص ظاهر
 لاسيا في الاولاد . فان وفيات الاطفال في اليسن كثيرة ، اذ قلما يعيش للرجل
 الواحد من عشرين ولداً مثلاً اكثر من سبعة او عشرة اولاد . واطهر ما
 فيهم النحول ، والشحوب ، وضف الاعصاب .

قلت ان اب جميلة من بعيد ، فالتقدم اليها من مادية او تبرز يراها في
 السهل وحوله الرئي كأنها حفنة من اللؤلؤ على بساط اخضر . نروش في بحيرة
 جفت مياهها . والتقدم اليها من يرم يراها قافاة على رأس الجبل كصخر في
 مرج او كبرج في جزيرة . ولها ساحة وداع كما لها ساحة استقبال . متى هذا
 اليها اسماعيل بك ومعيته ، وارقنا الى دمار بثلاثين من الجنود النظامية على
 رأسهم ضابط تركي . فسرنا بعد استراحة يومين في نعيم ضيافته ونحن نكفي
 ان يزداد عدد الحرس كلما دنونا من صنعاء .

مردنا في طريقنا الى يريم بوادي المرفد الذي يفوق وادي الذهب جمالاً
 وخصباً ، وشاهدنا فيه لأول مرة شجر البين الذي يشبه في ورقه وزهره الابيضون
 وشاهدنا كذلك الجوز واللوز والجروب . وبساتين غضة من العنب والموز ،
 تجري في ظلها مياه النهر الذي يتدفق من جبل صماره . وردنا بعد الظهور
 نصف في نقيض ذلك الجبل ، وهو اعلى نقيض في اليسن ، فوصلنا الى وسطه عند
 الغروب ، وبقنا تلك الليلة في قرية تدعى المتزل ، خبزها دون واهلها اشميون .
 ولما صلنا الى رأس النقيض في اليوم التالي كانت الرياح شديدة ، والهواء ،
 على حمر الشمس ، بارد ، فشمرت بالبرد لأول مرة في اليسن . ولا غرو فكتنا
 قد علونا عن البحر ثمانية الاف قدم اي علو ظهر القضيبي في لبنان . ومن تلك
 الدروة المائلة ، المدهشة المنشة ، رأينا منبسطاً امامنا وتحتنا قاع الحقل والى
 الجنوب منه ظفار^(١) التي كانت مشهورة في العهد الجعري بقصورها وحصونها .

(١) ولا يزال في ظفار آثار حميرية رأينا من شكلها الحلي الذمية والتمثيل الرخام عند
 احد النجار في عدن وكان فيها من قصور اليسن المشهورة كركبان ويتون وسبعين .

ان ذاك القاع في مزروعاته المتنوعة ، وبقاعه المحصودة ، لشبهه بطنافس خضراء
وصفراء وبياض ، وسمراء ، غلاً العين بهجة والنفس سروراً . تولنا اليه وسرنا
معجبين بانشقائنا السريع من منطقة باردة الى ما يدنو من خط الاستواء

اما استقبالنا في يريم التي كانت تدعى مريمه في عهد خيمو فقد كان مثل
استقبالنا في اب ، وذا مظهر « فوق ذلك » فريد . وحكيك لا وقد خرج
للاوقات اولاد المدرسة مع شيخهم الفقيه قاصطمرا الى جانب الطريق ، ينشدون
ويهللون مرجحين . ما فهمت من التشيد غير حكمة الله والمسلمين ، والمجاهد
الامين . ولكنني علمت ان الاولاد هم من الرهاق عند الامام . انه حكم
عسكري قاس شديد ، بل حكم استباه وارتياب . فلا عجب اذا اخلص
العالم لرئيسهم الاكبر ولكل واحد ولد عنده او اخ او نسيب عزيز .

سألنا في مصرة في الطريق : هل عندكم حليب . فقال صاحب المصرة :
لا غم عندنا ولا بقر ولا معزى . ولو كان عندنا فليس من يربعها . شبابتنا في
عسكر الامام ، واولادنا هاريون من التجديد ، والعمل اخذوا اغنامنا كلها
زكاة وخرائب لبيت المال . د

ولسكفا عندما وصلنا الى دمار قابلنا امير الجيش فيها ابن الوزير الثاني ،
السيد عباد الله ، صنو ابن عمه في ماويه ، سمعناه يقول : هذه بلادنا وهي بفضل
حضرة الامام بلاد الحق والعدل والدين والصدق والوفاء . الحكم الكامل
العادل تراء عندنا في اليمن ، فلا خمر ولا فسق ولا زنى ولا قتل ولا سرقة ،
ولا وباء ولا رشوة ولا اعتصاب . كل ذلك لاننا نحافظون على ديننا ، عاملون
بكتب الله ، مجاهدون في سبيله تعالى . . . ثم قال : نحن نقول ونفعل ،
وغدونا يقولون ولا يفعلون ، او انهم يقولون الحق ويفعلون الباطل . العرب
كذابين ساعطون ، يفضلون مال الاغنياء على الجهاد في سبيل الله . نحن
حاربنا الاثراك مراراً ، وجاهدنا الكفار الحونة في شهامة ، وسنتعارب كل

من يحاول اختلاس فقر من ارضنا او هضم ذرة من حقوقنا . سنحارب حتى الموت . نحارب ، واذا غلبنا نتقهقر ، نحارب ونرجع الى الشمال ، نحارب وننتقم بالجبال ، نحارب ونلجأ الى الصحراء . واذا لم يبق لنا غير موطن . الاقدام نحارب حتى الموت مؤمنين بالله ، واثقين برحمته ، وطيدي الامل بعونه . ولماذا لا يعمل كذلك سائر العرب ؟ اين فيصل اليوم ؟

قلنا : هو في العراق ، ملك العراق .

نقال : واي خير واي شرف في ملك عربي زمانه بيد الانكسار ؟
لكان احسن فيصل لو ذهب الى ابن سعود ليصلح بينه وبين ابيه الحسين .
الملك حسين ! ان قلامة ظفر الامام والله خير منه . يا للعار ! ايفتح ابواب الكعبة للنصارى الكفار ؟

حاولنا اصلاح ظن الامير في ما اشيع عن الملك حسين . وانا اعلم انه لم يأذن للمسيحيين بالدخول الى مكة . فما هدأت من تأكيدنا سورة غضبه .
- العرب كذابون ساقطون يحبون المال . وقد يصرون بعدئذ ان شاء الله مثل اهل اليسن . هذا اذا اقتدى امراؤهم بولانا الامام واخذوا من احكامهم مثالا لاحكامهم . فتظهر البلاد كلها من الفسق والجور ، من الزنى والحرق ، من الربا . والرشوة كما تظهر اليسن .

وكان الزفقي قسطنطين قد رمى في بنظرة فهمت معناها عندما ذكر الامير في مقلع حديثه الفسق والزنى . ثم عند ذكره ذلك ثانية هم رقيق بالكلام فنتعته باشارة من يدي ، فلامني عندما خرجنا من المجلس لاني حلت دون جوابه . وما جوابه ؟ قد اضحكني من الامير ما غاظ القسطنطين . ذلك لاننا في احدى الليالي السابقة ، جاءت الامراة التي طبعنا لنا العشاء ، والنساء في اليسن خارج المدن الصغيرة سافرات ، تعرض نفسها علينا بشن فسطان من الشيت . وقد قال لنا احد المساكين بعد ان خرجنا من ذمار : لولا السيد

معكم لكائن النساء نجيتكم في كل مصرة^(١)

كنت في كل قطر من الاقطار العربية افتح الاذن دائماً لجميع الناس ، فاسمع الشريف والبدوي ، والجمال والجندي ، والتاجر والسياسي ، فادون احاديثهم دون رأي لي فيها اذ ذاك ابديه . واني اسألك ايها القاريء ، وانا اشاركك الآن في ما سمعت وشاهدت ، ان ترجى ، رأيك كذلك الى ان تسع الحديث كله ان كان عن الامام يحيى او عن سواه . وما قد اجمعت كلام ايناء ، الوزير وعم من كبار رجال الامام ، وحديث احد الشوافع العقلاء . وهم باطلاً اعداء الامام ، وحديث صاحب مصرة وهو من يدفعون ضرائب الامام . واليك الآن بحديث من يحارب تحرير وتديد حكم الامام .

سكان في حرستا جندي اسمه احمد ، حارب على صغر سنه ، في ثلاثة حروب مع الطليان في طرابلس الغرب ، ومع الانكليز في الهند ، ومع الترك في اليمن . قال احمد : أخذت خدعة من عدن قيل لي ان في الغرب حرباً بين الاتراك والكفار مركبت الباخرة ونزلت في طرابلس وبعد ان صرت في عسكر الطليان عرفت انهم يحاربون الاتراك المسلمين ، ولكنهم اعطوني مالاً واسموني الكلام اللطيف ، وعاملوني معاملة حسنة ، فعاربت واستغفرت الله . . . الطليان احسن من الاتراك ، واحسن من الانكليز الذين كانوا يقتلوننا بالشغل والنظام . اما الاتراك فلا يهتمهم النظام ، وانكهم لا يدفعون

(١) ان بعض الافاضل في اليمن وخارجه اتخوا علي باللغة لذكري هذا الحادث فلم لم يلزموا لاني قلت كلام ابن الوزير الامير عبدالله : - لافس ولا رى في اليمن ! ايعنون المهاتق التي تدفع تقوام دون سواها ؟ على الرحالة ان يصدق قراءه الخبر في كل شيء . اما الحادث نفسه فبرهاني في اي بلد من بلاد الناس ولولا خطبة الامير عبدالله لما كان له في الرحلة مكان ولكني اسف لاني دققت في التسجيل فذكرت اسم البلد والبيت (في الخطبة الاولى) وعرضت بالمرأه للامانة . اني اعتقد اليك ايناء المجديلية البانية واسأل الله لك الخير والسلامة في كل حال .

مثل الطليان . والآن يا افندي - اقرب مني ليهمس كلمته همساً - لا مال ، ولا نظام ، ولا اطياف كلام . . اما حضرة الامام فهو رجل عظيم ، رجل صالح عادل عزوم . ولكن عماله طماعين يشتهون دائماً القلوس . . . قسنتنا خمسة ريلات في الشهر - عندما يدفعونها . ولكنهم يسووننا في البلاد من طرف الى طرف وليس في قيصنا بنشة - اي نخاسة - واحدة . والاهالي لا يحبوننا لانهم يدفعون ضرائب كثيرة . ولا يطعموننا ولا يؤاؤوننا الا اذا دفعنا . وماذا ندفع ؟ ما في هذه القميص شي . - نقضها ليريني انما فارغة - وعندها يا افندي انا والله دفعت . ويجب ان ادفع ايضاً ثمن النيل لأنني جلدي من البرد . والقات ؟ من يدفع ثمن القات ؟ نحن في اليسن فقراء ، وحكم الامام يزيدنا فقراً .

وحسبنا منا ولد لا يتجاوز الخامسة عشرة وهو متزوج فسأله : أين زوجتك ؟ ففرق اصابعه وهو يشير اشارة بيضاء انيقة وقال : هي هناك وراء الجبل . وهو لم يزرها منذ سنة . « ولا اعود اليها والله حتى يصير في جيبي قنطار^(١) فقال احد رفاقه : مسكينة توت ولا تترك .

وقال آخر لحيته بيضاء ظننته يتجاوز الخمسين : لا والشي ! لا اوال في الثلاثين . اما هذا الشيب فهو من هنا - واثار الى قلبه وسكت . ثم راحوا كلهم ، ويد الواحد في يد الآخر ، يعدون وينشدون :

يا الله اليوم فرج وفك المر

يا مفرج على النفس في ضيقها^(٢)

يدل العسر بكل اليسر

وفتح ابواب قطال^(٣) غلاقها

كيف قوم محو^(٤) وقوم اخر

(١) لتود قضية (٢) في ضيقها (٣) قد طال (٤) حاكم

في القابل^(١) على شرب قنبر كما .

لم أرَ عرباً يبتلعون في أمورهم مثل عرب اليمن وخصوصاً الزيد .
ولكنهم إذا سجدت الفرس ووثقوا من محنتهم يجهرون ، فينصجون اذذاك
ويصدقون . والسيد والاعرابي واحد من هذا القبيل . ارفقنا امير الجيش
في ذمار باحد السادة الكرام او استلاماً ، لا فرق ، فكان يركب بعيداً عن
الجنود ، ولا يقترب منهم الا ترأ او تاهياً . وذلك في اليوم الاول بعيداً
كذلك عني . فما كان يفتنا من الكلام الا السلام .

ولكنه في اليوم الثاني سألني همساً ان اطلع له السر في حفظ الماء وارداً في
قنبرة الزيد ترموس^(٢) التي كانت معي . فاجبرته ورحمت الاشكل في الزجاج
المرتوج الخالي من الهواء . فدهش وقال : الافرنج اصحاب عقول - عقول
ذكية . وهم يستخدمونها دائماً في كل شيء . ونحن لا نستخدم بقولنا الا في
الحروب . سأسافر يوماً ما ان شاء الله . سأخرج من اليمن متنكراً . . .
اهل اليمن يا امين يمارون جداً على دينهم ، ويظنون ان ليس خارج بلادهم
غير الكفر والكفار . ولكني سأسافر ان شاء الله وان كفرت .

سألني السيد محمد ان اعطيه عنواني فكتبته في ورقة فأخذها وخياها في
ملية من طيات عمامته البيضاء وقال : ستبقى مرأً بيننا . وعندما نصل الى
صنعا . انت تؤول ضيفاً على حضرة الامام ، وانا اذهب الى بيتي ، فلا نتقابل
بعد ذلك ، ولا لزوم .

وفي اليوم الثالث اقرب مني وانا اكتب فقال : ما الذي تكتبه في
دفترك ؟ قلت ، وكنت خلال السفر قد سألت عن اسماء بعض النباتات
والازهار : ما اعطيتني به . فقال : وما الفائدة من كتابة اسماء الازهار
والاشجار والحجار ؟ قلت : قد تم معرفتها من يحيى . بعدي . فاقنع ظاهراً

ثم قال : هوذا اليوم الثالث وانا رفيقك ، أفتأذن بسؤال ؟ فقلت : نعم بعد ان تجيب - والي . هل انت مسافر الى صنعاء لشغل خاص بك او باسر من امير الجيش ؟ فاجاب : لي حاجة في صنعاء ولحقني لولاك ما جئتها اليوم . ارسلني الامير رفيقاً جاً واکراماً وما قصدك يا امين من زيارتك اليسن ؟
- مشاهدة البلاد وتأليف كتاب فيها وفي اهلها .
- وهناك مقاصد اخرى .

- نعم ، اراكم حيث كان اجدادكم منذ الف سنة ، وسأقول هذا لحضرة الامام فمضى ان يسمى في ما يدفصكم الى الامام . فيفتح المدارس في البلاد ويهد سبيل العلم والتعليم .

العلم ناهي^(١) ولا ريب في ذلك . انا من رأبك ، واقسم بالله وبهذه الشمس الغاربة اني صديقك . فقل لي هل يطمع الانكليز ببلادنا .
- لا اعلم . قد اصدق اذا قلت لا ، وقد اصدق اذا قلت نعم .
- الملت رسول الانكليز الى الامام ؟

- لا ، ولا رسول دولة من الدول . لا ناقة لي في السياسة ولا جمل . ولكنني اتول لك اني اخو العرب ، وصديق العرب ، وانتهى ان اراهم كلهم في التلاف بعضهم مع بعض . انتهى ان اوى الامراء ساءين في سبيل الوحدة العربية وتعزيزها .

- ناهي ولكن كيف تم الوحدة ؟ اعلم ان الامام رجل عظيم ، اعظم العرب اليوم ، وهو يطمح الى حكم اليسن كله باسره . ثم الى حكم البلاد العربية كلها باسرها .

- قد يكون الامام رجلاً وابن بجدها . ليجتمع الامراء ويتفقوا على ذلك .

— ولكن كيف يجتمعون دأين ؟ ومن يدعوهم ؟

— يا حضرة السيد ، قلت وانت الصادق ان عندي رسالة ابليها الامام .

فلو اطلعك انت على كل شي . فماذا احتفظ بالحضرة الشريفة ؟

ابنم السيد محمد وقال : كلام حكيم . والسني انا اطلعك على ما لا علم لك به . شكوت بيوتنا الضيقة ، وسقوفها الواطئة ، ونوافذها الصغيرة .
فلو سمعت في عسير لوجدت البيوت هناك اضيق واظلم . اتمرف السبب ؟ لا يزال اهل اليمن وعسير وحشين ، لا يثقوا واحد منهم باخيه ، ولا يركن اليه . حياتهم خوف دائم واضطراب . هكذا ينامون في عسير — وبادر الى بندقيته فوضها بين جنبيه وضعا اليه — هم كالحيوانات البرية يجشون كل من يدنو منهم . وفي اليمن ، قد رأيت بيتك ، الناس كلهم مسلحون ، وكالهم يقاتلون ، ويقتلون لامر طفيف . نحن نغار على حقوقنا . ما قيمة هذا ؟ —
واخذ بيده فاجاب القهوه — والكنه لي ، هو حقي . فاذا اخذته مني ، اغتصبته ، وما سمعت احتجاجي اقاتلك ، استل عليك هذه الجنية ، اذنيك . هذه طريقتنا في اليمن . واذا حدث قتال بين يثين في هذه القرية مثلا ينضم اهلهما وقد انقسموا حزبين ، الى المتقاتلين ، فتشب في القرية نار الحرب ، وعندما تنحفي . ، يتساءلون : وما السبب في القتال بين فلان وفلان ؟ يقاتلون اولا ثم يستعملون . هذه طريقتنا في اليمن ، نحارب حتى اهلكنا . يحارب الاخ اخاه ، والابن اباه . فاذا كانت هذه حال بعضنا مع بعض فكيف تكون حالنا مع الاجانب ؟

قلت : وهل في اليمن اناس يشتهون رجوع الاتراك ؟

فاجاب : من يشتهي ذلك نذبحه .

— وهل في اليمن اناس من الباطنيين ؟

- كان منهم طائفة فافتيبناهم بالسيف .
- اهذه هي طويقتكم في اليمن ؟
- نعم يا امين . يقار اهل اليمن على بلادهم كما يقارون على حريمهم .
- لاحق في البلاد لتغير اهلها . ونأبى الشرقة فيها كما نأبأها في الحريم ، فتحارب
يسلم الشرف ، وتحارب يسلم الوطن .

الفصل الرابع

صنماء اليمن

وعلان - حزم - الوهن للطوري - جبل لكر - صنماء - جمال الاسيا - وجمالها -
جبل عفار - جبل آسي - مبادن القحط والطبق - تشيد الزامل - ابر
العزم - اللوشن - بيت من بيوت الشام - زحار لسان - طيات متون -
العصار - السيد علي زياره - القاضي عبادة العمري - الطواف في المنطقة -
الهندسة العربية في اليمن - الاحياء - فوجات - اجرة الميبر - اسار لواز -
الصلة - ٥ وخر ٥ ذلك فيحسون ٥ - حصار صنماء - ووفعة - شواره - الحيرة
النريفة - المظلة المعهورة - البثود والطيول - قصة الحمدي برسول مصطفى
كمال الى الامام .

في صباح اليوم الثاني عشر ١٨ نيسان سنة ١٩٤٢ بعد خروجتنا من لحج
وصلنا الى حريم ، المرحلة الأخيرة في رحلة مشقاتنا تنهي المسافر ما فيها من
الحينات والمشغلات ولكن أثر المشقات يزول فتعود الحينات الى مقامها في
الذاكرة وفي الفؤاد ، اتي وانا اكسب الآن اقتنع بها واستأنس بترداد ذكرها .
كانني في رحلة اخرى الى صنماء ، لا مشقة فيها ولا عناء .

بنينا الليلة السابقة في وعلان ، وهي قرية صغيرة على مسافة خمسة عشر
ميلاً من صنماء . وخرجنا منها باكراً فأحسست بعدد شديد يستغرب مثله في
الدرجة الخامسة عشرة عرضاً من الارض . واصبحتنا اصبحنا كذلك في علو
يدنو من عشرة آلاف قدم فوق البحر ^(١) هذا هو السبب في انتقالنا تلك الساعة

(١) هذه اصح قياسات علو في جبال اليمن بالاقدم الانكليزية

١٠٠٠٥	جبل سار	٩٥٠٠	جبل ذفار قبائل	٦٧٥٠	مدينة اب
٩٠٢٠	برم	٧٦٥٠	ذمار	٧٥٥٠	صنماء
٩٠٠٠	بوهن	٨٠٠٠	منابع	٩٨٥٠	جبل شام

عند اشتداد البرد بعد الماء في صنماء وقد سجد الثلج في ذمار لأول مرة في حياة
من شاهدوه في شتاء سنة ١٣٤٠ - سنة رحلتنا .

الى طقس شبه بطقس الشمال . على ان الشمس ، شمس اليمن ، تنحدر بقرن صغير من قرونها الذهبية كل ربيع تهب فتدميها ، ثم تحيها ، وترسل الحرارة فيها .

وصلنا الى حزيز ، وما هي الا بضعة بيوت ومصرة « ساعة الضحى فجلسنا هرباً من الشمس في في . حائط نقانول الفطور . وكان بما قام حولنا من اقبال اثنان شهيران بنات بناتان ويحاوران . وهما بنو مطر غرباً ، وفيه احسن ما يزرع في اليمن من البن ، ولغم ثمالاً ، وفي ذلك اكبر واجل مدينة في اليمن ، بل في شبه الجزيرة العربية كلها

وما هي الا ساعة بعد ارتحالنا من حزيز حتى ثارت لنا رؤوس المآذن في تلك المدينة . ثم قباب مساجدها وهي يضاء تنوهج في نور الشمس الذي يتخرج كالزئبق في الجاف الشفاف من الهواء . بينما نحن ندنو من لقم الذي اصبح على تيفنا ، اذ بدت لنا المدينة نفسها وهي محاطة بالخيال تمتد شرقاً وغرباً ، كأنها وهي كلها يضاء ، سلسلة من التلال الكلسية ، في سهل ذهبي منقطع الاخطار

اننا نمر يوماً في المشقات وامهات . وهذه صنعا تنسيك اضعاها . اي صنعا ، مثلت لنا التاريخ فكنت مليكة الزمان ، ومثلت لنا العلم فكنت يوماً ربة العرفان ، ومثلت لنا الاساطير فكنت سيدة الجن والجان . اجل ، فكلم من ليلة ، وفي اليد الكتاب والى جانب الكتاب نور شمع ضئيل ، نلقنا في مراديبك ، ووقعنا عند كنوزك ، وطفنا حول قصورك ، وسمنا الشواء ينشدون الشعر في دورك . واليوم ، ومطيتنا غير الخيال ، نشاهد ما يشبه المقال ، ويحقق الامال . هذه بيوتك العالية وقصورك الشاهقة فما كذب التاريخ . وهذا جملتك الطبيعي وهاؤك العربي فما كذب الشعر . وفي خزانة الكتب النفيسة والمخطوطات فما كذب العلم . وهذه كنوزك وسحر قصورك بل سحر الاسماء فيك فما كذبت الاساطير . كنا نظنها اسما ابتدعها

الشعراء لعرائس الجن والحبال . ولكنهما من الحقيقة في اعلى مكان . أفلا
صعدنا وياك ايها القارىء في نقيع السيان ، واجترأ وادي تحلان ، وغنا في
بريم ووعلان ، وتقبلنا في ظل بعمدان ، وما نحن شرف على قصر غمدان .

اجل ان صنعاء في محاسنها لا تحجب للزائر املا . وكلما دنوت منها ، وهو
عكس الحقيقة في اكثر المدن ، ازداد رونقها وازداد اعجابك بها . هي في
مقامها الطبيعي فريدة عجيبة . فيها الهواء اعذب من الماء ، والماء اصفى من
الماء ، والسماء اجمل من حلم الشعراء . وفيها البرد ، وقد عاتت لسمه الاف
قدم عن البحر يستحيل قربها من خط الاستواء دفء . وهي قائمة في قاع
سنتان ، تربتها من جهة الروضة وفيها البساتين والكروم ، ومن جهة اخرى
الحلوة وفيها السواقي والطواحين . ثم تحيط بها الجبال دون ان تقصر ارجاءها .
اقربها اليها عسر وهو يظلل المروج في الاصيل ، وأقمم الذي تجوي منه المياه
الى المدينة وتحمل الشمس من فوقه وميض الزجاج - تلغواف المرايا - الذي
يوصل اوامر الامام من قبة الى اخرى . وهذا يشار وفيه الرخام والمرمر .
وذاك آلس في الجنوب وشعوان دونه شرقاً وفيه معادن الطاق . وهناك
رضراض وفيه معدن الفضة . وهناك شبام شمالاً بغرب وفيه من الحجارة
الكريمة الجوز والعقيق .

وصلنا الى صنعاء الظهر فلاقانا على مسافة ميل خارج السور رجال الامام
وثلة من جنوده . وسرنا في موكب الفناء وما ملئناه لان « الزامل » اي تشيد
الزود عكس ثيابهم المنيئة راقنا بدءاً . وكنا كل مرة يقفون فيه عند القرار
القريب الرهيب مثلهم على العدو زاحفين ، ويجرد الزامل غالبين منتعريين .

سرينا على مور^(١) حل^(٢) المسحر

ليلة مفدرة^(٣) ما قرها هليل^(٤)

(١) خر معروف (٢) وقت (٣) مظلمة (٤) ما حل فيها خر

وأصبح الصبح ورحلاً^(١) براس النقييل

فنهور^(٢) العدى غارسين القليل

نمقر جوادهم مثل عقر البقر

ساروا وهم يهزجون قروا بمرآة عدن الجميلة الهندسة والبناء ، وإلى جانبها خارج السور ثكنة كبيرة شيدها الترك ، ثم حول السور غرباً إلى بوابة أخرى ، افضت بنا إلى ساحة فسيحة بين صنماء والحي الجديده منها الذي يدعى بير الغرب ، هناك صمنا وشاهدنا في مظاهر الاستقبال اليابانية مشهداً آخر مكان له في لبنان مثيل ، الا وهو « المشوېش » الذي يدعى في اليمن « الدوشن » فشرح بصبح مرنجاً بنا صياحاً فيه نبرات وغمات جمعت بين ردى الخطابة والنشيد ، علنا منها اننا نور شمس الصكيل ، وقر الفضل والجلال ، وغيرها من آيات الحال .

وعندما وصلنا إلى بير الغرب ، أي الحي الذي يسكنه اغنياء صنماء وفيه تصور الامام ومركز الحكومة « ودخلنا البيت الذي اقمنا بعدئذ فيه ميدان الشراة ، كان الحيال في الانتقال إلى لبنان وإلى الشام ايهج واتم . البيت صغير ولكنّه في الذوق واسباب الراحة كبير . ردهة الاستقبال فيه كسوف على صحن في وسطه شاذرون « وحوله القرنفل والريحان ، وفوقه تتدلى اغصان الشمس والزمان ، بغرد فيها القسري والحنون ، وتتلألأ خلالها الشمس فتكفلل حبال الماء المتعاقد من البركة ليئناً وجراجاً .

اما سرورنا الاكبر في اليوم الاول ففني مائدة ، على طاولة ، تحت المششة ، عند الشاذرون « بادرت اليها وعيوننا لا تصدق ان الكرسي كرسى ، وان في ايدينا الشوكة والسكين « وان ما نأكل قد طبخه طبّاخ مسدن ، وان بالغ بالاهازير . ثم سألتنا ونحن في ذا النعيم عن النعيم الآخر -

الحمام . فقام السيد علي زباره ، وهو وزير المالية ووكيل الضيافة عند الامام :
الحمام يوم وصولكم لا يجوز . ولكنني عرفت في اليوم الثاني عندما زرت
الحمام ، الذي ارسلنا مصحوبين بجندي اليه ، ان للتأجيل سبباً آخر فيه دليل
على ذوق السيد علي ولطفه . فقد بعث الى صاحب الحمام يأمره بتنظيفه
واعداًه لنا - لنا وحدنا .

ثم عرفت في اليوم الثالث ان السبب الاول في ذلك هو التحذر من اجتماعنا
بالناس ومخادنتهم وذلك عملاً بأمر الحضرة الامامية الشريفة التي كانت يوم
وصولنا متغيبية في الشمال لتعسم خلافاً بين الحواشد وعيال سريح استغل امره .
وقبل لنا في الطريق ان بعض رؤساء تلك القبائل حكاوا بفاوضون السيد
الادريسي لينضموا اليه ويتصروه على الزيد . فلما أشعر الامام بقدومنا امر
الأنقابيل اعداً من الناس قبل رجوعه .

ولكن في اليوم الثاني زارنا احد وجاله الكبار القاضي عبدالله العمري
وهو يد الامام يحيى ورئيس ديوانه ، فاستأنسنا بحضرته ومررتا بحديث .
البناء على جانب صبير من الفضل والاتضاع ، ومن الحكمة والتساهل ،
فحملنا زيارته على المقابلة بينه وبين اولئك المشجعين امراء الجيش وشكرنا
الله ان في رجال الامام من ينظرون الى الامور من وجهة عالية حديثة ،
ويحسنون الرأي والموازنة .

سألنا زائرنا عن زميله القاضي عبدالله العرشي فاجابنا بما تعلم فقال : له
سنة في عدن ولم يفعل شيئاً (اي في هذا كرامته مع الانكليز بخصوص الجديدة)
وسألناه نحن عن حال الحكومة والسبب في الزمان فقال : النقص موجود
وبعض الخلل . ولكنها نتيجة غير اخطات السبيل . الشافعي والزبيدي
اليوم متساويان . وحضرة الامام عالم عادل ، صديق الرأي ، صريح الخلق ،
قويم الخطة ، لا يعرف في اقامة الحق غير الشرع . ولا يفرق بين الكبير

والصغير او بين الزيدى والتافى . ولكن هناك بعض الذين يقولون ولا يقولون . نياتهم حسنة اما غيرتهم فقد اخطأت كما قلت السيل . . . نعم حضرة الامام يضبط الامور بيد شديدة . لولا ذلك لما كنت ترى العدل والامن والاقبال في النخا . البلاد كلها ، الا في الاطراف حيث لا يزال بعض الاضطراب .

كانت هذه من القاضي عبدالله اولى الزيارات وآخرها انتهاء غيبة الامام ، وما علمنا السبب في ذلك . الا اننا كنا راغبين في مقابلة رجل آخر كان معنا كتاب توصية اليه فاستأذنا السيد علي زياره فقال : حينما يرجع الامام وراح ذات يوم نخدمنا الى المدينة فعاد يحدث بما شاهد فيها من المعائب والفرائب فاستأذنا السيد علياً في زيارتها بينما نحن ننتظر رجوع الحضرة الشريفة ، فما اذن بغير الطواف حول السور ، وارسل معنا عسكريين وأحد الموظفين . مشيناً في طريق واسعة بين الحقول المزروعة والسور الكبير المبني من اللبن والطين ، ووقفنا بعد نصف ساعة عند بوابة الشام ، اي بوابة الشمال ، فتباحث اذ ذاك الموظف والجنود وكنت قد سألتهم ان ندخل المدينة وكانوا قد مالوا المشي في الشمس على ما اظن . فسفر البحث عن اجابة طلبتي بشرط ان لا يعلم السيد علي بذلك . دخلنا المدينة وقد تعاهدنا على ان نكرم الحبر وجلنا في احياء السكن منها لا في اسواق التجارة .

ان صنعا مدينة عربية صافية روحاً وشكلاً اسواقها مثل اسواق جده غير مرصوفة ولكنها اوسع وانظف . اما بيوتها العالية ، وبعضها مستطبات ، فينازها اكثر اتقاناً واجل هندسة لان الاسلوب العربي فيها لا يشوبه شيء . اجنبي هندي او اوروبي . وهي المبينة بالحجارة البيضاء والسوداء . وبعضها بالأجر والبعض باللبن ، وبين كل طابق والآخر زنار من الجص الابيض المنقوش اشكالاً هندسية ، وفوق كل نافذة كوة فيها لوح من المرمر يكاد

يسكون كل زجاج رقيقاً شفافاً . والسكنه امن من الزجاج واجمل . وهناك في الطابق الاخير لاكثر البيوت غرفة واحدة هي غالباً مطلقة من جهاتها الاربع تشرق على المدينة وتدعى المنطرة ، يستخدمها الناس للاستقبال والقبولة فيفرشونها بالطنافس والمساند والوسائد . ومنهم من يستعملون الزجاج الملون في النوافذ فيقسمونه اشكالاً هندسية ، ويلونونه بالاحمر والاصفر والاخضر والازرق ، اي الاصباغ الاربعة التي يصنعونها في اليمن فيستخرجونها من النباتات .

اما الاحياء فتختلف رونقاً ونظافة . كان رقيقتي ، ونحن ننقل من حي الى آخر سكاننا نبعث عن بيت نقيم فيه » يقول : هذه الدرجة الاولى اي احسن البيوت في المدينة ، وهذه الثانية ، وهذه الثالثة . واهل اليمن او بالحري اهل صنعاء مثل سكان المدن كلها ، لا ينقسمون الى ما يتجاوز ثلاث طبقات . ولو كان في جوارها او فيها من البدو لكانت الطبقة الرابعة في المضارب خارج السور .

ما عرفت اليمن اثناء الحرب ولم تعرف حتى اليوم غلاء المعيشة والاجور . ان مجرد ذكر اجرة البيت في صنعاء ليشوق الخواشي في مصر ونيويورك الى الاقامة فيها ، وقد يحمل بعضهم على السفر حالاً الى اليمن . هذه بيوت طبقاتها من الثلاث الى الست ، وهي من الدرجة الاولى اي في احسن حي من المدينة ، وفيها المنطرات ، والمرمر ، والزجاج الملون ، وما اجرة الواحد منها غير اربعة ريالات غساوية شهرياً اي اربعون غرشاً مصرياً . اما في الدرجة الثانية فالاجرة ثلاثة ريالات . ويمكنك ان تستأجر بيتاً في الدرجة الثالثة ذا ثلاث طبقات ، له زاران من الخصى وحكوات من المرمر ريالين فقط . اما المعيشة فلا تقل حسناً ولا تريد تفقة بالنسبة الى البيوت^(١)

(١) لم تاتر اليمن لا اثناء الحرب ولا بعدها من غلاء حاجات المعيشة لان ارضهم ولا تزرع كلها ، نظمهم ، وانوالهم تكفيهم ، فلا يحتاجون غير القطن وبعض الاصباغ من الخارج . ماك اساء بعض لوازم المعيشة هناك سنة ١٩٢٢ :

وهم مع ذلك يشكون - يشكون وقوف الاشغال ، وقلة المال ، وعسر الاحوال ومنهم من ينسبونها كلها الى حكم الامام ، ومنهم الى الله وحده ، ومنهم الماقلون الذين يعترفون الله والامام من شرور هذه الايام ، وقد وصل بعضها الى اليمن عن طريق السياسة ، سياسة الترك بالاسم وسياسة الانكافير اليوم . اما الامام ففي مقاومته هذه الاخيرة كما قاوم تلك بكثرة الضرائب ، ويذخر الاموال ، يقتل ولا غرر في ايدي الناس فتسبب قتلها وقوف الاشغال وعسر الاحوال فضلاً عما يعترى اليمن دائماً من الاضطراب والشقاق والضعف الناشئة كلها عن حروبهم الاهلية . ناهيك بالمشاكل وكما مسطحة فيندر في البلاد ذاك القرم الطيب ، غرس الوطنية المجردة من المصالح اذائية . اجل ان الناس مع الامام اليوم ومع اعدائه تداً . والسبب الاول في ذلك الجهل ، والسبب الاكبر هو الجهل المسلح .

قال المأمور دليلي : بعد ان حاصر الامام صنعا (١) وسلم الترك غنمنا من

لحم الضأن عن الرطل ٢ مروض

لحم البقر عن الرطل ١٠ مروض

السن عن الرطل ٣٥ غرضاً

الضبع عن اللدج ٦٠ غرضاً

البطائر عن اللدج ٢٠ غرضاً

اللدج ٥٠ اقة ، والاقه في اليمن كيلو وثلاثة ارباع ، والريال السماوي الذي

يقيم مثل المجيدي الى خمسين غرضاً بساوي عشرة مروض مصرية

(١) هو حصار صنعا سنة ١٩٠٤ الذي استمر سنة اشهر فأشكل اهل المدينة أثناء

الحصار لحم البغال والحبيرق حق والقيران وكان حشد الاتراك الذين ملأوا وفيهم

الاعالي لا يقل سكا قبل لنا من الشين الفأ . ولكنهم اعدوا يد ذاك الكفرة على

صنعا فتقهر الامام وجنوده الى شاره فتبهم العدو الى تلك المضائق الخائفة وخسر

هناك كل شيء . تلك هي وقعة شهادة المشهود . لم يكن مع الامام غير ثلاثة الاف

مقاتل غلبوا ثلاثين ألفاً من الاتراك وقد حاربهم بالصخور ايضاً بذخريتهم عليهم .

واهل اليمن يحسبون النصر في تلك الوقعة اعجوبة بل كرامة من كرامات الامام .

الباحق خبوات - اي كثيراً فكانت الموزو تباع بريال واحد . وبعد وقعة
شهاره من استطاع ان يجر مدفاً الى بيته أعطي له . فلا عجب اذا كان في
العشائر من يناهض الامام ويعصي جيوشه المنظمة .

مدفاً بعد الطواف في المدينة فكان السر الذي تهادنا على كتمانته قد
سبقتنا الى يور الغرب ودخل مفسداً حيث لا يستطيع سواه . لذلك لما رغبنا
المرّة الثانية في التزعة قال السيد علي دون ان يظهر ما علمه من سرنا: الاولاد
في المدينة يحشمون عليكم ويرجعونكم .

سكننا على ملنا اننا اسرى الى ان يرجع الامام . والاسير اشدّة ما
يحدّق باخدران يصبح حاد النظر ، وتتنبه فيه كذلك الحواس الاخرى .
فقد سمعت مرة صوتاً شبيهاً بصوت الآلة الكاتبة - تك تك - تك تك تك ،
وراحت العين تبحث لتحقق ظن الاذن فاكشفت شريط السلك اي انتعرا ف
وعلت ان المركز فوقنا في الطابق الثاني من البيت . وكان لنا باب موصد
من الخارج بينه وبين البوابة الى السوق حوش صغير ، سمعت يوماً جلبة فيه ،
فاستطلعت من ثق في الباب اخبر ، فاذا هناك بعض العساكر يتنافرون .
ثم جاء واحد وهو يقول : هم عرب مثلنا . وفتح الباب فاستأذنته في الخروج
الى الحوش فأذن هاشاً وكان هو الدليل الانيس . اخبرني اننا مقيمون في بيت
من بيوت الامام المدينة ، وان الحضرة الشريفة غنية جداً ، وانها تقية ،
ورعة ، عاتلة ، عادلة فهي تجلس للناس كل يوم تحت شجرة في الحوش او
خارج البوابة في الساحة . اما المجلس الرسمي ففي الطابق الثاني من البيت .

نحن اذن قريبون جداً من الحضرة الشريفة . او اننا تطفأ - وقال
المفسدون تحفظاً - جعلنا على مقربة من الاذن الامامية والعين العلوية . وما
لا ريب فيه ان الزود يتقون كثيراً ويتكلمون كأن هذه الحلة ، وهم قريبون
من المذاهب الباطنية « صلة الانتساب بينهم وبينها . زد على ذلك انهم

يختلفون عن العرب بأنهم شغفون بالشفقة والالية الظاهرة . ولنا في موكب
الخطرة الشريفة دليل وبرهان . كنت قد سمعت بالمظلة المشهورة التي تظل
الإمام يوم يؤم المسجد الجامع ، فتحف به السادة والعلماء ، وتثني أمامه ووراءه
الجنود ، وهم ينشدون « الزامل » تتقدمهم التوبة وثلة من الفرسان ، والمظلة
في وسط الموكب كأنها القبة الزرقاء الموصلة بالكواكب ، وقد رمي تحتها
القرن المنير سبيل الدنيا والدين .

هي ذا المظلة التي طبع ذكرها الافاق ومعها شقيقات صغيرات ملقاة في
الزاوية في طريقنا الى الديوان . قال رفيقي وقد قبض على احكها : هذه
لحلاة الحمة . وفتحها فاذا هي كالخبيبة ، قطرها ثلاثة اذرع ، وكلتها مصنوعة
من الحرير الازرق والايض المزركش ، وعلى اطرافها من الخرج العريض
التمين ما يندو حتى في ملابس السيدات القضة .

رأيت في تلك الزاوية ايضاً طبول الامام العديدة حجاً وشكلاً ، بعضها
مشدود على الفخار وبعضها على النحاس . والى جانبها اليبارق والرايات فكان
الدليل اللطيف اسرع بيده مني برغبتي . فتح الراية الاولى فاذا هي خضراء
مكتوب عليها بالاصفر : وفتحنا لكم فتحاً ميبئاً . والثانية صفراء مكتوب
عليها بالاخضر : الجنة تحت ظل السيوف . والثالثة بيضاء وعليها بالذهب آية
التوحيد والشهادة

سررت بخروجي الى الحوش وبدليلي اكثر من سروري بالطواف حول
السور وفي المدينة . ولا غرو ، فقد شاهدت الرايات والطبول ، ولمست بيدي
المظلة الشريفة ، واستأنست بالجندي الكريم الذي نفعتني بشي . من علومه ،
ثم دخل معي الى البيت وجلس القرفصاء امامي فزادني علماً بطرائق الامام .

« كان قبلك في هذا البيت فتعجب بك »^(١) وكان الامام يزوره ليلاً وحده .
 سافر الاسبوع الماضي وهو رجل « ناهي » اعطاني هذه « الساكوة » واستدان
 مني عشرة رباتات اعادها الي عند سفره عشرين . . لا ادري واقه ولكني
 سمعتهم يقولون انه جاء من مصر ليصلح السالك (التلغراف) . »
 ولكن الجندي في اليمن ، مثل من يقرأ الجرائد في البلاد المتعددة ،
 لا يعرف من الشؤون السياسية غير ما يذاع رسمياً لابعاده عن حقيقتها . فبدأ
 يتحدث عنا فيقول : اننا جئنا من الجامعة الاميركية لشقري الكتب الخطية .

(١) جاء من قبل مصطفى كمال الذي كان بينه وبين الامام يحيى في ذات الحين
 مفاوضات سياسية .

الفصل الخامس

الضيف المأسور

الامام في مجله - فرائض الملك - خطاب ابن فيه قصدي وصدي - كتاب التوضيعة
من الملك حسن - الوحدة القرية والوحدة الاسلانية - معط وحالها - « جل
عندكم كلام مضبوط » - قصيدة الامام - المهنتون - تقييد اليد والرجل -
ملوك اليمن قديماً - التتاليد والعادات - جرحي المنساري - شيعة الاسلام -
« حبيبات من كبتان » - رجل النسب السحار - عدد سكان اليمن - الميمنة
الاوربية - ما يوثق عن جورج واشنطن - انظر - خريطة تقبض الامام -
« اذهبوا اذهبوا » - الرشاقة والفكر - حيلة مأسور - سقاي الى الامام بعد
اني - الملك يشتمل - باب القرب - اصل النجدة -

اربعة ايام مضت ولم تخرج من البيت الامرة واحدة ، ثم عاد الامام الى
صنعاء من رحلته السلبية موفقاً فأم قصره أولاً وجلس بعد الظهر الزاوي ،
فكنا بعد استئذانه اول المنسامين المهنتين . ثم اشاهد في طريقنا اليه ، لا في
الرواق ولا على الدرج ولا عند الباب ، شيئاً من تلك الالهة المصكورة
المصنوعة التي شاهدناها في ماويه ودمار . حاجب واحد ، وهو جندي زيدي
في عمامته غصن من الجني ، فتح لنا الباب حين رأنا قادمين .

دخلنا وفيما ما يعقري كل غريب على ما اطلق في مثل هذه المبال ، ابي
الشوق الذي يسرجه الاحترام ويشوبه بعض الظن . اترى الامام مثل امراء
جيته ، ام هو كوكب الخلق لطيف الذوق كالملك حسين ؟ أيسف ظاهره عن
باطنه ، فترق ملامحه ، ويستطيل وجهه ؟ شأن معظم الائمة والعلماء ، ام ينجذع
تا يسكره ما لا تقصص عنه الوجوه والاشاوات ؟

دخلنا فاذا نحن امام رجل ربيع القامة ، صغير الرجل واليد ، اسمر اللون ،
عالي الجبين ، مستدير الوجه قائم له قم حكفم الطفل صغير بارز الا أن في
مرونته وهو يتكلم اشارة تقربه طوراً منك وتوة تبعده . وفي عينيه السرداوين

القريتين من انف قصير عريض نور بضيء وشرارة في بعض الاحايين روعة وله حية سوداء قصيرة مستديرة يتخللها خيوط من الشيب . يلبس قبا . من القطن مخططاً فوق حية ذات ارداف من نسج الين ، ولحماته البيضاء الكبيرة ذؤابة تكاد تصل الى اذنه . دخلنا فاذا هو جالس على فراش اسود وثير ، تحته فراش آخر وسجادة عجيبة ، والى جنبه الوسائد يتسكى . عليها ، وامامه زجاجة من الماء ورزمة من القات ، وخادم ينتخب الطوي من حبه . فيقدمها له . وهو الامام يحيى بن حميد الدين المتوكل على الله . صافهنا مسلمين فرد السلام مرحباً بنا دون ان يقف . جلسنا امامه على سجادة تحتها فراش ، والعرفة العفيرة مفروشة بشلها ، وفيها عند الباب ديوان ، وعلى الحائط خرائط البلاد العربية والهندية باللغة التركية .

كان في نيتي ان اتقي كلمة في حضرته فحدثت بها جالساً ، وما قلته بعد تهنتي بعوده سالماً موقفاً : اني جئت من دوا البطار واقاهي الديار عملاً بماطلة لا قوة للقومية بمواها ، ولا عز للاعم بدوهم . فاننا مهما استقرسنا في حب الانسانية المطلق لا ننسى اذ كنا منصفين حب الوطن الخاص . وهذا احب يحلني اليوم على الساحة في البلاد العربية . فاني ، وان كان لبنان وطني الصغير ، ورويا وطني الكبير ، انتسب الى البلاد العربية ، وطني الاكبر . . . واني ، وان كانت المسيحية ديني ودين اجدادي ، ادين بدين حكل من اقام حقاً وازهن باطلاً . بل ادين بدين فلاسفة العرب وشعرائها الكبار كالفزالي والقارظ والمري الي الغلا . . بل ادين بدين كل من قال بالوحدة العربية ، وتجدد مجد العرب ، وسمى في هذا السبيل سعياً شريفاً خالصاً لوجه الله . فمن آخر العرب أعز يا مولاي الاسلام . . . ولا غرو اذا جئت بلاد الين حاجاً هذه السكينة المباركة وقد مننت عني تلك المقدسة كعبة الاسلام الاولى . على اني لقيت في جده ، في مقام الملك حسين الرحب العالي ، من الفضل العربي ، والمكارم الهاشمية ، ما سأذكره دائماً شاكراً

مفتخراً - وأول مرة ذكرت في حضرته اني اودع في زيارتكم كان - عام
وحاكم الله - اول المستعنين بلى اول المهديين والمؤمنين . فجئت يوافقي
بأذن جلالة صديقي العزيز القديم الشيخ قسطنطين بني ، وهو في حب العرب
والعربية على جانب عظيم من الفيرة والاخلاص . والبلاد اليابانية مهد العرب
جناتها متجشدين المشقات ، مذللين العبادات ، معدين في الجبال الشائعة ،
متغلغلين في اوديتها المظرة الارباب . ونحن اثناء ارحيل وفيله ننظر بعين
الحب والتوق الى هذه السدة المباركة نستمد منها النشاط في السير والسرى .
وكنا نلاقي في كل بلد حللناه من حسن الحفاوة والاكرام ما شكورناكم بعد
الله عليه ، وسجلناه لكم في جميع القواد ليحفظ مدى العبر ذكر أذكيا جيلا .

فاه حضرة الامام ببعض كالت الشكر والترحيب . ثم وقف قسطنطين
فتلا قصيدة كان قد نقلها في الطويق فسر بها واتنى عليه ، ثم قدما لحضرته
كتاباً من جلالة الملك حسين ففضه وقرأه ثم قال : ولكن الكاتب اهل
الاسم فيه . فقلت : وقد يكون ذلك عرضاً او ذعولاً اما الحقيقة فان
ناظر الطارجية في جده كان قد كتب كتاب تعريف اجملة الى حضرة الامام ،
فلم يستجبه جلالة الملك « فأمر كاتبه الخاص ان يكتب آخر يعرف فيه
الحضرة الامامية الشريفة بالاستاذ الفاضل والعربي الصميم الخ واعقل عدا اسمي
لاسباب لا يدركها الا من كان يدرك شيئاً من عوامض السياسة الهاشمية

لذلك ظل الامام على شيء من الريب والتحفظ . ونحن ، لحاظ جال في
ذهن الملك فلم يذكر في كتاب توصية اسم الموصى به ، نقاسي من نتيجة ذلك
ما سيحيي ذكره . افضنا في الحديث بالوحدة الدرية « فكانت اول كلمات
الامام في الموضوع : وصلم الى محط رحالها . بيد انه الداعي الى الوحدة
الاسلامية ، فحاولت ان اقنعه ان الجامعة القومية اصح اساساً واسهل تحقيقاً
من الجامعة الدينية . ومن أعز العرب أعز الاسلام .

و كنت قد طالبت قصيدة الامام المشهورة التي مطلعها :

مفلة منشورة في الحافل تهيم وتذري الدمع تهايم ناكل

والتي يستنهض فيها المسلمين واخوان الدين ويحثهم على الاجتماع والتضاضد .

ايا قوم هيرا شجروا وتماضدوا وحوطوا ذمار الدين عن كل . . .

كما فعلت اصعاب لثة ومن قلا - - - هم قافياً اثارهم من حلال

فقلت : ان الجنسية تجمع الشعوب والدين يفرقهم . واننا نحن المسيحيين في سوريا . مثل العرب المسلمين فتجعلنا القومية ، وهي التي حملتنا الى التشرق بزيارتكم ، ولا نجعلنا الدين . ثم انتقلنا من النعم الى التخريض - من بحل القضية الى اجرائها - فكان الامام اكثر اهتماماً لذلك . ما داني على انه ذو عقل عملي حافق . واني اذكر كلامه عندما اشرفنا الى المهمة التي انتدبنا انفسنا لها فقلنا قائلان : هل عندكم كلام مضبوط ؟ الا ان بعض الزائرين دخلوا اذ ذاك فر بيده على فمه ، فسكتنا ، وتأجل البحث في الموضوع الى وقت آخر

دخل الزائرون المهشون وفيهم بعض الحوريين من طرابلس الشام وبعض الضباط الترك ، فظهر لنا « من استقبال الامام ومن تقبيل اليد الامامية تقبيلات متنوعة لها درجات ومقامات ، ان العظيمة « والمحسوبة « في صنعاء . اشد منها في الحجاز . ان التبعة في ذلك على الاتراك الذين علموا الامراء هذه الاباطيل في الرسميات ، ودروا عوب المدن على هذا التسكك والختوع . على ان تأتبع الاتراك من هذا القبيل في اليمن اخف منه في الحجاز . وملوك اليمن من قديم الزمان كانوا شغفين بآية السيادة واباطيلها .

قرأت كتاباً لرحالة افريقي ، رافق في القرن السابع عشر بعثة تجارية الى

اليسن ، وصف فيه زيارتهم للملك في مقره ذاك الحين بالتقريب من ذمار^(١) ووصف كذلك خروجه الى الصلاة يوم الجمعة وصفاً يابئنا بما لعادات اليوم هناك من الجدوع في التقاليد . وهذا الامام يحيى في القرن الثالث عشر للهجرة يجلس على فراش الملك كما كان يجلس اجداده في القرن الثالث ويأذن بتقبيل يده وكفه وركبته ورجله . بل يأكل فوق ذلك القات ويشرب من الماء ويحمد الله . ولا يقف مسلماً الا لواحد في ملكه .

على انه تخرج قليلاً عندما دخل محمود بك نديم آخر والي من ولاية الاتراك في اليسن وهو كردي الاصل سوري المولد . فاستقبله واقفاً نصف وقفة ، وبأدله قبلة اليد بقبلة في وجهه . ثم دخل ضابط تركي في ثوبه ونياسينه وجزمته فركع امام الامام وقبل يده وجلس على الديوان . ثم ذلك الافرنججي اي النمساوي الموكل بعمل الحطوش ، اي جوجي المشهور في اليسن ، وخذوصاً في عدن وجزيران حيث يودونه في غير اليسن . فقدمه الامام اليه قائلاً : هذا منكم . ثم دخل شيخ نبيل الجسم ، طويل اللحية ، حليق الشارب ، يشبه امير كيان من امير كيبيير السكند القداما . فاستوى الامام واقفاً وصاحبه مصافحة الاقران . هو شيخ الاسلام الذي تبوأ مكانه في الزاوية . وكان قد تقدم حضرته ثلاثة صبيان ، منهم اثنان من اولاد الامام يرفلون بالاثواب المخططة ذات الاردان . وعلى اكتافهم البرد اليابانية ، وعلى رؤوسهم عمام مزركشة بالقصب ومكتوب عليها آيات من القرآن دخلوا دون ان يفوزوا بنظرة منه . عصت القاعة بالمهشين ، وكان حضرته يعرفهم اليه فيقول : هذا امين ، وهذا قسطنطين ، مسيحيان من لبنان . فقلت : حضرة الامام شاف بالسجع . فقال : انتم السجع ، تنوعت الاحاديث وكان هو مدير رحاها ، فسأني سؤالاً

(١) هو الامام المهدي لعين الله الذي عقد في سنة ١٧٠٩ م صاعدة تجارة وولاه مع القرويس . وكان مركزه في مواهب بالقرب من ذمار .

غريباً ثم جاب عليه فكان الجواب اشد غرابة منه : ماذا دُعِي صاحب الديانة المسيحية بالمسيح ؟ فاجبته بكلمة اثرية وجيزة فلم يقتنع ، فقال : لان رجله كانت مسحة . و اشار بيده الى رجله ، ثم توكلداً بالسبابه الى خط الانحاء اي القوس في كفها .

قد ساء لي والحق يقال هذا التشبيه وان لم يكن الاحتقار فيه مقصوداً ، وعاد لي الفكر الى جده ، الى مجلس الملك حسين ، الذي لا يسمع فيه الزوار كلمة واحدة تسكدر او تسي . بل لا يسمع غير ما يسر ويفسكه ويفيد . اما الرجل المسح ، والمسيح ! لم اتككن على تساهلي المعروف من دفع ما وقر من هذه الكلمة في النفس . وقد اكون اسأت الى الحضرة الشريفة في سؤال سألته لانه في ذاك المرقع لا يلبق ولا يجوز . ولكن عذري اني طالب علم - سائح في سبيله . قلت : اقمعون يا مولاي كم عدد سكان اليمن ؟ فقال : بالتقريب ، لا بالتحقيق ، خمسة ملايين . فقلت ولكم منهم تحكمون ؟ فاجاب وهو يتسم ويضم انامله الى كفه : اليسر ، اليسر . فقال الضابط التركي باللغة العربية وكان قوله ولا شك تركياً : كل واحد من الخمسة الملايين مطيع للامام ، فاعترضه الامام قائلاً : لا لا . وما لوجهه الي وهو يشير بيده تلك الاشارة اللطيفة البليغة كأنه يقول : خفتة منهم فقط .

اما حدود اليمن فالامام لا يعرف منها غير القديمة التي كانت تشمل ههنا وحضرموت . فاذا اعتبرنا هذا التحديد وفهنا اشارة الحضرة الشريفة ظهرت لنا مطامع السياسة باجلى مظاهرها .

وكان الحديث بعد ذلك في السياسة الأوروبية فادهشي منه ما يعلم وما يهم له من اخبار العالم . فهو يطالع الجرائد المصرية ، واذا ضاق دون المطالعة وقته يدفعها الى احد كتاب ديوانه فيلخص له الاخبار كأنه من هذا القبيل مدير شركة اميركية او رئيس وزارة انكليزية - سألتني عن ارائه - وهل

حازت استقلالها ؟ سألتني عن لويد جورج - وهل يختلف في الوزارة كروزون ؟ وعن زغلول باشا - وابن هو الآن ؟ وعن الاتوك - وهل عقدت المعاهدة بين مصطفى كمال والفرنسيين ؟ وعن اميركا - وما سنة يحكم الرئيس ؟ وهل يعاد انتخابه ؟ وما مرة يجوز ان يعاد ؟ فلما اخبرته عن الرئيس الاول جورج واشنطن الذي ترأس مرتين ورفض الثالثة قائلاً : ما تحوررنا من الملوك لتعيم ملكاً علينا في هذه البلاد ، اعجب جداً ! اما كلمته المأثورة : استعدوا في ايام السلم للحرب . فابرق لها جبين الامام كأنها حديث شريف ، واطرق وهو يهز برأسه ويقول : ناهي ، كلام ناهي ، حكمة رائحة .

وما توقف عن اكل الفات وشرب الماء أثناء الحديث . ولا رد واحداً ممن جاؤوه يحملون المرائض والكتب . الا انها كانت تقدم بواسطة الحاجب فيفضها في الحال ويقضي بها . ومنها عريضة طويلة مسحت اللطف والبشاشة من وجهه . وكنت وهو يتعمم النظر فيها انثر اليه وراقب عينيه ، وفيها يبدأ الانفعال او ما يشير اليه . القريب ان قد تشهر العين الحرب عليك في حين ان الفم ، مثل رسول السلم ، يسم لك مطمئناً . كثيراً ما شاهدت هذه السياة المتناقضة فيه . ولكنه في ذلك الاوان تغير تماماً فساد النضب في ناظره ، وقلص العنف شفتيه فاستأذنا بعد ان فرغ من قراءة تلك العريضة ، وكانت قد طالت الزيادة ، ف اشار بيده اشارة سريعة جافية ان اذهبوا اذهبوا . ولم يبقه بكلمة سلام واحدة .

خرج كالمطرودين ، وبتنا في امر هذا الامام حازين . أبدو هو اذا غضب ، وسيامي اذا رغب ، وشاعر في ما يجب ؟ أعالم مجتهد ، وحاكم مستبد ؟ أغليظ الكلمة ورقيق الشعور يجتمعان في شخص واحد - في زبيدي راضي ؟ هو في امور الدين والدنيا الحاكم المطلق المصوم في الاجتهاد عن الغلط . ولكنه عادل ، وفي اقامة الحق لا يميل ولا يحايي ، وعند الاقتضاء صريح حلیم .

ان له في حكمه فضائل اخرى ، منها انه يستشير ذوي العلم والخبر من رجاله ، وطريقته في الادارة والعمل منظمة ، وقوته على العمل عظيمة مدعشة ، رأيته في ليالي رمضان ، وقد انصرف حكل كتاب الديوان ، يشتغل حتى الساعة الواحدة بعد نصف الليل ، وسيدخل القاري بعدئذ الى ديوانه ، فيرى كل شيء في مكانه .

اما الان فعلافتنا - في لغة السياسين والصحافيين - متوترة . وما بدأ منا ، الى ما اعلم ، من بيبي . الخضره الشريفة شي . فقد قبلنا « رجل المسيح المسعاه » قائلين : ان الامام من المجتهدين ، وطويل البال في غوامض الدين . ولكن رجل حضرته أنيقة الشكل لها قوس بليغ ، يدل بحجب علم الفراسة على طيب الارومة ، وحسن الذوق ، وكرم الاخلاق . فاین هذه الفضائل من تلك الاشارة العتيقة ، وذلك الوجه القمطوب ؟ ونحن ضيوفه ووسل السلم والمخبر اليه

مر اليوم الاول بعد هذه المقابلة ونحن ننتظر من حضرته كلمة تسكن منا البال ، او اشارة تعيد اليها الثقة والامل . ومر اليوم الثاني ونحن نحسب كل ساعة منه شهراً . ونود لو جاءنا احد يساعدنا على بحنة الويب وسؤ الظن ، بل نود انفسنا بعيدين عن الزيود وبلادهم . أقلم يوض الامام يا ترى بكتاب الملك حسين « ام هو في ريب من امرنا بما قد يكون سبقنا الى عاصيته والى ديوانه من انوشايات . فقد قال لي احد السادة : الناس مشبهون بكم ، حتى الذين اكرمواكم يكتبون الى الامام ليتحرز منكم . فهل تلك العريضة الطويلة سيده حياتنا يا ترى ؟

استأذنا السيد علي زباره بزيارة المدينة فكان جوابه انه يخاف علينا من الاولاد بل على كيصنا من الشعاذين . ثم استأذناه في اليوم الثاني بالطواف حول السور فقال ان المني في الشمس يتعبنا ، وقد تؤذينا شمس اليمن المحرقة .

فلاحسن ان تخرج اذا عند الغروب . ثم جاء . مياذته عند الغروب بصحة
احد الموظفين يزورنا فتمنر علينا الخروج للنزهة . وقد قال ان اشغال الامام
بسبب تفييه كثيرة ، وسيأذن بمقابلة اخرى قريباً ان شاء الله

اما الرفيق قسطنطين فكان يستعين على هذه الحالة المزعجة بنظم الاشعار .
فلما فتحت دفترتي مساء ذلك النهار لادون فيه بعض الحواطر اطلعت على ما
يلي ، وبما اني لا اعتقد بالجن تيقنت ان اليتيم من نظم مكروبير مثلي . قال
الرفيق :

ترجو الخروج الى المدينة باحثاً فيها عن الشيء الذي لا تعلم
لكن لسو الحظ بابك موصد « ان اليب من الاشارة يفهم »

وفي اليوم الثالث ، وانا اشك حتى في ما قاله الرفيق ، حاولت الخروج
الى الساحة فردني احد الجنود في الباب . صدقت في شكوك مرة ايها الشاعر
العزيز . فمنعنا لا زوال اسمعينا . ولكننا علمنا السبب وقبلنا العذر يوم كان
الامام غائباً . فما السبب وما العذر الآن يا ترى ؟ بالذات الى الورق والقلم
وكتبت الى الحضرة الامامية كلمة يعكس ان انقلها بالحرف لانها اُميدت الي
مولاي :

حياكم الله بالحُجُب والسعادة . اما بعد فاني منذ وطئت ارضكم
اسير فضلكم ، وموضوع اكرامكم ، وسأكون مدى الصبر شاكراً
لكم . وجئت الان اسألكم ، واستريح عن ذلك عذراً لطيفي يا انتم
فيه من الاشغال المتراكمة اثناء غيابكم ، ان تطوفني اذا كنتم تسعون
بمقابلة خاصة ومتى . فاني مقيد بخطة سفر تضطوني الى القيام باذن الله
بالمحدد من زمان ومكان . وفي كل حال اني شاكر ابداً لمولاي الامام ،
فخر العرب والاسلام ، حمى الله ذماره ، واغز بنوده ومنازه .

امين الريحاني

في ٢٥ شعبان سنة ١٣٤٠ .

فاعاد الامام كما قلت الكتاب الي وقد كتب في اعلاه بخط يده :
عافاكم الله ووفقكم لا بد تطلبكم لما اشرتم
اليه ان شاء الله قريباً هـ

والحرف الاخير هـ علامته الخصوصية في كل ما يكتبه ويكتب باسمه .
زادني الكتاب حيرة واضطراباً . فضلاً عما ظننته اهانة مقصودة . اهذه
طريقة اليهود في المراسلة ؟ او انها طريقة الامام في ما يختص بالنصارى ، فلا
يغيب حتى يورقة من اشيائهم ؟ قد اكون اسأت الظن ساعة الحق والاضطراب ،
على ان ما عرفته بعدئذ وشاهدته اننا . اقامتي في صنعاء لم يكن ليزيل التأنيب
الاول كله تاماً .

حكادت تحملني تلك المعاملة على الاستئذان بالرحيل لاني ، ولا بد من
الظهر بذلك ، شئت ما شاهدت في طريقتي الى صنعاء من مظاهر الاجتماع
والسياسة . شئت ما كهرني بحب لابناء جيسه ، واغيب في نجاحهم وعمران
بلادهم . وما اني في صنعاء . اسير ويب الامام بعد ان كنت اسير فضله . فما
السبب في الانقلاب ؟

ما غت تلك القبلة الا قليلاً . وكنت كل مرة استفتي اصمع السلك
بشتغل مجدداً وفي انبيائه البرقية ما قد يزول في الثرية الكربة . ولا حاجة
به قد ، التوقع . فان سبب كبريتنا كما نحققنا انما هو الملك حسين ، او بالحري
كتاب التوصية منه . فرأى الامام الحكمة في تثبيت الامر قبل ان يفاوضنا
بشيء . فاشتغل السلك لذلك ، وكان الجواب من عدن ، والحمد لله ، شيئاً ما
اكرمنا من اجله ذاك الاكرام الجليل في الطريق . فاذا كان كتاب التوصية
من صاحب الجلالة المنتقد الاكبر يحلب هذه الظنون والشجون فاذا عي ان
تكون نتيجة كتاب التحرير ؟

الفصل السادس

حكم الامام

الامامة بالسيف - شروطها - سبب القتال والحروب - الزمان - اعداء الامام -
 الجهن في الماضي - اول امام ربياني في اليمن - الطرق الزيدية - الائمة لاقدمون -
 اليمن الاكبر - القرامطة في اليمن - اول دخول الاثراك - اول ورة عليهم - خروج
 استراف الى هراش على امام حسنا - خروج لفتح وعلان من حوزة - رجوع الاثراك
 سنة ١٨٩٩ - هزمهم ورجعهم سنة ١٨٧٢ - ثم سنة ١٨٩١ - الامام المنصور
 - احمد قبيحي باشا - الامام يحيى - ورة ١٩٠٦ - حصار حسنا - الفتن -
 ثورة ١٩١١ - عزت باشا - معاهدة ١٩١١ - رجوع الامام الى شجاعة - العرب
 العظيم - وصوله الى صنع والاكابر - كتاب حوزة العرب - اعداء الامام بعد الحرب
 - التجاوز الى ملك حيدر واليه الاقوي - الدولة - الدولة .

ان الحكم في اليمن ديني وضاً وعيني عملاً ، له قروع في الاصل مذهبية
 وله مظاهر في العمل غير ياذية . فقد اخرجهم الامام زيد^(١) الذي ينسبون
 اليه او الداعي الاول الى مذهب في اليمن عن العقيدة بالامام المنتظر ، وعلمهم
 التوك بعض النظام في الادارة وفي الجيش . ولكن الحكم هناك قريباً من
 الديمقراطية لو انهم انتخبوا الامام رباعوه على طريقة الصحابة ، بدل ان يجعلوا
 الامامة غنمية ان يأخذها بالسيف ، ولكن عقيدة غامضة ياذية في من انش
 الزود عنهم حملتهم ، على ما اقلن ، على التسلسل بضدها . قالت فرقة الشيعة :
 لا امام بعد الامام الثاني عشر وهو صاحب الزمان^(٢) قامت من العقائد الدينية

(١) هو زيد بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن ابي طالب الذي جاهد
 ليترجع الامامة التي اختصها الامويون فاضطهد وصاب .

(٢) هو الامام الثاني عشر الذي ظهر فترة في الارض ثم اختفى سنة ٥٧٩ هـ . غاب
 عن الابصار لا من القلوب ، ولا يزال غائباً . ولكنه حي ابدآ ، وهو موجود في كل
 مكان ، ومبشور - هو الامام المنتظر - ليظهر العالم من الفساد والضلال .
 حاشية اخرى : قد فضل احد علماء التجف فاصلع ما في هذه الحاشية من الافلاط

التي ينمو فيها مصكروب الخرافة ، فيفسد الحياة الروحية ، ويشوق اساليب العبادة فيجعلها سخرية .

وجاء في مذهب الزيدية ما يثبتها ويقضي على صاحب الزمان مكان الزيديين يقولون لحصومهم : اذا اذنتم رضيت بامام موجود دائماً في كل مكان ، ولا يرى في مكان ، فمن لا يرضى . نحن نشتهي ^(١) ان نرى الامام امامنا ونو في مكان واحد ، وفي قوة من الزمان . ولم يتدروا في ذلك الحين على ما اذن الى غير السيف اثباتاً لعقيدتهم وتحقيقاً لامتهم فقالوا : ان الامامة بعد الحسن والحسين شورى في ولدهما ، فن خرج منهم شاعراً سيفه ، دائماً الى دينه ، وكان عالماً ورعاً ، انه هو الامام المنتظر

اما شروط الامامة عندهم فاربعة عشر ^(٢) شرطاً ، منها ان الامام يجب ان

لتاريخية والدينية فقال ان الامام الثاني عشر ولد سنة ٢٥٥ او ٢٥٦ هـ ، وأنه غاب عن الاتصال النبوية الصغرى اي عن العامة دون الخاصة سنة ٢٦١ هـ ، وغاب النبوية الكبرى اي عن الجميع الا نادراً سنة ٢٥٨ هـ . فيكون عمره اليوم ١٠٩٨ سنة لا ٨٢٠ سنة كما يظهر من التاريخ المنقطع

ثم قال : « والامام الثاني عشر عند الامامية من النبوة بشر مخلوق ، يمينا ويموت ، ويأكل ويشرب ، وهو في مكان مخصوص من الارض عاينه اذا لا يعرفه وربما يوجد من يعرفه وليس هو مفيد مكان بل يتحول في الافاق متكرراً متخفياً الى ان يأذن الله بالتأهول » .

وسد يشكل على القارئ قول العالم النجفي انه اي الامام المنتظر « في مكان مخصوص من الارض » وأنه « يتحول في الافاق متكرراً » والذي اراد على قصر باهي في هذا العلم ، ان في الحاليين شيئاً من الحقيقة . فهو يقم في مكان مخصوص برهة من الزمن ثم يتحول متكرراً في الافاق . وقد قال في الداعي في حدان ان صاحب الزمان هو اليوم في اميركا .

(١) اشتهر في اصطلاحهم الشيء اي اراده واحبه .

(٢) وهي ان يكون الامام مكلفاً ، ذكراً ، حراً ، مجتهداً ، علوياً ، فاطمياً ، عدلاً سخياً ورعاً ، سليم العقل ، سليم الخواص ، سليم الاطراف ، صاحب رأي وتدير ، حذاماً فارساً .

يكون مكلفاً بالثأ ، وحرراً اي ليس بعد ، ومجتهداً ، وقارساً مقداماً . هي اربعة اصول صحيحة تضمن على الاقل النظام في الملك ، لانها تنقي الوراثة وفيها من المجهول المحذور لا قد يكون الشر الاكبر في الاحكام كما يدل على ذلك تاريخ الملكيات وبعض من حكموها من السفهاء والمعاييه . وهي تحول دون معامع العبيد والماليك - لا يزال منهم في قصور ملوك العرب اليوم وبعضهم يرقون الى المناصب العاليه - الذين زعموا اركان السيادة العربية الاسلاميه واوهنوها بما كان في الماضي من اختلاساتهم المعروفة . اما الاحتداد فيوجب على الامام العلم . والعلم اليوم في اليمن وفي نجد ينحصر بالاربعه الاصول ، اي الدين والحديث والفقه والحقه . والسنه شرط مرئ ، فيتناول في تطور الحياة ولا شك شيئاً من العلوم التكوينية . اما الشجاعة والفروسية فليس من ينكر الفضل فيها . لم تكونوا الركن الاول لمعقده دينيه او لحكم مدني .

ولم يري ان شروط الاماميه في الزيدية لمن خير ما تتطلبه الجماعات في حكمها لولا هذا الشرط الذي يزل السيف ، يزل الشورى والمبايعة فهو ولا عجب السبب الاكبر في الفتنة والحروب في تلك البلاد الجبلية التي دعاها الرومانيون سميدة . ونشئ نحن اليوم ان تكون السعادة فيها حقيقة لا خيالاً . وكيف يثبت ذلك فيها ويدوم نظام ، وكيف تضمن سبل القلاح والممران ، اذا كان يحق لكل من كان شجاعاً طامحاً ، وكانت له بعض السيادة في عشيرته ، ان يخرج شاهراً سيفه ، داعياً الى دينه ، طالباً الامامة ؟ وان في اليمن اليوم عدداً من هؤلاء الطامحين اليها ، ومنهم من كان يهاؤهم او اجدادهم افقه حاكين . فاذا احسوا بوهن في حكم الامام ، او بضعف في موقفه ، فسيف الايلاام عليه . فيتسع المجال اذ ذاك لنفيعه من سيوف الاسلام ، فتشب نار الفتنة ، وتندق طبول الحرب ، ويخفق دخان القوضى روح الامن والعدل والنظام .

لا نخطئ. اذا قلنا ان الفتى في السن حالة مشرقة بتظلمها في بعض الاحايين فترات يسود فيها العلم والسكينة. وقد كانت قبل ان جلا الترك عنها ميداناً لسيف الاسلام - الجهاد ثالث الماء. والراد - بل لسيف الامام زيد ، بل لسيف كل طامح من السادة المحترمين - ميدان هلاك ودمار ، لا يسكن فيه غار ، ولا تحمد له ناره الا في فترة عياء عام او تفوق شخصي مثل فترة الامام بجي بن حميد الدين ، وقد ضبط الامر فيها بيد من حديد ، وبالعادل - والرهائن .

ولا عجب ، وتلك طريقة الاستيلاء على الامامة ، اذا كانت الرهائن اساس الملك. لكنه ، ولا ريب ، اساس فاسد ، لا يصلح حتى في ايام الحرب . اجل ، ان الرهائن دمل في حكمهم حضرة الامام ، بل دمل في نفسية اهل السن ، لان الامة التي ترضى في ايام السلم ان يؤخذ ابتائوها رهينة الوفاء والامانة ، وان كانت سليمة العقيدة ، فليست بسليمة في وطنيتها . لسنا نلوم الامام وهو يحكمهم مثل هذه الامة ، واعدائهم يحيطون به من الخارج ومن الداخل شمالاً وغرباً وجنوباً . ومع ان البلاد اليوم في اكثر انحاءها هادئة سائكة ، وسبل التجارة والسفر فيها آمنة فهو دائماً في احتراب ظاهر مع الادريسي ، وفي احتراب خفي مع الشوافع ، وفي احتراب متقطع مع حاشد وبكيل ، وفي احتراب سياسي مع الانكلاز ، وفي احتراب كذلك مع من يدعون حمايتهم من العرب في النواحي التسع حول عدن هؤلاء اعداء الامام ، فضلاً عن السادة اقرانه ، الطامعين بمكانه ليس فراس الامامة ماقراش الوثير ، ولا امل في تلك البلاد بالسلم الدائم والسن والنجاح الا في تزع حق الامامة من السيف ووضع في الشورى الحقيقية ، في المباشرة بالافتراء بموجب السنة وعلى طريقة الصنابة .

لا ينكر ما كان للسن في الماضي ، في عهد اسلاف الامام بجي ، من المجد الاثيل والسيادة الواسعة . وسأعود بالقارىء الى سنة الى الوداء ولا

اكلفه قراءة اكثر من صفحة او صفحتين ، فيها حقيقة الزيدية والامامة او الخلاصة التي تهنا في هذا المقام .

في القرن الثالث للهجرة جاء الى اليمن من العراق السيد يحيى بن الحسين القاسم الرضي يدعو الناس الى المذهب الزيدي . فاقام في صعدة بعلم عنه سنين ودعي الامام . هو رسول الزيدية الاول في اليمن . ولكن الذي اسس الامامة في صعدة هو القاسم بن محمد الذي يتصل به بالزعي المذكور .

بيد انه لا تخلو هذه السليطة من التقطيع لان الشرط الذي ذكرناه - الامامة بالسيف - فتح الباب للحسين والحسيني من السادة والاشراف . فقسمت الزيدية الى ثلاث او اربع فرق ، منها الجارودية نسبة الى ابي جارود زياد بن ابي رباب الذي سمى سرحوبياً . والسرحوب كما قيل شيطان اعشى يسكن البحر . وهذه الفرقة تقول بالنص من النبي على امامة علي وصفاً لا تسمية ، وتختلف والفرق الاخرى في الامام المتخلف . والسلطانية تتبع سليمان بن جبريل وتقول ان الامامة شردى بن الحلق ، الا انها مقيدة بواحد من خيار المسلمين . وهناك امور خفية يختلفون عليها منها سب الخلفيتين الاولين ابي بكر وعمر ، فمنهم من يقول بوجوب السب ، ومنهم من يقول بوجوب الاغضاء . كان اليمن في عهد الائمة الاولين قطراً كبيراً يشتمل على عمان وحضرموت ، ويمتد الى الحجاز ، ويدخل فيه عسير وبقم من تهامة . فالامام شرف الدين بن شمس الدين ٥٩٣٠ هـ الذي مدحه موسى بن يحيى بهران شاعر صنعاء كان من الفاتحين الكبار . والامام المهدي احمد بن حسن استولى على اليمن كله بما فيه عمان وحضرموت . والامام المهدي لدين الله هو الذي اذن للفرنسيين ان يدخلوا عدن والمخا ، وان يؤزروه كذلك في مقره بواهب ، وعقد معهم معاهدة تجارية وولاً . سنة ١٢٠٩ م .

لكن الامامة لم تكن من سلالة واحدة دائماً كما اسلفت القول ولم تكن

دائماً مستقلة . فقد حكم الغرامطة في اليمن وحجة من الزمن قبل محيي الترك ، ثم استولى السلطان سليمان القانوني على بعض الاقطار العربية في اوائل القرن السادس عشر ١٥١٧ م . ومنها عدن وقسم من اليمن . بيد انه ما عثم ان نار اهل اليمن على الترك فاخرجوهم بعد عشرين سنة من البلاد واستمرت الامة مستقلة بعد ذلك اكثر من مئة سنة فتأوا عليها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر شربف الي عريش بتهامة واستقل عن اليمن . سيجي ، ذكر هذه الحوادث في الكلام على الاحديسي . ثم نار عليها احد ملها في حلب فاستولى على عدن واعلن استقلاله وسيجي . ذكر هذه الثورة في كلامنا على سلاطين حلب .

وفي سنة ١٨١٩ عاد الاتراك بقيادة توفيق باشا الى اليمن فقلوا في الحديدة واستولوا على ابي عريش ، وتقدموا الى صنعاء . ولكنهم لم يستولوا عليها ، ولا تمكنوا من الغناء في اليمن الاعلى . الا ان الثورات في تهامة وفي حلب قسمت البلاد ، واضطرت شوكة الامة ، فقام السادة سنة ١٨٧٢ على الامام واستأنوا بالترك فدعاهم الى صنعاء . فجازوا هذه المرة ، ووطدوا في الجبال المالية حكمهم الى حين . لان اهل اليمن الذين يشرون على ساداتهم والسادات الذين يشردون على امامهم لا يزالون الاجنبي طويلاً قتي . سنة ١٨٩١ نهضوا على الترك فحاربوهم واخرجوهم من صنعاء . وكانت تلك الثورة فائحة حروب وفق استمرت ربع قرن ، يوماً تضطرم نارها ، ويوما تهدت تحت الرماد . وعند ما قام عليهم الامام المنصور والد الامام يحيى بمقت الدولة الفريق احمد فيضي باشا لاجاد الثورة ، فتقدم بجندوه الى صنعاء فحاصرها واستولى عليها ، ففتحها الامام المنصور الى صنعاء .

وعند وفاته خلفه ابنه الامام يحيى ، فاعاد سنة ١٩٠٤ السكره على الترك ، فحاصروهم في صنعاء حصاراً دام ستة اشهر - اطعناهم النار والقار - فسلوا بدون شرط . وقد فاز ايضاً الثائرون فوزاً مبيتاً في نواحي البسن الاسفل ،

فقتلوا من الترك في تلك الثورة سبعين مدفأً وكثيراً من الذخيرة والسلاح على ابن احمد فيضي باشا الذي حكان يومئذ في البصرة عاد بخمسين الف من الجنود لتأديب العصاة ، فاستولى ثانية على صنعاء ، ثم تتبع الامام الذي انسحب بجنوده الى شهمه . ولما كان دحر شر دحرة هناك^(١) فقد بعدها اتفاقاً والامام - رقع صلحاً - لم يدم غير بضعة سنين .

ففي سنة ١٩١١ كانت العتاز قد نالت الى الحرب ، فهجست على صنعاء ولما حلت بها تطلبها باسم الامام . ولكنها لم تقدر فوزها في حصار ١٩١٤ - ١٩٠٥ . وكان يومئذ عزت باشا والي اليمن ، وكانت الدولة على اية الحرب مع ايطاليا . فسمي عزت بما كان له من حنكة ، وفصاحة ، وكرم اخلاق الى مصالحة الامام ليسته على الاقل من مخالفة العدو كما فعل بعدئذ السيد الاديبي

وقد كان عزت كريماً جواداً ، فاستغرى العرب بالمال ، واستقال الامام بفصاحته وحذقه . فعقدت مفاوضات ١٩١١ (شوال ١٣٢٧) لمدة عشرين سنين وكان من شروطها ان يعترف الامام بالسيادة التركية ، وتقبل الدولة ان لا يكون في البلاد غير المحاكم الشرعية التي يعين الامام قضاتها . قد تعهدت الدولة كذلك بان تدفع للامام ولرجال السادة ومشايخه حاشد وبكيل مشاهرات مالية مقدارها الفان وخمسة ليرة ذهباً . وبما ان الزيد ، بوجه مذهبهم ، لا يتوجب عليهم دفع الزكاة لغير الامام امامهم كان موقفو الترك يحسمونها باسمه ويقدمونها له بعد حسم اثنين ونصف بالثمة بدل الحياة .

بعد عقد هذه الماهدة ماد الامام يحيى الى الحيد في شهمه ، وظل والأتراك على ولاء ما داموا يدفعون المشاهرات ويحسون له الزكاة . الا انهم لم يتمكنوا من القيام بما تعهدوا به بعد دخولهم في الحرب العظمى ، ومع ذلك فلم يتقلب

عليهم « ولا ساعدتم على الادريسي في تهامة ، ولا على الانكليزي في عدن »
ويظهر ان الانكليزي هناك كانوا قد بدأوا يقاوضونه بطريقة غير رسمية . انضم
الى الاحلاف في الحرب فادخل بطريقة غير رسمية ايضاً ، لان رسوله جاء الى
الحج لا الى عدن ، يطلبهم على احواله ويعتذر . وقد كان يومئذ الكرنل
جاكوب ، صاحب كتاب « ملوك العرب »^(١) المعاون الاول للحاكم في عدن
قد ذكر هذا الخبر في كتابه .^(٢)

الامام يحيى بن حميد الدين هو من سلالة الرسول الزمدي الاول في اليمن
السيد يحيى بن الحسن الرسي . وقد كان والده المنصور مفتي صنعاء ، وذا
نفوذ كبير في عهد الامام شرف الدين . لما توفي الامام انتخب بالاجماع خلفاً
له ودعي بالمنصور . وبعد وفاة المنصور ظموا ابنه يحيى المزاكل على افة بالامامة .
وهو اليوم في السادسة والخمسين من سنه وي « نية والشرع من حكمه ،
قضى اكثرها كما قلت في الاحتراب والمهادنات . لحضرة الامام اربع زوجات
شرعيات جاء منهن اربعة وثلاثون ولداً مات منهم ثمانية عشر ، اما الباقون

(١) من غرائب الاتفاق ان عنوان كتابه الانكليزي « الذي طبع في السنة الماضية
والذي يتعمر موضوعه باليمن وعدير ١٨٤٩ » وعنوان هذا الكتاب واحد . وقد
قال الكرنل جاكوب في صفحة ٢٣٦ من كتابه ان الثورة التي جاء فيها ذكر
ملوك العرب اوسحت اليه العنوان . اما انا فاخذت عنواني من ملوك العرب انفسهم .

(٢) « بعد دخول الاتراك في الحرب في ك ٢ سنة ٩١٥ ادخل الامام رسوله محمد
علي شريف الى الحج ليستطلع مقاصد الانكليزي . وقد تابأت الرسول وكان السلطان
علي سلطان الحج وحليف الانكليزي ، حاضراً . قال الرسول ان الامام لا يخلف مع
الترك وبنيهم اتفاق على هدنة تسمر عشر سنين . مع انهم يريدون ان يدخلوا في
الحرب لم يدفعوا مربيته ومرتبات عشائر حاشد وبكيل . ثم قال ان الاتراك عرضوا
على الامام ان يسمعوا من صنعاء لتكون له السيادة فيها ولكانوا ينجحون من
اليمن كله لو سمع الامان بذلك . فقد اقموا للترك بان انسحابهم من اليمن يفتح
الطريق للانكليزي فيحتلون تلك البلاد » .

ماركس جاكوب في كتابه « ملوك العرب » صفحة ١٥٩

فمنهم محمد سيف الاسلام البكر ، والمظهر ، والقاسم ، والحسين ، وخمس بنات متزوجات .

عندما توفي ابو المنصور سنة ١٩٠٢ قام بعض السادة يطالبون بالامامة ومنهم السيد احمد بن قاسم بن عبد الله بن حميد الدين المعروف بالضعفاني وهو لا يزال حياً . ولكنهم لم يفلحوا . ثم بعد اعلان الهدنة تحركت رحكبات الامام من السودة جنوباً ، وتحرك غيره كذلك يبغي الامامة . وكان في البلاد حزب يقاومه مقاومة شديدة فلجأ زعماءه الى اعدائهم يستنهضونهم على الامام هي عادة في العرب لم تتغير من عهد الامويين في الاندلس حتى اليوم . كتب اعداء الامام الى الملك حسين ، والى الادريسي ، وحتى الى الانكلاز في عدن ، فيمشوا يوفد سافر رجاله سرا اليها عن طريق مأرب سنة ١٩١٩ وقصدتهم السفر الى الطجاز شاكين مستجدين . ولكن الانكلاز لم ياذنوا لهم بالمرور فرجعوا الى بلادهم . قد سمعت من مصادر شتى * يدعش ويضجك من اخبار هذه الفتنة ، واغويها ان الامام يحيى رضى بعض الموظفين الكبار من الانكلاز في عدن ليوثقوا اعداءه اعضاء الوفاة ، فحققوا له ذلك الرغبة .

قد استتب لخصمته الامر بعد ذلك فحسبهم بيد من حديد . وانتفع بين ثلث من ضباط الترك فنظم قسماً من جيشه . وانتفع بمتصواني غساوي فأسس معمل الخرطوش . وانتفع بذهب اجداده فحارب الادريسي وتغلب الزيد على الشوافع مراراً . الا واعداه المجاهدون في سبيل الله يجاريون غيرهم من المجاهدين كذلك في سبيل الله . ان المروءة لياسف على امة عربية محبة ترفع المذهب على الكتاب والسنة ، او بالحري تجعل المذهب وسيلة الى الاستيلاء والسيادة .

الي على يقين ان لو حكم الامام يحيى حكماً مدنياً بحتاً ، حكماً عربياً عانياً لا حكماً زديبياً ، لتسكن من تحقيق مطامعه السياسية . فالشوافع اذ

ذلك يدينون به طائعين راضين ، او انهم يأتون على الاقل ان يكونوا آلة مذهبية
 في يد اعدائه ، اما اليوم فبما قيل في عدله الجلم ، وحله الشامل ، فالشوافع
 في حكمه غير راضين ، والذين في الخيش منهم يجاريون الشوافع اخوانهم
 مكرهين . ومن النظام التي يشكونها انه يجمع الزكاة والاعشار منهم
 بالتخصيص ، كانت تفعل الدولة في الولايات . والعشار مثل الجلاله مكرهه
 في كل بلاد

الفصل السابع

الضرائب والسلاح

المسوء واليتيم - قوة الامام - عزة الدين - نذهب والجسمة والوحشية - الجند النظامي - المجاهدون - العرض يوم الجمعة - اواء اندافق والسائق - معمل الهرملوش - قصر قندان - غنى الامصار - فدهن الكنوز - حكاية السيد الحكومة الى ثلاثة اقسام - وحديثه - العيادة صبة من الله ونحن نهجها الامام - الضرائب - المشور - الزكاة - رسم الحمامك والاولاد - والهجرة يحفظها اليهود - بيت للال - اليوم المتطهر - طليوب العرب -

كنت اجمع الناس في جده يتكلمون عن الحكومة العربية فيذكرون الدين كأنه ولاية من ولاياتها ، وكأن الامام ، وهو العربي الصميم - هك قصيدته في جريدة القبلة - يبني الوحدة التي يشدها الملك حسين ولا يتقبل بغيره زميلاً . وسمعت بعض الناس في عدن يقولون ان بضع طيارات تبدد صفوف الزيد وتشتتهم في الادوية والخيال ، فتسببهم الامام ، ووحدة الاسلام . ولكننا سمنا كذلك كبار قواد الحضرة الامامية الشريفة ، وشاهدنا جنودها النظامية . لا نظن ان عدناً تشاهد ما شاهدناه ، وان الخياط يسمع ما سمعناه ، لان الحقيقة في البلدين مشوهة ، او مملوسة ، او مبهولة .

وهذا ما يؤسف له . فان ملوك العرب وامراءها يؤفون بعضهم عن بعض ، وغدا يعرف بعضهم بعضاً معرفة اليقين . قد يسمع احد المسافرين كلام مثل ابن الوزير ، فيجعله الى الحجاز ، فيظنه الناس هناك كلام الحكومة . وقد يسمع احد رجال الامام المتدلين فيتصور في كلامه صورة لآراء الامام ومقاصده . لا انكر ان شيئاً منها ينعكس في كلام الاثنين . ولكن الامام الكبير ، الكبير ، يستداده ويقصده ويطمعه ، لا يظهر في كلمة بقولها هو . او يقولها احد رجاله .

هو الرجل العالم الحكيم المعتدل - قد سمته يتكلم - ولكن اعماله ، وقد ادهشنا بعضها ، وبعضها راعنا ، قدل على علم يشربه التصب وعلى حكمة تضعها العقيدة . اما محوته الحربية والسياسة فلا تنصرف بالزهد ، لانهم في من يحكم الثالث فقط ^(١) وانما هي في تلك الغزاة التي توجهها العقيدة ، ويثبتها التاريخ ، وتفرزها الجبال . اجل ، ان قوة الامام يحيى لم ي ثلاثه يقدها اهل اليمن ، هي المذهب والجنسية والوحشية ^(٢) وان في نفسه مواهب تتغذى بهذه القوات الثلاث ولا تقف عندها . فهو وان كان التكتّم طبعاً فيه ، صريح الكلمة في مواقف الثقة والاطمئنان . وهو ، وان كان زديدياً ، يقبل هدية من الانكليز ، فيركب السيارة ، ويأذن بتصوير جيشه النظامي . وهو ، وان كان ديمقراطياً في مسلكه الشخصي ، يوجب في تلك الابية السكوية التي يسج بها الى المسجد ، ثم يشاهدها من نافذة قصره مرة كل اسبوع بعد صلاة الجمعة .

قد شاهدنا شراخم من الحند في ماريه واب ويريم ودمار . ولكننا في صنعاء شاهدنا يوم العرض فوقة كاملة تامة بعدتها واجزائها بنوبتها ، بسررتها ، بمشاتها ، بمدفعتها . وكان بعض ضباط الترك يركبون البغال ، وقد علموا ان اليمن ان يخطو خطوة الجندي الالماني الرسمية ، خطوة البط ، Goose-step في حين ان الفرسان يلعبون بالسيف والرمح ويخيلهم ترقص على نغفات الموسيقى . وشاهدنا بين الجنود الزرقاء ثلة في ثياب صفراء ، قيل لنا انهم تلاميذ المدرسة الحربية ، ضباط المستقبل .

(١) يحكم الامام نحو مليونين ونصف مليون من عرب اليمن منهم زعماء مليون ونصف مليون من السنيين الشوافع ، وعشرون ألفاً من اليهود ، والباقي من الزيد .
(٢) اني استعمل هذه اللفظة ، وحشي ، كما يستعملها اهل اليمن فهم يقولون : اهل اليمن وحشون . ويريدون بذلك انهم ينفرون من الغريب .

اما السلاح فعند الامام من البنادق انواعها^(١) ، بعضها محلوب وبعضها مضوم ، وبعضها مشترى من رجال عسج . وان معمل النشك في قصر غمدان^(٢) الذي يديره حرجي النساوي يشغل دائماً ، فيجزر اربعة صناديق كل يوم ، في الصندوق الواحد الف فشكة^(٣) . وقد قيل لي انه يستطيع ان يجند ، حلا الجيش النظامي^(٤) ثلاثة الف من المجاهدين . على ان هذا القول لا يخلو من المبالغة .

في كل حال يحق للامام ان يردد الفسحة الانكليز الحربية الاستعمارية قيمته قائلاً : عندنا المدافع والرجال ، وعندنا فوق ذلك المال . اني اشهد على الاولى والثانية شهادة عني ، وقد سمعت عن الثالثة اخباراً شبيهة باخبار الجن والكنوز المرسودة . فالامام غني ، غني جداً . عنده في كل بيت من بيوته في بحر العرب خزنة من الذهب والفضة . لذلك تسع الحرس في الليل يتبادلون كل ساعة كلمة الامان . وعنده في شهمه ، في قنن الجبال هناك ، كنوز لا يعرف الطريق اليها - واه . واذا اكتشفت الطريق فالجبر الذي هو باب الكثرة لا يعرفه سواه . واذا عرف الجبر فلا يستطيع ان يرفعه احد سواه ، لانه موضوع في شكل سرية ، مفتاحه ، عند الامام . دعنا والكنوز . ان الضرائب والميزانية تشهد ان الحضرة الشريفة غنية ، غنية جداً ، لانها مثل الاكايوس عند النصارى تأخذ ولا تعطى . في ايام الدولة كان

(١) قيل ان عند الامام اربسة الف بندقية . ولكن ، منها ما هو خير صالح اليوم كاطليانية القذبة . وعنده مشا مدفع متنوعة ، منها الجبلية والرشاشة . وقد رأيت يوم العرض مدفعين من طراز الماورن .

(٢) قصر غمدان القديم دُرس والبناء القائم مكانه اليوم يدمى باسمه ويختصرونه في صناء فيقولون القصر . وفيه معمل الخرطوش ، والسكة ، والسجن .

(٣) هم يملكون الرصاص ويستخرجون من ارضهم ملح البارود .

(٤) عدد الجيش النظامي خمسة الاف .

اهل اليمن يدفعون الزكاة فقط ، وكانت المصارف مغلقة عنها . اما اليوم فهم كلهم يدفعون على الاتراك . قد اسحتك شكوى الجندي وشكوى الفلاح . واليك الان بحديث غريب لرجل غريب ، ما عرفته من ثيابه أجندياً هو او فلاحاً او سيداً . فقد كان يلبس فوق ردائه معطفاً افرنجياً من الجوخ ، اكل الدهر عليه وشرب ، وهو في رقاعه وطوله ووسعه وازراراه البيضاء والسوداء آية في الزي والاختراع ، وكان الرجل يشد فوق هذا المعطف الجنبية اي الخنجر ويحمل بدل البندق العصا .

استرقت هذه التباينة المتكثرة نظري فسألت الرجل عن مهنته فقال : مهنة الاجاويد . قلت : زدني علماً . فقال : نعطي ولا نأخذ . فاعتذرت واستغفرت فقال : تريدان بلغة الفتها . قلت : بلغة من فضلك افهمها . فاجاب وهو يبرز رأسه . حياتنا هبة من الله ونحن نهبها الامام . لا زيج ولا نحس . قلت ولكن للبه طرقات واساليب . فقال ضاحكاً وهو يلطم صدره بيده : كلها عندي . انا اصلاً ، كما يقول الفقيه - وماذا يقول الفقيه ؟ - يقول : انا اصلاً واحد امار بالسوء . اما انا فثلاثة وفي صحتهم الخير . نلثي يا افندي شيخ ، ونلثي فلاح ، ونلثي جندي ، والمجموع سيد .

- نعم انا سيد ، وان كان السادة ينسكرون ذلك علي . الثلث الاول خدم الامام فجمع له الزكاة . جمعها بهذه - وهز بيده العصا - جمعها « ظلط » « نقوداً » ، جمعها مالا « مواشي » ، جمعها امشاراً ، وحتى غلواً ، وما اكلت والله ثمرة مما جمعت ، ولا لطخت يدي بنقطة دم من شاة او حمامة . كلها للامام . والثلث الثاني دفع الزكاة . وكنت ادفعها مسروراً مستأنساً ، فلا ارجم المصارف ، ولا اخفي الحمام . دفعت خيرات « كثيراً » وما بقي شيء . بعد خمس سنين من الارض او المال او الظلط . كلها للامام . والثلث الثالث يا افندي ، خاض من اجل الامام ساحات الوغى . وفي شاهدان ، هوذا

الاول ، وذا الثاني - قال ذلك وهو يكشف من صدره ورجله ليريني الجرحين - وما عدت الى بيتي وفي جيبى «مبخشة»^(١) واحدة . لا والله . . .
 خمس ريات ، هذا الرسم ولكن الريال فضة والعين لا ترى القضة . تعقبها بمخشات . ست بمخشات كل يوم - والباقي للامام . وما انى مجاهد حكنت اشترى القات من كيسي ، هم يوزعون القات على « النظام » « المسكر النظامي » القات والبر « الخنطة » . اما المجاهدون فله امرهم وعلى الله - ست بمخشات كل يوم . والظلم غزرون ، غزرون ليوم شديد . . . نقول لحضرة الامام من شروط الامامة السخا . فيقول لنا ، وهو العالم الاكبر : ومن شروط السخا . وضع الحقوق في موضعها ليس بالتبذير . . . الامام رجل كبير عظيم ، ينظر الى المستقبل بعينين . له مقاصد كبيرة . ونحن حكما الامام . نعطيه ، نعطيه ، ولا نأخذ منه الا ما شاء . ان يتفضل به . الحياة هبة من الله ونحن نهبها الامام شاكرين . هذه هي الحقيقة بينك بها هذا السيد . فقد هربت سيداً يا افندي لاني لا اخدم اليوم الامام بغير الكلام .

اما الحقيقة كلها فهي ان الشكوى من الضرائب عامة ، وقليل من ينظر اليها نظر هذا السيد الطريف . فالامام يأخذ من المسلم اعشار الارض ميراً . والخضرات اي الثار - والقات منها - تشمن فيدفع اصحابها الشر نقداً . ثم زكاة المواشي والدواجن و« القراش » « الدواب » وزكاة التجارة والمخازن ثم الزكاة الاصلية^(٢) ومنها الفطرة اي زكاة البدن تدفع في رمضان ، وزكاة الحلي حلي النساء . من ذهب وقضة . وفوق ذلك كله اعانة الجهاد عند الحاجة . اضف الى ذلك الرسم المفروض على اليهود وان كان قليلاً . فاليهود في اليمن

(١) الريال النمساوي يقسم الى ثنتين بخشة ، والمبخشة خمسة ضربت في صنعاء واللبدة الثانية تساوي تسع ريات تساوية تشكون قبة الريال احد عشر قرشاً تركياً وقيمة البخشة ثلاث باورات .

(٢) تبلغ قبة الزكاة الاصلية خمسة الف ريال اي خمسين الف جنيه .

ذميون يدفعون الجزية ، وهي ثلاث درجات : ثلاثة ريالات في السنة على
الفتي ، وريالان على المتوسط ، وريال ونصف ريال على الفقير . فكل هذه
الضرائب تدعى في اليمن زكاة ، الا انهم يقسمون الزكاة قسمين ، ما يدفع
من الجنس وهو العشور ، وما يدفع نقداً .

كل ما يجتمع من العشور والاموال يحفظ في بيت المال الذي له فروع في
كل الاقضية . وفي هذه الفروع اي المستوطنات دائماً كثير من الجيوب والبن
وغيرها من لوازم المعيشة ، التي لا يصرف شيء منها الا باس من الامام . على
ان من حشرات بيت المال انه يقرض المحتاجين مما فيه ويستوفي الدين منهم
من الموسم الجديد دون فائدة ، وهي في اليمن متنوعة اطلاقاً ، في التجارة وفي
المعاملات كلها ، متنوعة شرعاً وعملاً .

وما سوى القرض فلا يتفق من بيت المال الا القليل ، لان عند الامام
مصدر خراج آخر هو الجرك ورسم القوافل . فكل ما يدخل الى صنعاء من
عدن او من المدينة اليوم يدفع رسماً معلوماً . وكذلك كل جبل وكل دابة
محملة ، فمن هذه الرسوم يتفق الامام على حكومته . اما بيت المال فلا تجسه
يد حائلة او ائيمة . كل ما فيه مذكور يعون الله ، وبفضل الامام والرهان ،
مذكور لليوم المتفق . فليوم العرب الامام ، المان العرب الزيد .

الفصل الثامن

السمائل القدسية

خادم لا يحميه شيء - شهادة في الامار - رآه جالساً تحت الشجرة يقضي في الناس - دعوا الضمير ياتون الي - (التناقض في سلوك - التقيد من المألوس في الصلاة للناس - صيف يقضي الامار يومه - مكتبة من المخطوطات - مكتب الاكليل - لا يقيم الله ملكاً يدخل عليه من هو اعلى منه - المدارس - العساكر والقراء والمعلمة - ذكرا الاولاد - حب الطير والحرب - الامام الاميراطور - الامام البلييب - الكرامات والتفويض -

كان للرفيق قسطنطين خادم مدني وهو ولد مغربي نشأ في كنف الاشراف بسكة ، فاكسب غير المشاكسة والمكابرة ، وما كان رأس ماله في الحياة غير رأس من حديد ولسان ذي حدين . استصعبه الرفيق ، فكان اضحوخة الطريق ، وعجوبة الحمار والضيق . وكان الاقدار تحسن الامثال ، فكان ينطبق على المدني ومطية - بغلة كانت او ناقة او حاراً - المثل المشهور : شبه الشخص منجذب اليه - كم رهلة روعتنا واضمحكتنا مآ ، والمطية فيها تضرب بقوائها الهواء ، والمدني ينقلع برأسه الارض ، ثم ينهض كالجن ضاحكاً ، وان غلظة في فم الامانة ، ويروح راسياً فوق احواله كانه سيد السادات . ولد لا يعرف التوبة ، ولا يحسن من الكلام ومن الظنون الا اسوأها . فما وافق احداً الا شاكسه في الساعة الثانية بعد اللقاء ، وجاء يتحفنا بمعلوماته عنه ويجذوفاً منه .

ولما دخلنا الى صنعاء فاز المدني قبلنا برؤية المدينة ، فراح يطوف فيها ، وما د لسانه على غير عادته بقطر عملاً من عمل الالفاظ ، وعينه تبحران استهجا . سبحان الله . لقد اعجبت المدينة المدني ، تفضلها حتى على جده . فقلت : افلا تفضلها على مكة كذلك ؟ فقال : لا والله . فسأته عن السبب ، فاجاب :

في مكة امي . وهذه ، اي حبه امه واحترامها ، هي بعد الامانة ، فضيلة الولد الوحيدة . قلت انه نقاد ونقاد ، لا ينبغي احد من لسانه ومن فاهه . ولكنه جاء ذات يوم وهو عائد من المدينة يقول : رأيت الامام ، والله وامي ، وقبلت يده .

— أين رأيته ؟

— هو جالس الان في الساحة ، وحوله الرجال والنساء والاولاد . ولما رأيته قال : حي الله الجاي . وقام من كرسيه ، والله وامي ، وامطاني يده فقبلتهما . وسألني عن امي وقال : اسلمت انت ام مسيحي . فقلت : مسلم والحمد لله . فقال : يارك الله فيك . هو حياني ، والله وامي ، قبل ان حييته . ما رأيته احسن منه ، والطف منه ، رجل متواضع كريم الاخلاق — والعدل ! وامي لا افطن ان في البلاد العربية من هو اعدل منه . هو جالس الان في الساحة يسمع شكاوي الناس . وكلهم رجال وفناء واولاد ينادون : يا امام ، يا امام ، يا حضرة الامام . جاء وانا واقف جنبه ولد يبكي . فقال للناس : امسحوا له ، قريوه مني . دموعه افصح من الافصح فيكم واصدق . تعال يا بني . وامي ، ما تقول غير الصدق . لا افطن ان في البلاد العربية كلها احسن من هذا الامام .

وهذا اجل ما فاه به المدني في الرحلة كلها . على اننا نضرب صفحا عن رأيه وننظر في ما تضمنته حديثه من الحقائق . قد حياه الامام عند ما رآه قادما وقام له . وهو يعرف انه خادمنا ، ولكنه يجهل ما اذا كان مسلما او مسيحيا . هذا جميل منه . ولكننا تساءلنا ما السر يا ترى في ما تناقض من سلوكه . ينهض لخادمنا ويستقبلنا جالسا . والسر لا يزال سرا ترفه الى القاري . ونسأل له التوفيق في اكتشافه واكتناحه .

اما الحقيقة الثانية فهي انه قدم شكوى الاولاد ، ومنهم الولد الباكي ،

على شكاوي الرجال والنساء . وهذه بذاتها ثناء على الامام لا يقارنه في النطق ثناء . نذكرها اجلالاً لما كتبه حازرين . ان امر هذا العربي الياني الشريف الغريب . يشبه المسيح بالرجل المسحاء ، ويشبه المسيح في عطفه وحنانه ، دعوا الصغار يأتون الي . من فم مسلم زبدي تساقط دور حيك ، وفي اليمن يسمع صدى كلماتك ، ايها السيد الكبير الاوحد ، ايها الناصري العظيم . فما اصغر من يقيم الحدود ، ويحصر الحقيقة بالنصارى والزبور .

قد رأيت بعيني ما يثبت رواية الخادم مدني ، بل رأيت حضرة الامام وهو يجلس ساعة وساعتين كل يوم دون تأفف وتذمر ، فيسمع شكاوي الناس واعياً صابراً ، طالق الحياء ، عطوفاً شقيقاً ، فيقضي بينهم في بعضها ويجبل البعض الاخر على المحكمة الشرعية .

اما القصد من الجلوس في القلاة فهو يدل على رغبة الامام الشديدة في تعمير العدل والانصاف . قد علمت ان الحجاب في بابه يردون احياناً من ينبغي ان نسمع دعواه ، او تقدم على دموى سواء . وقد يرتشون ويظلمون فيمكن من السر لا تصل اليه يد العدل والتأديب . فيجلس الامام حيث لا حاجب بينه وبين الناس . اثنا هي عادته كل يوم صباحاً عندما يخرج من قصره الى الديوان . يجلس في الساحة عند الباب ، او تحت الشجرة في الحوش ، ويقف وراءه جندي حاملاً السيف ، وآخر الى جنبه حاملاً المظلة . فينتح الحليسة التي تستمر من الساعة الى الساعتين . ثم بطوف في المدينة مصحوباً ببعض الموظفين والجنود وبين ش . من الناس . ثم يصلي صلاة الظهر ويرجع الى القصر راكباً في مركب رسمي تتقدمه التربة ، وتعلو فيه اصوات الجنود وهم يمشدون الزامل . وبعد الغذاء والقبولة يجي . الى الديوان فيستقل حتى صلاة المغرب وهو بأكمل اثناء هذه المدة او بالحري « يجزون » القات ، بل يظل في بعض الاحايين حتى الساعة العاشرة مساء في الديوان قائماً بما تقتضيه شؤون الامامة والرعية .

اما يوم الجمعة فيقتضيه في الصلاة والمطالعة . وقد قيل لي ان عنده مكتبة من المخطوطات لا مثيل لها في البلاد العربية حكاها . على انه يثار عليها من عيون الناس وايديهم « وخصوصاً الاجانب منهم . فقد أحببت - واني اروي حديث المكتبة كما رويت حديث الكنوز - ان كتاب الاكليل^(١) كاملاً بعشرة اجزائه موجود في مكتبة الحضرة الامامية . وانه سيطلع ان شاء الله عندما تصل الطباعة الى اليمن في سياحتها العربية البطيئة وقستقر في صنعاء . ان للامام يحيى رأياً في العلم والمثلك جيلاً . هو من اكبر العلماء والمجتهدين ، وعنده انه ينبغي ان يكون كذلك كل من تشرفه الامامة وترفعه الى سدة الملك . وصحيح لا وهو القائل : قُبِحَ الله ملكاً يدخل عليه من هو اعلم منه . فاذا لم يكن هو اكبر العلماء اليوم فلا شك انه ابدعهم نظراً « واشدهم حمة ، وادقهم اجتهاداً^(٢) » وقد قال لي احد السادة انه خلاصة الخلاصة .

ولكنه في حبه العلم لا يجب على ما يظهر تعميته . لم تر مدرسة واحدة في المدن والقرى التي مردتها . اما عذر الامام في ذلك فهو انه منذ تولى الحكم وهو واعداؤه في احقواب . فكيف له ان يتم بالمدارس ؟ ولكن

(١) كتاب الاكليل للحسين بن احمد المسداني . لم اذ منه غير جزء واحد . وهو كتاب مخافد اليمن ومساندا ووفياها ومرآة حير في حرة اجزاء . الاول : اصول الانساب . الثاني : نسب ولد المسيح بن حير . الثالث : فضائل فطحان . الرابع : السيرة النبوية الى عهد تبع بن ابي كريب . الخامس : من اول ايام اسد تبع الى ايام ذي النواس . السادس : في السيرة الاخيرة الى الاسلام . السابع : في التنبيه على الاخبار الباطلة والحكايات المتعجلة . الثامن : ذكر قصور حير ومدانها ودقائنها وما حفظ من شعر عطفة بن ذي جند . التاسع : امثال وحكم باللسان الحسيري . العاشر : في حادف حدان وحاشد وبكيل .

(٢) الاجتهاد هو تقدير او تأويل او شرح بعض الاحكام في فروغ لا في اصل الدين ؛ تلك الفروع التي ليس لها في القرآن وثلاثة تصورات صريحة . والامام يحيى يبرج الاحكام على اصول اجتهاد الامام زيد ابن علي بن زين العابدين وفي بعض الاحايين على اصول الامام احمد بن حنبل .

اهل اليمن يهتمون كل الاهتمام بالمساجد وبالصلاة وبالقات ، فلو انصرفوا ، لو احسنوا الى انفسهم ، لساوروا في الاقل بين التعليم والتدين .
لما ما يتلقته الاولاد في المساجد فينحصر بالقرآن واللغة والفقه . لكن الفقه لا يدرسه هناك غالباً الا من هم من السادة . وليس الفقيه دائماً فقيهاً . الفقيه هناك مثل معلم الاولاد عندنا وغالباً تكون مهنته ان يعلم القرآن واللغة فقط . ومن هذه الجهة يقيم اهل اليمن الى ثلاث طبقات ، العلماء ، الفقهاء ، ويدعون بالقراء ، والعامه . ويقدم العلماء قسيتين ، قسم يتولى امر التسليم والارشاد واكثرهم من الفقهاء ، والقسم الثاني هم اهل الحل والمقد ، هم السادة ويبدعهم مقاليد الاحكام الشرعية والسياسية والمسكوية . اما العامة فهم الذين يعلمهم القراء الكتاب وشباً من اللغة ، ويطعمهم السادة الطاعة والمحافظة على كل ما فيه تعزيز سيادتهم في البلاد . لذلك تراهم يكرهون السيد ويسخرون من الفقيه .

حدثت ذات يوم ولداً ذكياً ، وما اكثر الذكاء في الاولاد هناك ولكنه كالارض الطيبة غير المزروعة ، فسأته ما اذا كان يشتغل « اي يجب » السفر . فقال : عندنا والحمد لله ما يضربنا عنه . فقلت : ولكن الاسفار تنفعه وتنفعه . فقال : الذي عندنا يكفي لما شئنا فقط . فسأته كيف يبدل الزيادة لو كانت . فاجاب : والله يا سيدي انا احب المدارس ، كان عندنا في ايام الاتراك مدارس منتظمة يملكون فيها الجغرافية والحساب . وكانوا يعطوننا الكتب والالواح والورق والحبر والاقلام والدفاتر والطباشير - كل شيء ، وكله مجاناً . والله يا سيدي انا محزون . لا مدارس اليوم عندنا ولا معلم غير الفقيه . والفقيه سفيه ، لا يجب التعليم ، ويأخذ مع ذلك ثمانية ريال في الشهر ، ويقيم في المسجد والكتاب بيده . والورق والحبر والكتب ذهبت مع الاتراك . فلو كان متدي مال زائد كنت افتح مدرسة ، واعزل الفقيه ، واجلب الكتب والدفاتر والورق والالواح والطباشير واوزعها على الاولاد مجاناً .

- ولماذا لا يفتح الامام المدارس ؟ الامام غني .
- بلى ، ولكنه . . . سكت الولد ومد يده مقبوضة . ثم قال : فمت ؟
- وهل عند الامام كتب ؟
- خيرات ، خيرات .
- وهل هو عالم كبير كما يقولون ؟
- انتهى ان يكون لي هذا القدر - وهو يضم اصابعه بمعناها الى بعض - من علمه .
- او لا تحب ان تكون جندياً ؟
- بلى ، ولكن بعد ان احصل العلم احل البندق .
- وماذا ينفع العلم اذا كنت تظل راعياً في الحرب وفي تقتيل اخوانك ؟
- العرب كلهم من بطن واحد ، والمسلمون اخوان .
- صدقت ولكن حضرة الامام اعلم منا . فاذا قال : الحرب ثم فالى الحرب . كلنا نحارب من اجل الامام . وهو اعلم الناس بكتاب الله والسنة وبما يجب على المسلمين . قد امرنا الله بالجهاد . . .
- اعاد حديث الولد الى ذهني وجه الشبه بين هذا الشعب اليامي وبين ذاك الشعب الذي قام في اوروبا منذ عشر سنوات يثبي امر امبراطوره بتأديب العالم ويسط السيادة الالمانية على اوروبا كلها . وكلمة الامام اليوم مثل كلمة ذاك الامبراطور بالامس ، تكاد تكون متزنة في نظر رعيته .
- ان الامام يحيى اذن رب الحرب والاجتهاد ، رب السيف والعلم . هو الزعيم الاول والمعلم الاكبر في اليمن . وهو القاضي العادل الشفيق يجلس في القفلة كي لا يقف احد بينه وبين المظلوم . قد علمت ذلك ايها القارىء ولم تعلم بعد ان الحضرة الشريفة تارس كذلك الطيب الحديث . تدأوي المريض

بالإيمان وتشفيه بالصلوات . أجل ان الامام هو الطبيب الاكبر بل هو الطبيب
الواحد في الين .

انجني احد الذين عاجلهم انه كان مصاباً بداء الصرع وكان في رأسه
اهتزاز دائم ، فاخذ الحشايش التي وصفها له بعض البدو ، واكتوى ، واحتجم
ونزل في رأسه الصرع والاهتزاز . فجا ، الى الامام ضارعاً مستشفياً . فلباه
الامام . أخذ الكتاب فقرأ بضع صفحات فيه . ثم تناول ورقة وكتب فيها
آية من آياته الكريمة ووضعها في كأس من الماء . وحركها وهو يتلو الآيات .
ثم اعطاه الكأس قائلاً : اشرب باسم الله . فشرب المريض الماء . فقال الامام :
اذهب في شأنك ، قد شفيت بأذن الله . وهذه قصة واحدة في الكرامات
من شر سماتها .

اما التشوير^(١) وحضرته القدسية تشوّر ايضاً ، فاليك مثل واحد منها .
جاء ذات يوم بعض العربان شاحكين نافرين ، فتعهم عنه ، فوقفوا في الساحة
تحت النافذة يادون ويبددون الامام . فاطل حضرته عليهم وأنهم فثارت
في رأس واحد منهم النخوة بل الثقة العربية فاطلق بندقيته . فقال الامام :
رصاصك بين عينيك قبل ان تقرب هذه الشمس . وعاد الى مجلسه ، الى
فراش الملك مطمئناً . وراح العربان الى المدينة وهم يصيحون ويستغفرون .
ولكن الذي اطلق بندقيته تحلف عنهم فجعل عند بوابة صفا . يستريح والبندقية
بين يديه ، وفما تحت انفه . نصس الرجل وفام ، ثم تحرك حركة المنقبط ،
فأطلقت البندقية عرضاً ، فاصابه الرصاصة في جبينه ، بين عينيه ! وكان ذلك
قبل غروب الشمس !

(١) التشوير ، مثل « العين » ، يصيبك منه الشر المقصود دون تحديد . ولكن في
هذه الحادثة حدد الامام الوقت والمكان ، فكان ما شوّر بل تنبأ به . وقوة التشوير
عند العرب تنحصر بالسادة الاشراف .

الفصل التاسع

الحو ينجلي

فوائد السفر البطلي - حصون أهل اليمن الثلاثة - ضعف الزيد - القرون الثلاثة
 للهجرة - العزلة والتسلية - جو القلتون ينجلي - زبارة الامام - جدية غطوس -
 خور اليمن في البحر لا في الحرب - « انكسروا البلاد فتجارة » - الالكابر -
 الاقوي - خطبة الرقيق الحربية - المنور ويور - عدن والاجانب فيها - مسلوب
 الامام الصنوبر علي الاسلام احمد بن يحيى الكبي - بداية الخيام حبات - رمضان -
 ابطال السيد احمد - تحفه بالقرواني ولهجرة .

من فوائد السفر البطلي - على ما فيه من مشقة وعناء انه يمكن طالب العلم
 من الاستقصاء والدرس والاكتشاف . كنا في طريقنا من حج الى صنعاء
 سؤالا متجماً « سؤالا حياً متحركاً ، اذا اذن لنا بالاستراحة . وحسبنا في
 بعض الاماكن ان نقف ساحتين صابرين . فبيعتنا صاحب الامام مادحاً ،
 ويحينا هادوا الامام قاضحاً . فضلاً عن الفلاحين والجنود ، وقد ضمهم البؤس
 والفقر فيجيتوننا شاكين ومتوجعين همساً با نقيه من المعامات . فوصلنا الى
 صنعاء وعدنا « خيرات » من اخبار الامام واليمن والزيد . قد دونت بعضها
 في الفصول السابقة ، واقول الان تمهيداً وافادة انها تتفرع الى فرعين ، الاول
 وفيه تظهر قوة الزيد الطليعية ، والثاني وفيه ضعفهم السكامن في تلك القوة .
 اما هذا الضعف فله في حياتهم الاجتماعية مظاهر شتى كلها قديمة .

قد علمت بما تقدم ان الامام هو الزيد ، وان قوته وقوى تلك الامة
 تنحصر في ثلاثة - ثلاثة حدود - هي المذهب والجنسية والوحشية اي
 الاعتزال . اما المذهب فلا رأي لي فيه . واما الجنسية فالمدارس توسع نطاقها
 لتشمل في المستقبل - القريب ان شاء الله - ويرع العرب كلها . ولكننا
 الوحشية ، اي المنور من القريب والتزوع الى الغزاة ، تؤثر في السائح اشد

التأنيب واسره . وهي مع ذلك اول الحصون القضي عليها ، لانها لا تقوى في هذه الايام على تيار العلم والتجارة ذلك التيار الذي يقرب الشعوب بواسطة البرق والبخار بعضها من بعض .

اما ضعف الزيد فقي جهلهم الكثيف وتقهقرهم ، لا بالنسبة الى الاوروبيين بل بالنسبة الى المصريين والسوريين حتي والمراقين . كأنك في السباحة في تلك البلاد السعيدة قولا وتقليداً تمرّد فجأة الى القرن الثالث للهجرة . لا مدارس ، ولا جرائد ، ولا مطابع ، ولا ادوية ، ولا اطباء ، ولا مستشفيات في اليمن . ان الامام أكمل شيء . هو المعلم والطبيب والمحامي والكاهن . هو الاب الاكبر ولا اظن ان في اليمن من يقوم مقامه اليوم لو فاجأته لا مبع الله المتون . على انه ، وان حافظ كآلاب الرذوف على ارواح ابيهاته ، وعلى صحتهم ، فقد اهل عقولهم اعمالا محزناً مفعجاً . وهوذا التقص في حكم الامام .

ان في العزلة قوة نأسف على دوامها . ولكننا نأسف كذلك على زوالها اذا كان التعليم الوطني لا يحل محلها ، فيكون فيه لاهل اليمن قوة جديدة تضاعف ما فقدوه . ولا بد مع التعليم من تحيين الصلاة وتمكينها بين الحاضرة والامامية وسائر ملوك العرب ، ولا سيما من يحكمون الشطر الغربي من شبه الجزيرة . اضعف الى ذلك تسهيل المواصلات التجارية والاقتصادية بين اليمن وعدن ، وهي من الامور الجوهرية التي لا تم الا بتولاء الانكليز والاتفاق معهم على ما فيه مصلحة البلاد وشي . من المصالح المشتركة .

اثنا عشر يوماً في الطريق واسوع في الاسر انضجعت في هذه العقيدة وحضتها بالمشاهدات وبالمقول . فدخلت صنعاء وقابلت الامام وهي متأصلة في متمسكة مني ، بيد اني جئت اليمن ولا رأي ولا عقيدة لي في رجاله وفي شؤونهم ، فلو انهم كل المصريين او كالمراقين على الاقل لكان حديثي مع حضرة الامام غير ما سئع ايام القارىء العزيز .

وهناك مشكلة هي في نظر الامام اهم من المدارس ، واهم من المأهدة مع ملك الحجاز ، واهم من سلكك الحديد والامتيازات . الا وهي مشكلة جديدة . الجديدة الا ينال الامام سيدياً مطبناً ما دامت ، وهي ميناء صناعي ، في يد الادريسي والآنكلير . سبسط قضيتها ، وهي قضية اليمن السياسية الكبرى اليوم ، في الفصل التالي . اما الآن وقد اطمان بال الامام في تشبه صدق دعوتنا وحسن قصدنا فانقسمت غيات الظنون والشبهات ، انجلي الجوار فانفتح في اليوم السابع من الاسر باب الفرج والسرور .

ولا نسل ايها القاري . حكم كان ذا السرور عندما دخل احد الحجاب يشرنا بقدم الحضرة الشريفة . جاء الامام يزورنا في منزلنا ، ولحده نزيل الشكوك من قلوب عباده . دخل يحمل السيف وظل من رافقه من الحرس في الوراق . هو يلبس ثياباً قطنية من دسج اليمن وليس ما يلبس من احد السادة غير الهامة شكلاً لا لوناً وذكرايتها الطويلة . وسادات اليمن مثل اشراف الحجاز وتجارة يلبسون البيا الاجربة والاحذية لا النعال . بادرت انا والرفيق الى الباب فاستقبل الزائر العظيم ، ودخلنا وراءه فامر ان يجلس على اندويان وجلس هو امامي على كرسي ، وسيفه بين يديه .

اما الحديث فانقله من يوميني وقد كتبت خلاصته ثواب بعد المقابلة . فما انكملت على الذاكرة انتدب ولا أتصكل عليها الآن . لييقن القاري . اذن صدق الرواية .

قلت : لست باجني يا حضرة الامام ، بل انا منكم ، من العرب . ولا ينجذع من كان يجيد القوس مثلكم . انظروا الي . ان قصتي حكايا في وجهي . فاذا رأيتم ما يريكم ، او ظننتم في شيئاً من التليس ، فروني فاسكت واعود غداً حيث اتيت .

فاعتذر حضرته عن التأخر بما لديه من كثير الاشغال ، واعاد الكلمة

التي وقفنا عندها في المقابلة الاولى عندما دخل الزائرون - هل عندكم كلام مضبوط ؟ فقلت : غير ما توجيه الوطنية العربية وثبتته المشاهدة لا نسمعكم ان شاء الله . ولكن قبل ان افيض بالكلام اؤكد لمولاي ان لا علاقة لي بالثقة مع الانكليز ، ولا علاقة سياسية او تجارية مع امريكا ، ولست امثل رسمياً الملك حسين . انا متدوب نفسي ، رسولي فكرة هي بنت علمي ووطنيتي . اما قسطنطين فهو رفيقي بصفة ملازم في الجيش الحجازي . وها هنا اعدت ما قلته في المقابلة الاولى عن الغرض من سياحتي ، ثم قلت : هذه بالاختصار خطتي في السفر . فاذا ساعدتوني في تحقيقها تغززون يا مولاي مصلحتكم . ما شك احد حتى الان في حبي للعرب واخلاصي لهم . ولا اظن مولاي وانا اصاوره كل المصارحة بشك في ما اقول .

فاعاد حضرته الاعتذار واكد انه مطلق البال لا يخافه شيء . من الرب في حسن قصدها . ثم قال : واسمعي الان بيت القصيد . فقلت : هما بيتان . الاول ان تفتقروا والانكليز والثاني ان تمقدوا معاهدة مع ملك الحجاز . ينبغي لكم يا مولاي ان تفتقروا البلاد للتجارة وللسياح . لان اليمن لا يحيا ولا ينجح اذا كان لا يتصل بالعالم خارج اليمن انصلاً حديثاً . فلو عقدتم مع الانكليز معاهدة تجارية ولائية دون ان تمس استقلال اليمن بشيء او تقيد بشيء . سيادتكم الثامة ، يكون لكم فيها الفائدة الكبرى . واذا علم الانكليز بانكم عقدتم معاهدة مع ملك الحجاز وانكم اتحدتم لتعزيز شؤون البلادين ومصالحهم المشتركة ، يتسامحون في بنود المعاهدة معكم رغبة في عقدها . سأجنب في ما اقول التعميم . اني اظن يا مولاي ان اتحادكم والحجاز يساعد في حل مشكل الحديدة على طريقة ترضيكم . بل اعتقد ان الحديدة ، وهي ميناء صناء التاريجية والطبيعية ، تماد اليكم اذا استعنتم عن السيف بالسياسة . استروا في مقاضاتكم والانكليز اذن واعقدوا المعاهدة او التحالف مع الملك حسين . ولا ينبغي على مولاي انه اذا

فتحتم بلادكم للتجارة ، وهي من اسس العمران ، فينبغي ان يكون لكم
 قوة تحافظون بها على استقلالكم وقوميتكم ، بل على سيادتكم التامة ،
 محافظتكم على الامن والسلم في البلاد . واما عزلتكم اليوم ، فاذا دامت ،
 تنلش في قواكم . انكم تفضلون اموالكم وحياة رجالكم في الحروب
 الدائمة وفي الامتدادات الحربية التي هي شر من الحرب . ان عندكم اليوم
 قوة مسلحة يامولاي وهذا لا يكفي فالامة تحتاج الى ثياب تقيها من البرد ،
 وإلى تعليم يقيها من الجهل والامراض ، وإلى تجارة تقيها من الفقر والشقاء .
 ولا تنال ذلك الا بالسلم والعلم وبسائطها الحديثة . لست بمن يدعون الى
 حرب بين الشرق والغرب ويستبشرون بها ، بل من مبادئي وآمالي ان تتحسن
 العلاقات بين البلادين ، وان تكون المودة الوثقى عروة تقام وولا . بين
 اوربا وبين العرب على الاقل . واني اشتهي ان تكون البلاد العربية مستقلة
 استقلالاً سياسياً تاماً . ولكني اثار عليها من الجهل يامولاي كما اثار عليها
 من دسائس السياسة الاجنبية . وما السبيل الى التخلص من الاثنين ؟ ■
 السبيل القويم في اتحادنا يامولاي ، في اتحاد ملوك العرب وامراتها اتحاداً لا
 يقدر بسيادة كل منهم ، ولا يحجب باستقلالهم المركزي التاريخي . اضفتم
 انفسكم بالحروب قتلتم البلاد بالحروب . انما حان لكم ان تجربوا طريقة
 اخرى ، طريقة السلم ، الولاء والاخاء والتفاهم والتحالف ؟ بل فيها الحياة
 والعمران والعزة القومية .

كان الامام وهو مطرق يصغي لما اقول ، ويبرز رأسه مبتدأ من حين الى
 حين ابتسامة فيها دهش وفيها استعجاب . ولما وقفت منذ هذا الحد رفع
 رأسه وقال : كلامك مضبوط . ولكن الاذريعي حليف الانكليز وعدونا ، يأخذ
 منهم المال والسلاح ويحاربنا بها . وهو بيننا وبين الحجاز ، هو المانع الحاضر .
 -- هو ينضم اليكم عندما تتحدون . لا يقف الضيف عدواً بين قوين .

- ولكن الانكليز يساعدونه .

- الانكليز يا مولاي لا يشرون على مساعدة الضيف اذا استقرى
خصه الى حذر ادعوك اليه - الى حد فيه تم المخالفة البانية الحجازية . فهم
اذ ذاك يعجزون سياستهم او يعدلونها ويسعون في عقد معاهدة ولا . وتجارة
مكسبهم كلهم . واي ضرر يا ترى في اتحاد الحجاز واليمن وعمير ، وفي
عقد معاهدة ولانية تجارية بينها وبين بريطانيا العظمى ؟ اما الحديدية فتعادل
اذ ذاك اليكهم ويسترضي الانكليز صديقهم الادريسي با فيه توسيع حدوده
شمالاً او شرقاً في الجبال . لان بلاده اليوم ان هي الا اساكل متعددة . فهو
لا يحتاج الى اسككة اخرى وعنده الحجة وجيادي وجيذان والتدبير ، بل
يحتاج الى ارض خصبة وبلاد في الداخلية تساعد على تصدير الاساكل . اذا تم
اتحادكم سهل اذ ذاك تحديد الحدود بين الاقطار الثلاثة .

نقال الامام : ناهي . نحن لا نعادي الانكليز بالرغم من سياستهم .
وقد عهدنا الى وكيلنا المرثي بعدن ان يفاوضهم ولكن لم تشر المفاوضات
مرة حتى الان . هم ياطلون ويسرفون ونحن صابرون .

- لا يسرفون اذا عقدت المعاهدة بينكم وبين الحجاز وعمير بها .

وكان قد نفذ صبر القسطنطين وهو يتعذر للكلام ، فقال مخاطباً الامام :
بل يمدون الحديدية اليكم . واذا ابوا فذعن اذ ذاك تضرب الادريسي من
التيال ، وانتم تضربونه من الجنوب ، فتأخذون الحديدية منه كرهاً وتزغرونه
فيضطر اذ ذاك ان ينضم الى المخالفة .

لم يقف القسطنطين عند هذا الحد بالرغم عن اشارتي وتحذيري السابق
بل اضمن في موضوعه الخاص المحبوب « فشرع يخطب خطبة عربية - اذ فيها
صليل السلاح الحديدية واصرات الطيارات . فخفت منها على بناء السلام الذي
ابنيه . وقد تأثرت من لهجة الرفيق وتهوره ، واعدت بعدئذ عليه ما طامأ قلبه

في مواقف شتى . وهو اني رسول الله لا رسول حرب او ثورة في البلاد العربية . وقد جئتها مبشراً بالعلم والتدين ، لا بالوحدة العربية وحدود ابن عباس كما يفهمونها في الحجاز .

لا واقه . ما جئت لانصر جهلاً مسلحاً واعزز نعصباً يفتخر بوحشية .
 نبني اطرية والانتقال ، نعم ، ولحكتنا نبني المدارس ايضاً والطباعة
 والمستشفيات ، ونبني الثقافة في المعيشة وفي اللبس وفي البيوت وفي المدن .

ان حضرة الامام بعيد النظر ناقب الفكرة ، طويل الامة . فها كان
 من صياح امراء جيشه وتبعهم - ثقتهم عدن - دعنا توحف على عدن
 فتأخذها بعشرة ايام ! - فهو يدور في جادة الثورة والحصافة . وقد احسنت
 بميله الى السلم اكيد بالزعم عن استمداداته الحربية كلها . على انه كما
 قلت طامح بحلم حلاً سياسياً يهراً ، ويعد لتحقيق المدات ، ويجمع الاموال ،
 الذهب والفضة ، ويخزنها لذلك اليوم العظيم . وان امد مرقده ولا شك في
 حله ، وعلماً في محيط علمه ، كيف لا وقد كانت في الماضي زينة بلاده ،
 وهدرة في تاج اعداده . انما هو يعلم ما يفتضه من العقبات . ولكنه لا يعلم
 على ما اظن ما الامة الشرقية والعربية في عدن اليوم من المصالح التجارية
 والمالية ، وقد اصبحت من اهم مراكز الاتصال بين الشرق والغرب . سالت
 احد السادة العلماء : في عدن كم كثير من الاجانب ، فكيف تعاملونهم اذا
 اخذتموها . فاجاب بياضته ، يدفعون مثل اليهود الجزية ! ولكن حضرة
 الامام : وهو الرفيع الخلق الواسع الرحاب ، يسمع كلام السادة وامراء
 الجيش ويخرج الى الساحة ليمسح شكاوي الناس .

وكأنه ممناً نثن ، مع النفس الصامتة تشكو الاسر ، فأذن لنا في ختام
 تلك الجلسة بالتطواف والتمتع ، وكان يرسل الحيل احياناً لهذه القاية فرافقنا
 بعض الجنود حيث نشاء . بيد اننا ، وان حكمتنا قد مرورنا بهذا التمتع

الامامي، عدنا بعد بضعة ايام مرت دون كلمة او اشارة من حضرته الى الريب المولم والظنون. وقد كان ظني، سامعي الله، ان القسطنطين افسد علينا الامر في خطبته الحربية، واقتدنا ما احرزناه من نقه الامام. وما زاد في الطين بلة ان الرقيق، ونحن في تلك الحال، شرع ينظم القصائد في مدح الحضرة الشريفة وفي مدح سيفها ومقلتها وقصورها الخ. فرحت انا ابحت في المدينة عن تزيات لسم الجوع والقنوط.

ان حياتنا في صنعاء في الايام الشرة الاولى كانت والحق يقال كادوار من الحمى بتغلغلها فترات نغم قصيرات. ولم تشف الشفاء. التام الا بعد ان زارنا ذات ليلة سيد من السادة يحمل رسالة كانت فيها والحمد لله خاتمة الكرب. دخل حضرة السيد يتقدمه جندي وجلس على الديوان بين الرقيقين يحدثنا بحال صنعاء الذي يفوق بهاء مصر وجلال الاستانة. ثم انتقل الى عاصمة بني عثمان فعرفنا انه كان نائباً من نواب اليمن في مجلس المبعوثان. ثم الى مصر التي اقام فيها مدة يعالج السياسة ويضم التسم ثم الى جزيرة رودس فعرفنا انه كان فيها اسيراً. وبعد هذه السياحة التي انحف السائحين بانخبارها تهيداً وتعباً، رفع البعثة عن رأسه واخرج من احدى طلياتها رسالة من الحضرة الشريفة، بل خطأ امامياً، انبأت بان السيد احمد بن يحيى الكبسي هو مندوب تلك الحضرة الينا ومعهدها في الماوضات بشأن المعاهدة. وقد خط الامام الخط بيده، بالمر الارجواني على طريقته الخاصة، اي بضعة اسطر منها متنا والبقية على الهامش تحيط باللقن كالحلال، وختمه بالمر الاحمر^(١) اما نص خط الاعتماد فهاكمه.

(١) ختم الامام احمر في ايام الحرب اسود في ايام السلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

يحيى حميد الدين

امير المؤمنين

٢٠ سورة الفاتحة

التوكل على الله رب العالمين

الصنود في الاسلام احمد ابن يحيى الكبسي حوسه الله . كل
المراجعات بيننا وبين الشريف ناصر ثم مع السيد محمد علوي الشافعي^(١)
باطلاءكم . وقد وصل الستاذ امين الريحاني ورفيقه قسطنطين ومعهما
كتاب من ملث الحجاز وظهرت من ظاهر كلام الستاذ اراحة الحجاز
الكلام والمراد منه البقية المقصودة والفضالة المنشورة . فليكن منكم
الكلام بها لتقرر المسئلة على الوجه الكامل ابتداء وانتهاء مع لوازمها
الذاتية والفاوضية اعانة لنا في ذلك . وليكن الكلام مكتوماً من
الحليم عن كل احد . وارضوا هذا علي وقد اعلمنا الحاجب بالاذن
لكم بالدخول اليها والسلام . ليكنكم .

في ٢٨ شبان الوسم ١٣٤٠

ازال الخط كل ريب باننا مأسورون ، وثيقنا ان الحجاب في الباب لا
يأذنون بالدخول اليها الا من كان حاملاً براءة من الامام . فكان السيد احمد
الكبسي اول من حظي بهذا الاتعام ، وهو من سادات الين المستبينين
المساهلين الاربعة في فتح كرات في سور الغزاة يطل منها الين على العالم
فيستشق هوا . المدينة دون ان يعرض بنفسه لرياستها الشديدة ومجاريها المضرة .
والسيد احمد جسيم وسيم ، بطيء الحركة خفيف الظل ، فصيح الكلمة ،
لطيف الاشارة وله عين في الفن السياسية ثاقبة اللعاط ، وعينان في كشف

(١) والاثنان قدما في المفاوضات بين الملك والامام بخصوص المعاهدة .

الحقائق التي فيها خير، وخير الامام . اما ما سواها فهو لا يراها ولا يشتهي ان يراها .

جاءنا السيد احمد في آخر شعبان ، وكانت مفاوضاتنا وياه في رمضان فغيرنا من اجله نظام حياتنا ، وما تمكنا مع ذلك ان نباريه في النوم والابطال . - هذا وقت الفطور يا امين ، ثم وقت القات ، ثم السجود ، ثم وقت النوم ، ثم اوقات الصلاة - ظاهر وماشي ^{١١} ولا وقت للمفاوضات . ولكنني اجبتك الليلة ان شاء الله بعد جلسة القات . فيجبنا بعد نصف الليل او بين مدفعين مدفع السجود ومدفع الامساك . والسيد الكبسي بعد الزمان ، لا فرق عنده بين الشمس والزرقان . وكان يجي ، جرسه الله والطيب ينكر من اردائه ، وبقياء القات بين اسنانه ، فيسال ارباب دواء لاعداء ، ثم يقرأ بندا واحدا من المعاهدة واذا جار على نفسه يقرأ بدين ، فتدق اذ ذلك الطبول مبشرة بمدفع الافطار ، فينهض السيد مسرعا الى قروضة ، ولا بد بعدئذ الا بعد ان تتعدد منا اليه الرسائل والرسائل ، وفيها من قسطنطين القوافي المحجلة ومني المحجلة . اجل قد عرفت وانما اراجع مذكوراتي على ما يلي : في ١٦ رمضان الكريم

لقد هيج في القسطنطين نية الى الشعر كانت واقعة ، لقد طالما نعت النفس وتشوقت العين الى شيء يخصني من ذلك العنواب الخليل في اندواوين : وقال يمدح فلانا ، ولكنني بدأت في النظم وفي اخباء معاً ، فقلت وانما في صفاء أهجو سيدي وصديقي السيد احمد بن يحيى الكبسي ، قدوة السادات الكرام ، واحد اركان مولانا الامام .

صبرت على بطل ومطل من الكبسي . وقلت هو الصوم المنطلي لذا ليس ولكن ظني قام بشكو جهاتي . ويكشف عن في اعود من الناس فقلت له : مهلاً . فقال : وكيف ذا . وخرنوبه لا شيء فيه من الدين

(١٤) ومنها في اصطلاحه اهتمت في قول هي تحريف اسم الشاي . ثم قلت في

الفصل العاشر

الفهم المنصور

تأثير الدين في الأخلاق - البروتستانتيون والكاثوليكيون - الزيد - امام الزيد
- الحضارة العربية - ربه الامام - الخبير المنصور - الامام في التفسير - لباته ل
العلم - حسن الادارة - صفاته الخبير - الاحصائيون - الامام الناصر - قصيدة
لنفسه في محو القات - حيايا النصارى في صحناء - قصيدة الامام في محو القات .

ان الدين تأثيراً في الاخلاق يفوق تأثيره في العقول . فانك تتلقى امره
ذا فكرة وقادة ، ونظرة نقادة ، سليم الذوق والعقل ، كبير الفهم والخلق
في كل اعماله واقواله الا ما كان له علاقة منها بدينه ومذهبه . فتلقاه اذذاك
سقيف الفكر وان ضن به لا سقيم الذوق وان عالج به بالاعذار وحلو الكلام ،
عقيم العقل وان اغرق في الاجتهاد ، قليل الثقة بالناس وان عظم ايمانه بالله .
وقد تتفاوت هذه العيوب في الناس تفاوتهم في شدة العقيدة ، وتختلف عرضاً
لا جوعراً اختلاف المذاهب وضماً وعملاً .

خذ بروتستانتين مثلاً . فانهم يوجه الاجمال اسم عقيدة ووسع حرية
في المقلبات من الكاثوليكين . ولعلكن في البروتستانية مذاهب تضيق
عندها جادة الحياة وترتد آفاق الطرب والسرور . فلا يجب لذلك نقبها ،
ولا يوجب في مجلس عالمها ، ولها يطلق قميصها اذا كان من الطراز القديم .
بين ان رؤساء الكنيسة الكاثوليكية ، وان ضبقوا على العقل وقيدوه ، لا
يعطشون انوار اللهو والسرور في جادات الحياة .

ان الزيد مثل بعض البروتستانتين عقيدة وعملاً . وان امامهم الاكبر في
سلوكه الديني واحكامه المذهبية ليدكرني بذلك القسيس المحترم الذي يحمل
الانجيل في جيبه والعالم على منكبيه ، فيسمى ، والنم تحم فوق حاجبيه ، في

نشر كلمة الرب في الناس. الا ان الامام يختلف عنه في انه شرقي عربي يحسن الضيافة والمؤانسة ولا يجزن اذا ظنك في ضلال عليك ، ولا يقف مبشراً بين يديك .

انك لا تجد في ملوك العرب اليوم من هو اعلم من الامام يحيى في الاصول الثلاثة اي الدين والفقه واللغة ولا من هو اكبر اجتهاداً واغزر مادة منه . وهو اوسع نظراً من بعض ساداته العلماء الذين لا يزالون يعتقدون سطحية الارض وله ذوق في الشعر والادب فيقضي بعض وقته في المطالعة . بل هو الشاعر الوحيد في حكام العرب كلهم . قد اشرت الى قديده الشهيرة التي يدعو فيها الى الوحدة الاسلامية وسيطلة القاري . على ش . من رقيق شعره ايضاً ولكنني الان شئت ما قلته في تأثير الدين او بالحري المذهب في الاخلاق .

ليسج لي حضرة الامام اذا ، وان كنت موضوع اكرامه وضيافته ، بالاشارة الى ما يمد نقصاً في الضيافة والاكرام . لم اكن لألمس هذا الموضوع بكلمة واحدة لولا انني احسب نفسي من العرب وانسب مثله الى تعطلان ، فاغار عليه وعلى شريف تقاليد العرب من انتقاد الغرباء جفناً ودينياً في مثل هذه الاحوال . فهل يحل بقاعدة من قواعد الربدية اذا اكمل ضيفه الاجنبي ولو مرة واحدة ؟ أو ليس « الحذب والملح » من شروط الضيافة عندنا ؟ وهل يقتصر العربي في الضيافة او يحل بشروطها ؟ واذا كان الضيف عالماً قلد له مطالعة الكتب ، وخصوصاً المخطوطات القديمة فهل يهدء حضرة الامام رحكناً من ار كان الدين اذا اطامه على بعض ما عنده منها ؟

اما اذا استأذنه الضيف باخذ رسمه فيأني ، ثم يأذن بتصوير الخنود وهم زيود ، فلا اظنه على طول باعه في الاجتهاد يستطيع ان يوفق بين الامرين . الزبدي ويدي جندياً كان او اماماً . واذا كان من تحريم في المذهب او في الدين يختص بتصوير الهيئة البشرية فالتحريم يشمل طبقات الناس كلها . على

ان آلة التصوير لم تنجح في ما ابح فلم تصح وأسفاه من صور الجيش صورة واحدة . وقد كنت في ما منع مصرأ لاني كوهت ان اعود من صنعاء وليس لدي من طلة الامام الشريفة غير الذكرى والخيال . فاستعنت بالقليل مما عندي من فن التصوير واغتصمت الفرصة ذات ليلة كنا في ديوانه وكان هو يشغل فدرست وجهه ورسمت عندما عدت الى المنزل ما حققت منه فكان الرسم الذي تراه صادقاً بشهادة من عرف الامام .

المفري يا مولاي . اتنا في زمن ادبي فني يحل الرسم فيه غالباً محل الكلام ، وله في احوال شتى المقام الاول . فضلاً عن ان الناس غريبيين كانوا او شوقيين يرغبون في مشاهدة عظام الناس . فاذا حرموا ذلك فلا يحرمون ، بفضل الرسامين والمصورين ، رؤيتهم في الكتب والمجلات .

وان كاتباً يتشرف بمشاهدة احد كبار ملوك العرب ليقتصر في واجب التصوير ، كلمة وربما اذا كان لا يصفه في ديوانه . ودويان الامام يسمى « الخيم المنصور » وهو يشغل فيه كل يوم كأحد كتابه بل اكثر من كل كتابه . هو جالس على الفراش الاسود فراش الملك وفراش الادارة ، في «هـ» تحزينة مضافة من القات ، وعلى رأسه عرقية نسيجها اسود تتخلله خيوط صفراء ، وقد تزع سيفه ويردته وعمامته حكما يزرع احد الغريبين القيمة «هـ» الساكوة تجرداً للمل . كآني به اميركي كبير بنفوذ في كل اعماله وهو جالس الى منضدته علي على كاتب سره .

اجل ، ان الامام مجي هو الملك العربي العامل بشيات ونشاط وادارة قلما تجدها في زملائه . ديوانه بسيط ، قريب من الارض ، لا رفعة ولا ترفع فيه . يجلس مقرباً وامامه منضدة صغيرة وجهه وورق واقلام . ويجلس الى يمينه كاتبه الاول القاضي عبدالله العمري ، والى يمين القاضي عبدالله ثلاثة من الكتاب رؤوسهم فوق ايديهم ، وايديهم على رعاياهم يسكنون ،

وقبالتهم من زملائهم ثلاثة اخرون . وفي وسط الديوان جنديان جالسان امام الامام ، بيد احدهما الحُجْم الامامي والمجبرة الحمراء . يحتم الرسائل والخطوط والاوراق التي تدفع اليه ، ويبد الثاني رزمة من القات يفتخب منها اوراقاً يقدمها لسيده الاكبر .

يُفتح الديوان في شهر رمضان مثلاً الساعة الثامنة مساءً . فيجيء جندي بعريد اليوم ، بعرائضه ورسائله وتقاريره . ويضعها امام القاضي عبد الله موزع الاعمال ومديرها . فينظرها فضيلته ، وهي كلها لغافات كالسواكبر صغيرة وكبيرة . ويقرأها واحدة واحدة ، ويأمر هذا الكاتب او ذاك بالجواب على ما يستطيع البت فيه دون الامام . ثم يقده له ما يستوجب النظر الامامي فيأمر بما يجب في شأنها ، وهو يطلع على ما يكتب في الديوان ويعلق عليه بحرف اثباتاً ، او بكلمة سلام ، وغالباً يؤرخه بجمله ، ويدفعه اذ ذاك الى مأمور الحُجْم فيجثسه ويؤمله ، ثم الى من يلقه لفاقة ويكتب عليها اسم صاحبها .

الديوان الامامي او الحجج المنصور مفتوح دائماً لبعض السادة يدخلونه دون استئذان فيسألون ويُسكَّتُون ، اما ارجل اوحيد المباح له الكلام والديار فهو احاجب في الدار ، وكثيراً ما كنا نسمع صوته ولا نرى وجهه - الوجع بكبدك قلت لك الامام مشغول ذا اخين . - ناهي ، ناهي . - جوابك تحت الحُجْم . - البلا بروحك مثل مكانك . . . اسكت يا يهودي ، البرص بعديك . اسكت . . . هاهو له البندق يا آسي . . . على رأسي . حسن الحرازي يا سيدي - لينتظر . - هو يشتهي الفرفر ذا اخين . - لينتظر . - يقول ان العامل . . . فيجثم الامام غيظاً ويصيح مثل حاجبه وبه - ضربك افة بروحك اسكت . اخرج !

وعند الامام يحيى اخصائون يستشعرون ويستين بهم . هذا اليد احد الكسبي المقدم الاول ، العالم بشؤون المشرق واطلاع رؤسائها وطلقاتهم ، قد

اقترب من الامام وفي فمه « تحزينة » عامرة ليهمس بكلمة في اذنه . وهذا السيد محمد زبهر امير القصر ، قصر محمدان ، ومدير السبكة والسجن فيه ، يطالع استدعاء طوله ذراعان ، ملصوقة اوراقه بعضها بعض . وهذا « اجر جي » ابو الخربوش يعبد النظر في رسوم قتابل رسمها ولا يستطيع صنعها . قد جثا امام فراش الملك ورائحة الخمر تنوح من فيه - وكم يلزمنا من هلم ؟ يجيبه الامام : القب . - ومن هلم ؟ القان . - ومن هلم ؟ لدفع الماوان ؟ - خمسة فقط . ثم يكتب الامام الطلب بيده ويدفعه الى راعي الحتم فيغتمه ويؤمله .

وهوذا شيخ الاسلام يدخل محي الرأس فلا ينظر الى احد ولا احد ينظر اليه ، فيثبوا مجلسه في الزاوية ويأخذ كتاباً خطوطاً يقلب في صفحاته ، فلا يتجمع برأي او يتلطف بكلمة الا نادراً . وهذا - قد انتصف الليل - احد المرافقين في دائرة السات « التفراف » جاء برزمة من غار سلجسته فيفضها القاضي عبادة ويقدمها بعد ان يطالها للامام . هكذا يستمر العمل الى ما بعد نصف الليل والامام ثابت فيه جالس لا يتحرك ، الا انه يفت عنقه من حين الى حين فيضع القلم جانباً ويتناول عصاً من القات بيده او يشرب جرعة من الماء ويتلطف هاتفاً : والحمد لله .

بين الساعة الواحدة والثانية بعد نصف الليل تدى الطبول ثم بضائق مدفع السحور فينهض الكتاب واحداً بعد الآخر ويخرجون متسليحين دون استئذان . اما الامام وحكايقه الاول فيثابرون على العمل حتى الساعة الثانية ويمدها . ذلك لان من مبادئه ان لا يؤجل الى الغد ما يستطيع انجازها في يومه . بل من قوانين الديوان ان لا يؤجل الى الغد شيء من امور اليوم ، فيجب ان ينظر في كل ما يرفع اليه في اليوم الواحد . بذلك ترى الامام وكاتبه الاول الاخوين غالباً في الخروج من الديوان .

والامام يحيى ، على ما هو فيه دائماً من اشغال الملك وهموم الامامة ،
يستطيع حتى في رمضان ان ينظم الشعر اجل ، قد نظم قصيدة يدافع فيها
عن القات ، وكان الداعي الى ذلك ما اوحى ذات يوم بواسطتي تحت شجرة
الجوز الى الرفيق قسطنطين . قلت : يا قسطنطين ، قد طمعت صنعا ، بخر
قصائدك ، وكلها مديح وتياريح . فانما احد ، حتى ولا ولد الساقية ولا
مدفع رمضان ، من قوافيك المسلية . فلماذا لا تغير النغمة والحنان ، وتبديل
القيارة بالسندان ؟ اني مشتاق الى قصيدة هجو منك . فاجاب الرفيق : اتريد
ان اهجوكم ؟ قلت : انك تقمل كل يوم وقد اصبح هجوكم اياي مثل مدحك
الامام مبتذلاً . فقال : اتريد ان اهجو الامام ونحن ضيوفه ؟ قلت : انتهي
ان اصبك هاجياً - اهيج - اهيج - ولم ادر اذ ذلك ما يستحق في تلك البلاد
التخصيص والتفضيل . ولكنني سمعت حروناً في الجزيرة يقول : لينظم قصيدة
يهجو فيها القات .

فنهض الزعيم الشاعر في الحال ويادر الى القلم والسيفكارة ، وجلس في
البستان ، ثم قام يتشكى حول الشاذرون ، ومنه وثباً الى الديوان وبعد
ساعة في الزاوية والعرق يتصبب من جبينه الملتهم ، قام والقصيدة بيده
يكومني ، يجربها في على عادته :

القات فيه عجاب	كما يقول الصحاب
درت به الشاة لما	ان طاردها الذئاب
ذاقه فاستغذبه	وسال منها اللعاب

الى ان قص القصة التي روونها في السن . اضاع الراعي شاة من غنمه
فراح يبحث عنها فرآها نائمة في في . صخرة وورق القات في قها . فجربه مثلها
فاستغذبه

و امسى يجمع منه حتى تلى الجواب

مضى يحدث عنه وفي الحديث الصواب
فصدقوه وذاقوه - ما مثله واستطابوا

وبعد ان يصف كيفية استعماله في اليمن ويعدد الفضائل التي يرونها فيه
يضع القيامة جانبا ويرفع المطرقة فوق السندان :

ما نفعه انشوفي هل عند شخص جواب؟
جربته واختبرته يخني به الاسباب
نقاب جسم الفتى قشعريرة والتهاب
وفيه بفضل ما لا يقوى عليه الشراب
والصدور فيه من الوخس والعداب خراب
والنسل يضاعف منه ما في كلامي ارباب
لانهم في القات الكثر فيه التقيا والعداب
وترعى النفس منه وانقلب والاعصاب
والجن يزل حتى ينشئ العيون سحاب
وسو هضم وقبض منه يغيب الصواب
والراس يتقبل وطناً وبالذوار يصاب
وبعقري، بعد هذا المفاصل الاضطراب

ثم التاريخ ولا يد منه في قصائد القسطنطين ، لانه اشد من عرفت من
الشمره شفاً به ، واسرع في نقله وقد اقترن المعنى بالصناعة في تاريخ هذه
القصيدة اقتراناً طبعياً ، وفيه الضربة القاضية :

لم يبق ادخت ريباً القات للقتل باب

في ٣ رمضان سنة ١٣٤٠

اما النسخة الثانية من جنان الوحي فهي اننا رفعنا القصيدة الى حضرة

الأمام مشفوعة بصحائب تقول فيه إذا كان أحد من شعراء صنعاء يبغي
 المعارضة والدفاع فلا يسرع قبل أن يحل الشاعر . وكان أسبوع في عاصمة
 حمير والأدواء أضرمت فيه نار التواقي فوردت علينا المحروقات منها المهلكات .
 أجل ، قد جاء أحد الشعراء وقصيدته في عنجوره يشتهي دم الشاعر الكافر
 الذي يجاسر أن يقدم القات وما دمه ، وهو ذا ذنبه الأكبر ، يبعد المتبدلات
 الشرية والزكيات ، فوقفه حسن الخط الحارس ولم يأذن له بالدخول . وبعد
 بضعة أيام جاءنا من التخيم المنصورة من الإمام نفسه ، كتاب في غلاف مختم ،
 على غير العادة اليتيمة . ففتضناه فإذا فيه قصيدة من نظمه وبخطه الشريف
 وفي القصيدة خلال الدروع عن القات من القتل والدمامة والاتضاع - تلك
 روح الشاعر الحقيقي - . . يزيد الناقص رفعة ومعداً ، ويزيد المعجيب به حياً
 وواجباً . وما أجل المنذر والتواضع في الكلمة التي قبل القصيدة بها .
 الزعيم قسطنطين .

صدر ما يشبه الجواب ، وهو رأيهم قصوراً فلا عتاب ، مع صفة
 الاشتغال وتبيل البال .

قال في مطلع القصيدة ، نعمنا الله برأياه المحمديّة ، إن لقات مزايا لا يحصيها
 الأسواب فيذكر عشراً منها فقط :

واللعون جلال	لأضمت منه ذهاب
وللشعور صباغ	رمودي ينداب
أحسن شعر مليح	له المذاب رضاب
يا ما أميلاه حفا	تشقى به الاحباب
وللتفوس مريب	وللتشاطئ الخذاب

ويشجد الفكر حتى يخاف منه التهاب

ويطرد النوم عن من له اخفيس كتاب

في البيت هذا يظهر حضرة الادب العالم في الامام فيقرنه من كل من
ثم الكتاب جليلاً الى ان قال :

اما الذي قاله قسطنطين فهو شراب
ليس من جاوز الحد اشكاه والشراب
يكون عرضة خسر ويعتبه الكتاب
والاكل والشرب ما لا به الكوام تعب
وانما العيب انما منه يدور المحب
هذا الملق يا قسطنطين من جواب
يهدى اليك عليه من احياء نقاب
لانه ليس ككفوؤا للذره وهو شراب
فاسد ملق يحيى فاسد فيه ثواب

ان في الآيات الاخيرة من الدعاء والحقة والنبأ ضع ما يستحب في اصغر
الشعراء واكبرهم . فكيف به في احد كبار الحكماء والامراء ؟

الفصل الحادي عشر

اليهود واليهود

مقرنا بيت الصلاة - الوفد الافرنسي - ماء الوجع - الصلوات والبصائل -
 المتداولون - الخنازير النصارى - الحارس احمد يهتدي - السيد والمهري -
 طائر الشدة - حزام واليهودي - قاء اليهود - السيد معبد بعدد الواجبات -
 وكلها من اجل اليهود وسعدتهم - يدفعون الحجرة راضين - الزبيدي واليهودي
 في حب المزال واحد - رسائل اهل اليس - ٧ يستصون القلافت - حبايات
 وقرير الماسة - التدبيرة والاهواز - الاسلوب الاتري والاسلوب العربي .

هبوا على الصلاة ! هبوا ! الى القلاح ! وكان المؤمنون يجيئون الى مقرنا
 يصلون . الحبيب والحارس والسيد والحادم والمشي والبستاني وولد الساقية
 الذي يقني لعله من الشروق الى الغروب : صدر البنية بستان وانا زرعت ، كانوا
 كلهم يجيئون خاشعين فيتوضئون في بركة الشاذروان و يقوشون حولها في
 ظل شجرة الجوز بردة او احراما ، ويصلون صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة
 العصر وصلاة المغرب وصلاة المساء . ما عرفت ولا رأيت اناسا يصلون مثل
 هؤلاء اليهود . وما سمعت ولا قرأت في التاريخ عن اناس كانوا يصلون مثل
 هؤلاء اليهود . ولا اظن ان صلاة تصعد من فم بشر فتذهب كالحباب المنثور
 مثل صلوات هؤلاء اليهود

كان في البيت اذا . بيتنا الوفد الافرنسي الذي وصل الى صنعاء يوم كنا
 هناك ، وكان احد الخدم يجيء ليأخذ لهم ماء من الشاذروان ، فسأته مرة :
 لمن الماء ؟ فقال : للخنازير النصارى . فقلت : اليس في بيتهم ماء للفيل ؟
 فقال : هم يشربون الماء للشرب . فقلت : اتسقونهم من هذا الماء ، من ماء
 الشاذروان ؟ فواح يحمل الحرة ويقول : خنازير نصارى لا يستحقون احسن منه .
 ويجيء هذا الزبيدي فيتوضأ في البركة ثم يفرش برده تحت اغصان الجوز

وبتجاسر ان يخاطب « الرحمن الرحيم » .. رب العالمين » ويضرع اليه ليهديه « الحرام المستقيم » .. ويحيي البستاني كل يوم فيفتح بركة الشاذروان ليرعا فتجري مياهها في بستان مهيد ، ارضه طيبة ، لم يزرع فيها الا شي . من البصل والثوريباء والهدسم . كنت دائما عندما ارى البستاني في عمله وفي صلاته آسف على الماء النزر الذي يستكفي ليروي حقلا وسيما ولا يستخدم الا لوي تلم من البصل ، وعلى الصلوات الفائضة التي لا تروي في قلب الزيدي غير حقول زرعه البصل والتعصب .

اي اخي الزيدي ، ما الفائدة من الصلاة وليس في قلبك غير البغض ؟
بغض العالم خارج البين ، وبغض الحنازير النصارى ، وبغض اليهود في بلادك ،
حتى وبغض الشوافع اخوانك الاسلام ان صلواتك وما . الشاذروان ..
وان في الاثنين بركة وبركات لو نشطت ، وعقلت ، وكنت كريما . فلا
تضيق اذ ذاك ما . بلادك في الارض البور ، ولا تسق ما . وضوئك الناس ،
ولا تسع ربك ككلمات التجديف في مرض الخشوع والابتهاال .

جاءني ذات يوم الحارس احمد وفي عنقه ورم والتهاب . فذهبت بصقة
اليود مرتين فشمي وعاد يشكوني ، فقلت يجب ان تشكر الحنازير النصارى
لان هذا الدواء اختراعهم ، صنع في بلادهم . فقال : جزاهم الله خيرا .
والله يا امين - ورفع يده ورأسه الى السماء - عينته ترى كل شي . ورحمته
تسمع كل الناس . ثم جا . آخر وثالث ورابع يحملون الي الآلام من جورج او
قروح او التهاب . وكنت كل مرة اعالجهم اذكركم بان شفاهم من الله ثم من
اولئك الحنازير النصارى الذين اكتشفوا الادوية والتخدرات - بعد ان تعلموا
الطب من اجدادكم يا اجهل العرب - ليزيلوا الامراض ويخففوا الآلام البشرية .
وكانوا ، وقد جازوني زيودا ، يوجهون مسلمين الى الديانة السما . التي يقول
صاحبها : الانسان اخو الانسان احب او كره .

ولما عاد خادم الأفرنسيين ليأخذ الماء من الشاذروان انتهره الخارس احمد
وهزأ له العاص - واقه بأنه اذا سقيتهم من الشاذروان اشكوك الى الامام
ما سررت واقه بشيء في صناعه سروري بها احمد وكلماته . فقد برهن
الانقلاب السريع في نفسيته ونفسية اخوانه في الزيدية وفي الاوجاع على ان
بذرة الصلاح التي زرعها الله في قلب كل انسان لا تزال حية في قلوبهم ، ولا
تحتاج الا الى عمل او كلمة او اشارة تحرك فيها الحياة ، وترويضها بانه المكرهات
اما الشيعة في رقاد تلك البذرة وخودها فعلى الساحة القاتلة لا يربون في تعليم
عامة الناس . واذا علموهم شيئاً فزيعه الاكبر التعصب والطاعة للرواسا .

لا يزال لاسادة في اليمن حقوق في الارض وفي الرجال شبهة بحقوق ذري
الاقطاع Feudal Lords في اوروا الا ان لا عبودية فيها . هم يقولون :
هؤلاء قوم فلان . و القبيلة الفلانية هجرتنا^(١) اي في حاجتنا ، وهذا الرجل

(١) جاء في الحديث : من كانت محبته الى الله ورسوله بهجرتة الى الله ورسوله
ومن كانت محبته الى دنيا يصيبها وامراً بدينها بهجرتة الى من هاجر اليه .
حاشية ثانية : جاء في حاشية الطبعة الاولى ان هذه الكلمة من القرن ، وكنت
سأصح الخطأ على ان فاضلان الواحد اراسي اراسي والثاني عربي نحو . ولكنك وقعت
في شجر المانيخ لو لم يكن ادب كذا في عهد يستحق بل يستوجب هذا التطبيق
كتب العلامة المشعري في رسالته دون كلمة من « حرك العرب » في عهد
الدائم الاسلام الافرنسي . وادخلها هذه الحاشية : في الصفحة ١٩٨ من الجزء الاول
لكن المؤلف كلمة قال : احاد من القرآن فيجب اصلاحها
وكتب للمالك النجاشي هذا الاطوباء بلغا في عمود كمن من اخريفة فويعني توبيخاً ،
وشتماً شديداً . وهذا لا ينبغي من منه شيء لاني خلقت بين القرآن والحديث ولم
اميز بينهما

اي مذهب با حقيرة الجهد للتفريص . وكفي انمزي ان في الذنوب توبكاً
كثيراً من كبار العرب المسلمين فقد قال العلامة عابدين في حاشيته : ان المالك
حينئذ توجه يخطب احباراً في الآيات ويحاط به القرآن والحديث . راجع العدد ١٩٥
من جريدة الفتحة والعدد ٢٢٢ صفحة ١٥ من مجلة علماء الاسلام

هجرني فتي كانوا كذلك فالعلم من وجهة ساحتهم قلما يفيد . اذكر كلمة قالها لي احد الجنود في الطريق وكان رفيقنا سيد يلبس حذاء ضفط على رجله فتزعه ومشي حافياً . ذنا الجندي من مطيتي وقال بصوت خافت : كل الناس في اليمن ما عدا السادة فقراء . والسيد طاع كلان متكبر . هذا المثل - وأشار الى السيد قدامنا - وهذه اعمالهم - وأشار الى حذاء السيد الذي كان يحمله - يحملني حذاءه .

وليس التصاري في مذهب الزيرود وفي جهلهم احق من اليهود بالصكوة والاحتقار . كان الجندي حزام ، احد من مشي معي في المدينة حراسة واكراماً من قبل الامام ، يضرب بقبضة بندقيته كل يهودي يراه . - ابعد يا يهوده ضربك الله بروحك ! زادك الله عاوة يا يهوده ، اخل السبل ! وقد لا يكون المسكين في الطريق . ولكن حزاماً وهو شنف بحب اليهودي يراه على مسافة قادماً نحواً ماشياً بعيداً عنا فيبادر الى ملاقاته بالبندقية والامانات ، وهو يقطن انه يرضيني بذلك . ثم يصرق عليه ويهتف قائلاً : ولا الامام . بلى ، لولا عدل الامام لكان بذبحه ذبحاً . فهددته مرة ، وكان قد نفذ صبري عليه ، اني اشكوه الى حضرة الامام اذا استمر يفعل هذه الفعالت . فصار بعدئذ اذا رأى ذا السوائف قادماً في جهة من الطريق يسير هو في الجهة الاخرى . واذا مر به اتفقا يميل بوجهه ساكتاً صابراً كأنه لم يره .

وكان السيد محمد ، رفيقنا من ذمار الى صنعاء ، احد الاماميد الذين لا يتجاوز عددهم الستة المأذونين بزيارتنا ، الحائزين على ذا الانعام من حضرة الامام . فاستصحبته مرة الى قاع اليهود اي حيهم وهو مدينة معتلة بينها وبين يبر الغرب ساحة كبيرة مثل ميدان الشراة الحكاكي بين صنعاء ويبر الغرب . فزادني بذوي السوائف علماً وبالامام يحبي اعجاباً .

حدثني السيد محمد قال : يجب على اليهود يا امين ان يرسوا السوائف كي

لا نطلبهم منا اذا شئت الحرب بيننا نحن العرب فنذبحهم خطأ. ويجب عليهم ان يركبوا الخيل فقط لانهم لم يتعودوا ركوب الخيل . والسلامة يا امين قبل القضاة . ويجب عليهم ان يرفعوا الرخارف^(١) من المراحض ويجوز لهم المناجزة بها فيزيد عالمهم . ويجب عليهم في بناء بيوتهم ان لا يتجاوزوا الطابقين علواً فيسلم اليهودي اذا وقع عن سطحه . ويجب عليهم دفع الجزية كي لا ينسوا اصلهم وجنسياتهم يا امين فيذكروا دائماً شريعة النبي السجاء وفضاه عليهم . ويجب عليهم اذا شتمهم المسلم وبسق عليهم ان يشكوه حالاً الى الامام فيأمر المدعي ببيع فدان . فاذا ثبت الذنب دفع المسلم ثمن الفدان واخذ اليهودي نصفه . وحكماً ما يتبنى اليهودي الشقبة طمعاً بنصف الفدان . ولا تجوز لليهودي التملك الارض لنا والبيت له مدة من السنين محدودة ، تسماً وتسعين سنة . ولا يحفى عليك ما في هذه الشريعة من التساهل والرحمة ، وتجوز لهم ان يصنعوا النبيذ فيشربوا . ولا يبيعوا غيرهم فيخزنوا ، وتجوز لهم كذلك ان يعرضوا علينا بناتهم فمستخدمين في بيوتنا ، وقدخلهن حريمنا ونمنح من يستحق منهن نعمة الاسلام .

اما اليهود فهم راضون بهذه الحال . هم راضون شاكرون ما دامت الجزية وهي قافضة فخلصهم من التجديد . وهم لا يزالون منذ عهد نجران الزاهر على عاداتهم وتقاليدهم ودينتهم الذي يلقنونه اولادهم باللغة العبرانية القديمة . فلم يدخل عليهم من جديد ، او بالحري من غريب ، غير لقب حاخامهم الاكبر الذي منحه اياه الترك ، فهو لا يزال يدعى حاخام باشا .

قلت انه لم يكن احد ليدخل منزلنا الا باذن من الامام . ولكن يهودياً كنت قد اشتريت منه في السوق بعض النقود الحطرية واوصيته على غيره

(١) هو من باب نسبة الشيء بضمه . ويهود في صماء برمنون « الرخارف » ويبدوها من اصحاب الهامات ، فيستخدموها في الرقود .

أدهشتني ذات يوم بوقوفه فجأة امامي في الديوان . فظننت ان الحارس حزاماً
 قائم او غائب ، والا فكيف يأذن له بالدخول . سألت اليهودي فقال : هو
 في الباب . فقلت : ألم يك داخل ؟ فاجاب بالانجاب وسكت . فاستقرت
 منه ما استقرت وذهبت المال فزال اذ ذلك العجب . مشى اليهودي مسروراً
 والمال في جيبه حتى وصل الى الباب فأوقف هناك ، قرأيت اذ ذلك حزاماً
 وبدء على الزبينة واليدق مرفوع باليد الأخرى ، ورأيت اليهودي وبدء في
 جيبه يخرجها ويقاسم الزبدي ما قبضه مني من المال . الا اني لم اتعق مصدر
 الفساد والخلل . ولولا اني بتفوق الزبدي واحتقارهم اليهودي قلت ان ذا
 الروائف وشي ابا النيل لبأذن له بالدخول والمتاجرة ، وقد يكون ذلك ، ثم
 رفض ان يدفع ما وعد به ، فقبض ابو النيل على عنقه وابتز منه ليس نصف
 الربح بل نصفه المال كله . وقد يكون الزبدي في تفاضيه عندما دخل
 اليهودي ، نصب له الشرك الذي وقع بعدئذ فيه . كأنه قال لنفسه : القمص
 لا تقص . اربح من ضيف الامام وانا اربح منه . ان بيت الاول من زجاج
 مصوغ ، وبيت الثاني من زجاج بسيط . الواحد يحب المال ، والثاني يشتري
 « الظل » وهل في حب المال ما يمتنعك ومولانا سيد المحبين ؟ وهل في
 الاقتصاد ما يستعج وهو في علم الاقتصاد الامثاذا الاسكر ؟

اظن ان الامام يحترم اليهود ويحبهم ويقدم عليهم العدل فيأمر ببيع
 القدان اذا اعيثوا ، لانهم المثال الحلي لما هو عنده من قواعد الحياة في مقام
 الايمان . المال ، المال ، والاقتصاد بالمال . فاذا كان اليهود في عمده آمنين
 مطمئنين وفي تجارتهم ناجحين ، فالزبدي وقد حرمهم « الظل » اسوا من امير
 الاقتصاديين والناس على دين ملوكهم .

ان اول ما شاهدت من مظاهر الاقتصاد المدهشة في اليمن هي طريقتهم
 في المراسلة ورفع العرائض . فلم احذر ما قلته القصاصات المكروسة التي

رأيتها لأول مرة امام منضدة امير الجيش في ماويه الا بعد ان وصلنا منه ، ونحن في اب ، برقية مكتوبة في ادارة السلك على شقة من «كايون» الدولة العلية . ثم وصلنا ونحن في زمار من عامل اب برقية اخرى مكتوبة على قصاصة من معروض بالتركية مرفوع الى جناب قائمقامية حراز العالي . فالامام يحيى الذي غم من الترك المدافع والسلاح احتفظ بنا توصيه من الاوراق والدفاتر والكايونات والمعاريف ولم يأمر بتقطيعها وباستخدامها في ادارة السلك فقط بل في دوائر الحكومة كلها حتى وفي الخيم المنصوبة .

انه ليشعر استمهل الغلاف في اليمن الا في المراسلات الرسمية الخارجية . اما في البلاد وبين اهل الغلاف هو الرسالة والرسالة هي الغلاف . يحرك الرسول بلغافة صغيرة مثل السيكارة فتفكها فاذا هي رسالة من حضرة الامام وقد تحكون بخطه الشريف ، فتقرأها ثم تنظر في ما لها من هامش فتقطعه وتجاوب عليه ، وتلف الجواب سيكارة وتعيدها مع الرسول . واذا اسرقت في الورق واضعت مقدار ختم منه دون ان تسوده تويع على ذلك ، وقد تقول اذا كنت موظفا في الحكومة . اما اذا جاءك كتاب في غلاف فتشقه وتستعمل ظهره للرسالة . واذا كانت الرسالة من صبور وهي على قدر بطاقة الزيارة تعيدها اليه والجواب في المكان الابيض منها « سطرأ كذمة القوس او سطرين كخط المايين .

ومن المستغرب المستعذب ان بعض الناس يرفعون شكاياتهم تظلم في بيت او بيتين من الشعر . وما قرأته من هذه الشكايات سطران من انسان يشكو حمار جاره في شهر رمضان المبارك . فهو يلبط وينمق كثيرا في الليل . فصدر الامر الى صاحب الحمار ان يقبله ويشكمه بين مدغفي السجود والاقطار .

جاء السيد علي زياره يزورنا ذات يوم وسما وقد كان يزورنا كل يوم كديم الثمورين والضيافة . فانتتم فرصة وجوده عندما ليراجع ما تسكر دس

على رأسه - ومكتبه ايها القارىء على رأسه - من الرسائل والحسابات .
فترع عمامته البيضاء . وشرع يخرج من طياتها القصاصات المشهورة ، فيقطع
القسم الابيض منها ويبعده الى مكانه ثم يترك الباقي . ومن الرسائل التي
اطلعنا عليها ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

علاء الدين قد وافيت ارجو رايلاً في رايال في رايال
فحسن والحبوب وما سراها لشهر الصوم فالصروف غالي

ثم اطالعنا على قصاصة من حضرة الامام بأمره يدفع متني رايال الى احد
العمال . فقلت له : افترق هذه ايضاً ؟ فكان جوابه ان مزجها وهو يقول :
اذا دفعت التي رايال لا أسأل عنها . فقلت : وقد ينسى الامام فيسألك ان
تبرز الامر . فاجاب قائلاً : لا ينسى ولا يسأل . فجئت لهذه الصلة ، صلة
الثقة والامانة ، النادرة في حكومات المستعدين ، بين الحاكم وناظر ماله .

تلك اللطافات وفيها الشكايات نفعاً ونزلاً ، اني لا ازال اذكر منها
رسالة جاءني يوم سفرنا من احد الخراس يقول فيها ، بعد ان رفعتني الى الجوزاء
وترهكني هناك ، ان كانت في شهر الصوم ، اني جداً وان الله لا يحجب امره
« يا ايها المحسنين العزيز امين » وما انرب ما ترويه هذه الرسائل واحزن ما
تغشيه ، وفيها شكوى البارح وراء شكوى اليوم ، وبين الاثنين او على
ها شهر يباح يسوده القديح قد يكون ابعد عراية واشد حزناً .

ان الاقتصاد فضيلة . ولفضيلة الاقتصاد بالورق في اليمن شقيقة اجل
منها ، الا وهي الاقتصاد بالكلام . انعم بتلك العجاجة والايجاز ، وما
يوجبه الايجاز من اجمال الالفاظ وعبارات التبجيل . او ليست الصراحة
والايجاز والخطابة البقاء من مزاي العرب المشهورة ؟ ولكلهم في ما دخل

من بلادهم في حكم الاثراك كالحجاز مثلاً وبعض نواحي اليمن وعسج ،
امسوا اثراكاً في ما يكتبون ، وفي الكثير ثما يقولون ويفعلون .

اما في اليمن الاعلى ، في غير الرسائل الرسمية ، فلا يزاون من العرب
العرباء . الا انهم اذا كتبوا الى امير او حاكم او سيد تجار اليمن فلا الترك
عندئذ ولا العجم يفوقونهم في فخامة الالتاء وضخامة الالتاب . وهالك مثلاً
من تباجيلهم . اذا كان المخاطب اميراً فثى : قدوة الامراء ، السكرام ، وعمدة
النجباء ، القضاء ، عالي المجد والمقام ، فخر العرب والاسلام واذا كان
اماماً قالى : خلاصة الاظهار الاجداد ، وروضة نجد الرفيع الباء ، قوة العين
والكمال ، عنوان الاعتبار والجلال ، اذ كن الاسند والسند المستند . . .
واذا كان سيداً بسيطاً قالى : ذي الاخلاق الزكية ، والكامل انرضية ،
الحمام المقدم ، الرفيع المقام ، التقي النقي . . .

على انه يسر كل من يكتب في العرب ثمائل الاجداد ان يرى في خطوط
الامام الى رعاياه وفي مراتبهم اليه تلك الصراحة وذلك الايجار الذين استازت
بها قديماً خطب الامراء ورسائل الازباء . وعندى فوق ما اشرت اليه فزوج
باهر في رسالة من صديقي السيد احمد الكبسي على قصاصة من الورق صغيرة .
قال حجب الله عليه : لا عتب على صديقكم فالليلة هذه تتم الامور والعفر
يوم الاثنين ان شاء الله . وسأحضر اليكم الساعة السابعة غداً .

لكن الامور لم تتم تلك الليلة ، ولا السفر كان يوم الاثنين ، ولا شرف
الصديق في الساعة السابعة او العاشرة من ذاك الند . الا انه جاء في اليوم
الثاني والطيب ينتشر من اردائه ، « والتخزين » بين اسنائه ، « وظاهر
وماشي » تتشى في بيانه ، فقال : انا مسرور لان حضرة الامام اذن بان
تتشوا عندي . قالى مساء الغد يا امين الى مساء الغد يا قسطنطين . وراح
يشكو الصداق ويداويه بالقات وبلايات .

الفصل الثاني عشر

المشكلة السياسية الكويتية

كلوس الجديدة - وعد من دعوى الحرب - الترك والامام - الترك والعرب بعد الهدنة - قصير الترك في ١٩١٤ - اغراضهم من الجديدة - احتلالها - احتساب الامام - جوانب الانكليز ووعدهم - تسليم الجديدة للادرسي - سياسة الانكليز العربية - المناهج - بعضه انحراف حاكوب - غرب القاهرة - يوقدها في باجل - الانكليز - الاسر - الامام يحيى في القاهرة - رجاء البحتة وفنتها - الامام يحيى عن الثورة - المعينة - احتلال القلعة وغورها في حامية الانكليز - المفاوضات - اعداء - الدساس - التسيوف والمطالبة - لجوء الامام - حقايق الانكليز .

الجديدة كلوس الانكليز في عدن وكاوس الامام في صنعاء . هذا يسمها ولا يتفك بطالب بها ، واولئك ، وقد وهبها صديقهم الادريسي « يودون لو كان باسكانهم ان يهبوها كذلك الامام . وهناك وعد من وعد الحرب وبعدها يزيد العقدة شدة في دار الامتداد بعدن . وما العمل ؟ ايستكتنا ان نقيم المدينة بين الاماميين ، الامام الزبيدي في اليمن والامام الشامي في عدن ، فنسجور من السكاوس . أو يستطيع الامام الاكبر ان يدمط على الانكليز في جنوبي اليمن بقبلي من زيوده فيضطروهم ان يسلموا تا يطلعه منهم في تمامه ؟ انما هي مشكلة المسائل .

الجديدة من المدن العربية المشهورة . كانت في عهد الانراثك وقبله مينا . اليمن الاصغر ، مدينة تجارتها واسعة ، وملاحتها عسرة ، وعدد سكانها يتجاوز المئة الفا . وكان الترك يتزلون فيها العساكر لاختضاع اهل اليمن فذوا منها الاسلاك البرقية الى اعالي الجبال ومنعوا شركة افريقية امتياز بسكة حديد تدمر من الجديدة الى مناخه فصنعاء ، فباشرت الشركة العمل تا ارسلته من مراد البناء « فنشبت نار الحرب في اوروبا فقضت على المشروع وذعبت

تلك المواد نهب العربان .

وقد كانت الحديدة اثناً، الحرب العظمى لا تزال في يد الاتراك الذين حاربهم البانيون اربعين سنة ، فانزعوا منهم القمم الاحمر مما احتلوه من البلاد . والى كلهم في تلك الفترة والوا اعداءهم وهم اخوانهم في الاسلام ، فحافظ الامام على المعاهدة التي عقدها معه عزت باشا والتي تقدم الكلام عليها في الفصل السادس وظل معتزلاً السياسة والحكم مقيماً في جبال شاره . كان يومئذ محمود نديم بك والي اليمين ، وعلي سيد باشا قائد الجيوش المحتلة ، وفي حوزتها البلاد كلها من الحج حتى صنعاء ومن اللبة على الساحل حتى الحما . اما العرب من شوافع وزيد فقد كانوا على الجلة قانعين بتلك الحال ، راضين عن الترك وسلطانهم يومئذ المال .

ولما أعلنت الهدنة سمحت بريطانيا العظمى باسم الاخلاف في اخراج الاتراك من النواحي التي كانت لا تزال في حكمهم في اليمن الاسفل غرباً وجنوباً . فسلموا في بعضها كالبحر دون قتال ، وايوا في الحديدة وملحقاتها الا الدفاع . فبعثت اولاً الاوامر من عدن بالتسليم ثم المدرعات لتنفيذها ، فضربت الحديدة البلد الآمن عبر المحصن . فدمرت قديماً منها وقتلت مئات من اهله ، فهرب اكثر الباقين لاجئين الى الجبال .

سلمت الطامية واحتل عساكر الانكليز المدينة . وكان قد دخل الامام يحيى وقتئذ الى صنعاء . وسأله والي محمود بك نديم^(١) زمام الاحكام في اليمن كله . او باخوي في ما كان في حكم الترك والحديدة طبعاً منها . فكتب الى المستد الانكليزي في عدن يحث على ذلك الاحتلال فجاءه الجواب يقول :

(١) لم يكن في صنعاء يومئذ غير ثلاثة طواير ، وكانوا هناك وقد قطع الادويسي وملك الحجاز وسلطان نجد الاتصال بينهم وبين الشام ، في شبه حصار ازدادت شدته في اواخر الحرب .

اننا دخلنا الحديدة لنحفظ فيها الامن والنظام ونسعيدها قريباً اليكم وهذا الوعد هو حجة الامام السياسية في المسئلة . اما حجة الشرعية فهي في انتزاعه الحكم من الاتراك وكل ما كان تحت ذلك الحكم من البلاد أضف الى ذلك حجة اخرى تاريخية وتقليدية وجغرافية تثبت حقه وتزيد دعواه .

واسكن الانكليز رغم وعدهم المذكور سلموا المدينة بعدئذ الى صديقتهم الادريسي الذي كانوا يعدونه وهو حليفهم بالمال والسلاح ليحارب الاتراك ، عملاً بمهادنة بينه وبينهم شبيهة اساساً بمهادنتهم الاخرى وامراء العرب الذين نصرروا الاحلاف ، اننا في استقراؤنا الحقيقة فمعلما كلها بعد ان ثبتها ولا تخفي جزءاً واحداً منها ، والحقيقة كلها هي ان ملوكنا وامراءنا الذين نصرروا يومئذ الاحلاف نصرهم لا غرض خاصة ، اقتسموا تلك الفرصة لتحقيقها . فكان الواحد منهم اذا ضرب الاتراك ضربة يذخر من قواه وعدته ليضرب اخاه العربي بعدئذ ضربتين وثلاثاً . اجل ، قد استخدم الملك حسين مال الانكليز وسلاحهم على خصمه ابن سعود فكان من الخاسرين . وحمل ابن سعود على ابن الرشيد فكان من الفائزين . وظل السيد الادريسي بعد الهدنة وبمعارنة الانكليز يحارب خصمه الامام دون قصد يشكروا نتيجة تذكر .

لا نلوم الانكليز اذا اتوا في سياستهم وصدقتهم من ساعد الحلفاء في تلك البقعة من الارض على من ضل معترلاً . ولا نلومهم في تفضيل الادريسي على الامام ، وابن سعود على الادريسي ، والملك حسين على ابن سعود . فقد صككت المساعدة درجات وكان التفضيل كذلك . ولكننا نلومهم لانهم استمروا بعد الهدنة في تلك السياسة المشؤومة التي كان من نتيجتها ان اتسعت الفتن بين امراء العرب المتخاصمين . وظلوا بالوغم عن مهادنات هي ورضا تخصص بالحرب العظمى ، يدعون الادريسي بالمال والسلاح ليحارب الامام^(١)

(١) كان الكرنل جاكوب الماوان الاول في دار الاعتدال بعدن عندما عقدت

فاذا تساهلنا في تفسير هذه السياسة وتأويلها واتخذنا لهم الاعذار ، فاننا لا نستطيع الدفاع عن سياستهم الخرقاء في قضية الحديدية
قد أبرزوا بجزء صغير من وعدهم فخرجوا عسكراً من قللك المدينة
ولكنهم سلموها الى الادريسي واقاموا فيها من قبلهم وكيلاً سياسياً ، فضلاً
عن انهم في هذا العمل الذي قيدوا انفسهم به وجعلوا الحديدية كابوساً عليهم
قد ظلموا اهل اليمن الاعلى اذ سادوا عليهم متافذ البحر وسلبوا صنعا العاجية
ميناء الطبعي التاريخي الشرعي فاست في شبه حصار لا اتصال لها بالعالم
لا عن طريق الانكلاز الثانية في عدن .

لم تنقطع المفاوضات اتناء تلك الحوادث بين عدن وصنعا . وقد افترت
مرة استجالت بمدئد حنظلآ . ذلك ان الكرنل جاكوب ، وكان لا يزال
المعاون الاول في دار الاعتاد ، سعى لدى حكومته ان تبعث بعثة سياسية
الى الامام يحيى ووزير الاسر لخصرته فقبل به . وكان الكرنل رئيس تلك
البعثة التي سميت باسمه ، وصافرت من الحديدية في ١٩ آب سنة ١٩١٩ تمصد
الى صنعا . بعثة انكليزية سياسية مؤلفة من مندوبين وطبيين وزرايين
وكاتب يصحبها خمسة وعشرون من الجنود وعدد من الخدم والمكاريين تسير

المعاهدة بين الحكومة البريطانية والسيد الادريسي بل هو الذي عقد تلك المعاهدة .
السيد في جيزان . وقد ذكر ذلك في كتابه ودافع عن حكومته متنبهاً بانادة
الرابعة منها التي تقول : ان حكومة بريطانيا العظمى تسعد بان تحمي سواحل بلاد
الادريسي وجزرها من المتهديات الخارجية كلها دون ان تتدخل في شؤونه واستقلاله .
وقد فر الكرنل جاكوب سادته بان لا ذكر للامام فيها وانه لم يكن للادريسي
من عدو على السواحل يومئذ غير الترك . هذه حجة في ان الحكومة لم تساهل
الادريسي على الامام . وحجتنا في ما يفتد حجة هو واقعة الحال اللذات التي يشنها
هو نفسه في كتابه . فقد جاء في صفحة ١٧٨ في كلامه عن الادريسي والحديدة ما
يلي : قد استنجد (الادريسي) بجائذ وبكيل وسألنا ان ندم المال لتجديدهم . ثم
يقول بان الادريسي جند بعض اولئك الدرب فاشدوا ماله (وهل هو غير مال
الانكليز ؟) وحاربوا قليلاً ثم عادوا الى بلادهم .

من الحديدية مكانها قافلة تجارة دون ان تستم وتثبت احوال البلاد التي
ستمر بها ، وقد تكون استلمت ولكنها خُدمت .

ان في جماعة بين الحديدية ونبال قبيلة من قبائل العرب المشهورة هناك
بأسها وسيطرتها ورمة جانبها هي قبيلة القحراء التي تحكم قملًا في تلك
الناحية ، عريها من السنين الشرافع لا يتولون الى الامام ولا يحبون الانكليزي
بل كانوا بكونهم يومئذ لانهم ضربوا الحديدية ودمروها وقتلوا مئات من
اهلها ، وعطفوا فوق ذلك ، وورد المعيشة مدة عنهم . وكان الفصل الانكليزي
في الحديدية يدرك ذلك ، ولكنه بشهادة العرب والانكليزي أنفسهم رجل
احق متحلف متيد ظن انه يستطيع قاذيب القحراء اذا تعرضوا لدمغة بنا
يستعين به من العساكر الادريسية ، فشجعها على المروءة .

خرجت البعثة من الحديدية تجر اذياتها وهي تحمل كذا قيل كتاباً خاصاً
من جلالة الملك جورج الخامس الى حضرة الامم . وكانت الحلة ومعها الهدايا
الشبية تقدمتها لتجس الارض حتى اذا عبرت الحدود آمنة ببقعها اعضاء البعثة
مطمشين آمنين ، فمرت بباجل دون ان يعترضها احد واجتازت عشرين ميلاً
منها الى بُبال فباتت ثلاث الليلة هناك ، فتقدمت البعثة قتبها ودخلت في
الشرك الذي تُعصب لها .

وصل الكورنل جاكوب ورجاله الى باجل فوجه عرب القحراء بهم
وازلوم ضيقاً عليهم في بيت كان الامر فيه بعدئذ في ما يتعلق بالسفر لا
للانكليزي ولا للامام ولا للسيد الادريسي ، بل لسادات القحراء ومشائخها .
وقد روى الكورنل في كتابه^(١) خبر ذلك الامر بما يجدر بشهم انكليزي من
الصراحة والصدق . الا انه وقف في بعض الاحايين عند حد توجيه السياسة .

Kings of Arabia : Chapter XI . My Mission to the Court of the (١)

الفصل الحادي عشر : رسالتي الى الامام في صنعاء . Imam of Sa'na .

وقد يكون احسن الظن في غير محل الاحسان واساء فهم امور قد تنقض على انقب الناس فكراً من العرب انفسهم . كان الشيخ ابو هادي مثلاً ، وهو شيخ مشايخ القهراء ، عامل الامام يحيى يومئذ في باجل ، على ان لم يكن له في قبيلته تلك السيادة التي توهمها الكرنل وتوهمها الامام . او ان ابا هادي مدح الحسين ، الزيد والانسكلير ، وممكن مشاوره من القوز عليهما .

قد جاء في كتاب الكرنل جاكوب ان الامام يحيى ارسل الى باجل حرساً مؤلفاً من مئة جندي وثلاثة عشر خيلاً ليلاقى البعثة ورافقها الى صنعاء . ثم ارسل محمود بك نديم ومعه اربعة الاف ليرة مئالبة لينقذ البعثة ويصحبها من استئناف السير اليه . « وجاء مندوب سياسي الى الحديدة يعرض باسم حكومة بريطانيا العظمى خمسين الف ليرة انكليزية على مشايخ القهراء ليعطوا سراح المأسورين . » ثم تداخل السيد الادريسي في الامر فبعث احد رجاله الى باجل فلم يقو بغزو ما فاز به من تقدمه من رسل الامام والانسكلير . ثم طارت طائرة من عدن الى باجل قصد الارهاب والترويع وعادت دون نتيجة تذكر .

لم يان عود القهراء ولم يزغزع ذهب الامام وذهب الحكومة البريطانية عزماً فهي كما علمنا لم تأسر الانسكلير لتذهب وقتهم منهم ولا كما تدعى طمعاً بالمال ، بل تمنعهم من السفر الى صنعاء لانها كانت تحشى اتفاقاً يتم بينهم وبين الامام . ولو قبلوا ان يرجعوا الى الحديدة في الاسبوع الثاني من الاسر لأذنت بذلك .

استمر الاسر اربعة اشهر ، فادرست اذذاك اوزارة الخارجية بلندن فشلها واصدرت الامر برجوع البعثة . ولكنها لم ترجع الا بعد فترة دبرت لحفظ صكرامة الحكومة البريطانية^(١) وعندما تم الاتفاق في الحديدة بين

(١) أطلق سراحنا بموجب اتفاق عقد في الحديدة بعد فترة دبرت بين عقلاء

الوكيل السياسي ووفد القعراء أطلق سراح الانكليز في باجل وأعيدت اليهم الامتعة والسلاح المحجوزة كلها^(١) واصبحتهم القعراء بالفين من رجالها المسلمين يشيرونهم الى الحديدية .

اما الامام يحيى والسادة في صنعاء فقتلوا العجب من هذه السياسة والانقلاب . أتقلب قبيلة عربية حكومة بريطانيا العظمى ؟ بل الأرجح انها انقلبت علينا فأنا واهل الحق تستطيع ان تبيد القعراء ، ولو شئت ان يصل الوفد الى صنعاء لما ترددت في الوسائل ولا ادخرت من القوة في ذا السيل .

وكانت النتيجة ان الامام ، وقد رجع انقلاب الانكليز ، يادروا الى المعاملة بالمثل ، بل سبقهم الى ذلك ، فلجأ بعد ان نفذ ذرع السياسة الى السيف اذ صدر امره الى جيش الجنوب بالرحيل على النواحي التسع المحمية ، تلك النواحي التي هي جزء من اليمن كما يثبت التاريخ ، جزء لا ينفصل عنه كما يقول السادة وامراء الجيش . وصنأت الامام في هذه السياسة او الحطة الحربية يقتدي بالانكليز . فقد ضربهم في ناحية هي قريبة منه ليخرجهم من بلاد لا يصل سيفه اليها ضربهم في نواحيهم المحمية ليخرجهم من الحديدية او يضطروهم ان يسلموها اليه

زحفت الجنود وكتب لها النصر في اربع من تلك النواحي^(٢) فتروى

القعراء ومشايعها فاعلوا لهوا على المشايخ لاتهم اسرونا . . . وخضوا عنهم . . . فاضطروهم ان يرسلوا وفدا الى الحديدية للمفاوضة مع الوكيل السياسي الانكليزي هناك . هارلد جاكوب في كتابه ملوك العرب صفحة ٢٢٣

(١) قبل صلاة الظهر سندا المشايخ امتننا المحجوزة كلها ولم ينقص منها شيء . قالوا : اعطنا وصلا بما لا نرسل صلاة لا نحل الله قيل ان نرى . ذمنا فاعطيتهم الرسل حالا . فقالوا : ولكنك لم تعد الصادق . فقلت : ولا اثم عندقوها حين حيزن غورها . هارلد جاكوب في كتابه ملوك العرب صفحة ٢٢٥

(٢) هو الصالح والتميب والاجود والنطبي .

صداء في اليمن الاسفل والاعلى وصاح الزوعد المتصرون : الى عدن ! وقد كان احدى الصدى في دوائر لندن السياسية وقع سيء فاستبدلت الحكومة بعدها في عدن وادنت بتغيير شخصتها تجاه الامام .

استؤنفت بعدئذ المفاوضات الثلاثية ، وتبادل الانكليز والامام الهدايا عملاً بالكلمة العربية الماثورة : تهادوا وتحابوا . حملت الجبال اجزاء سبارة الى صنعاء وسافر معها من يركبها هناك ويعلم احد الناس سياقتها ، وارسل حضرة الامام هدية من البن والحليل ، ثم عين القاضي عبد الله العوشي معتمداً له في عدن .

كان قد مر سنة على هذه الحال عندما كنا في صنعاء . ولم تأت المفاوضات المتوالية نتيجة تذكر . وفي اذكر كلام احد رجال الامام في هذا الصدد ، قال : ما كنا نبتدي في رسائل المتمد المتسلسة تدويناً وايهاً الى الصربيع الثابت من مقاصد الانكليز . وهم لا يزالون حتى انشاء المفاوضات السلبية يساعدون الادريسي علينا . لذلك ارسل حضرة الامام الى المتمد خطاً بآشديد الالهيعة فيه صراحة وحق . وقد يؤمر معتمداً بالرجوع الى ان تصدر المراجع الانكليزية العالية البناء الثابت القاطع في الامر النواحي التسع لنا هي حقاً . والحديدة كذلك لنا . ولا بد من احد امرين ، اما البر بالوعد من قبل اصحابنا الانكليز واما الحرب . اما اذا قالوا ان حمايتهم في النواحي التسع مبنية على اتفاق بينهم وبين الترك فالحواب بسيط . قد عقد ذلك الاتفاق مع دولة حركات متغلبة علينا فجاربناها وغلبناها واخرجتنا من البلاد ، ولا قسمة عندنا لاية معاهدة بينها وبين الانكليز بهذا الشأن . وكما اخرجنا الاترك من ارض اجدادنا بالحرب والجهاد فستطيع بعون الله ان نخرج منها كل من يشتهي اقتناء الزهرم .

على ان الاترك بذلوا في اليمن الاموال ودفعوا المشاهرات للكثيرين من السادة ومشايخ العشائر فلا بأس اذا اقتضى سواهم هذا الاثر الحميد . والسيد

احد الكيبي نفسه ، الواقف بالمرصاد للانكليز ، والناطق بلسان السادة
الاعاير ، يردد اقوال الناس ولغاتهم ، ويتأسف على عهد كانت « الظلط »
يسكال فيه كالبر وتبول بلا حساب .

قد صحت انهن ان الذين على ما في اهل وفي ذليلهم وعادائهم . من
اسباب التفهم والحوار ، اشرف الاقطار العربية اسماء وازدها خيلة ، وامتها
جانبا ، لانه وعده اليوم مستقل ماليا عن الاجانب ، اي عن الانكليز ، وبأني
التقيد بشي . من ملهم . وقد طملا سمحت من افواه العرب المتأدين المخلصين
في وثيتهم الجاهلين اشياء . من احوال الجزيرة السياسية والاجتماعية « ان
الذين هو تلك البقية الباقية ، البقية الصالحة التي لا تنقاد بالاسل الذهنية
الى العبودية الاقتصادية . وقد طالما قلت قبل اطلاقي على الحقيقة كلها ان
هذا الذين بفضل الامام الامر ، والاقتصادي الاكبر ، غني مستنير . وهي
رايم الحق حسنة تشفع بكثير من السيئات . ولكنني ، عندما وصلنا الى
« بيت القصيدة » قضية الحديدة ، قلت في نفسي اسفا : علمت شيئا وقد
فاتتاك اشياء .

نلك نكبة سكبت بها امالي العربية يوم علمت بان السادة الكرام
ومشايخ حاشد وبكيل وكل من كان يقبض مشاهرة من التوك ينتظر مثلها
بل ضمتها من الانكليز اذا تم الاتفاق بينهم وبين حضرة الامام . وقد
قلت في ما تعهدت به ان اذكر المشاهرات لدى اوليا . الامر في عدن على
شريطة ان ابدى لهم رأيي الخاص بها . اما الرأي الذي صرحت به في دار
المسند فهو ان الذهب مفسد لاخلاق العرب ، مققرهم فوق ما هم فيه من فقر ،
لانه يزيدهم كسلا ونحو لا واتكالا . ولا يجوز للانكليز ، وهم مدركون
ذلك ، ان يستروا في بذله مشاهرات ومسانبات ، لا استغوا ، ولا استرضاء ،
ولا استيلاء .

ان الحطة المثلثي التي نستقيم فيها مصالحهم ومصلة العرب هي ان يعتقدوا والامراء عهوداً وثائية تجارية ، بدون مادة الحماية ، مبنية على الثقة المتبادلة والمصالح المشتركة ، وان لا يكون للسياسة ولا لادارة الاستعلامات دخل فيها لا بأس مثلاً بقناصل انكليز في جدة والحديدة وجيزان والحسا وغيرها من البلدان ، فيقومون بوظيفتهم ضمن دائرتها المحدودة . ولكن الامراء وعقلاء العرب لا يستحسنون بل يستنكرون وجود الوكيل السياسي في بلادهم . اني ارى الفناء هذه الوظيفة امراً لازماً ، اللهم اذا كنا نبغي تحسين العلاقات وتثبيتها بين الحكومة البريطانية وملوك العرب ، لاني عالم بما يؤسف له من اعمالها .

اجل ، انما هي الجاسوسية منها . هي هي سلاح السياسة الانكليزية في البلاد العربية ، هي خادمة الوكيل السياسي في تقاريره السرية التي تتناول كل موضوع ، وتحيط بكل حال ، وتجتاز حتى الحدود التي تقدها التقاليد الى ما وراءها من الاسرار الاجتماعية والبيئية ، مثلاً واحداً يخرجنا من النسيم . اذا كان اوليا ، الامر واحد ملوك العرب في مآرق من المفاوضات او الملائق ضاقت فيه عليهم الابواب ، وكانوا عالمين بان لذلك الملك او الامير عدواً من اهل او من رعيته في بلاده ، فهم يسعون اليه بواسطة الوكيل السياسي فيستفرونه بلقب او بذهب او بالانين معاً ، ويستفهمونه على خصصهم لتحقيق مقاصدهم فيه .

ولا تخلو مقاضاتهم مع الامام يحيى من شوائب هذه السياسة . فانك تراهم ، اذا حدثتهم في الموضوع ، يبادرون الى السؤال عن حاشد وبكيل . هوذا موطن الضعف في حكم الامام ، لان عرب هاتين القبيلتين في اليمن الاعلى نافرون من الحكومة متمردون عليها . وليس الى استرضائهم بواسطة مشايخهم غير المال سبيل . ان حاشداً على الخصوص مقية بالقرب من حدود

الادريسي، والادريسي صديق الانكليف وحليفهم، والانكليف عنده وكيل سياسي، وكفى. افلا تراهم ولسان حالهم يقول: «اذا كان الامام يحمل علينا في الشواحي التسم المحمية فنحن نحمل عليه في حاشد وبكيل»^(١). ولكن الامام يحاربهم علناً في الغلاة وهم يحاربونه بالنجس والاغراء.

اما الخلاف بين الفريقين فمحوره كما ذكرت الحديدة. ولكن مطالب الامام يحيى تجاوزتها الى حدود رُفضت في دار الاعتقاد. ان موقفه تجاه الشواحي التسع، اذا كان مجرداً عن الفرض السياسي الخاص، لموقف وطني شريف. ولكنني اظن ان السياسة تغلب فيه على الوطنية العربية القومية. فقد قبل الامام ان يخرج جنوده وعماله من الضالع والشعب والاجمود وبلاد القطيف التي احتلوا، على شرط ان تكون ادارتها وادارة الياض والمواليك وملج وحضرموت بيد امرائها وليس لحكومة انكلترا ولا لحضرة الامام حق التدخل في شؤونها، وعلى شرط اخر، هو الاول طبعاً، وهو ان يحل الانكليف والادريسي الحديدة واللحمة والصليف وان تعلم هذه الاسا كل البحرية وجميع ما كان بيد الترك في اثناء الحرب الى اتمام تسليحاً مطلقاً لا قيد ولا شروط فيه.

اما الانكليف فالتصدد الاول والاهم في تعريبهم من الامام وابتنائهم عقد معاهدة معه هو على ما اري ان يقو بهيذا عنهم وعن عدن ويكون مع ذلك صديقاً لهم. ليست عدن كما هي ظاهراً مستودع فحم فقط، ولا هي اسكلة تجارية بين الشرق والغرب كما يودها بعض الانكليز المازهين من السياسة الاستعمارية، والكرنل جاكوب منهم. بل هي في نظر الحكومة البريطانية اولاً واخراً مدينة حصون بحرية ومركز حربي خطير. فاذا كانت كذلك فتأنيها اهم ما ترغب الحكومة فيه. واذا استطاعت ان تأمنها الى حد تستفي

(١) راجع الشرح في صفحة ١٩٤.

فيه عما تضطر ان تقيم هناك من التجهيزات الحديثة والجنود فلا تقصر في ذا السبيل سعياً .

غني عن البيان اذن ان الحكومة البريطانية ، وهذا قصدها الاكبر ، لا تتنازل عن مفاوضات عقدت بينها وبين امراء النواحي التسع المحمية . وانما تبني توسيع نطاق الحماية ، وقد رضى بالولا ، فقط ، ليتناول كذلك قسماً من السن الاعلى . اما الحديثة فامرهما من هذه الوجهة ثانوي^(١) . ولكان افلح الانكليز لو اتخذوا مع الامام خطة فيها على الاقل عزم وصرامة . لكنهم يسلكون الى محبتهم السبيل الذي تقدم ذكره ، فيأطلون ويسوفون ويحاولون اضافة الامام وفساد امره بواسطة بعض رعاياه غير الراضين بحكمه ، وفيهم الحائن الطامع بالمال والمكابر الطامع بالسيادة .

ها قد بسطت مطالب القويقين في اعلى درجة من درجات الوطنية والسياسة . اما ما قد يتناول كل فريق منه الى درجة تقتزن فيها المصلحة بالعدل والانصاف ، والوطنية - الانكليزية او اليابانية - بالمعقول ، فهو لا يزال تحت البحث ورهين المفاوضات .

١٠ يثبت هذا القول ان الحكومة البريطانية لم تشرع للامام عندما احتلت جنوده في نيسان ١٩٢٥ الحديثة والاساكن الاخرى التي كان يطالب بها اي السجينة والصليف

الفصل الثالث عشر

تسمية المفاوضات

نوم الافرنجي - المناقشات السياسية - الاعتيازات - المعاهدات - الفرنسيين
والانكليز في افغانستان وفي اليمن - غزوات عيسى قرويه - الامام يستفيد -
حشكار تجاوة ابن - مين - نند - السلاط - الدخيل في سوز - القضا في حيازة
لاعام - الملك الزوايا في قضية المدينة - الانكليز ابن السيد والامام الشوافه
«نرون» - الامام ناطق - الموشير - يرقية وكتاب في صفا - الجواب.

لو كان الافرنجيون الذين غشوا صغاء يوم كنا فيها يعرفون بعض الشيء.
من اصول الامام وعادات المسلمين لما جاؤوا في شهر رمضان ينفون من
الامام امتيازاً، ولما جاؤوا في رمضان ومعهم من الخمر انواع يحسنونها في
الطريق وامام الخدم في عاصمة الزيد . فان شكهم ببعض عاداتهم التي كان
ينبغي ان يتنازلوا عنها اكراماً لاهل البلاد ، وحجراً انفسهم لو عاقبوا ، اثار
عليهم ولا شك تعصب الخدم الزيد فسقروا ورا. الحرماء الوضو من بركة
الشافران

قد لا يهم الافرنجين ذلك وهم كما ادعوا تجار ينشدون المصلحة . لكن
بعض العارفين قالوا انهم سياسيون جاؤوا يبارون الانكليز في خطاب ود
الامام . لذلك لم تأمر الحضرة الامامية باستقبالهم رسمياً ، وعندما وصلوا الى
بوابة صغاء اوقفهم الحرس هناك ليعلموا الامام ، فاذن لهم بالدخول . ثم بعد
ثلاثة ايام حازوا شرف المتول بين يديه .

ولكنهم منحروا ما حرماه وهو الاذن بزيارة « جرجي » مدير معمل
الحطوش . كان لكل ما يذن او يأمر به الامام معنى خاص يخفى احياناً
على ضيوفه اصحاب الانعام . ان في اجتماع الافرنجين بجرجي بهاناً واحداً
على ان مهمتهم تتجاوز حدود التجارة ، هوذا معمل الامام ، وهوذا احد

رجالكم ايها الافرنج في خدمته، فهو يستغني اليوم عنكم في الذخيرة ويستغني عنكم غداً في السلاح . فاذا عاهدكم فكأقران يبادلون المنفعة .

اما الافرنسيون فيقالون كما هو معلوم من الانكليز . ويقتفون اثرهم حيثما رويوا وحلوا . عقد الانكليز امر معاهدة مع امير افغانستان فتقامم الافرنسيون وانبتوا امرهم سياسياً وفتياً هناك . احس الافرنسيون ان الانكليز ينفون عقد معاهدة مع امام صنعاء فسارعوا الى متابعتهم في السن ، والامام مطلق الارادة تتبع اختياره من يشاء ، ويعقد المعاهدات مع من يشاء .

على ان الافرنسيين سباقون في السن وفي تجارة البن ، فقد تقدم ذكر البشة التي جاءت عن طريق امرا في العقد الاول من القرن الثامن عشر وعقدت معاهدة تجارية مع الامام المهدي لدين الله تدل شروطها على حكمة تنسج عندها مصلحة البلاد حدود للدين « وتفكرتك من اجلها قيود المذهب . والامام يحيى اليوم يقتضي اثر اجداده الكرام ، ويستعين كذلك في سياسته بحكومة افرونجية على اخرى هي خطة في السياسة تجوز ، وقد تنفيذ اذا وقف صاحبها عند حد يوجب الايضاح والتفضيل .

اما اذا عاهد امير عربي دولتين من دول الافرنج وافذن لها شيء من النفوذ داخل بلاده فتكون الاثنان بلية عليه وعلى بلاده . فتقتلان في سبيل المصلحة فتقتلانهما ، فضلاً عن الدسائس والحزب . فاذا كان الامير محبوباً الى رعيته جماعاً ، لا يلبث ان يصير له فيها منادون واعداً . واذا كان له عدو واحد في رعيته لا يلبث ان يصير لاعدو حزب حياضي . واذا كان في البلاد حزب واحد على الامير يصير فيها حزبان وثلاثة .

اننا نعلم حق العلم ان كل وكيل سياسي في بلاد سيادتها الوطنية ناقصة يتخذ له حزباً من اهل تلك البلاد التافكين لانراض خاصة على حكومتها ، فيستخدمه لمصلحة حكومته وبلاده .

اجل ، اذا كان ثمت خير في مفاوضة اثنين باسم واحد فان ذلك الخبير
 يقول اذا اشرك به الاثنان . وحضرة الامام يجي يدرك ذلك فهو يستخدم
 الافرنسيين اليوم كما يستخدم الملك حسين الابطالين لئلا من الانكليز كل
 او حتى ما ينبغي ونول بغرائه وامهما لان ميناء البسن الاعلى على البحر الاحمر .
 جاءت البشة الافرنسية تطلب امتياز باعادة بناء ميناء الحف المهدوم ، وميناء
 اخر في الحوخي ، واحتكار تجارة البن . ولكن الامام ، اذا استعاد الحديدة ،
 فقد يهتم للحف والحوخي . ولا سر هناك في تفضيله . الا انه يريد ان يفهم
 الانكليز انه يستطيع ان يستغني عن الحديدة اذا اقتضى الامر وان يستغني
 عنه كل الاستغناء في جميع الامور .

قد قال لنا الامام ان هؤلاء الافرنسيين تجار جاؤوا يبحثون عن احوال
 التجارة عندهم ويطلبون امتيازاً في المتاجرة عن طريق الحف . وقد علمنا انهم لم
 ينالوا الامتياز الكبير الذي طلبوه وهو احتكار تجارة البن . فالامام لا يسلّم
 بذلك ، ولكنه يهادمهم على بيع حصته او بالحري الامتياز من البن التي تبلغ
 عشرة الاف كغم في السنة ، ويشترى منهم ما يوافقهم من السلاح .
 السلاح : لا شيء . في البلاد العربية اكثر من السلاح ، ولا رغبة لامراء
 العرب اشد من رغبتهم في السلاح . لا الداعي الى هذا الطلب الدائم
 وخصوصاً في اليمن ؟ تذكر ايها القاري . جواب الامام عندما سألناه حكم
 يحكمهم من بلاد اليمن واهله فقال : اليسير . اليسير . وهو يطمع ببسط
 حكمه وسيادته على اليمن كله - اليمن القديم من حضرموت بل من عمان
 حتى اخر بلاد عسير . وقد طالما سمعت في صنعاء ان الامام في احترايه والادريسي
 لا يريد ان يوقف عدوه عند حدوده المعلومة فقط بل يريد ان يخرجه من
 بلاد اليمن وعسير كلها ، لانه كلما يدعون دخيل فيها . كنت اسمع هذا
 الكلام ساكناً لاني لم اكن اعلم يومئذ غير اليسير من امر السيد الادريسي
 وبلاده .

ولكني بعد رحلتي في عدير، وزيارتي السيد في جيزان، ومصادفتي الناس من سادة وعامة في تهامة، بأن لي الحظاً في سياسة حضرة الامام، وتأكدت انه لا يستطيع بتلك السياسة ان يستولي على الحديدة. وأتى له ذلك والآنكلير لا يزالون اصدقاء الادريسي وهم اصحاب السيادة في البحر الاحمر. فهم اذا استحسنوا عقد معاهدة بين السيد في جيزان والملك حين لا يستحسنون على ما اظن مثلها بين الملك حسين والامام. وقد يقبلون بعقد معاهدة او اتفاق بين الثلاثة اذا كان ذلك برايمهم وموازرتهم.

ان القضية في اجلي بيان تتحلل اذن الى ثلاثة اجزاء. الاول والاهم هو وجود الانكلير بين الامام والادريسي. هذه حقيقة لا يمكننا ان نشكرها او ننفي عنها او نفر منها. الثاني هو وجود الشوافع عوناً للانكلير اليوم حكماً كانوا بالامس عوناً للاتراك في سياستهم البائسة. والثالث هو وجود الحديدة، وهي محور النزاع، بين الشوافع والزيود والانكلير. وقد امت بفضل السياسة والغوضى البقة الحراب والبلاء.

قد كان الادريسي يومئذ يميل الى السلم اذا حددت حدوده على حال مرضية. وكان الانكلير قد قطعوا عنه المشاهرات والسلاح وبدأوا بشؤون بفتور منه بل بفتور فيه. فاستحسنوا سبيل المسالمة والمفاوضة رغبة في صداقته وصداقة الامام يحيى. اما الشوافع فكانوا قد قاسوا من الاحتراب الدائم عذاباً واهوالاً، فكروا لذلك الامامين « وغدوا في حال تحجب اليهم اصغر الشرين ».

اذا كانت الحديدة باب النزاع اذن فهي كذلك باب السلم. ومكان الامر كما بدا يومئذ لذي عينين ناضجاً للسلم، فلم يبق غير الوسيلة الى ذلك. ووسيلة السلم المؤتمر. فارسلت الى صنعاء بريقة اعرض فيها فكرة مؤتمر يعقد في الحديدة او في عدن، يحضره وفود المتحاربين واصحاب المصالح

المشتركة في البلاد . فجاءني الجواب وليس فيه غير ما طالما سمعته هناك : -
لا حق للأديسي في جميع الين ، لا حق للانكليز لا قبل ولا بعد الدور
العثاني في الحديدية ، لا ثمرة في المؤتمر ، الدواء كله في عدن .

ولكن عدن تستعين المؤتمر وكان قد ارسل المتشد الخيال سكوت
لاسلكياً يستني رجوعي من صنعاء ويقول انه راجب في «فاوضتي» ولكنني
لسوء الحظ تأخرت في الحديدية وفي جيزان وكان وصولي الى عدن يوم - افر
المتشد الى لندن . فقامت معاونته الاول والحاكم بالوكالة يومئذ المايجر بارت
وبعد ان تحدثنا ملياً في الموضوع ارسلت الى صنعاء بواسطة مندوب الامام في
عدن التلغراف الآتي :

اني متفائل مستبشر لاني وجدت ارتياحاً الى المسألة ورغبة في تحقيق
مطالبكم بشروط لا بد منها . اي انهم يرغبون في ان يسلموا الحديدية
الى الامام ولكنهم متعاهدون مع الاديسي ولا يرون لانفسهم مخرجاً
في غير التسوية السلمية بين الطرفين اي بينكم وبينه . فهل تقبلون
بذلك ؟ هل يقبل حضرة الامام بمقد مؤتمر في عدن يحضره ممثلون من
قبيله وممثلون من قبل الاديسي وممثل من دار الاعتماد اذا وعده المتشد
رسمياً بنسليم الحديدية على شرط ان يتم الاتفاق والسلام بينه وبين الاديسي ؟
قد قابلت السيد في جيزان فوجدته قريباً من المسألة وميلاً الى
الاتحاد بشرط ان يُعترف به حاكماً في لواء عسير . واظن ان عقد الصلح
يمكن بينكم وبينه على شرط تسليمكم الحديدية وارضائه في الحدود
الشرقية او الشمالية . ولا يتم الصلح الا بحسن النية وبالإجماع والمداولة .
عرفوني حالا اذا كنتم تقبلون لاطلب لكم كلمة رسمية من الحكومة
الانكليزية بخصوص الحديدية .

عدن في ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٠ الموافق ٨ توز سنة ١٩٢٢

بعد اسبوعين من هذا التاريخ وانا انتظر في عدن واقالم من حرها وسوء هوائها جأً بخدمة البلاد العربية خدمة صافية لوجه الله « جامي من صنعا بالسلك الى القاضي عبدالله الرشدي في نجر ، ومنه مع نجاب الى طنج ، ومنها مع رسول الى عدن ، الجواب التالي . وحكان السلك كما اخبرني الرشدي مقطوعاً من شدة الامطار « فتعذر » اي تأخر وصول الجواب .

كانت المراجعة وصاحبنا . قد عرفتم حسن نيته ومحبه لكم .
 لكن الادريسي لا حق له في اليسن باي صورة من الصور المشروعة .
 وصاحبنا حقوقه واضحة . ملومة عند الجميع . ونحن لا نجح الا نجاح مساكك ونجح صون نفية بلادنا عن الذهب . لا لزوم للمؤتمر معها كانت الحكومة الانكليزية تريد ذلك . فانتم تقومون بكمال هذا الامر .
 وكل الصلح بيد الحكومة الانكليزية . وسنجد على صاحبنا بقبول ما اشترط اليه من حاكمية الادريسي على سبيل وتسليم الحديدة وما كان بيد الاتراك عند تسليمهم الى الامام . وضعوا المشير اليه الحقائق . وقبلوا فانق الاحترام .

ما الحيلة بهؤلاء العرب سادتنا أبناء عمنا ، اخواننا ؟ نريد لهم الخير الصافي الثابت الدائم وهم لا يرغبون في غير مزيج من الخير الوقتي . اتي على يقين ان لو قبل حضرة الامام بمقد المؤتمر لكان السلم اليوم نجحاً على البلادين والولا . والتجارة صلنا العمران بينها . ولكن النجاح في هذا السبيل لا يكون الا بثلاثة : الصحة والثبات والتفقات . وكيف لا والمواصلات في البلاد العربية قليلة الاسباب كثيرة المشقات ، فلا يستطيع من يتجرع بخدمة امرائها واهلها ، اذا لم يكون غنياً ويمتأ بالصحة والامانية ، ان يقضي بضع سنين جائلاً فيها ، رسول الشراف والتعظيم والائتلاف .

قبل ان سافرت من عدن بشت بكتاب اخر الى صنعا . لاممكن هناك

الذكورة التي بدأت تحمل في سياسة الامام محل الاستشراء ، انقل منه ما يلي :

الامر ميسر على شرط ان يتم العمل بينكم وبين الادريسي . ومن
البعث ان تحاولوا اخراج الرجل من البلاد ان حجتكم في قضية الحديد
ظاهرة ثابتة ، ينصرف فيها كل من اطلع على الحقائق ، ولكن حجتكم
في اخراج الادريسي على وجه انه دخیل لا يوافقكم عليها الناس .
واذا تسكنتم بها تضرون بصلحتكم وتضعفون حجتكم في طلب
الحديدة^(١) .

(١) قد تمكن الامام من اجتلال الحديد حكا تقدم في حاشية للفصل السابق .
ولكنه لم يتمكن من اخراج الادريسي من عسير ولا اظنه يطمع الان بذلك وقد
صيح صاحب عسير حليفاً لملك نجد والحجاز الملك عبدالعزيز ابن سعود وفي حمايته .

الفصل الرابع عشر

المعاهدة

الامارات العربية القديمة - توحيد الكلمة الدينية - توحيد السياسة - المعاهدة
الاجنبية - ملك العرب وملك الجزائر - المعاهدات مع الحكومات الاجنبية -
الدفاع والهجوم - نظام جرد من اليمن - تحديد المعاهدة بالتقود القطبية - حصيل
السلام - مندوب للامار في مكة - مندوب لملك في صنعاء - مندوب نوفيد
من مال الرجاء - الاشاعات الصومية - خطاب آل جلالة لملك حبرن بخصوص
المعاهدة - المختار .

لا بد من معاهدة تقعد في المستقبل بين اليمن وقطر آخر من البلاد العربية .
وبما ان السامي التي تقدمت سمينا والتي ستبمه هي ذات شأن في تزيين القضية
العربية ادى من الواجب ان اشر صورة المعاهدة التي تم الاتفاق عليها مع
حضرة الامام وها هي بكاملها وبالطرف الواحد :

بسم الله الرحمن الرحيم

ان المقصد الوحيد من هذا الائتلاف والاتفاق هو الانتظام في سلك
واختصوا بحمل الله جميعاً ولا تفرقوا وبه يكون التعاون والتعاقد
على انفاذ احكام الله كما يجب في جميع البلاد لمواطنيها واصلاح شؤونها
وكف ايدي المعاضين عن التدخل فيها والاخلال بمصالحها وراحة اهليها
وتأمين معاش سكانها وتقوية صناعتها وتجارتها . فلذلك عقدت هذه
المعاهدة بين حضرة الامام المتوكل على الله يحيى ابن المنصور باالله محمد بن
يحيى حميد الدين وبين جلالة الملك الشريف حسين بن علي بن عون على
ما تحويه المواد الاتية لتكون دستوراً للعمل بعد تقدم اصلاح النية
وجعل الاعمال مدارة على الشريعة الاحمدية في الاقدام والاجرام والنقص
والايرام .

أولاً - البلاد العربية اقصاها وادناها بلاد اسلامية لا تقبل التفرقة والتجزئة وانفكاك بعضها عن بعض من حيث الجامعة الدينية والقومية والوطنية واتحاد اللسان ، وليس المراد من عدم قبولها التفرقة تغيير اشكال امارتها القديمة وتحويل امورها المشهورين المطوعين الذين يجرون ادارة شؤونها واعمالها وسياسة داخلتها منذ قرون . وانما المطلوب اجتماع الكلمة الدينية^(١) وتوحيد السياسة على وجه يرضاه الله وتصلح به احوال البلاد من غير مداخلة اجنبية خارجية من اية الجهات تحل باستقلال البلاد العربية ووحدةها^(٢).

ثانياً - يعترف حضرة الامام جلالة الملك بالملك ويعترف جلالة الملك لحضرة الامام بالامامة^(٣).

ثالثاً - يختص حضرة الامام بادارة الدين وسياسة الداخلية والخارجية حكماً كان بيد اسلافه ويختص جلالة الملك بسياسة ما تحت ادارته في اطلاق

(١) « المطلوب اجتماع الكلمة القومية والدينية » هي الاصل الذي وضاه فابده الامام بما تراء في البلد وسلمنا بعد المناقشة « باجتماع الكلمة الدينية » وقبل حضرته بان يضاف اليها « وتوحيد السياسة » .

(٢) كان قد وقف الامام عند « المداخلة الاجنبية الخارجية » اطلاقاً - فاضفنا اليها الكلمات : « تحل باستقلال البلاد العربية ووحدةها » كي لا تنفي المادة المداخلات التجارية والاقتصادية والادارية . ولا يتفق ما في مثل هذه المداخلات المجردة عن العوامل السياسية من حقير للبلاد العربية . ان حضرة الامام مثل سائر امراء العرب مقتنع بذلك . كانت هذه المادة في النسخة الاولى من المائدة ان حضرة الامام يعترف بالملك حسين ملك العرب . وقضينا اسبوعاً في المناوشات بهذا الشأن . فجماع في السيد احمد

ذات ليلة بعد نصف الليل فايقظني من نومي وقال : يسمع عليك حضرة الامام وبالك خصوصاً ان تدعه في النظر بهذا البلد . لا يمكننا ان نعترف به هو غير الواقع وبأمر الامام ان يسر شعور جلالة الملك فكيف العمل ؟ هل عندك حل لهذا المشكل ؟ يخبره حضرة الامام ملك قدنا وبدنا وثلاث ساعاتين وانا احاول الدقاع من قضية ضمنت جانبا . وقد رايت فوق ذلك بعد الساعة في اليمن ان ملك الامام خمسة

وغيره داخلية وخارجية . فليس لاحدهما احداث مقالة اجنبية في ما يتعلق بتا تحت ادارة الثاني من البلاد ولا يغير شيئاً محمولاً من طرف صاحب ادارتها ولا يتدخل في ادارة داخليتها لا خاصة ولا عامة الا ان يكون بعد المشاورة بينهما^(١) والاتفاق لمصلحة تطابق مراد الله سبحانه . واذا فعل احدهما شيئاً من ذلك او عند مقالة اجنبية في ما يتعلق بمسلكه الآخر منفرداً فلا يعتبر ما فعله ولا يصحكون عقوبة . وليس لاحدهما نقض مقالة سابقة لتاريخ هذا الاتفاق من الطرف الاخر في ما يتعلق بخاصة عاقدتها ومملكته ولا تعتبر نافذة في ما يتعلق بمسلكه الثاني اذا اشتملت على شيء من خصوصياتها ولا بعد هذا الاتفاق تاقضاً لما تقدمه من المعاهدات بين حضرة الامام والحكومة العثمانية او بين الملك واحدى الحكومات

رابعاً - بعد امضاء هذه المعاهدة يكون كل من حضرة الامام وجلالة الملك ومن تجري ايامهم او امرهما الشريعة من الامراء والنبوة عوفاً للآخر ونصيحاً له في دفع كل عدو حائل من الخارج او معارض من الداخل . وهذا التعاون والتناصر يكون موقوفاً على الطلب من اي الجانبين عند

اضفاف ملك المحارم مباحة وعدداً وقوة . فقبل السيد احمد اخيراً بما اقترحه من ذلك لهذا الشكل وهو النص الحالي . وقد اصغت في المادة الثالثة بعد « وينص حاله الملك سياسة ما تحت ادارته في المحارم كلمة « وغيره »

قد يكون قبل الامام في المفاوضات السابقة ان يتعرف بالملك حين ملك العرب ولكن سياسة الملك بعد الحرب وخسارة الخيول في وقعة تربة حملت الامام على تغيير رأيه في الموضوع .

(١) كان الامام مصرأ عن رفضه عقد المعاهدات مع الحكومات الاجنبية وخصوصاً في ما يتعلق بالامور الخارجية . فقبل بالجلسة الشريفة « الا ان يكون بعد المشاورة بينهما » وبكلمة « منفرداً » في الجلسة التالية : اذا فعل احدهما شيئاً من ذلك . . . منفرداً »

الاحتياج والزوم وفي دائرة النصوص الشرعية

خامساً - عند ظهور عدد متناق للطرفين اذا ترم لاحدهما اعداد من الثاني فعلى من تطلب منه الاعانة اعانة الطالب بمقدار ما يدخل تحت امكانه من مال او رجال او سلاح او معدات حربية . وعلى الطالب للاعداد بالرجال نوازم المطلوبين مع التأمينات اللازمة

سادساً - بان المقدم قبل كل شيء . تأييد ملوك المواصلة والمراسلة بين الحجاز واليمن من الطريق الاسهل والاقرّب لامكانات المواصلة بسرعة في حكل ما يلزم ، ومن المعلوم وجود الطائفي في تهامة التي هي جزء من اجزاء اليمن ، فاللازم تقديم التعاون الطائفي المانع من الحديشة ونحوها بأي وجه كان اما بسياسة يتفق عليها او بقوة يسكن سوقها من الجانبين بعد تقديم المذاكرات اللازمة في كلا الامرين وخدمة المعاملات والطرقات من الجانبين^(١)

سابعاً - السكة الفضية الحالية من الفشل والنوع الرئي التي تضرب في الحجاز باسم صاحبها معينة قيمة نداوها تكون مقبولة ومقبولة في التداول في الاملاك بقيمتها المعينة بعد الاعلان كتابية من الجانب الذي يكون ضربها باسمه بكيفية التداول وكمية القيمة والصفة المعينة للسكة

(١) سلنا هذه المادة ونحن عالمون بان المراد من السيد الادريسي ولكننا لم نوافق عليها . بعد ان اخفنا بها الجملة الاحتياطية وهي « اما بسياسة يتفق عليها » بعد الكلمات « بأي وجه كان » وقد صكنا نوهل ان بعد بدلة معاهدة بين الادريسي والمثلث حسين . فيكون حلاله اذ ذلك صاغة التوصل او الواسطة السليمة بين السيد والامام خليفة فيمكن « سياسة يتفق عليها » من اصح ذات البين في تحديد حدود ترضي الطرفين . انظر المعاهدة التي عقدت مع السيد الادريسي وكتاني الى جلالة الملك حسين بخصوصها في الفصل الحادي عشر والفصل الرابع عشر من القسم الثالث في هذا الجزء .

ثامناً - يتعين مندوب من لدن جلالة الملك في صنعاء ومندوب من لدن حضرة
الامام في مكة المكرمة لمداولة الافكار والتوسط في تعاطي المفاوضات
والمذاكرات

تاسماً - معلوم احتياج المملكتين لانواع الاسلحة والمعدات الحربية وسائر
انواع التوقيات الفنية واحتياجها الىيجاد ممول وآلات لعمل الاسلحة
وغيرها تقوم بالمقاصد . وبعد امتضاء هذه المعاهدة من الجانبين تكون
المراجعة وتقرير ما يلزم من الاسباب والوسائل والمقدمات والاستعدادات
لايجاد المحتاج اليه من المعامل ومحل لتأسيسها واستعمالها مناسب جامع
لمقاصد الطرفين وكيفية الاعمال وحصل ما يلزم لذلك من المصاريف
والمأودين والمخاضين والمدة وغير ذلك .

عاشراً - يكون تعيين مبالغ من الاموال معلومة مخصصة لكل سنة بمقدار
يكون الاتفلق عليه تصرف في ما ذكر في المادة التاسعة من الاعمال
الضرورية او ما يتفق عليه من الانشاءات والاستعدادات العمومية المهمة
وهذه المبالغ تحفظ من حقل جانب ما يتعين عليه في خزينته الى وقت
اللزوم وتنفذ تأميمات يتفق عليها بين الطرفين ويتساهاها الطرفان لتأمين
تأدية كل ما يلزم منها في وقته وزمانه بحيث لا يتضرر احد الجانبين
ولا يكون من احد تأخر بحصول المقاصد^(١) .

احدى عشر - هذه المواد الاساسية يستمر حكمها الى عشرين سنة واذا
كان الاتفاق في خلال المدة على تعديل شيء منها او تبديله او طيه

(١) ان المصود من هذه المادة انشاء صندوق توفير من مال الزكاة في كل امانة
ومملكة عربية لذلك في الشارح العمومية المتحركة مساها بين الجميع لد السكك
الحديدية والاسلاك الحديدية وتفيد الطرقات وغيرها وهو احدى الفكر التي كانت
ايها وابشر حاشاك والتي صادقت استحداث جميع ملوك وامراء العرب . وعندوا
النية على العمل حاشا تضامنا واما اقرا ا .

بحسب ما تقتضيه المصالح وتداول الافكار فشكل ما يستجبه بمد تقريره
فحكاه حكم هذه المعاهدة . وبعد تمام العشرين سنة يكون تجديد لها
كأهي او تبديل ما يتفق على تبديله ان شاء الله تعالى .

حور في صنها . في ١٨ شهر رمضان سنة ١٣٤٠

وقد ارسلت المعاهدة مع صديقي قسطنطين بني مصحوبة بكتاب الى
الملك من حضرة الامام وكتاب مني اتقل منه ما يلي :

قد تفاوضنا في الامر الذي جعلت احدى غايات رحلتي في البلاد
العربية الاهتمام به والسعي في بسطه لدى امراء العرب وتقريبه من القول
في شكل علي مقبول . فلقينا في الامام يحيى اخوه الله اذنا صاغية ، وهمة
للعمل داعية . وهو في موقف الولاء ولا شك ثابت القدم مخلص القصد
والنية الا انه لا يجب ان يكبر في البدء خطواته ، ولا ان يوسع كثيراً
صراعه . وان التمتع بالخير الان ، خير من الامل بالكثير . قد كانت
لنا جلسات طويلا ومباحثات ومناقشات ، يسمعكم الصديق قسطنطين
خبرها ، ويطلعكم بما بذلته في سبيل المعاهدة المرغوب فيها وفي توسيع
بنودها بقدر الامكان لتمام ما نشده من الوحدة العربية . وقد قرنا
بجمل المرغوب وسلمنا ببعض الجزئيات التي لا تقدر روح القضية او نفس
نحوها .

ومن الحقائق التاريخية يا مولاي ان النهضة الخطيرة في الامم لا
تنشأ نشأة واحدة تامة كاملة . فلا بد لها من خطوات الى ذلك الكمال
وتطورات في ما يوجب فيه من وحدة الكلمة والحال اما المعاهدة في
صورتها الحالية فهي خطوة اولى مهمة الى الامام . فسي ان تستحسنوا
علما وتروا ، وانتم مصدر الحكمة ، صواب رأينا . وفي المستقبل القريب ،
بعد ان يتم توقيع المعاهدة ، تترفقون ولا شك الى اضافة بنود مخصوص

توحيد الامور الاجنبية ، والنقود ، والتشيل الواحد في الخارج وغيرها .
 اذ حين تم وسائل المواصلات بين جلاّتكم وحضرة الامام فيكون له
 مندوب عندكم ولكم مندوب في صنعاء تتبادلون مباشرة الاداء
 وتتفقون ان شاء الله الى ما فيه تمام تعزيز المصلحة العربية والامم العربي
 داخل البلاد وخارجها .

انتهى القسم الثاني



حضرة السيد محمد بن علي الادبي

الفصل الثالث

السيد الادريسي

١١) بلاد السند

سنة ١٩٢٢ م . ١٣٤٠ هـ .

او ما يحكمه الادريسي من عسير

حدودها : غرباً البحر الاحمر . شمالاً ابو مثنى على البحر . جنوباً الحديدة .
شرقاً جبال اليمين (وقد كانت الحدود الشرقية في رمضان
١٣٤٠ كما يلي : آخر جبل ربيع جنوباً للامام يحيى ، وجبل
براع المجاور لريبعه للسيد الادريسي . وآخر جبل صفان شمالاً
للإمام ، واول جبال بني سعد المجاورة لصفان للسيد) .

سكانها : نحو مليون نفس .

منازلها : تمتد ثلاثمائة وخمسين ميلاً شمالاً بجنوب . ومعدل عرضها غرباً
بشرق سبعون ميلاً . السهل الذي يتصل بالقبة وراء ميدي
وجيزان عرضه اربعون ميلاً .

اهم قبائلها : رجال النع والمسايرة وبنو مروان والقرام وبنو هلال
وبنو عيسى .

اهم بلدانها : صبيا وجيزان وميدي واللحية والحديدة وابو عريش وباجل .

مذاهبها : السنيون : شوافع ، والشيعة : جعفريون واتباع عليون ، والفرس
واليهود والمندوس .

(١) بعد وفاة كبير الادارة الامير محمد في نيسان ١٩٢٣ اضطربت شؤون عسير
الداخلية والخارجية ، فتمت شوكتها ، وتلصقت حدودها ، التي تكاد تنحصر اليوم
في جوار جيزان وصبا الى الجنوب والى الشمال ، وفي سفح الجبال الى الشرق .

الفصل الاول

سطح اليمن

انزلت الانكليزي في بلاده وخارجها - بلاد العدو - الاقطار - ثلاث الدار -
الرحيل - السيد علي بن محمد بن احمد المكارم - جبل صغر - طريق الميراث -
ودله صغرا - النبي شعيب - شهاب - مقته - عسكر الدولة - القربى حافات
الى صنعاء ! بلاد شامر حوى يشا : ه - حيدان النيسان - ثلاثة قصور في وقت
واحد - سطح السج - يوحان ولبنان - القيسية - حورلها الشاهة وبساتينها
- سوق الطميس - مجلس القات - الصيود والسعادي - فلق في اليمن -
الدمرية - القس - القبة ندي فتن تسميته - حديث العسال - رحمة الله الدولة .

الكريم من لا يملك اذا عجز عن الاكرام والمساعدة . واذا اكرمك
فلا يثن عليك . والكريم اذا كان متوكلًا لا يقول : لا ، بعد ان يقول :
نعم ، ولا يقول : نعم ، بعد ان يقول : لا . اما اذا قال : نعم ، فيشفع
الاجازة مثلًا بالصيغة والعذبة بالبشارة . ان الانكليزي في بلاده وفي حكومة
بلاد هذا الرجل . ولكنه خارج انكلكوا ، ولا سب في الشرق ، مثل الواحة
في الصحراء . لذلك هو اكبر قدرًا ، وان لم يكن اوقع مقامًا ، من زميله
في انكلكوا .

قد كان خطي في رحلتي الى مروت ببعض الواحات ، منها واحة في دار
الاءباد بعدن استأنست بظلمها وانتعشت . اقول « بعدن » على الرغم مما نقيت
فيها من العقبات . فقد كانت خطي في السفر ان ازور الامام يحيى في صنعاء
ثم اسافر منها الى الحديدة لازور السيد الانديسي في عسير . ولكن الامام
والسيد اعداء والبلادين في احتواب . اما الانكليز ، فاذا كان لاحق لهم
في اليمن الاعلى ، فهم يستطيعون ان يمنعوني من الدخول الى بلاد صاحبها
حليفهم ومدينتها الكبرى الحديدة هي فعلاً في يدهم . سألت معاون القاضل

في دار الاعتماد، بعد ان صدرت الاجازة بالسفر الى صنعاء، ان يعطيني كتاب
تربف الى وكيلهم السياسي في الحديدة، فاجاب: هو اليوم في عدن وسأقول
له ان يزورك. وكان كذلك. فاجتعت بواسطة الماوت بفاضل من افاضل
الهند، روحه شرقية، وعقله شرقي غربي. هو الدكتور محمد فضل الدين
الوكيل السياسي في الحديدة لدولة بريطانيا العظمى.

وكننت، وانا في طريقي الى صنعاء، اشكر الاثنين دانفا لاني كرهت
ان اعود من حيث اتيت لاما قاسينا من المشقات فقط بل لرغبنا في ان نحيط
علماً بالبلاد واهلها. ولكنتي وانا في صنعاء. ظننت مرة ان الامام لا يأذن بالسفر
الى بلاد العدو، فتشلت امامي تلك الطريق الى عدن، وآفاق الحياة فيها
مربدة كلها. ثم جاءت احد الساحة يزيدنا كرباً وغماً في ما صدره من الاخطار
في متعلقة الحدود بين الحبيلة وابلج - اذا سلمت فيها فلا تسلمون من الاسر.
الادريسي لا يركن الى احد قادم من عند الامام.

ولكن حضرة الامام عندما فاضناه في الامر حقق لنا املاً في ارساله
كتاباً مني الى الدكتور فضل الدين بواسطة عامل جراز في مناخة وامير
الجيش الادريسي في ابلج. وقال تهديته لائنا: اذا جاء الجواب بالايجاب
ولا بأس بمركم.

ان المسافر في البلاد العربية لينعلم قبل كل شيء الصبر والتحمل. صنعنا
شجرة ايام وقطعنا الامل، فتجندنا على القضاء في تكرار مشقات عرفناها
فازدادت في التصور شدة وبلاء. ولكنا وجدنا شيئاً من التفرقة في الآية:
وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم. فلا تلتزم الطريق بين بلدين متحاربين
من الاخطار. وبينما افكر ذات يوم في ما اقول لمولاي الامير في ماويه
وقد سألتني: احسني انت ام حسني، وعرف بعدئذ اني مسيحي، وكيف
اجيب في يوم ذاك الشيخ القبه الذي جمع اولاد مدرسته صفاً وانشد وياهم:

نصر الله المسلمين ، ورسول الخير امين ، بيتنا انا في هذه الورطة دخل الحاجب
ويده ثلاث ثقائف قدما لي قائلا : من الامام . ففضت الاولى فاذا هي :

بسم الله

•ولاي القاضي العلامة عبد الله بن الحسن العمري حفظه الله وتولاه
وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله وسلم على محمد
وآل هداية واهه يحفظ ولي النعمة ويدوم بقاء آمين .

وصلت الى هذا الحد وكنت من الفيض اشتعل فصحت بالحاجب : يا رجل
هذه الرسائل ليست لي . فاجاب وهو يحلف : ان الامام ان قد جاء بها رسول
من الديوان يقول : هي لامين ويحائي فاستأنفت القراءة حيث وقفت مغضبا :
صدر السلام وصدر جواب البوسطة المرسول اليها . العنوان هنا
والمكسوب الرجائي كما تظلمون واهه يحفظلكم عامل حراز
في ١٠ رمضان سنة ١٣١٠ هـ
علي الاكوع

ثم في حاشية : واهه يحفظنا من عتقاء هذا الشهر الكريم ونعوذ باهه من النار .

المطافاة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاجل المحترم الشهم امين الرجائي سلمه الله
بعد السلام والاكرام . ورد كتابكم مع كتاب الى حضرة الحكيم
محمد فضل الدين وبوقته ارسلناه تلافيا اليه وورد جوابه وها هو مقدم اليكم .
اذا اشعروا من مناخة بوصولكم نلزم القائم من طرفنا في الجليل ليرافقكم
الى نابجل قائد الجيوش الادريسية
في ٧ رمضان سنة ١٣١٠ هـ محمد طاهر
رضوان

المقابلة الثالثة

حديقة ٨٣٣ ٧ - ٨ سنة ٤٠

إلى صديقتنا أمين الريحاني

حياتكم الله وعافاكم . سرنا غزيمكم لطرفنا . أهلاً وسهلاً بكم . حين
وصول تلفزيونكم اشعرنا حضرة القائد الشيخ الهرم محمد طاهر رضوان قائد
الجيش الأديبية بباجل ما يلزم . وقريباً زاكم إن شاء الله بأحسن حال .
في ٧ رمضان سنة ١٣٤٠

محمد فضل الدين

والحمد لله ! قد اطمان بالنا وحسن حالنا . لا تظن أيها القاري . ان اجتماعنا
بمثل هذا الامر واشراكك بل اشغالك به هو ضرب من السخافة . فانك اذا
رافقتنا في السفر وادركت بعض مقاصدنا واحسنت بيهن ما كنا نقايه في
سبيلها تتأكد ان صفار الامور تحول احياناً دون كبارها . فالحمد لله اذن هلي
ساعة في ١٠ رمضان سعيدة ، بددت غيات ماوية وديم من صائنا ، وفتحت
لنا طريق الحديقة ، فصفا الذهن للفاوضات السياسية ، التي اشترت بعد ذلك
عشرة ايام . ثم استأفنا حضرة الامام بالرحيل فكان في توديعه لطيفاً كوتياً :
- ما تمكنا ونحن في رمضان ان نقوم بالواجب ونود ان نيقوا عندنا الى شهر
العنب^(١) قد تمرد علينا يا قسطنطين ! اما الاستاذ امين فسيصبح في البلاد
العربية ويرى غيرنا . فلا تظلمنا يا امين بالمقابلة بيننا وبينهم .

ثم امر لنا بالوكاتب وكان الموصل بتسييرنا السيد علي زياره غيوراً على
راحتنا ، فلم يدع شيئاً من مريجات السفر وحاجاته الا وفوه لنا . مثال واحد

(١) عنب مناه مشهور بجودته وانواعه وهو يستوي هناك في اخر حزيران

من غيوته وعزمه . عندما جاءت للطايا صباح يوم الرحيل رأى ان سرج احداها بلا ركاب . فأسأل صاحبها عنه فاعتذر وتبرع ، فضرب السيد علي يده على وسط الرجل واخذ الخنبية^(١) منه قائلاً : رح هات الركاب . فراح المكاري الى المدينة راكضاً وعاد ملياً . ولم يرجع السيد علي الخنبية اليه الا بعد ان تشفعنا به . - اذا كان هذا اماله وهو لا يزال تحت عيني فكيف يكون في الطريق ورأس الامام !

واشنع القوم بخيلة وجهها اليه والى رفاقه صكها وعيد تهديد . شيعنا السيد علي والسيد احمد الحكبي من قبل الامام الى خارج السور فوجدناهما هناك شاكرين متأسفين ، اذ كنا نجتمع بهذين الفاضلين اكثر من سواهما وكان السيد احمد خصوصاً اقرب الجلوس الينا واكبر المؤنفين .

سرفنا من صنعاء غرباً نبغي البحر . وما كنا لتتصور ما دونه من الجبال وما دون جبل واخر من هول المسافات حتى وصلنا ذاك اليوم الى رأس بوعان . ولكننا ايها القاري العزيز لم نصل وياك اليه . اننا لا تزال بين صنعاء وجبل عصر في سهل واسع فيه بقع صغيرة مزروعة تلوح بين فسحاته السراء البود صكباتي الوشم في ظاهر اليد ، اذا اتونا استراحة من شعراء الجاهلية . او ككائنات في وجوه البدويات اذا شأنا النسيب . او ككعص الاوراق الخضراء . - وهذا اقرب الى ما كنا نشعر به ونحن نجتاز تلك الارض المهشة - في شجرة عراها الحريف . ولكن للشجرة ربيعاً يعود اليها . وهذه البلاد في مكان من الارض شامت الطبيعة ان يكون ربيعها دائماً ، وما شاء الانسان غير الكسل والجهل والحوار .

(١) للخنبية اي المتجر عندما قيمتان قيمة حبقية في ما تصاح له ، وقيمة عرضية انجهاية اي في ما ترجيه المرؤة والنياقة . فخر اذا اعز ما يحمله الياني ، وفي انترامها عنه الله نادوب له واكبر اعانة .

ان الهواء والدماء والماء تبسم حكاها لارض اليمن . ولكن الياني لا
يستخدمها الا في ما يحتاج مباشرة اليه . فما لا ريب فيه ان في السهول حول
صنعاء ماء حيث نخت ، لان في قديم الزمان ، كما يقول بعض العلماء . كان
يجري نهر هناك . ولا تزال المياه تتدفق من جبل أقم في قني المدينة . وكن
الصناعات يفتي طيلة نهاره لجل الساقية . او يقضي نصف نهاره في « تخزين »
القات ولا يسعى في احياء ارض فيها قد عشرة اذرع واقبل الماء والثراء اجل ،
ان هناك بين أقم وعصر وما يدعى في الشمال الاوحاب من المياه ما يكفي
لاشغال مئات من السواني والجمال . فلو استخدمت اسكانت تلك السهول
بساطاً واحداً انضمر ناضراً شي . مخزن .

وهذه هي . طريق العرب التي بناها الترك انه ليحزنك كذلك مرآها
وذمكواها . بدأت تصعد فيها الى جبل عصر فعدتنا خرابها بفشل الدولة
وشكنا اليها اهمال الاعلم . هي طريق الحديدة الى عاصمة الاقواء ، الى قلاع
الزويد ، بنيت لرسل الخراب لا لرسل العمران . بنيت لجر المدافع وزقل
الجيش ، لا لانجارة والمواصلات المشوة خيراً . تلفتنا من آخر منعطف فيها
فاذا بصنعاء . وقد احتجبت بحجاب ذهبي شفاف نسجت لها الشمس الشارقة
فوق أقم العاري العقيم .

وما اجل ما لاح لنا في سفحه خلال الحجاب . مدينة عجيبة كان لها من
اسباب المجد والشهرة والمران ما لا تكبر مدن العالم المتشدن اليوم . لها تاريخ
عابر مجيد ، لها مدينة قامت بين شمس الجحوس وكواكب الارقان ، وتمددت
فيها الاسرار والكهان ، وعزّت عندها آمال الانسان ، فكانت مائة سبأ ،
وكان جبر ، وكلن قحطان . ثم التوحيد وشوكة قريش وعدنان . وما تقدمه
وتبعه من عفاء وشراء ، ونوابغ في فن البناء . ناهيك باخستها الطبيعية مما
لا يزول ابد ولا يحول . فهي على علوها لا تعرف الثلج ، وهي على دنوها

من خط الاستواء لا تعرف من يقطه غير نوبات واهبات . وفيها من الماء القراح وغزاقته ما تقدم ذكره تـكـرراً . فلو نـعـرـت اليها الطرق الصالحة للعربات من الغرب ومن الشمال . واتصلت بها عدن والحديدة بسلك الحديد لتقاطر اليها الناس صيف شتاء من كل النواحي حولها ، ومن البلدان العربية والأفريقية الشرقية كلها ، ولقدت في أقل من عشرين سنة باريـس البحر الأحمر .

اي صنعاء ، عاصمة الزيدون والحمود ، اننا نغار عبيث من الاتنين ، ونود ان يعاد اليك مجد الاجداد مشفوعاً بشي . من العلوم الحديثة التي من شأنها ان تصلح احوال الانسان بترقيته في جسمه وعقله وروحه ، وفي بيته ومدينته وبلاده . وما سواها من العلوم لا ينبغي لك ولا لسواك من مدن الشرق والغرب .

اي صنعاء ، عاصمة الاذواء ، اننا في حيننا ايناث وهم مثلنا من الناس ونحن وايامهم من سلبية واحدة ، نقادي حتى بشي . من ايرلندية من اجلهم ، فتدح اجسامهم اذا اقعوا الامراض ، وتنجلي عقولهم اذا فتحوا المدارس ، وتصدرو روحيتهم اذا ادركوا من الدين حقيقته الاولى وسره الاعلى . اعدا الذي ادركوا بعض تلك الحقيقة وبعض ذلك السر فهم يشركونك في صلاتك ، في فاتحة كتابك وختمته ، ويبدون ان تشاركهم في صلاتهم . نظرة اخرى يا صنعاء ، ونستودعك افة . . . قد اسكلنا من مأورك « ومشرينا من مأورك » ، وغنا تحت حمائك ، وانتمشتا بعليل هوائك ، وكنا قبل ذلك نجيبك ، فكيف بنا بعد ذلك ؟ فاذا جاء بعدنا من بصني صلاتنا وصلاتك ، من يجيبك حيناً ويضر عليك غيرتنا ، وراى فيك بعض ما تأقت اليه النفس منا وما اشتبهه القلب والفؤاد - بعض الملم ، بعض القنوق ، بعض الطوب ، بعض العيران - سنقبضه ونحن بعض السر الاكبر في الفضاء ، في اللانهاية ، وستقبضه منا التراب والفضاء .

وهذه اقحوانة في الطريق واقاحر في الحقل بيضاء صفراء تبشر بالربيع . واكنه ربيع أبدي نحيل يسكاد بظأ الثرى فتظهر منقطعة آثاره الناعمة . ومثله

لا يجيا في مثل هذا الملو بارض الشمال . انما نحن على الف قدم فوق صنعاء .
وحسنة آلاف فوق البحر . وقد احتجبت عنا المدينة المحبوبة احتجاباً - ابدياً -
الله اعلم .

وتلفتت عيني ومد خفيث عني الطلول ثافت القلب

وهوذا النبي شبيب قريب بعيد . هنالك على الافق امامنا يلوح كالطيف
اسمهم دائماً هو اعل الجبال في شمال اليمن بعد شبام ، فمراقبتنا اليوم وغداً
ولا يحتجب ما دمنا متجدين .

سرنا اربع ساعات فوصلنا الى مَنبَه ، وهي للقادم من مناخه او من المدينة
آخر مرحلة الى صنعاء . مَنبَه ! سكّانت في ايام الترك مربياً لرؤس الجبور
ولرسل السلامة والسرور . فكلم من ابنا الدولة المجاهدين - الموقنين الى
الجهاد في اليمن - كانوا يخرجون من تهامة فيسوتون في قيط السبخاء ، وفي
الشام ، وفي « الثقيل » وفي مضائق الجبال ، وفي مكامن الاودية ، فيهتف
من يصلون منهم الى هذا المكان سالمين : اربع ساعات الى صنعاء ، بادشاهم
جوق باشا اركنوا يقضون يوماً او يومين هاهنا ينتظرون المتخلفين من اخوانهم
فيعيدون ، ويهللون ، ويبذلون من « الظلم » ما لا يزال صاحب « السيرة »
يتنقل يذكره . فيهر رأسه اليوم أسفاً محزوناً ويريك البيت الذي كان قصرأ
في تلك الايام وكما من يهوديات صنعاء خفن فيه من كرب المجاهدين وغمهم !

الطلول الدوارس هجرتها الاوانس

وقفنا في مَنبَه احكراً لما كثرنا وقد اشتبهوا القهوة ، قهوة القشر .
وكلمهم سرورون لانهم مسافرون في رمضان - ومن كان مريضاً او على
سفر فيدة من ايام آخر - كلمهم الا واحداً ، هو رئيس القافلة ، الى التبع
بتحليل النبي ، وكان الجائع النسان على الدوام . فما نادينا مرة الا وكان

ينس فوق حمارة وهو يمتلي الموبنا مشية البحر ولا يفل له الا مؤخر القافلة .
 اسمه - الدليل لا الحمار - حمدان ، فسيناه نسان فزاد ذلك في الطين بقة .
 وحكأن الاهانة لحقت به وبجواره فصار لا يوي لا في مقدم القافلة ولا في
 مؤخرها . - يا حمدان النسان انت الدليل ، وما نحن بفقهاء لتدلنا الى الزوا .
 رح يا حسن فنتش عن النعمان . فيعثر الجندي به وهو يتسكع في منطف
 الطريق فيبتهره ويسوق بالبندق حمارة . فيجيبنا التقى التقى ، الصائم الثائم ،
 وهو يستم : بسم الله الرحمن الرحيم ، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

وعليك السلام يا حمدان ، وصلنا الى بوعان . وهي بضعة اكواخ عند
 جسر لطريق العربات جميل الهندسة ، متين البناء ، حجارته سوداء وحجارة
 وبضاء . احسن ما في هذه الطريق جسورها . في بوعان اسطبل يدمى
 مقهاية^(١) دخل « القراش » اي الدواب والمساكر اليه وروحنا انا وقسطنطين
 نبني ظلاً تحت الجسر فيسقطنا غداًنا الى جنب الماء هناك . وبعد ان اكلمنا
 واسترحنا قليلاً استأنفنا السير « فودعنا طريق العربات التي تمر في صفح جبل
 بوعان وتلف في الاودية تصل الى مفتح ومنها الى مناخه . صعدنا في الجبل
 في طريق وعرة زلاء ، وقلة بوعان الى شمالنا تنطح السحاب ، حتى وصلنا الى
 اعاليه ، فصغرت فيه الرياح واعلمتنا بظهور من مظاهر الطقس مدهش غريب .
 انما الشمس شمس الصيف ، شمس اليمن المحرقة ، وانما الزهور زهور الربيع ،
 اما الهواء فلا ربيع فيه ولا شيء من الصيف . سكنت اذا اغضت عيني اظن
 نفسي في اعالي لبنان في الشتاء . هذه ثلاثة فصول في وقت واحد .

ان رأس بوعان لسطح اليمن . وعلى السطح صخور هي في شحكها
 ورضها شبيهة ببركل عظيم له بايان ، الشرقي اي باب صنعاء والغربي اي باب
 (١) في الطريق من عدن الى صنعاء يدعى اثنان مسرة ، وفي الطريق من صنعاء
 الى الحديدة يدعى مفاية او قهوة

مناخة . دخلنا الميكنكل من باب صناع ، فررنا برواقه بين انصاب جليلة ،
وعند رائحة وصور هي كالحياكل الضخمة في الميكنكل الاكبر . وما هي
الا بضع دقائق حتى وقفنا في الباب الغربي ، باب المخاوف والاهوال . ان
المسافر ليجد نفسه في غير ما الله من الارض فيحس هزيمة ان دورة الدم فيه
قد وقفت تماماً ، فيشتم ولا يتنفس ، ويهتف ولا يتكلم . هناك مشهد من
الجبال والادوية رائع ، مدهش مخوف ، يهوس ربه في اذن الانسان : لا تكن
سكابراً ، ولا تسكن فجوراً .

لا اظن ان في بلاد سورية مثل المشهد الذي ينسط بل يترام امامك
في اليمن عندما تقف على ذروة بوغان فتشرف منها على بحر تجدد تحتك ،
رؤوس امواج قن الجبال ، وسطحه الادوية المتشعبة المتلفة بعضها على بعض .
وهناك دون القن الشاهنة ، والصور الشاحنة المسنة ، والهضاب الهرمية ،
والادوية المدفئة ، والمتعدرات المائلة ، هناك فوق شبه القيوم التي هي
الجبال يلوح في الغرب حراز وفي الشمال سربح وكوكبان ، هناك القبة
التي هي مناخة وشكلها كسرج الفرس ، دثني عليها حزام ، فاصدقت ان
سكنون فيها مساء الغد . وما هول المسافات والشواهي شي . عند هول
الرهاد والاعماق . لبنان ! نعم ذكرت لبنان . ولكنه وان فاق بوغان وشبام
علاً ، فهو يضيع في جبال اليمن واوديته المترامية الاطراف . مناخة اسنانون
غداً هناك . انك اذا وقفت في بوغان لا تصدق ان بشراً يستطيع ان يقطع
تلك المسافات في اقل من اسبوع .

وان الطير نفسه ليتعثر بسنام الصقور والقن ، فلا نظن ان ما خلقه
الانسان على شكل الطير يستطيع ان يجتاز هذا الفضاء القاعة فيه الجبال
كالحياجرة ، الكائمة رؤوسها كون العدو في السحاب . اما اذا حلت الطيارة
فوقها فهي ولا شك تضل السيل في ما يشبه تحتها امواج البحار .

من سطح اليمن في يوعان شرعنا نزل الى قبوه في مفتح وبين الاثنين هوجات لا تعد ، ووهاد لا قمر لها ولا حد ، ومنحدرات لا وطيد فيها غير صخور تظلل الجادات ، وأسد فيها المنحطقات ، نزل عندها حتى الانسان ، فكيف بالحيوان . مشينا والين تبني من المشهد الزيادة ، والرجل تبني الدلالة ، فكنا نضطر ان نقف لنحقق البعيتين . وكما وقفنا لاح لنا في المشهد شيء جديد جليل ، في شعب هناك او في تقيل . ان جبال اليمن كجبال سويسرة في وهادها واكبر منها في اتساعها ولكنها غير مأهولة ، وتقل فيها الاشجار والمياه .

في الطريق من صنعاء الى مناخه لم نمر بمدينة واحدة . واكبر قرية شاهدنا هي الحيمة . قرية عجيبة في وضعها ومركزها . تراها الى اليمن في الطريق من يوعان الى سوق الحيفس ، وبيننا اودية متشعبة عميقة ، وعلى كتف احداهما ارض بدكات في شكل نصف دائرة ذكرتنا بلبنان . وما اكثر ما يذكرك في اليمن بلبنان . ارض الحيمة كلها مزروعة وفيها العودان ، البن والقات . وفوق تلك الدكات البلدة وهي عدة اقسام ، عدة احياء . شكل حي قرية بذاته ، بيوتها عالية ومتصلة ملازومة كبيوت المدن بعضها بعض . وبين كل حي وحي مسافة يتغلغلها شعب او تقيل . اما السبب في هذا التقسيم والتباعد في قرية واحدة فهو يتصل كما أنجبت بثارات توارثها الالهالي وهم من عشائر مختلفة ، فانخذ كل قوم حياً منفرداً بعيداً عن الآخر ، وشادوا فيه بيوتهم بل حصونهم ليكونوا في مأمن من رصاص البنادق اذا شبت الحرب بينهم . انك لتراهم مع ذلك يحرثون الارض ويستثرونها . اجل ! ليس في الطريق من صنعاء الى مناخه اخصب واجل من بسايق الحيمة النضة ودحكتها المستديرة الخضراء .

وصلنا عند الغروب الى سوق الحيفس وهي قرية صغيرة قائمة في وسط المنحدر بين يوعان ومفتح ، تحتها الوهاد وفوقها الجبال ، وفيها مركز للسك

الذي يصل متأخرة بصتنا . استقبلتنا النامل ووجهه فارتلونا في دمار الحكومة ، واستأذنونا بعد المشاء . بأن يقدوا عندنا جلسة القات ، فقبلناهم معسكرهم ضيوفاً ، لاننا في مرحلة استمرت احدى عشرة ساعة وفي اومر طوق اليمن التي اجرتناها كنا قد اشرفنا من شدة التعب على الهلاك . جاؤوا برزم القات وبلداعات ، فاقفلوا النوافذ ، وتزعوا عن رؤوسهم الملمات ، وطفقوا يدخنون « ويخزنون » دون انقطاع حتى استت القاعة بعد نصف ساعة مثل مخق الفيالاح . خرجت الى القلاء لانجوى من الاختناق ولما عدت الفيت القسطنطين ، زاده الله قوة وعافية ، يفكه الجلوس باخبار الطيارات ، وقد تأسف عندما نهضوا بعد نصف الليل يودعون ليستأنفوا الجلسة في غرفة اخرى . فتعنا النوافذ لنظهر البيت ، وما كدنا ننام حتى استفتنا على صوت الطبل طبل السعور قنا ، و« لا حول ولا » على الالسة فشد للرحيل . فاستأنفنا السير في نور القمر الضليل ، فاذلن من جبل الى جبل ، ومن واد الى واد - نازلين الى جعيم اليمن ، الى القمر الذي لا قمر دونه في تلك الارض ، الى مفتق وما مفتق غير اسم لشعب ضيق مدغم شاهدا فيه لأول مرة الرياح وهو سعدان كبير وشاهدنا من الملمع ما يشبه المذهب ، ومن النباتات الشوكية وانواع الصبر ما لا نعرف له احماً غير الصبر وهو ايوب .

من سطح اليمن في يوعان الى قبوه في مفتق مسيرة ست ساعات ، فيها منتهى الوحشة والوعورة . ثم من مفتق عدنا الى التصيد ، ثم التزول مرأوا ، قررنا بجمالية تدعى البحر استقبلتنا فيها امرأة ذات وجه بشوش فتك الجديري بمحاسنه ، فلم يبق على غير الشكل والعيون . سقت « القماش » بقربة ملائها من البئر بيدها ، وكانت في عملها وحديثها سامرية بلاد الزبود . قد شاهدنا غيرها من اخواتها لابسات المراويل المقودة فوق الحظال يشتغلن في الحقول ، واكثرهن يحملن في وجوههن تبا حسن ذهب فريسة الجهل والوباء . وكان الناس هناك القوا هذا التشويه فلا يتفرون منه ولا يجزنون .

وصلنا بعد الظهر الى سطح جبل حواء فجلسنا هناك في مقهىة تحت خيمة من القرف فستريح قبل تصييدنا الاخير الى مناخة ، ففحصكنا احد الرفاق بقصة اسفنا بعض اتعاب الطريق ، ككنا الحديث في النساء والمحدث رجل خفيف الظل ، حسن الشككة ، رافقنا من منته ووجين اخوين احدهما شيخ شائب والاخر جمال خطاب ، قدم لي المحدث زيبش المدامة قائلا : لا يهمهم الجدي ما دام الفقيه بخير ، لهذا الرجل - اشر الى الشيخ الذي كان نائلا - امرأة مثل من رأيت وجهه حسن ولسان حلو ، وله فتاة شبت الام ان تعلمها القراءة وامتنعشرت الفقيه الى البيت ، فقرأت المسكينة اسوة فقط ثم - وضرب كفه الامين على قضة اليسرى - وقعة في الترك - طلبها الفقيه من امها فانت فافرع البندق في بطنها ، ورأس الامام فقلت : قتل الام ؟ فاجاب : قتل الفتاة او هوذا الطين في السجين بصمما . وهذا الشائب - مسكين يجب ان يحمل ككفه معه في السفر - هو زوج الام وابو الفتاة . راح يطلب من الامام دم الفقيه واهل الفقيه يشتهون دمه الدية .

- وهل تقبل الدية ؟

فاجاب وعينه تقمز وقلمز : اذا كان الفقيه علم الام كذلك فلا خوف على حياته . تقبل الام الدية . ورأس الامام ، وتقتنه لشكل القراءة . وما قولك وهذا زوجها ، وهي كمن رأيت ، الا تظنها تقبل ؟

- واذا ابت ؟

- المأمور يا افندي يوكي برطل زيبب .

فهز الجمال رأسه اثباتا وقال : في ايام الدولة ككنا زيبشهم بالظليل . الترك يأكلون الزيبب .

فقال القصاص : خير الجود الموجود . كانت النظاظ في تلك الايام مثل الزيبب اليوم . وحكان يحملها الترك من مناخة الى بوغان ثم الى صنعاء . في

مركب عظيم . اما مشيت حرة فيه ونجوت والحمد لله . مركب عظيم يا افندي .
هذا الضابط حامل الظلط ، وهذا الجيش قدامه ووراءه والى يمينه ويساره ،
وهو في الوسط مثل العروس يحرسها الفان من النظام " . وهناك وراء بوغان
الثائرون يكمنون للترك فيسلبون الظلط ويدبحون النظام .

فخر الجلال وأسه انباتاً وقال : وكنت انا اشتغل للترك ، انقل لهم
الحطب . مجيديان اجرة الجمل . وكان ابي وانخي وعمي يجاريونهم هناك ،
عند بوغان . كنا كلنا نأخذ الظلط من الترك .

رحمة الله عليهم . ما افادتهم المدافع والحصون وطرق العربات . ولا
نظان ان عسكرياً من عساكر الدول الفاتحة في الماضي او في الحاضر بقوى
على حصون الطبيعة واهل الحصون في هذه الجبال .

بعد ان سعدنا في تقبل مناخة واستوبنا الى رأسه نظرونا الى المسافات
المائلة التي تعلوها فكان طيف بوغان وغيمة النبي شبيب في الافاق البعيدة
شرقاً وشمالاً يبتان ما نقول . انك اذا قطعت تلك المسافات راسكياً ، خفيف
الثياب ، لآسير هولها وعشيتها ، فكيف بك اذا كنت جندياً تحمل عترة
ارحلال على ظهرك ، وقطاراً من الدم في صدرك ؟ اجل ، ان الين ضربع
الدولة ، ولا يزال اهل الين يترحلون عليها .

الفصل الثاني

الى الحدود

مناخة - الحصن القديم - عامل لا يحسن غير الزاهب عليه - ٥ ٧ يخدم العرب
الا اذا بدوا من بلاد العرب - ٥ - لشهد من سطح البيت - مناخة واب - الفرق
بين الغامير - قرية الهجرة - جبل وسيل - العترة الاساعيلية والفرق الباعلية
- الدارودية - منها ٢ وسيل - عيسى النور - التترة في السند وليو يوك -
فوق السند والطلب الخرافية - السمان زمينا بالحجارة - قاء صلك - الحدود
- السند حراء - اثنى الرأس امر السيد وهى البعد امر الامام ٥ - شيخ
الجملة - ٥ كذا ينتهي السام ٥ - القصبة من اثنى - ولد شريكان في اليمن

ان مناخة قائمة على قنة جبل حراز التي تشبه صهوة القوس . وهي فسان
قسم في الصهوة ، وقسم خارجها على ريرة في الجهة الشمالية . ولكنها في الحالين
مصبغة منيعة . فهي في علوها ، ٥٠٠ قدم فوق صماء ونيف عن ثمانية الاف
قدم فوق البحر ، مسرح للغيوم وموطي . للسمود والمقبان . وقد سكنت
بالامس موطي . قدم الدولة في اليمن الاعلى ومركز جندھا الا هم . فيها ثكنة ،
هي في مقدم الصهوة عند صامبا ، ثكنة كدرة لا نسبة بينها وبين البلدة
الصغيرة الحديثة البناء ، التي لا يتجاوز عمرها خمسين سنة ، ولا يزو سكانها
بلى خمسة الاف منهم القان يحملون البنادق .

وفي مناخة اليوم مركز قضاء حراز ، ودائرة للسلك والبريد ٥ ومفرزة
من الجنود . وهي محطة للشجارة بين الحديثة وصامبا . اما الحصون فلا حاجة
اليها ، لانك اذا وقفت على سطح من سطوح البلد تشرف من الجهات الاربع
على الهائل البعيد القور من الادوية والوهاد والشماط . لا اظن ان عسكرياً
من عساكر العالم يستطيع الاستيلاء عليها من الغرب ، قادماً من الحديثة ،
او من الشرق ، قادماً من صماء ٥ الا اذا تغنت الذخيرة فيها . وعندئذ
يتخذ المحاصرون سلاحاً آخر من الحجارة يقذفون بها على العدو ، فتفعل ما لا

تفعل البنادق كما تبقي الترك في شهره . لا عجب اذا كانت الرهائن . وقد عرفنا شيئاً من طباع اهل اليمن ، احاس حكر الامام وحصنه الحصين الاحصن . اذ لو اعلن عامل حراز استقلاله مثلاً ، او ابقى ان يرسل اموال الزكاة ، او تصرف يقسم منها ، هو وجوده في هذا الحصن الطبيعي الحصين ، فلا اظن ان امام صنعاء . يستطيع تأديبه والتككيل به بغير ما عنده رهينة من لحم ذاك العامل ودمه .

اتونا في بيت كبير هندسته اوروبية بناء احد ولاه الترك . ووكل امرنا الى خادم عنده بخدمة المهندسين بعض العلم والدق ، اقتبسها ولا شك من سادته السابقين ، فاقنا يوماً هناك فترجيع مما كابدناه من المشقات في مرحلتين لا مثيل لهما في رحلتنا الثانية .

ذرت العامل الشيخ علي الاكوع ليلاً في مجلسه فاحتقبطني وهو في قميص النوم وامر لي بداعة ووزمة من القات . واجتمعت عنده بمض العلماء وفيهم سيد . عجب بحرب الاندلس وباحد ادبائها الشهيدين ابن زيدون صاحب الوزارتين . أعجبني حديث الرجل ، وما قاله : لا يفلح العرب الا اذا بعدوا عن بلاد العرب .

تفضل حضرة العامل فأرسل مع نجاب طناً بوصولنا كتبته بيدي الى قائد الحيوش الادريسية في باجل . وكان قد اعلم بذلك ولي الامر في الحدود ، وأعد لنا اكياس ابن التي اسريها الامام - هدية امامية . ولم يبلغ الشيخ الاكوع علينا بالاقامة مثل سواه . ولا تحرك خارج بيته او ديوانه ليقوم بغير ما وجب عليه من الاحرام كعامل الامام . لا . لم يسكلف نفسه زيارتنا ، ولا تذرع برمضان او اعتذر . أعجبني الرجل في سلوكه الفريد في بابه . هو حر شاء الطباع لا يعمل غير الواجب عليه ، بل يعمل بما يأمر الامام عملاً تاماً لا نقص فيه ولا زيادة .

قنا يوماً في مناخه شمتع به ساء واستريح . صعدنا الى السطح قبل ان
احصت بها المييم فكان الدهش ما شاهدناه قريباً منا صخرة قائمة كسلة فروع
وراء الشاذي ، وحولها بعض لسوت من وديان ، قدور اليها جادة ضيقة زلا
فصل بين قرية وراء الصخرة تدعى كابل . ودونها على مسافة منها قرية
البحيرة المتصلة بقية اخرى من جبل حرار . ثم سرحت النظر بالافاق البعيدة
من حرار . فها وادي تواسه منسط امامنا ثم لا يفرق ودونها جبل احطاش
ومدين . وراء وديان الشرقية التي احترقها امس ودونها التي شيب ولحمت
سكان . وهناك قن عديدة شيب فوقها ابن اليمن حصونه . فهو من ههنا
الميل الخيلي يسي بينه بقية على الصخرة . وقد القينا في هذه الجهة الغربية
اكبر همة واكثر اشغال من سواء في النواحي الاخرى . دليل ذلك الارض
الخرونة واللدات والمهدرات الحضر .

سرورنا بيومنا في مناخه سرورنا بيوم في اب ، فعملنا ذلك ، ونحن
شاصرون في اخالين ، على التقابلة بين العاملين . ان عامل مناخه عربي ذو
فلسف وعامل اب عربي ذو فضل وفوافل . هذا حال التماثل دمت الاخلاق ،
وذلك على شي . من طباع البدو الذم لا يثبتك منهم لا الكلام ولا المكوث .
لم يفاخرنا الشيخ الا كوع بحكم الامام ، ولا يبيع مثل امراء الخيش وبعض
المادة في ماوية وذمار . انما لمن حسنة التي سر ولاسيا من كان مثلنا قادماً
من تلك النواحي الشرقية .

في صباح اليوم الثاني جئنا من قبله عدد من المساكر ، ضعف ما صحبنا
من صنعاء ، ليرافقونا الى حدود الامام . فاستأنفنا باسم الله السيد وشرعنا
نقل زنية من سطح اليمن ، من اعلى سطوحه الى اوطأ ارض فيه ، الى
وادي حجام في سفح جبل ورسل . وهي اوطأ من وادي منحق وبينها وبيننا
عقبان حكودات ، فيها التزول اصعب جداً من التصيد . اما ورسل فيينا

وبينه جبال وقرى نمدد منها ولا نمددها هذا جبل الطويلة وهو خط طويل مستقيم على الافق الشمالي يتصل ظله شرقا بالحيه وهذه قنة شبام التي تظلل مناخة بعد الظهور وهي اعلى قنن اليمن على الاطلاق وهناك عندما تخرج من قنن شبام يتراعى لنا نجاد مغرب الشمس جبل ريمه واعلى قنة فيه يراع وهذه على احدى قنن مساو قرية تشاركه في الاسم وبينها وبين شبام الهجرة تلك القرية المعجبة الزائفة ، المزدحمة بيوتها في ورم برأس الجبل ، المترامية بعضها فوق بعض حكايتها في لونها وشكلها وعلوها قطعة شاهقة من مدينة نيويورك .

عندما نجتاز الهجرة نطل على وادي رسل ، وهضابها كالدرج تحت ، واحدة تلو الاخرى ، كلها زاهية بانواع النبات والزهر ، خصبة غضة ، وقد امتاز بين مزروعاتها شجر البن الذي يزرعه البانيون في الدكات ، في اماكن تظللها الصخور والهضاب ، اي في الشواب والمنحدرات التي لا يصل اليها بحر نصف يوم ، كل ما تحتاج اليه ، من الشمس .

انك لتعجب من تلك البيوت بل الحصون القائمة فوق الصخور كأنها حرم منها ، في اماكن يكاد يستحيل على الانسان والحيوان الوصول اليها .

وما اردنا به حصن هو قرية بنفسه . بل القرية هي حصن تعصم به فرقة من الباطنية الذين ابادهم الزيد بالسيف كما اخبرنا السيد محمد . ولكن الابدان لم تكن على ما يظهر تامة فاقام من تحميهم في هذا الحصن الذي يدعى المنارة وفي ضواجه .

انهم فرع من فروع الاسماعيلية^(١) المدينة يدعى الداودية وزعيمهم

(١) الاسماعيلية نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بنو زيد امام الزيد . من فرقها المنسوبة لثلاثة وهم يتسبون الى المنذر الفاطمي يقسمون الى سبعة بالمقد وعددهم نحو ستمائة اكثرهم تجار ذوو يسار ، واسامهم الاكبر اغا خان .

داوودي مكومي بلدي اي انه داوودي للذهب ، مكومي النسب بلدي
الاصل . والداوودية اشداء ، حاويوا الاتراك ثم حاويوا الاعام واستعانوا
بالاتراك عليه . وهو اليوم يعاملهم في بلاده كما يعامل اليهود ، فبأخذ منهم
الزكاة وبسيها الجزية او انه يفرض عليهم الجزية وبسيها الزكاة على انهم
لا يدفعون بابة حال الاكراه ، لان في مذهبهم لا يجوز ان يدفعوا الزكاة
الى احد من ائمة او من امراء المسلمين .

نودع الداوودية في القارة ولا تزال وجهتها مغرب الشمس ، فظل على
اللكمة ، قرية من قرى جبل سار الذي يتد شمالاً بغرب ، وتحتها الريف
ووراءها جبل صفقان وفيه حصن متوج اما دوائعا فتنه شبام لا تزال تاروح
فوق كل الجبال ، توافقنا اربع ساعات الى ان نقرب من وصل .

وما وصل غير بيتين ومهامية وستان من القات . وهالك امرأة اخرى
تبادر الى استقبالنا وخدمتنا بدأتنا نثر بعد خروجنا من صنعاء بوجود النساء
في العالم ، النساء العاملات مثل الرجال . حققت الامرات « القراش » وشرها
نحن والمساكر فهرة القشر ، « قشرنا » « واحد كتنا هاهنا لروم الفتيان الحاض

ومنها السليمانية في اليمن ويسون ايضا المكومة . اصلها من بحران ، من قبيلة بام
الكبيرة ، عديم هناك لا يتجاوز لسنه الاف وداهيم في بن حسن المقيم في بدر
حوالي الادوي . في الهند من السليمانية نحو الف اكثرهم متوطنون في الحكومة .
ومن الاساجلية الداوودية ومن بني مرة اي مرة اليمن لا نجد بينهم في عدن
والحديدة ويده القبة وفي جبل حرار وهران . ويسون كذلك البهرة . عديم
في اليمن لا يتجاوز خمسة الاف . ولكن البهرة في الهند مثل الدراوية كثيرون ،
يربو عديم على الثلاثة الف ، اكثرهم من التجار ذوي البسار . وداهيم فيم طام
بن محمد سيف الميم في سواد . كل هذه الطوائف اديبية حكما قلت لانها تنسب
الى اساجيل بن جعفر الصادق ، وكلها باطنية لانها توطن عند امراء الدين ولا تعلم
منها عامة الناس غير اليسير .

(١٦) تشرقا على وزن تقهوتا

الذي يحمل السادة في كبس النوم في السفر. اما الكيس ، اذا كان
المسافر يضطر ان ينام في هذه القفاهية ، فهو الزم ما ينام به كغير
الاستمر في الكبس خصوصاً في اجلاس الا انهم لا يوطئوه حوله العنق كما
قد نطق ايها القارئ بل فوق الرأس ثم يجلسه كدجراً هذه القاية فيمكن
صاحبه وهو فيه من راحة وعنده راحة داخله يسي او ذاك كله هو ورأسه
في الكبس ، فاستنشق ما دام قائماً كل ما يتنفسه من حامض الكربون ولا
يتنشق ولا ينفس صباحاً ووجهاً كالشيف المحروق ، كأنه اكل نار في نومه .

وعنه فوق ذلك يقف التوافق كما قبل ان يتخلوا الكيس . فاقول
سادتنا الاعلى عندنا دونا بالموت اذا اقبلنا التوافق عند النوم . هل جربوا
حامض الكربون في انفسهم ؟ او ليس من الحكمة اذا ضطر عدة الناس
ان يتألموا في غرفة واحدة صغيرة ان يمتلئ كل من الاخر بهذه الطريقة ، ان
يجبوا كل على نفسه في الكيس ؟ ليس خبر له ان يأكل هواءه - حامض
كربونه - من ان يأكل هواء غيره ؟

ان في احياء الفقراء بالمدن العظيمة كبلندن ونيويورك ، حيث تنام العائلة
الواحدة في غرفة صغيرة مظلمة فاسدة الهواء ، كثيرون ممن يحبسون الكيس
نعمة او علوانه . فهو والحق يقال احسن دواء للتقذرة ، لا لامت القذارة
الفقر والشقاء ، وما دام المالكون تلك البيوت اخذوا الحكومة
التي لا توجب عليهم التحسين فيها ادخل رأسك في الكيس ايها الفقير العزيز ،
انت الماكن في الطرف الشرقي بلندن او في الحلي الشرقي بنيويورك ، ادخل
رأسك في الكيس تبع ايلاً في الاقل من انفس عيالك ومن اقدار بيتك .

اما الكيس الاعظم فهو هذا القضا . ولعمري ان من كان هواء الجبل
ارثه لا يلقي رأسه تحت سقف ساعة واحدة ، الا ان الياباني خصوصاً والعربي
هو مأخوف هواء الليل ويتأثر من البرد اكثر من سواء . فكان شدة الحر

نصف الدم او تغير في تركيبه فترق الكريات الحراء فيه فيأثر اذ ذلك التبرد في صاحبه تأثيراً مضرًا ، والذين ينفلون من الاقاليم الباردة ويعيشون زماناً في اقم حار يسون مثل اهل .

هذا الرقيق فضطرب بهر مثلي من الشك ، اذا انه اقام مضيقاً بين في حارة وباردة في الهواء في ابل كانه من زفاف ، وانه تنافست في الموضوع وكنت في حرجي وفي عيني اليه اقلو يسكتنا وعدنا الى اجسامنا الى صحة فتسكنهم ، انكنت وما ربيب مغلوب . لان فيه من العافية ، وهو الذي يعمل الهواء كايه ما نزل على خمسة مثلي ، انا الذي لا استطيع ان انا من ان افتح النوافذ كلها ، لاهلهم كلهم للجندية . وهذا مع صحة اهل اليمن اجلاً ما حملي على الشك في بعض قواعد الصحة التي اصحت في القرب ايت مبررات . وهي لا تخلو من الحرافات . ليس الهواء الطلق وقوائده موضوع بحثنا اذن . انا الى اقول ، قبل ان تترك مقايمة رسول وبستان القات ، قد تكون الزفة في الهواء المغم بالاكسيجين كالاسفنجية اذا امتلأت ماء . واما كثرة حد الافادة في كل شيء .

اما وقد استقمنا من هواء الجبال زاداً فصرنا نتوق الى هواء فيه راحة الملح ، الى هواء البحر ، وهو لا يزال بعيداً . لولا ذات لما كان احمر في وادي وجام شديد الوطأة خصوصاً على من مكثوا يرتعشون في ظل شيا من منذ ست ساعات . جلستنا بالقداء عند بئر قديمة تحت شجرة من الأنث وهي اصغر اشجار الين ، فسمنا اصوات المعادين في الحرج فوقنا واطلقنا عليهم الرصاص ، فبادلونا الاكوام ورجونا . نعم رجونا بالحجارة فكافئت اشد علينا من الرصاص عنهم ، فارتحلنا من ذلك المكان ، تعفونا مطلوبين ولكن سالمين .

بعنا الزادي ووصلنا بعد ساعتين الى حدود الامام في قاع صفان وهناك محطة التجارة بين نهامة والين . هناك ضابط الاتصال بين بلاد السيد وبلاد

الزويد بين السيد الادريسي والامام يحيى . هناك في تلك البيوت والحجج
مركز الشيخ حمزة ، حيث ينبغي ان نصرف عساكرنا لانهم غير مأذونين
باجتياز الحدود ، ونستصحب حراساً من رجاله .

ترجلنا خارج الحيام ومشينا الى بيت حنيفة بينها ، فاستقبلنا عند الباب
رجل صغير الجثة ، راق العين ، عريض الصوت ، ليس عليه من الثياب ثوب
القبولة يدر بها والعمامة . فسألته عن الشيخ حمزة فاجاب : ها هو كذا ، وقيل
ان دعانا الى المجلس سلم وقال : قد تحيرتم - اي تأخروتم - نحن هنا وعساكر
السيد في عيال بانتظاركم منذ ايام . لكم الان الخيار في امرين تبتغيان العلم
او تكملون الى عيال . كل شيء حاضر هنا وهناك . من هو امين الويلاني
فيكم ؟ فاجبته كما اجاب سؤالي عنه : ها هو كذا . فلم يضحك احد . ثم
لمحبت - نحن يا امين تحت امر من وصانا بكم . نحن قدامكم ووراءكم .
هل الراس امر السيد وعلى العين امر الامام ، راحنكم علينا وسلامتكم
مطلوبة من الله وهنا . فاذا انتهيت السفر الان كان السفر . واذا انتهيت
الاقامة فاهلاً وسهلاً .

ادھشنا هذا العربي فاجبتنا . استقبلنا بقلب عار مثل جسمه ، فكان
صريحاً مليحاً . وكان شريفاً اكثر من لفيقاً . فرددنا المبيت عنده لولا اننا
خذنا ان نشغل عليه . ولما اندمنا في الاختراق من الامرين اسفين قال : اخذوا
القهوة اذن وامشوا تصولوا قبل الغروب . قد دخلنا البيت وجلسنا لأول مرة في
السين على مجالس مصنوعة من الخبال ، تستخدم كذلك للنوم ، كالمقريب
السوداني .

الشيخ حمزة تاجر كبير يبيع التوافل بين تهامة واليمن الاعلى فتحمل
جماله وحموه الفاز والاقشة الى مناخة وتعود منها حاملة البث والجلود . وهو
كذلك الوكيل السياسي بين البلدين المتحاربين ومندوب الامامين . رجل

الحل والتجارة والامن الشيخ حمزة . عنده لكل شيء . حساب . وعنده حجر ورق وكتاب هو ابنه الذي . عندما صرفا عساكرنا طالب كيومهم كلمة من الشيخ الى العامل في مناخه يعلمه بوصولنا . فراح الى الزاوية في البيت حيث يجلس ابنه على صندوق من صناديق الغاز الى صندوق آخر هو المشددة ، وامره ان يأخذ الورق ويكتب . فأخذ الكاتب طلعية وقسمها قسمين ، فأشار الاب ان اقسما ثانياً ، فعمل . ثم نكثا فعمل حتى اصبح ويده عن منها فقال : اكتب الآن .

من حمزة خادم الامام اصابه بعمره الى عامل مناخه حضرة الشيخ علي الاكوع . سلام . الجماعة وصاوا ببيع وسنوصهم ببيع الى عامل حمزة

أخذ الرسالة فلقها لعافة ودفنها الى العسكري ثم خاطبني قائلاً : هذا يقرأ ويكتب . هو فقيه . وابنهم الشيخ فكانت اول انبثامة أرقفت علينا من وجهه القائم العيوس . ثم ركب معنا وشيخنا الى خارج حدود . بشامة اخرى . صكنا نفيس الاخطار في الطريق بعدد الخرس . من صغاء الى مناخه اثنا فقط . ومن مناخه الى الشيخ حمزة اربعة . وما نحن نسير في موكب من رجال الشيخ راجعا بعده . فلم يكن الخطر قد ازداد لما كان هذا الاعرابي ، وقد اعلكت على شيء من اقتصاده واختصاره في العمل ، بصحبنا بعشرة من رجاله ، ويوكل امهم وامرنا الى شيخ الحبيطة بنفسه - شيخ الحبيطة العظيم في الامس . هو رجل صغير يابس مصغر الاديم ، ذو حلية عتاة ، وشارب مقنوب ، وعين غائرة . ركب حمارة ، وبندقية بين يديه مطروحة على السرج قدامه ، وسار معتزلاً الجنود المرأة ، بعيداً كذلك عن غير مكثرت بنا .

دنا مني احد المكارين وقال : هذا شيخ الحبيطة او كذا ، وكان في

ذلك الحين اكبر قطاع الطريق في هذه النواحي . تحت امره منه يندق ،
يرقفون القوافل ويسلبونها ويأخذون بالخمسة اليه . من هنا في اليمن وفي جماعة
كان يحجوا ان يوم هذه البلاد في يوم الدولة ؟ قلت : وهل كان يقطع الطريق
يوم كان شريف الحنبلية ؟ فاجاب بلا جواب ثم قال : كان يأخذ من الترك ويأخذ
من العرب . كجهم . ثوبان . وذا . وذا . يعترضه بشي .

— بجان الله اهر . لا . رسول الامن والسلام بين القطرين ، وصديق
الشيخ حمزة الذي يحسن ولايات اختيار رجاله واصدقائه نقاضه التجارية
والعلمية المفيدة . اجندبي غير الزوج اليه . فصفت بقاتي غر حمزة ، وولدت
فرد السلام . ثم سألت ما فتح حديث سؤالا اجابني عليه دون ان ينظر الي :
هذا قاع الحنبلية وقريبا يصل الى البلد .

كنا وقتئذ نحاذر ارضا لا سادة فيها لا لادريسي ولا للامام ، يصح ان
ندعى بلاد احن . وولا يثق الشيخ حمزة وحزبه لما كان يأمن فيها انسان
او تسلم فيها قافلة . هي نقطة الجراد بين بحاله اخر حدود السيد وبين مضارب
الشيخ حمزة ، اخر حدود الامام . اما المسافة بينهما فلا تتجاوز عشرة الاميال ،
في وسعها الحنبلية ، وهي اليوم اثر من اثار الحرب المفجعة . شريط التلغراف
فيها مقطوع ، والعمد مكسرة ، وما تبقى من مظاهر الحكم التركي — ماضد
وكواسي ودواوين — رأيناها مبعثرة تحت سقف منهدمة . اما اهل البلد
فلا يزالون مشتكين في تامة وفي احوال . لا عجب اذا كان العرب يفضلون
الحيام ويبيتون القش على الجعارة والخشب . قد هيج هذا المشهد في الاشجان
واقار في الشيخ كامن الغضب . وكنت لا ازال ادرجه الى الحديث فقال :
— ما الادريسي وما الامام ؟ عندهم كل شي . ما عدا الاخطار والنقر .

وعندهم السادة يستمون لهم ويستشيرونهم . بعيد عن الحرب ، قريب
من السادة ، هذه بلية السيد وبلية الامام . وكان الله يفر ذنوبهم لو بعدوا

عن السادة وخاضوا المعركة مع الجيوش - عندئذ تنتهي الحرب . . . كان
والله نشتهي السلم - ولكن أين رجل السلم ؟ أين هو الرجل الذي يستطيع
أن يصلح بين السيد وبين الأمام - لا في عمير ولا في اليمن موجود - لا يتم
الصلح إلا بواسطة أحد الكبار نجح من وراء البحار . . . ثم نهض وقال :
معييتنا من الله - فقلت : من الله وحده ؟ ألا دخل للانسان فيها ؟ فقال
مستحسناً سؤالي : نلتها من الله - ولكنه لم يشأ مواصلة الحديث فساق حمارة :
فلعلقت به وسألته عن الثلثين الآخرين - فاجاب وهو يستحث حمارة ليمعد
عني : وتلت من السادة - فسقت بقائي اليه وسألته معتذراً ان يطهني بثلك
المصيبة الثالث - فوقف الرجل حمارة ونظر اليّ وقال : الثلث الاخير ، لا
والله بل الاول ، هو منكم .

فلنني الشيخ معتمد الانكليز ، ولكنه لم يخطي - برأيه في قضية اليمن
وعسير - انه اقرب رأي الى الصواب سمته - وهو يتطابق على العرب كلهم
وما يكابدون من السياسة الانكليزية ومن السادة - حيث لا سادة ولا
اشراف فقل المدا - ومن التقادير .

الفصل الثالث

نساء تباعة

اشكال العرب - الشبان المصطبون - الشعور الطويلة والقرين - الطيور -
الرهائيب - المرأة واحدة في باريس ولي لبنان - المعنا - الكحل والفسحة - شبة
عبال يورولا - غيلسة البنية - امه يطينا ريمالين - طريق عسده وماريق
العديفة الى صتا - الامراء - للفق للكرب - التدمير - المعن الجوهله
- ان شبة عبال - ساكر الاخرى السود - الحوالج لا والعسبة - العرب
والنرك - المونطة - شبة تباعة - باجل - سوفها ولسارها - مودة غرمية
باريسية - ضيافة الشوافم - الشبة محمد طاهر رهوان - القحرا - الرهائن
- ساكر الزمرد - اطياف النمل - القمر - البحر .

ان العرب على الرغم من البلاء الثلاث التي تقدم ذكرها في الفصل السابق
لمبدعون مدهشون في عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية ، وهم على ما بينهم من
روابط الدين والجنس واللغة يتألفون بعضهم عن بعض ظاهراً ومعنى . فلا
يحتلط الياباني باين عسير ، ولا هذا باين الحجازي . يحاطلون ولا يحتلطون . حتى
اذا خرج منهم مناسك الحية مثلاً من الثياب فالاحرام لا يساوي بين ذي القرون
- الخدائل - وذي الشعر الطويل البسط ، وذي الشعر الكث الجهد الذي
يشبه شعر النساء الاوروبيات في هذا الزمان .

انك لتسافر في امريكا مثلاً من طرف البلاد الشرقي الى طرفها الغربي
فلا ترى في اختلاف العادات والتقاليد والازياء ما يستوقف النظر او يستحق
الذكر . بل قلما ترى اختلافاً ظاهراً او معنوياً . اما في بلاد العرب فكلما
انتقلت من جهة فيها الى اخرى تميزت الثياب والازياء والعادات ، وتغيرت
كذلك المساكن . فلو اجتمع الحجازي والنهامي والياباني والاصبجي والحضرمي
والنجدي والمراقي لكان في اجتماعهم مفرق ازياء وثياب مدهش مفيد .
من مناخة الى مبالا كاتلك انتقلت من سويسرة الى بلاد المكسيك .

وان جمال عبال في القاع الفسيح ساعة الشفق ليضاهي جمال مناعة في رأس
الجمال ساعة الغروب . عبال ، قرية ساكنة مطمئنة بيوتها المرمية من القش
شبيهة بنجيام المنود في المكسيك . وابناؤها يشبهون العرب في سائر الاقطار
بامرير ، يتكلمون ويتطيفون ، وفي ما سوى ذلك يختلفون . قالشبان في
شعورهم الطويلة الجمدة المصفدة المزينة ، هم اشبه بالبنات لولا الشراوب
والهضلات . فهم يدهنون شعرهم بالادهان ، ويدهنون بشرائط من الخرد
او الجلد ، ويزينونه بالريش او الزهر او الرياحين ، ويقصونه مثل البنات اليوم
ليساوي القذال ، ولا يقصرونه كرجالهم . وهم يتدرون بالقوطة مثل اهل
الحج ، وقد تكون طويلة مائنة مخططة ، فيشدونها على الحنوين ويلبسون
فوقها صدرة بيضاء . بينها وبين القوطة زئار من القطن او الجلد للخنجر داغاً ،
وغالباً للخنجر والحروطوش . ان اول ما يدهشك من اولئك الشبان شعورهم
المزينة كشعور النساء ، وارجلهم المفضية بالحناء .

وفي عبال تعود الى السفور الى اول الاسلام . في حال تعددت المدهشات
في زمان اشدها واحبها اليها النساء ، وقد وقفن في ابواب الخيام يتفرجن على
الغرباء . ولا تظن انهن كنن اشد تعجباً منا ونحن نتفرج عليهن الحال
الامر فشدناه في كل مكان فاقراءه حتى وصلنا الى تهامة . والرايب ، ما
هن ذا في عبال ، وسيهيجك ممنوع ما ستراه غداً في باجل . نزلنا في بيت
اخوته لنا احدى النساء . يامر من الشيخ ثم جاءت نخدعنا . فأتينا مستظلمين
حالمنا ، فقيل لنا انها مريضة ، مطاعة ، وتكره الرجال . اي نعم تكره
الرجال . فها نحن نختلف المرأة يا ترى في عبال عن اخوتها في عواصم التمدن والجمال ؟
اجتمع في الباب وخارجه الاولاد والرجال متفرجين مدهوشين . فبعثت
المساكر تيددم لتفتح الطريق لشيوخ القرية الذي يادر الى زيارتنا . وهو رجل
طويل القامة ، مهيّب الطلعة ، فتمم اللباس ، متطيب متكحل حاف ، الا ان

رجليه المخصبتين قلعتان بالحناء ، دخل يحمل بيده السيف وبالأخرى انصافاً من الحلق قدسها لنا وهو يسلّم ويتأهل بنا . هتافاً بوصولنا الى بلاد السيد سالمين ، ثم قال مستذراً : لا يمكننا ونحن في رمضان ان نقوم بما يريجه علينا الشرف والناموس ، انتم الآن في يقظكم وان صكان لا يليق بكم . ولكنكم ستنامون والبال مطمئن . عندنا سلام وامان . ولكننا نرجوكم ان لا تحكموا علينا يا بقاتر . نحن نفتخر والله بضيوفنا ونود ان نفرغهم في بيوت من الوحام والمرمر . فاحمونا وانتم اهل الفضل من العين واللسان .

بعد هذه الخطبة استأذن الشيخ وودع ولم نسمد برؤيته مرة اخرى لان سفرنا من ببال كان ليلاً . ولما كنا اوسل الينا امه قائد اخيش فاصعد خطبة شبيهة بخطبة ابيه واصطفا ريانين قائلاً : رمضان يسود الوجه . انتم ضيوفنا امثروا ، فثقتهم . فقلنا المال منه شاكرون لان رفضه رفض الضيفه واكبر الاهانات وشربنا اللبن الرائب تلك الليلة في ضوء النجوم ، فارأيناه في غير كؤوس من اللجين ، وما رأيناه فيه غير اللبن الرائب . ولكننا ، على شدة شوقنا اليه ، لم نسر به سرورنا بلطف هؤلاء العرب وسذاجتهم الطيبة . ان اهل عبال من عرب المسارحة المشهورين في تباعة شدة بأهيم ومحاربتهم الاتراك في مواقع متعددة .

فما تلك الليلة على ما يشبه التقريب من الاسرة ، تحت سماء تباعة الصافية الحارة ، فما احتجنا فراشاً غير جبل مشبوك ولا غطاء غير شبك النجوم . ان التعب في النهار مصدر التعم في الليل . فما كنا في مراحلنا الليلية العديدة اطول من هذه الثلاث الاخيرة وادهر^(١) لان الطريق من عدن الى

(١) ركبتنا في المرحلة الاولى احدى عشرة ساعة ، وفي الثانية عشر ساعات ، وفي الثالثة من تباعة الى وصل اربع ساعات ونصف ، ومن وصل الى الشيخ حمزه ثلاث ساعات ونصف ، ومن الشيخ حمزه الى عبال ثلاث ساعات ، اي احدى عشرة ساعة كالمرحلة الاولى .

صنعا. وان كانت اعطول فهي اسهل من طريق الحديد . هذه تشبه لمن حدود الامام اليوم درجاً طويلاً عالي الدرجات لا انقطاع فيه وتلك تشبه درجاً منبسطة عريض الدرجات تتخللها سهول تريحك من التعبد الدائم . وبكلمة هندسية : اذا وجدت خطين واحداً من عدن واخر من عبال الى صنعا تكون زاوية الاول حادة ، وزاوية الثاني مستقيمة . والفارق بين الراويتين لا يقل عن الثلاثين درجة .

اسرنا في الساعة الثانية بعد نصف الليل وكان قمر رمضان كاجل من قضة فوق قننة شبام . وكان قد نبض الهواء . كذلك فانعش فينا ما خدره الحر وازال ما تبقى في الاجفان من اثر النعاس . بيد انه لم يحرك في احده من الربع السان ، الا واحداً كانت عقيرته تذكرنا بحصر والشام في ما رددت من الاغاني القديمة ، وقد ابحرت انغامها ، ثم اتست ، ثم انجذت ، فافسدتنا الاسفار ، واكستها المسافات على رءاسها ذكراً من الاوطان غريبة . ولكنهما لم تكون عتدي ساعة قننا ، بل ساعة تأمل وصلاة .

باذا الحلال الازلي الخفي جي . من جلالك ، ياذا النور الدائم امددني بقبس من نورك ، ياذا القوة غير المتناهية ابعث منها في قواي .

فهل من حاجة ان اصنف ما حل لي ، وهذه حالتي الروحية ، من مجرد الصدى بعد السكوت « يارايحة عالشان خلتني معاك » ٩ . ما عرفت صاحب الصوت حتى ولى . لاننا لولا دوايب الدواب كنا كالاخيلة الساكنة السارية في الليل ، فلم تقبأين في نور القمر الضئيل الوجوه . ولصكتي سألت عند الفجر من الغني فقيل لي انه رافقتنا ساعة اكراماً وعاد الى عبال . وشد ما كانت دهشتي واسمى عندها علمت انه الرجل الذي صكتني ^(١) مساء البارح فحرك

(١) من اللغات المحبذة في عامه واجاز التكسير . هو علم حادم على ما اظن من الهند . فيكسبون المر . من واسه حتى قدمه . وينكرون الاصاب ذلكا ، وبشركون المضلات ويمدوخا بمدقغعبدا . ان المسافر في تلك البلاد لا يتأثر في آخر تعاد السفر بشي استقامه بالكثير . وحتى الصفار هناك يمتنون هذا العلم .

الدم في العروق وأزال من المفاصل التعب ومن الأعصاب الأوجاع . ثم نهض
وايانا ورافقنا أكراماً دون أن ينشأ فوق ذلك أن يلبينا بأغاني بلادنا .
فيا أيها المحسن المجهول « يا أيها العربي الكريم ، ما اخترت لأكرام
الضيف أحسن من يد مرنة تسكن الآلام ، ومن صوت مرن ، معها شذ
والنوى ، بذكر القريب بالأوطان . وما كان أشبهك عندنا بعكرمة القياض ،
فلم نعرفك مؤامياً متعاً ، ولم نعرفك متشعباً مكراً . جئتنا من الفسق ،
والعشتنا في الليل « وشيعتنا في ضرة القصر ، واختفيت دون أن تبوح بأهلك
كالطيف في الظلام . ومهما كان اسمك واینا كنت فانت آخر الإنسان ،
وأخير الذوق والأحسان .

كشف الفجر عن الوجوه فرأينا في الربيع بدل شيخ الحبيبة ابن شيخ
عبال ، وبدل رجال الشيخ حمزة عساكر السيد ابن ادريس . وهم من السيد
صحيح الأجسام ، خفيقو الأقدام ، قليلو الكلام . لا يختلف الواحد من
الآخر ، وحكلهم سود ، يتغير لون السواد . فهذا كقهوة البن ، وذلك
كالتوكولات ، والآخر كلابنوس المصقول . سألت « الابنوسي » وهو يركض
ويشبع بخافيه البار : هل انت دنقلي او سوداني ؟ فاجاب : أي طلع من
البحر وأنا ولدت في الهر ، في هذا الهر . لا اعرف غير ذلك . والمؤكد يا أفندي
أني اسود . قال ذلك وراح يضطك ويهر عطفيه .

بعد ان اجترة قاع عبال وصلنا الى الساعة الأولى من النهار الى الجاح
وهي قرية فيها مقاهية رجة نظيفة ، فدخلنا وكنا اول الزائرين ، فخرجت
من البيت عربية حسنة . « بمشوقة القوام » في جلباب انيق الشكل فوق دعار
انزق طويل الذيل . صكانها من بنات المدن وقد تدرت عند نهوضها فوق
قيص النوم . هشت لنا وبشت واسرعت في عمل القهوة التي لا تزال حتى في
تهامة من القشر الا انهم يضيفون اليها بعض الاياذير كالنخبيل والمال - كثير

من الاباذير - يسونها حوائج . وكان حسن العربية يتجاوز قوامها ووجهها الى الذوق والحلي ، فسألت وهي تشب النار : تبغونها بحوائج . فاجاب السيد صوتاً واحداً بالاجاب . وشربوا هنيئاً وتلثوا . اما نحن ، انا والرفيق قسطنطين ، فكنا نشتهي قهوة البن . . . حوائج وهذه الحساء . ؟ اركب يا امين .

وما زاد في كربة الرجال صباح ذلك اليوم ان لاحت لنا ومكن سائرون في القرية حساء اخرى ، رعبوية في شعار شفاف ، تنشر للشمس شعورها ، كأنها خرجت من الحمام ، او من مسرح الاحلام . فحدثنا المطايا مسرعين الى القاع ، الى القلاة ، متعصبين بمحدث التبغ علي بن شيخ عبال . قال وهو يحدثنا عن العرب والترك : ابن اليمن مثل الحبر صلب يابس . لا الشمس تحرق رأسه ، ولا الرمل يحرق رجله . والترك ، ما الترك ؟ هناك - اشار بيده وهو ينتفض اصابعه - هناك ، عند تلك القرية ، تحت ذلك الجبل ، حفروا الخنادق - كنا نسمي ، نسمي فقط - واطلغنا البنادق على عساكر الدولة ، على النظام ، وهم خمسة الاف ومدهم الاطواب . من القبر الى ان صارت الشمس فوق رؤوسنا مثل كلة مدقع مشتعلة ، كلة نار ، ونحن نطعمهم الرصاص . وعند الظهر ، والله ، ونور هذا النهار ، خرجنا من الخنادق نسمي لا ننقص واحداً ، ومشيئنا الى القاع . كانت الارض منطاة بالقتلى . مئات من الترك اكلوا رصاصنا وسكتوا . سكتوا الى آخر الدهر . والباقي تشتتوا هربوا فاقبيناهم . ولكننا لقينا من البنادق والذخائر والمدافع خبرات . ياله من يوم . كان الواحد من رجالي يأخذ البنادق ويحجبها وراء الخنادق ويمود يقنقش على غبها . . . ابن اليمن مثل الحبر صلب يابس ، لا الشمس تحرق رأسه ، ولا الرمل يحرق رجله . . . هؤلاء من رجالي . يشون بل يركضون كما ترامم الان ، اثنتي عشرة ساعة كل يوم ولا يشبون ولا يتذمرون . ولا يشكون غير حلم السيد فهم يفلبون الزيد ، ويأخذونهم اسرى والسيد

لا يأذن بتدبيرهم .

سرتا ساعة في قاع المطلة فتخرجنا من ظل الجبال ، ولاحت لنا على الأفق غيمة سوداء هي باجل . حكنا غر في طريقنا بنساء لابسات البرانيط وهن يشتغلن مع الرجال في الحقول . ان البرنيطة او الشبقة لعديمة العهد في تنامة وبعض فواحي اليمن الأخرى ، وهي صنع أهلها ، يلبسها الرجال والنساء ، وكلهم عرب وكلمهم مسلمون . لكن الشمس لا تعرف حدوداً في الخنس والدين ، والإنسان في مقاومته العناصر الطبيعية لا يراعي التقاليد . هو يبدعها او ينساها او يغير فيها لتتمكن من دفع العدو الضائل . بل من اندفاع عن الحياة .

وبأي سلاح تحارب هذه الشمس تنامة اذا اضطرتك رزقك ان تشتغل او تسافر نهواً . أبالكوفية ، وهي اذا تلمشت بها تدفع نازر الفبار والرمال فقط . قد تقي العيون من وهب الشمس ولحكتها لا تقي الرأس من سهام اشمتها الكاوية . اما الهمزة فلا يأمن بها لأصحاب الشبلة والكرامة ، للسادة والعلما . الذين لا يضطرون الى السعي في سبيل الرزق والرفاه . قد يوهن البالي التهامي في لبسه الشبقة على ان الترمزة في الانسان ، شريعاً حكان او غريباً ، مثلها في الحيوان واحدة لا تنمو . ومن عواملها الاولى حفظ الحياة والدفاع عنها . وقد احسن انما احسان في صنع شبقة من القش متداخية النسيج فلا تنزع الهواء ، واسعة الاطراف تظلل الوجه والقذال ، عالية القبع تحفظ الرأس من سهام الشمس .

ويا لها من شمس لا تحجب ظلها ساعة من النهار . فكانت لا تزال في صهوة الأفق عندما دخلنا باجل فعرفناها من ساعتها وما ودعنا الاقامة في بلد هي وحدها الحاكمة بأمرها فيه . ولكن باجل تنسي السائح لاول وهلة حتى الشمس ، خصوصاً اذا دخلها مثلنا يوم سوقها . هي قرية كبيرة ، بيوتها من القش وبعضها من الحجر ، يقام فيها سوقان في الأسبوع ، فيؤمها العرب

من كل القرى والمضارب المجاورة لها ويتقنون ومواسيهم ودوابهم في الساحة العمومية فيبيعون ويشتررون طيلة ذلك النهار .

مشينا بين صناديق من الفلز وأواب من الخام ، بين المواقف المصفوفة على الأرض والاكياس ، بين الأياد والحبوب ، وإلى جنب كل « فرش » رجل أو ولد أو امرأة . والناس في الساحة رائعون جاذبون ، رائساء وبائسين السلال اظهر ما هناك بكثرة البيع والشراء . ادعشنا من هذا المشهد مظهره النسائي لاننا لم نر في بلاد اليمن ، بل في البلاد العربية كلها خلا العراق ، من النساء . بقدر ما كان في ساحة باجل ساعة دخولنا اليها .

وكاهن سافرات ، يلبن الثياب ، واكثر من حسان الوجوه والقودود . اما البنات فما رأيت فيهن غير المشرفة الحياء ، وهي بولا لونها اشبه بالانكليزية قواماً ونحولاً ، وخفة ومشياً . لكن لساها قد ينسب لولا السذاجة والفقر الى التمهك . هي تلف ذراعاً من القماش حول وسطها فبصل الى الخلف ولا يخفيه ، وتلبس فوقه صدره ضيقة قصيرة لا يتصل طرفها بطرفه فيبدو شي . من الكشيش بينهما . ولها مشية تكشف بها الساق ، واذا ساعدها الهواء ، فتكشف الركبة كذلك . ولها لسان لا اترف فيه لما في قدها ومشيتها من حسن ورواء . سمعناها تشتم الصبيان فاستعذنا بالله . ورأيناها تنثي الى السوق والسلة بيدها فاسفنا لبداءة تشيتها .

اما تلك العربية التي « تنمي الهريتنا » شبة البقر « فلم نجدتها في باجل . هاهنا حركة سكانها اوردوبية . هاهنا نشاط امويكي . وتلك الشبهة على رؤوسهم ورؤوس رجالهم تريد بالوهم وتبعدك في الانتقال . كنت اظنني في بلد من بلاد المكسيك الجنوبية . واغرب من ذلك ان هذه الحركة في بلد عربية اسلامية وفي شهر رمضان . بل في بلد حرها^(١) حتى في شهر ايار لا

(١) في ٢٤ ايار ساعة الظهر كانت الحرارة في الظل مئة درجة ودرجة في مبران قارصيت .

يطلق نهاراً. ولولا انه جاف لما كانت باجل^(١)، ولما كان في ذا القاع اهله. استقبلنا بعض رجال القائد العام فأتزلونا بيتاً رأس محاسنه النظافة ورأس الضيافة فيه ذوق جميل ظهر في الحديث وفي الخدمة وكذلك في الطبخ. ناهيك بشي. في اخلاق الشوافع، بشي. من القاهل بل الاخاء والكياسة، يتأزون به عن سوام. تركونا بعد الفطور وشاننا ثم جاءنا منهم صندوق من العنب الاسود وآخر من الموز، فادهمنا وابهجنا الاول لاننا لم نكن نتوقع السب في هذا الشهر من السنة. ولكننا في نهاية، فلا عجب اذا نضج في ايار وهو لا يزال حامضاً في صفا. وزهراً في لبنان.

وبعد الظهر جاء يزورنا الشيخ محمد طاهر رضوان عامل باجل وقائد الماسكر الادريسي فيها، فسلم واعتذر. هو يشتغل في الليل ويصعد صباحاً الى دوة خارج البلد ليتم. سألنا عن السياسة الاوربية، وعن الانكليز، وعن مصر والمهد، سؤالات دلت على عقل وعلم فيه لا يقتصران «بجلاف العادة العامة» الى شي. من الحكمة والذوق. فقد كان يسأل مستغرباً «ستفيد»، دون رأي خاص له يبيديه. ولكنه في ما يخص بيلاده كان فيداً منفصلاً. فعلنا من حديثه ان الثعراء يسكنون تلك الجهات بين وادي سرود وادي سهل، وانهم على العموم من افضل قبائل اليمن واشجعها ومن اشد الشوافع بأساً واكرمهم خلقاً. وعلمنا كذلك ان السيد الادريسي يسير في بعض موده على خطة الامام في الزهائن. فها هم في البيت تحتنا، مشرون رجلاً، وفيهم السيد، من الزرائق. صيحي. الكلام على هذه القبيلة في الفصل التالي. سمعناهم في الليل يجودون، ويتقرون الدف ويفشدون. وما سمعنا من فم اسير اجل من سورة يوسف انشاداً. سمعنا كذلك «الراجل» في البلد فدهشنا لأول وهلة وسألنا ١٤ اذا كان عسكر السيد ينشد اناشيد عسكر الامام.

(١) باجل هي على مسيرة ثلاثين ميلاً من البحر.

ف قيل لنا بل هم عساكر الامام . فما صدقت حتى عاينت . وقد تأكدت ان بعض الزيد يمينون تهامة و « ينصمكرون » عند السيد لانه يحسن معاملتهم ويدفع راتباً اكثر من « ابن حميد الدين » ولكنه ساء في رجال السيد انهم اذا ذكروا الامام يدعونه احتقاراً « ابن حميد الدين » وما سمعنا في ههنا واحداً من رجال الامام يقول مرة في السيد ما يشتم منه المقت والتحقير .

اقتنا في باجل وسافرنا في مساء اليوم الثاني . لا سفر في تهامة نهاراً لثقلنا في الاقل . وكانت ليلة ليلاً ، ما خفنا في طرق الجبال الوعرة الموحشة خوفاً فيها ، لان الراكب لم يمكن يري حتى رأس عطية . وكنت كل مرة تطأ الدابة حجراً فتعثر اري وهذه انفتحت امامي . واية الوهاد اشد هولاً من وهذه الظلام ؟ ومع ان اسراءنا كان في قاع بسيط فسيح ، بعيد عن الجبال والري ، فما اطمأن ولا يظن قلب القريب اليه . فكانت قمر بنا القوافل كالاطياف قسطنطين على اطياف قمرها ، والامن والظلام رفيقان ملازمان . انه ليدهشك مثل هذا الامن نهاراً في اليمن وعسير فكيف به ليلاً ؟ وكيف به في بلدتين متحاربتين ؟ معهما قبل في العرب ، انهم في حروبهم مستعدون ، يحترقون حقوق الناس ويحافظون على ارواح العباد . قد صحبتنا ايها القاري . في طريق التجارة بين البلدين فتبينت ولا شك ان في هذا الشعب الماجد الباسل من الشرف وكرم الاخلاق والحكمة والذوق ما لا يظن مثلها في مثله وهي تخفى على كثيرين من الناس ، وتقل بين الناس في البلاد المتبدنة .

وصلنا الساعة الثانية بعد نصف الليل الى مقبلة العلم فاسترحنا فيها ساعة ثم استأنفنا السير ، وكان قد هب الهلال فاستأنسنا حتى بنوده الخليل . وبعد ساعة من سيرة في ارض رملية تتخللها السبخة بين احراج من الشورى ، ذاك الشجر الذي لا ينبت الا بالقرب من البحر في تهامة ، اطلت علينا ربة النور والنار . ولحسبنا عندما دنونا من البحر شمسا رائحة الملح واحسنا

بالوطوبه في الهواء ، فاستمذبتنا الاتنين .

البحر : ذاك الخط الأزرق على الأفق امامنا ، ذاك العلم الأزرق على
ساحل الغزاة العربية ، تلك الطريق الى الأهل ، الى الاوطان ، الى المدنية ،
وفيها الأمل الكبير بالعود الى الحياة والجهاد . البحر ! ان الطوفان ما لقيناه
بعد صنعا ، وتهامة واييج ما شاهدته آنشد المين انما هو البحر .

الفصل الرابع

الحديدة

الاشهام - قصر الركائز اوريثالية - احتلالنا القصر - ضرب الحديدة من البحر
- حراسة الحرب - التوصل اليكونزي بحرب بيته طبعاً ياشور، من - قرصة
الحرب وقرصة السياسة - الاستثناء - ٢ لتي الحق ٤ - ٢ لتي الانضمام الى
مصر ٤ - دخول الادريسي - اقترح لثاني - تأديس الشهاب - الزراليق - التفرقة
والتشكك في الاحكام - بيت اللقية - بيت بعممة بيروت وخمسة روبرس - من
من الاماكن يستحق الحديدة .

هوذا شبح الحرب ! من مدافن الارغون ، من خرائب فرنسا في الشمال
جا . بلاقنا في الحديدة . هو اول من حياً صامتاً عند دخولنا البلد ، اول من
وقف في الطريق يلفت الى حاله نظر القراء . ثم تبعنا كالظل ، وما توارى
عن الابصار الا في جوار السلطة والمدنية . فلا عجب ، ونحن ضيوف الاولى
وصبيان في بهجة العيد في قنا . الثانية ، اذا نسيناه كما ينسى المايم شعاعاً في
الطريق . نسيناه ساعة دخلنا القصر الذي يقع فيه الدكتور محمد فضل الدين
وكيل بريطانيا العظمى السياسي في الحديدة وسفيرها الى السيد الادريسي .

صعدنا الى الطابق الاول فاذا فيه صناديق من حديد ، صناديق كبيرة
ذات اقفال ضخمة ، كانت مملوءة في الماضي بالصكوك والاوراق ، وبالذهب
والفضة . هوذا شبح آخر يحينا صامتاً ، شبح القوة وراء العروش ، وفي
الحروب والجوش ، شبح المال . انما نحن في دائرة البنك العثماني ، ولم يبق
منه غير هذه الصناديق الفارغة وبعض المواعين المكسرة .

صعدنا الى الطابق الاعلى ، الى مكتب الوكيل وبيته ، ففتح لنا باب
من خشب الهند ففتح كبير ، نقشه يبهز الابصار ، ويؤهله لاعلى مقام في دور
الافكار ، فدخلنا الى ردهة كبيرة مستطيلة تشرف على البحر مفروشة بالدواوين

الهندية والطنافس العجبية، ومزينة جدرانها بالرسوم الهندسية والآيات القرآنية. وفي سقفها النائي من صناعة النقش بالدهان ما يدهش لونا ودقة غواة الفن واربابه . وإلى احد طرفيها « بين السقف والارض » دحمة خاصة تحجبها شموية من الخشب الهندي، كانت معدة للحريم يطلن منها على القاعة تحتن في ايام العيد وفي ليالي الانس والطرب . وهوذا شيخ آخر يستقبلنا صامتا ، شيخ الثراء والجاه ، شيخ القعقف والترف ، شيخ السرور والذات .

كان القصر الذي دخلناه لأكبر الاغنياء في الحديده ، بناه لعينه وقلبه وشهواته ، وبذل في سبيل ذلك نصف ثروته . قصر بعد موته اجاراً للبنات العثماني ، ثم بعد الحرب فتحاً للوكالة الانكليزية . وما نحن اقتداء بالانكليز نحمل قسماً منه . فان حضرة الوكيل الذي استقبلنا مرحباً خيراً في امرئ اما ان نزل في البيت الذي اعده لنا واما ان نقيم وايام في القصر . ومن ساج مثلنا في اليمن قلنا بـي . الاختيار وقلنا يستحي بذلك . قلنا تحدث انفسنا : من المؤكد ان ليس في الحديده ككلها مثل هذا القصر . ثم خاطبنا صاحبه قائلين : ما يصلح لحضرة الوكيل يصلح ■ . فرحب ثانية بنا واصبحتنا من تلك الساعة شركاءه بما يحبه لئلا ليس من جاء من الجبال فقط بل من يجيء من وراء البحار .

عجبتا لساحة الوكيل وحكم اخلاقه عندما عدنا الى المرأة بعد غيبة طويلة . فانا كنا « بعد شهرين فطنا الشعر عن المشط والمقراض » كابناء غير في رؤوسنا وكأبناء الروس اليشفيك في لحانا .

ولكنه ، امر اولاً باعداد الحمام ، ثم استحضر المزيّن الهندي ابيد البنا شيئاً من الكرامة في الاقل .

وكانت باسم الله بدامة احتلال دام شهراً فقط ، وبدامة صداقة لا تقاس بتقاس السياسة ولا تقيد بعوامل الاحتلال واسبابه . اما الاشباح فكنا واسفاء

عاطلين دائماً . شيع الحرب الذي لقيناه في الطريق شاهدناه من السطح في كل مكان . وشيع المال كنا نمر به كل مرة نخرج من القصر ونعود اليه . وشيع اللذات كان يحف بنا ويرف فوق رؤوسنا ليل نهار ويؤلفنا في ساعات يسودنا فيها ما يسود الرجال . الا انه لم يكن يحزننا حزناً شديداً غير الاول . قد هربنا من دمار الحرب وويلاتها ، من خلائها في النفوس والعقول ، من فسادها في القلوب والاخلاق ، من مومها في الامم المتعددة . وها هو شيعها في الحديدية يدكونا بها ويرينا شيئاً منها .

ضربت هذه البلدة مرتين من البحر ، المرة الاولى سنة ١٩١٢ في الحرب التركية الابطالية ، والمرة الثانية سنة ١٩١٨ في الحرب العظمى عندما حمل الجرمال آلبي على الترك في فلسطين فكان ضرب الحديدية جزءاً من الهجوم العام . وكان قنصل الانكليزية يومئذ على ظهر البارجة التي كانت تصدر منها الاوامر باطلاق المدافع . وكانت دار القنصلية ، بامر القنصل نفسه ، لهدف الاول للقنابل الاسطول ، لان فيها حسب اعتقاد حضرة اورانا سرية . ولكن الاشاعات لا تثبت الادعاء . قيل ان القنصل دمر بيته ، امر بتدميره لان فيه غرماً شاملاً حرقه طليعاً بالتعويض . وقد دفعت له الحكومة بعدئذ اضعاف قيمته تمويضاً . هذا شيع الحرب واثراً من افسادها في الاخلاق .

وفي الحديدية واهلها غير من الآثار المحزنة مما حكينا نشاهد ونسمع به كل يوم . ميل في الناس ولا حجة ، امل ولا يقين ، شكوى ولا عمل ، تحزب ولا قوة ، قوة ولا قصد ولا حسن نية . وبنائات في المدينة ولا سقفوف ، وسقفوف ولا نوافذ ، ونوافذ ولا حشيب ولا زجاج « وجدوان نصفها في الجو وتصفها ردم تحتها ، واختاب تحت الوحم وآمال ، وهجر في بيوت ذهبت القنابل بحياة اهلها ، وحزن تحت سقف هجرها الناس اما خوفاً واما فقراً ، ووحشة في اسواق كانت يوماً عامرة بالتجارة . أضف الى ذلك كله ما قد

يكون السبب في ذلك كله اي شكل حكم او لا حكم لا رضاء
لمولانا السيد ولا لأصحابنا الانكليز .

الحديده التي كانت من اجل البلدان العربية على البحر واسكبرها تجارة .
هي اليوم مجردة عن الاثنين - فريسة الحرب هي وفريسة السياسة . ترى
نفسها بين عوامل سياسية ودينية تتجاذبها وتتقاسم ما تبقى فيها من حياة
ومن امل . اجل ، هي بين الانكليز والسيد والامام مثل فتاة بين ثلاثة
يخطبون ودعا ، ولكن الحسد فيهم وبينهم نفوق الحب والاخلاص . فلا
توكن الى احد منهم ، بل هي تخشى اذا ما ظهرت ميلها ان تفقد الثلاثة ،
وهناك الطامة الكبرى ، هناك الزرائيق .

اما الشوافع فيها فهم لا يلبون الى الامام ولكنهم لا يرون في حكم
السيد ما يعيد الى البلد شيئاً من تجارتها وريبتها . وحشرة السيد لا يقدم على
عمل سياسي او اقتصادي يحسن فيها التجارة والحياة لانه لا يتأكد انها ستكون
دائماً في حوزته . والانكليز لا يتدخلون في غير ما فيه حفظ الامن والنظام
لان موقفهم فيها هو موقف المقامر . فهي ييذهبهم اوراق المجهولة في الصفقة
الاخيرة ، وبكلمة اخرى هي الفكرة المكنونة في سياستهم مع الامامين .

وهناك فئة من التجار ينفون امام الزيد . فهم لا يرضون لا بالسيد ولا
بالانكليز لانهم لم ينالوا من احدهما خمرشاً واحداً تعويض ما خربته مدافع
الاسطول . وتراهم ، اذا ذكروا التعويضات ، يعمدون دائماً الى قصة القنصل
الذي هدم بيته حباً بها . على ان الانكليز يتمصرون من دفعها الى الاهالي
بقولهم ان ذلك متوجب على صاحب الحديده ، وقد اهدوه المدينة ، حباً به
او نكايه بالامام على السواء . ولكن صاحب الحديده يعني مع الهدية شيئاً
من اسباب احكام الاولى ، شيئاً من المال . فمن اين يجني به ليدفع بعض
التعويضات عن الانكليز ، وهو لا يجمع من اهلها زكاة ما يكفي لادارة شؤونها .

ان البلايا مثل المال يجذب بعضها بعضاً . فان ادارة الحديد في يد خمسة من الحكام اولهم امماً عامل السيد واخرهم رجلاً الوكيل السياسي ، وبين الاثنين مدير الجمرك ومدير الشرطة ورئيس المينا يشاركونها في المسؤولية ووجع الرأس . الا ان الوجع الاشد هو في المانة في حزيران . لذلك فوجئت الحديد ذات يوم بارادة ادوية محورها قرض قبسته ثلاثون ألف بيرة ، تعطى به صكوك على الجمرك . فجس العامل والوكيل تبص السيد وانتار بنصف القية . فتروى التجار وتأوهوا واعتذروا . وما كان السبب في ذلك غير الخوف وعدم الثقة . فانهم اذا اشتركوا بالقرض اليوم وانتقلت المدينة غداً من يد السيد الى يد الامام فن يدفع الدين يا ترى ؟ لا لوم عليهم اذا ولا لوم على حاكم البلاد . ولست شمري من المألوم ؟ احالة السياسية وحدها ؟ ومن المسؤول عن هذه احالة السياسية ؟ لا ويب عندي ان وجع الرأس في دار الاعتماد يعدن اشد منه في الحديد وفي حزيران .

وبين حزيران وعدن وصعنا . قلت مدينة يحرق وكبير مدينة يخن . قلت ان الحديد تخشى ان تظهر مياه وهي في هذا الثلث الزوايا السياسي . فقد اقدمت على ذلك مرة وكانت منها الاولى والاخرة . عندئذ صرت الانظار البلد واتزلوا فيها عساكرهم الهندية ظن الناس انها بداية الاحتلال فصر التجار بذلك خصوصاً المحتود منهم . وبعد ذلك - بعد ان غيرت الحكومة الانكليزية في سنة واحدة ثلاثة قنصل في الحديد ومنهم صاحب التعويضات الذي مر ذكره ، وكلهم في الحق والتلف واحد . غير التجار والاهالي رأيهم بالانكليز . فلما سئلوا رعباً صكماً مثل السويديون مرة : من تريدون ان يحكمكم ؟ اجابوا بصوت واحد : الترك . فقال القنصل : هذا مستحيل . فقالوا : نبي اذاً الحكومة العربية المصرية ، نبي الانضمام الى مصر .

ثم جاء احد اعران المعتد في عدن يشل اخر فصل من رواية الاستفتاء .

فجلس في القصر ودعا اليه تجار المدينة واعيانها وسأهم ثانية فاجابوا كما اجابوا سابقاً . فأفهموا ان رجوع الترك الى الحديدة امر مستحيل ، وكذلك حكم المصريين فيها . في ذلك الاثناء اي قبل انتهاء الفصل الاخير دخل المدينة معتمد السيد علي رأس طاير من الماسكر الادريسية ، ففتحت الرواية في الشهر الاول من سنة ١٩٢١ ماحتلال الادريسي الذي استمر منذ ذاك الحين . ليست هذه بالنتيجة الواحدة القوية لذاك الاستفتاء . ان له نتيجة اخرى ظهرت خصوصاً في التجار الذين جهروا بنياهم الى الاتراك والى المصريين .

عندما تأسست الحكومة الادريسية في المدينة استدعى العامل اليه اولئك التجار وهم خمسة الذين تولوا الرعامة فشكلوا باسم الاهالي ، وأشار عليهم ان يزوروا حضرة السيد في جيزان . فاعتذروا وترددوا . ثم استدعاهم ثانية ، وبينما هم ينتظرون في دار الحكومة احاطت بهم الماسكرة وكانت الركايب حاضرة ، فاركبهم وساقوهم امامهم الى الناصية التي هي على مسافة اربعة ايام من الحديدة ، فأزلا في القلعة هناك وظلوا سبعة اشهر اسراء فيها . ثم اعلوا بذنبهم وبالجزاء فدفع من يستطيع الجزاء . ألا وقدم الآخرون ابناً . هم رهاق « المحسوبة » والاخلاص ان مثل هذه الحوادث في حكومة فردية ابوية لا تستغرب ولا تستنكر اذا كان الفصد منها منفعة البلاد واهلها . ولكن المرء لا يرى في هذا الحادث وامثاله ^(١) غير الاستفتاء والاستبداد . قد جان لامراء العرب ان يعدلوا في ما يس بكرامتهم فقط عدلهم في غيرها من الشؤون .

لا عجب اذا كانت الحديدة تخشى الاستفتاء اذن وتخشى اظهار ميلها السياسي لامراً وهمساً في بعض الاحايين . قلت انها اذا فلت تقع في اثر الاكبر ، شر القرض وما يتبعها من القروض ، من السلب والنهب والتدمير .

(١) راجع قصة الاسطول الانكليزي في صفحة ٥٥ من هذا الجزء

اما الانكليز فالعرب لا ينفونهم محتلين ، لا ينفونهم على الاطلاق . ولو لم يكن الوكيل السياسي مسلحاً لما كانوا يقولون به مها كانت وظيفته وحدودها . اما اذا قاموا يطلبون الامام ، قبل ان يقول الانكليز ان يعيدوا الحديد اليه ، فيضربهم السيد ويستغفر عليهم القهراء . وقد يفري بهم الزرائق . واذا قاموا يثبتون حكم السيد فيها ويمطون رقبتهم رسمياً فقد يحرك الامام عليهم اما زيوجه واما من يستطيع استنفارهم واستفوا . عم كذلك من الزرائق . يستغرب القاري . ذكر الزرائق واحتمال نصرته في الامر ٦ . ان هؤلاء العربان لمن اغرب المستغربات في تهامة .

الزرائق اشد القبائل التهامية بأساً ، واكثرها عدواً واسكرها قوة ، واقلها صدقاً ووقفاً . هم لا يطيعون الامام ، ولا يطيعون السيد ، ولا يطيعون بالانكليز . هم مستقون من كل حكم ، وكل نظام ، وكل سيادة غير ما شيوخهم منها . بل هم ، مثل اشراف ذي الحشن في الحجاز ، قطاع طرق وقراصن بحر ، يهربون السلاح ، ويتاجرون بالرقيق ، وبما عندهم من قوة حربية . بلادهم في سفح جبال اليمن بين الحديدية وزبيد في طرف تهامة الجنوبي ، ويمناؤهم الاولي الطائف في خور غليفة . انهم بقسبون قسبين ، زرائق الشام اي القسم الشمالي وزرائق اليمن اي القسم الجنوبي . اما قوتهم الحربية فتدنو من عشرة الاف بندق ، ثلثاها في زرائق اليمن .

كان الزرائق في ايام الترك كما هم اليوم عصاة متاع يأخذون المشاهرات من الدولة ، ويقطعون مع ذلك اسلاك التلغراف ، ويتهربون في البر القوافل وفي البحر السنايك . اما شيوخهم فلا ينقصهم في السياسة ختل ودهاء . هم دائماً يثبون في رواية تهامة السياسة دورين وثلاثة ادوار في وقت واحد ، ثم يملون في النهاية الى من يزيد في المال او في السلاح . كلن احد شيوخهم يفاوض مرة الانكليز يستنصرهم على الترك ويطلب سلاحاً منهم وذخيرة .

ثم قبل وظيفة من والي اليمن فصار فتنقام زيد . ثم نصر قبيلة القجره
عندما أسرت البشة الانكليزية في ياجل ، ثم ساعد من سعى في اخلاء سبيلها .
فلا عجب اذا مال قسم من الزرانيق الى الامام يحيى اليوم وقسم الى السيد
الادريسي .

انت تذكر ما قبل لنا في ياجل بخصوصهم ، وتذكر انهم ارونا الزهائن .
اما الحقيقة فغير ما سمعت . واليك الخبر اليقين . جاء عدد من الزرانيق ،
خمس وعشرون ، الى الشيخ طاهر رضوان يقولون : للسيد القبيلة كلها ، ونحن
الكاقلون ، شرمة واحد . فانخدع القائد واعطاهم ما يفتون من المال . ثم
عادوا - الرسالة لا تم الا بدفعة اخرى - فلم ينخدع القائد ثانية ، فقبض
عليهم واسرهم وقيدهم بالحديد ، وادعى لفرض سياسي ان الزرانيق كلهم
مع السيد - وهذه رهائنهم .

قلت ان في الزرانيق سياسيين دهاء كما ان فيهم اصوصاً غداة . لما اسر
قائد ياجل رجالهم قالوا : هؤلاء اصوص تكبر القبيلة منهم ، بل انكروا
انهم من الزرانيق ولو كان من مصاحبتهم يومئذ ان يحاربوا الادريسي لكان
اولئك الزهائن من سراد القبيلة ، فيتذرعون بهم ويعاننون من اجلهم الحرب
على امام عبداً وجيران . ان عند الزرانيق شئنا كذلك من الشرف ، شرف
الصوص ، وفيه الجواسيس في الحديدة وفي ياجل وفي بلاد الامام يحيى مثل
ما للحكومات المتدعة . جاءهم الخبر ذات يوم ، كانوا ثاقبين فيه على السيد
وعلى الانكليزية ، ان سنبركين من السلاح اغلبا من الحديدة ووجهتها جيزان ،
فاسرع قرصان الزرانيق شمالاً ، فلاحقوا بالسنبركين . قطعوا عليها البحر ،
اطلقوا عليها وعلى عساكرها الرصاص ، فقتلهم وعادوا بالسنبركين غنية
كبيرة . وما افرغوها علوا ان احدهما ملك توفيق في الحديدة لا ملك الحكومة
فاعادوه اليه ان لهم حتى في اللصوصية قواعد يحافظون عليها وحقوقاً يحترمونها .

واغروب من كل ذلك ما نراه في بلادهم من الادلة على ما في البلاد العربية من التفكك في عرى الاحكام والتفرد المضعف المهلك في السيادة .

ان في قلب تلك البقعة من شهامة مدينة سكنت قديماً مشهورة بالعلم والصناعة ، هي بيت الفقيه السكائنة بين زرانيق الشام وزرانيق اليمن . وبيت الفقيه ايها القاوي . حرة مستقلة ذات سيادة مطلقة ، لا تعترف باحد من الاثمة ، ولا باحد من الاجانب ، ولا باحد من الزرانيق سياداً عليها . بل هي نفسها مقسومة خمسة اقسام خمسة احياء ، لا يزيد سكان الحي الواحد على الالف ، وكل حي هو مدينة حرة مستقلة ، يحكمه باسم الله وباسم الالف حراً مستقلاً شيئ لا صلة بينه وبين زملائه ، ولا يعترف لاحد منهم بشيء . من السيادة ضمن حكمه . انه لا عجب ما كان وما يكون في الاحكام الحرة المستقلة . وبيت الفقيه مشهورة اليوم بتعصب ساداتها ، وبفسق نساها ، وبست في منوجاتها كما كانت في الماضي .

لا عذر لخنزرة الامام يحيى بهذا التفكك في حكمه الشريف . ولا يمكننا ان نعزو ذلك الى النفوذ الاجنبي والدسائس الخارجية ، اذ لا اثر لها يذكر في بيت الفقيه وفي الزرانيق . ان مثل هذه القبائل العاصية العاتية ، المتاجرة بمصائبها وبقوتها ، ومثل هذه المدن المنحطة في حريتها واستقلالها لا كبر العقبات في سبيل القومية الناهضة والوحدة العربية . ان البلية لكل البلية في هذا الجهل المصليح ، هذا الاجرام باسم القومية ، هذه الاهوصية باسم الاستقلال . ليبدأ كل امير في بيته ، فيحكمه باسم الله حكماً قاسياً مادلاً . ليحكمه بعدل لا يعرف الرحمة والحنان . ليحكمه بيد من حديد وبقلب لا يرى غير الحق ، كما يفعل اليوم ابن سمود السلطان عبد العزيز . فلا يهيم اذ ذاك من يستولي على الحديدية . وعندئذ ان من يستطيع من الامامين ، امام صناء وامام صبا وجبران ، ان يقلب الزرانيق ويؤدبهم ويدخلهم في حكمه يستحق ان يكون صاحب الحديدية .

مثل كل ذي فكر وعلم وحسب رجل يعرف الناس والحكومة الانكليزية
وعمر المازم . فضل الدين من اطبائ الحكومة الهندية ، ورجل لا يعرفه
رجل خاصة من الناس وهو محمد فضل الدين من لاهور في الهند ومن
مكة في القاسم الوجية .

والرجل الاول اي طبيب ليون ووكيل بريطانيا العظمى السياسي
والسياسي ليس فيه ما يفهم عن زملائه الاطباء والوكلاء السياسيين .
والرجل العربي جميل هو في رجل الثاني ، الرجل الهندي الذي لم يفهم في
معنى قرب القلوب وفي الدوافع السياسية جعل انتم الشرقي . ان فضل الدين
قال في نفسه ، وروح صوفي . اصل في ذلك انه مثلي جلي . هو من قرية
صغيرة في جبال الهند التي تضاهي بحرف جلي لبنان .

دخلنا الموضوع الذي امرت به ورأيت مشابهة العرب والشعوب وتدخل
التي دخلت القاهرة ، ووقفنا عند اول بوابة الشقي اول بيتي والعيد السيد
الحسين اهل المدينة ومنازل الادري في بيت السيد محمد ابن عم حفرة
الامام . كنه . سرى النور والمعرفة . الحديث . علم الشاقي دعت الاخلاق .
وقد كان في بيتي ان نور المدينة ذلك اليوم مستظلاً على اهل فجاءت المدينة
سوري في القصر تهنئي وشريفي في حرس وتبعه جاء الخديويون زواجات
ومجندات من موظفي الجار ، وسوقه وسدة ، ونوطين وانباء . وفيهم من
احسن الشعوب العربي والسوري والمصري والسوداني والصومالي والهندي
والعراقي والارمني . وفيهم من انواع المذاهب والاديان الشافعي والمالكي
والحنفي والزيدية والخميري والاسماعيلي والشاروني^(١) والفاطمي عابد النار ،
والوطني عابد البقرة ، واليهودي عابد اللاشي . في الالهية المرمدة . وفيهم
من اقيافات والازياء المصانة والمقال ، والحلة والعمرة ، والصدرة والسراويل ،

(١) هو ترجمان فضل فرنسا في المدينة .

وقبض النوم والنمل ، والفوطة والعري الواناً واشكالاً . اجل ، قد عرض امامنا صباح ذاك اليوم معرض شعوب ، ومعرض اديان ، ومعرض ازياء في الملايس والعري قلما نشاهده في غير مكان .

تمددت الشعوب في الحديدية ، بل في تامة ، وامتزج دم السوداني بدم العربي ، ودم الصومالي بدم الهندي ، ودم الجاري بدم الايراني ، فكانت النتيجة مستهجنة مستشكرة . ان صفاء الدم في النسل لأعز ما في الأمم . وان حفظ الجنس والنسب مع الرقي العقلي والادبي لأجل ما في الشعوب . أفلا تتفرز من هذا الشربف الفائر العين ، الضخم الشفة الذي يجري في عروقه الدم السوداني وهو من ابناء بنت الرسول ؟ أو تروك طامة ذاك السيد صاحب العين اللوزية « جاوية صينية » والآنف المفلطح « تيكروني دنقلي » واليد العربية الجميلة ؟ وهل تسرك رؤية ذاك ، هندي الأم ، صومالي الأب ، عربي اللسان ، الاسلامي الدين ، ولا شيء فيه من صدق العقيدة ومن الفصاحة والحسن والبهاء ؟ فلا هو مسلم ، ولا هو عربي ، ولا هو صومالي ، ولا هو هندي ، لا في اخلاقه ، ولا في وجهه ، ولا في ملابسه ،

ان من يعتقد من العلماء بان امتزاج الشعوب بالتزاوج يحسن النسل ينبغي عقيدته ، لينبذها اذا جاء الحديدية . ولو صكان ذا الامتزاج يقرب اصحاب الاديان والمذاهب بعضها من بعض لكانت تشفع هذه الفضيلة الواحدة ، خصوصاً في الشرق ، بسبباته كلها . ولكن الهندي يظل هندياً ، والفارسي يظل فارسياً ، والمسلم يظل مسلماً ، ولو امتزجت في سبيلة كل واحد منهم دماء الشعوب كلها .

كنت جالساً انا وفضل الدين شرب الشاي ذات يوم فجاءه زائر احد الهندوس ، اصحاب السرارويل الشقافة التي تهف حول الجبين وتبوح بكل سرارهما ، فسألني ان اقدم له ميدي فنجاناً من الشاي . ففعلت ، فوفض .

ثم قدمه له فضل الدين فرفضه كذلك باماً . والسبب في رفضه فتجان الشاي ؟
ان هذا الهندوس يتجنس منا من المسيحي ومن المسلم ، بل من كل من لا
يعبد البقرة مثله . ولا خجل في فعله ولا حياء .

وهناك من يلبس دينه كما يلبس ثيابه ، وهي قدينة ولكنها نظيفة ،
باليد اليسرى دون اعتناء . ان المعلم الكبير اذ درست رعية في الحديده لا
يتجاوز عددها الواحد القرد . وقد كان يزور كل يوم فيزيدينا علماً بدينه
الجيل وبجانه . هو خان باهادور الفارسي اصلاً ، الهندي بلداً ، الازدرشتي
ديناً ، الانكليزي لساقاً . خان باهادور ، وحديثه كترقة الصفور فيه
تكبير وفيه تنفع . على رأسه عماره ابنا . جنبه ، شاره مذهبه ، وعلى قائمه
الطاويله « فراك » الاسلامي مزوراً تحت الذقن ، ونحته بانطالون افروخي
ابيض مريض ، وعندما يجلس يظهر خلال « فراك » طرف قميص بيضاء
تدعى في دينهم « سدوا » Sudra اي الصراط المستقيم ، وفيها جيب صغير
يدعى « كيس صواب » اي كيس الافكار والاعمال الصالحة .

— ولكن الكبير فارغ يامستر امين . لا شيء في كيس صواب —
السبب لا شيء . تسألني ؟ تراني وحدي في هذه المدينة . منذ عشرين سنة
انا وحدي في الحديده مقم بين الناس لا يعرفون شيئاً من ديننا . يظنون اني
اعبد الشمس . ومن يعبد الشمس في الحديده ، هذه الشمس الظالمه المحرقة ،
من يعبدها ؟ وكيف لا يعرفون الحقيقه ، وكأهم مثل بشر ، ابنا اله واحد ؟
بدأت اشك في هذا الدين ، في ديني . لو كان الاله العظيم يهتم للحقيقه لما
تركها وحدها في اداره الفهوجي^(١) وقد يكون يهتم يامستر امين . وقد لا
تكون الحقيقه كلها محصورة بال « سدوا » . كنت اشغل فكري كثيراً

(١) خان باهادور هو في الحديده وكيل شركة بواخر الفهوجي جدن .

بالاخرى، فاني أدقن مثلاً وليس في هذا البلد برج من ابراج السكينة^(١) في الهند تضطر ان تلبس مثل الهندو^(٢) وتتكلم لغة الهندو، وتظهر^(٣) تعبد ابناءنا بيول بقرة الهندو . الفارسي يا مستر امين يقتبس كل شيء . ها هنا في الحديقة ترى المسلم والبنيان^(٤) والمسيحي وكان فيها اليهود ، وتراي انا خان باهادور الفارسي الوحيد فيها اقتبس حكل شيء . ادن بكل الاديان . انا مسلم ويهودي ومسيحي وهندوس وفارسي ساقط لا يمتنع . الصلاة^(٥) اصلي قليلاً . فلو حكنت اصلي مع الجميع لما بقي لدي وقت للتفوهجي وبواخرو . اعترف يا مستر امين ان اليهود والمسلمين والنصارى اخوان لنا ، هم منا بيتنا وبينهم قرابة تحصل بازدريشت و ابراهيم الخليل . من هو ابراهيم الخليل^(٦) الا تعرف وانت العالم المطلاع على حكل شيء . ابراهيم الخليل هو ازدريشت بنفسه^(٧) هو نبينا ونبيكم . اضطهد في ايران فهاجر الى فلسطين ازدريشت هو خليل الله و خليل الله ابراهيم الخليل هو ازدريشت . لا تشجب اذن من قولني اني مع الكل نعم يا مستر امين انا مع الكل . ولكنني لا اخاف لاني متمسك بالـ «سُدوا» البها كما ترى دائماً ، وكيس صواب^(٨) لا يضل فارغاً دائماً ان شاء الله . عندي خادم مسلم لا يعرف من دينه غير الله كريم . اسمه يوددها دائماً . فصررت ارددها مثله : الله كريم . اذا كان سراما خدمني السراما المستقيم فانا معه . واذا كان في ضلال فهذه «سدرني» يا مستر امين وهذه كذلك الـ «كُنْتي» حياتي مشعونة في الاحرة وان كانت في هذه الدنيا لا تساموي مساراً في باخرة من بواخر التفوهجي . الشرعة الدينية ، ارضان الخباف

(١) برج السكينة Tower of Silence عند الفرس هو برج عال يضعون فيه موتاهم ليأكلها الغربان .

(٢) هم الهندوس او الفارسي النصارى .

(٣) هذا رأي في ابراهيم الخليل غريب . وقد سمعت في الهند اعرب منه اخبرني احد العلماء هناك أن يوددها هو التجسد المباشر لخليل الله .

الابدية ، مؤسسها خان باهادور ، هي شركة قريبة يا مستر امين . واحسن من الشركة التي تضمن البواخر للقهوجي . الا تريد ان تشترك فيها ؟

الفرس يغفلون اولادهم بيول البقر^(١) والعامة هندية اتبعوها في الهند خوفاً من الاضطهاد . لكنهم يربطون على وسطهم اثناء الفسل الـ « كستي » اي زئار الايمان ، وهو شريطة يضاء من حواف القم تغزلها نساء الكهان ، ويرددون هذه الكلمات : الافكار الصالحة ، الاقوال الصالحة ، الاعمال الصالحة . وكل ما يحرز الفارسي منها يضعه في « كيس صواب » ليوم الحساب . كان صديقنا خان باهادور يزين الكيس ، وهو شاة قدر مائة الفريد على قيضه ، ويقول : الكيس كبير يا مستر امين ولكنه فارغ . . . انه كريم . خان باهادور يموت في الحديقة وتأكله الثقبان وهو مومي على شاطئ البحر . ولكن سيحلي من اجله المسلم والمندوس والمسيحي . وكل واحد منهم يضع شيئاً في كيس صواب . انه كريم . الشركة الدينية لذهاب الحياة الابدية ، انه رئيسها يا مستر امين

كنا انا وفضل الدين نقضي ساعات في المساء على السطح نحت النجوم وحديثنا الحياة والآخرة وسر الوجود والخلود . وما احلاها ساعة انسنا السياسات والاديان صكها . ان في شخصية فضل الدين الروحية العقلية من الادب الشرقي ما هو مزيج من الاسلام والصوفية . بل في عقيدته الاسلامية شي . من الاسرار البوذية والثوامض الهندية ولا عجب اذا ظل هذا الاساس الهندي وهذا الظل الآري في عقيدة الهندي المسلم المستنير . كنت اشعر وهو يتكلم عما يفهمه بالاسلام ، في التوحيد ، في مثله مسلم . وحكنا عندما نصل الى ذروة الوحدة الكلية نشعر = حولها من الفيوضات الكونية الالهية

(١) عجبت لكسرى واشياعاً وغفل الوجوه بيول البقر .

فتأكد ان ذلك اننا واحد في الشك وفي اليقين .

— اتعتقد يا فضل الدين بالتجسد ثانية وتشكواراً ؟

— لا احب ان اعود الى هذا العالم وهذه الحياة . اما اذا كان في تلك النجوم حياة اخرى بشرية او روحية محضة فلا شك انها تكون اصمى من الحياة التي نحن فيها .

— يروني التامل بمحدود الادراك في الانسان ، بل يلا في حزننا وغنا .
خذ العقل واركن اليه فيخونك في النور احياناً وفي الظلام . وراء ذلك
الافق يهجرك او تحت هذه المياه . أو ليس من المخزونات ان يضعل هذا
العقل بالرغم عن حدوده وشذوذه ؟ وهو الذي يقبس المسافات بين تلك
الكواكب ويبلغ ويعرف اجزاها والوانها وسرعة دوراتها .

لا يدهشتني ذلك ولا يحزني . في اضمحلال العقل على ما اظن تتحرر
الروح . العقل الروح مثل السجن للجسد . واظن ان الحياة مجردة عن الحيولية ،
الروح مجردة عن العقل البشري المحدود بل عن الادراك البشري الذي يدور
على محوره ولا يعرف غير الـ « انا » فيه ، هذه الروح خالدة ونجما ما وراء الحدود
التي تحزنك . واظن كذلك انها تكون مقرونة باذك يوافق طبيعتها ، وعقل
يوازي قوتها ، فتكشف حقائق في الكون جديدة ، وتغلب تدريجاً على
الناصر المادية كلها . وقد تندرج في التجسد الى ادراك درجات التجسد
كلها ، وادواره البشرية والروحية كلها . نعم يا عزيزي الريحاني ان العقل في
هذه الحياة سجن الروح . وكثيراً ما اشم بظلمه واقلم من قيوده .

— وما برهانك ان الروح نجما حياة مستقلة مجردة خالدة بالرغم عن
انفصالها عن العقل الذي تدعوه سجيناً ؟

— انها نجما بسبب هذا الانفصال وليس بالرغم عنه . برهاني ؟ لا برهان
عندي غير تلك الأنوار ، اقوار النجوم والكواكب . ان فيها ، في اشعتها

وفي قلبها عقلاً يدورها ، وقد يكون ذلك العقل مسكوناً من ارواح من تقدمنا من الناس . وهي منفصلة كلها من روح الله ومتصلة بها ، منفصلة في الفردية متصلة في الجوهر الكلي . قد تكون تلك الارواح كنه الجاذبية في الافلاك .

— ارواحنا اذن تحوم حول تلك الانوار كالفراشة ولا تحترق ؟

— فراشة النفس ، نعم ، وهي من نور ، فتجذبها نار الحب نار الالهية اليها ولا تحرقها . وعلى ذكر الفراشة ، قرأت مرة قصة حكيم صيني حلم في نومه انه فراشة في بستان الطيور تنقل من زهرة زكية الى اخرى وعندما استفاق حزن جداً لما شاهد من حقيقة حاله فسال نفسه حاراً بانراً : هل انا رجل يحلم بانه فراشة ام فراشة تحلم بانها رجل ؟

— جميل ، جميل . ومن يزيل الحيرة من قلب احسكم ؟ يجيل الي يا فضل الدين الثاني هذا العالم رموز زائلة لحقائق خالدة . وكل حقيقة تتكون تتكوناً روحياً جديداً كل طوي رمزها . وفي كل تتكون ترداد انتشاراً وقوة وحباً . فيكون رمزها في هذا العالم شيئاً بها ، مثلاً لها ، عظيماً في الناس . ويستمر هذا الطي والنشر ، هذا التجسد في الرمز والنو في الحقيقة ، الى ان تجتمع ، وها هنا معنى جمع الجمع في نظري ، بالفيض الاولي الاكبر ، الفيض الالهي ، فيكون في ذلك اوج مجدها ، النهاية في اللانهاية ، ويكون اخر التجسيدات لرمزها المادي البشري . هذا ما تراه عين البداهة في التجسد والخلود ، وهذا ما افهمه بجمع الجمع في اصطلاح الصوفي .

— ولكن عقلك لا يثبت ذلك . العقل عنو البداهة . العقل — اعود الى ما قلت — سجن الروح .

— وما دمنا في السجن لا ارى اصليح من البداهة غذاء وهو . وفي البداهة كذلك شيء من الخيال هو غير التعزية اذا نكسب المبرهان .

- وما الفرق بين الخيال والالوهام الدينية ؟
- الفرق بين اعتقادك بالخلود واعتقاد خادمك العبد بالجنة .
- وهل تسميها جنة العبيد - عبيد الاله ؟
- قد سماها من هو اكبر منا ^(١) بجنة الله .
- اني افضل ان اكون فراشة .
- فراشة من النور تجذبها اليها نار الالهية ولا تحرقها ؟ اني اشاركك في التفضيل .

في صباح اليوم التالي اهداني صديقي كتاباً صغيراً ما عرفت من عنوانه شيئاً من أغراضه . ولكن مؤلفه السيد احمد بن ادريس مؤسس الحكم الادريسي في عسير هو من اولئك الروحانيين الذين يرفعهم محمد فضل الدين الى مقام ابن العربي وجلال الدين الرومي . امر عجيب يتلوه في تمامه اسرار جسد . كيف لا وهذا الدعوى يؤسس فيها ملكاً عالمياً ، الطريقة فيه اساس الحكم والحكم اساس الطريقة . ولكن الفرق تفيد التصوف فتضيف بها في الاحكام ؟

لعمري ان اهل الصكالات التي نشئناها محقة في الحياة هي تلك التي تقترن فيها روحية الصوفي الحقيقي بالاعمال الاجتماعية والسياسية والادبية كلها . فتصغر مجاري العقل في مواردها ، وتدنق بغيوط النفس في منسرجها ، ينتقل الجشع والخذاع والهم في فروع الحياة الثلاثة المذكورة . ولحسن والصوف اجتهد شخصي ، ونعمة فردية ، لا تورث ولا تعلم ولا تشر بالاجازات . ومن الاسف انه لا يبقى منها ، بعد موت صاحبها ، غير الطريقة او الخلقة وخزعاتها ، والمشايخ وجوزاتهم .

قال فضل الدين عندما اهداني الكتاب : الجمل الخيم في هذه الباز

يفسد اغراض هذا الرجل الكبير . نجى . امرأة الي وهي تشكو من مرض
او الم فاعالجها فتشفي بفضل « الشيخ احمد » . نجى . العربي وهو يصرف من
ارجاءه ويصيح : جري يا شيخ احمد يا شيخ احمد لا تناني ! يقيظني هذا
الامرالك بل هذا الكفر . اكاد اجن منه . قلت مرة لاحد المرضى : رح
الي الشيخ احمد يداويت . ورفضت مرة ان اعالج امرأة حتى الثقلت في
استغاثتها من الشيخ احمد الي الذي فصحت بها : لا احمد ولا محمد يا كاذبة .
استغثني بالله : اتكلي على امه وحده . . . اما ساقفة الذكور فستشاهدها
باذن الله في الحديقة

وكان قد توفي فيها يومئذ شيخ الطريقة المرغنية^(١) فاستقرت الطرق
كلها في حاقه ذكر من اجله فبنت اربعمئة من المصلين واستمرت خمس
ساعات . صبحني تلك الليلة الي مسجد الشجرة خارج المدينة مدير الشرطة
وكتاب العامل واحد اصحاب فداي الدين . فجلست في منصة في صحن المسجد
اشرفنا منها على الحلقة كلها . وحكان الناس جالسين على الارض في الغلاة
وعلى الحصر في الايوان ، وقف في الابواب وحول الجدران جمع من المتفرجين ،
وجلس في الصدر في حاقه خاصة ابنا . الشيخ الموثقي ومشايخ الطرق الاخرى ،
وبينهم سراج منير وقاري . وكان يقرأ ساعة وضوء المناقب التي تفتتح بها
حلقات الذكر

ان المناقب شبيهة بسير القديسين في الكنيسة الكاثوليكية ، فهم يمددون
فيها قضائل القديس ، فيجسثون ببقعة من سيرة حياته ، ويذكرون بعض
كبراءاته . اشهرت مناقب الشيخ المرغني ساعة ، وعندما وقف القاري .
الوقفه الاخيرة فيها هتف المصلون : آمين . ثم ارتفع صوت شجي ينشد قصيدة
يروي فيها القديس الامير فكانت مثل المناقب طويبة ، وما كنت وحدي
(١) الطريقة المرغنية لاحد المرغني الذي اخذ عن احمد بن ادريس هي احدى الطرق
الاحدية الادريسية في سائر وعدن والمودان .

حتضجراً . قال مدير الشرطة وهو يسبح العرق عن جبينه : طويلة ، والله طويلة . الشيخ يحتاج الى الصلاة لا الى الاشعار .

ولكن الشعراء لا يملون استماع قوافيهم . وهذا اخر لا حسنة حتى في صوته . ولا حق جعلنا نرحم على السابق . ثم هتفتا مع المصلين : آمين ، آمين . وكان الحز شديداً ، والهواء ساكناً مئيداً ، لا يحرك منه لساناً ، فينمض قوائنا ، والوطوبة اتقل ما فيه ، والزوجة افعيع قوافيه فاستجرونا منه بروح الشيخ الطاهرة ، ورقنا الادعية والطلبات الى سدتها الجليلة الباهرة : يا لطيفة ، يا شريفة ، يا كريمة اي حنيقة ، يا مسكينة الشعراء ، ومنطقة الاولياء ، يا مسكينة التهفكات ، ومحركة الحلقات ، اسمينا ، ارحمنا ، آمين .

استجيبت في الحال طلبتنا ، فوقفنا الحلقة اربعة صفوف الواحد وراء الآخر ، ووقف الشيخ احد ابناؤنا التقيد في وسطها فحركها باسم الله . بدأ بصوت هادي . وشارة لطيفة ، بدأ بـ « لا اله الا الله » . قالت الحلقات الى الامام ، ومالت الى الوداء ، وراحت تكررها وتردد الشهادة . وكان صوت الاربعسة مصلياً ، وكأنه صوت واحد ، وحركة الاربعسة مجلياً ، وكأنها حركة واحدة ، يتدرجان سرعة وعياجاً ، عملاً بلهجة الشيخ وبشارة يئاء ، وهو يحول في الحلقة مستحشاً محرضاً .

الا الله ! وضرب كفاً على كف فرددت الحلقة : الا الله ! بسرعة ملح البصر ثم امست كأنها تصيح : الله الله ، وسكنت فجأة كن اغمي عليه . ثم عادت تدريجاً الى الميزان الاول في الصوت والحركة : لا اله الا الله . وجلس الشيخ . فقام آخر يشب ونياً ويقول : حيم حيم ^(١) . شرعنا نتقدم هياجاً . دخلنا في دور الزبد والرفاء . حيم حيم ! وتحركة الحلقة حوكة سريرة شديدة كأنها تدق رأسها في الارض ثم نطعاً في الجو ، واستمرت في

حُم فُيْ نصف ساعة والشيخ يشب في وسطها ويخلج ، ويصق كفاً على كنف كل مرة ينقلها من درجة في السرعة الى اخرى . وما كانت تنتهي حتى بدأ يسقط صريعاً من فاز بتسعة في « الحال » .

ثم نهض ولد لا يتجاوز الثانية عشرة سناً ، وهو اصغر اولاد الفقيد ، فبدأ حيث انتهى اخوه . وكان يتلوى كالسحكران ، ويرقص تارة ويشب طوراً كالجبون . مثل الولد دوره تمثيلاً ادهش حتى الذين القوا الخلقات ومدهشات واضحكهم كذلك . كعرب الولد الخلقة . اضرم فيها النار . قبض على ما تبقى من رشدها ورماء خارجاً . صاح بها فرددت الصيحات ولم نمد نفهم ما يراد . الا انها اشبه بالانين . كأن الاربعنة رجلاً اصابوا بالمد شديد فانوا انة واحدة . وبدأت تظهر كرامات الشيخ . هوذا عبد امسي جاداً ، فرفعه اثنان فوق رؤوسهم واخرجوه . وذلك وقد خرج من الخلقة فراح يدق رأسه بالحائط فسقط صريعاً مضى عليه . وهالك من يبني الاجتاع بالله بواسطة عمود من اعمدة المسجد فامسكه رفيقاه فتلفت منهما وضربها ، ووثب وثبة هائلة كان العمود ورأسه خاتمها المنجمة . حلوه مضرجاً بدمه الى خارج المسجد .

بدأت تظهر كرامات الشيخ الفقيد . سقط امام الولد الزعيم في وسط الخلقة شيخ لحيته بيضا ، طويلاً والزبد يسيل من فيه عليها ، فوثب فرفقه ولم يابه له . وهذا آخر يخلع ثيابه .

« خلعت عذارى واعتذاري لايس ال . خلاعة مسروراً بخلمي وخلعتي » رمى بهامته ويحجته وبدناره الى الارض . فاوقفوه عنده هذا الحد واخرجوه في شعاره من الحضرة الروحانية . استبرأنا من ذا المشهد بروح الشيخ الطاهرة : يا لطيفة ، يا شريفة ، يا كريمة ابي حنيفة ، يا مسكنة الباد ، ومنطقة الجاد ، يا ربة الحال ، وسراج الترحال ، قمي ، والطفي . لا تقتلينا بالكرامات ، ولا تسكرينا بالشعرات ، ولا تؤاخذني شيوخ الطرق والخلقات ، امين ، امين .

في المواضع التي شامت الغرة السرمدية تلقينه آياها بالوسائط وبدوتها .

كان السيد أحمد وهو في الدور الأول من استكشافه على الأسرار الإلهية
والتجربة بعد التردد على المشايخ المعروفين الأئمة الذين أصبح قطبهم بعدئذ
في الدعوة والسلوك .

أما الشيخ عبد الوهاب النازي الذي كان يحضر دروس السيد أحمد في
فلس فقد صار بعدئذ شيخه الأكبر وفوق طريقه الأنور . ولا أهمية للسفر في
الرحلات ولا للشيخوخة في الرهبات . فمن حال هذه الأرواح القدسية
وأنها لا تلهي من الغلاب الخفيفة لا يأنف أن يأخذها وهو شيخ طامع في
السفر . من قبله بل عن آخر الناس وأصغرهم لديه .

قد اجتمع السيد أحمد شيخه النازي واسطة عالم من علماء شفيط بدعي
أحمدري ، وكانت في الاجتماع الأول فاتحة اللطاف والاشراف . ولا عجب
أن يكون النازي يهتم بكل حادث في حياته بفتح له باباً أو يشير إلى باب من
باب الحديقة التكميلية الإلهية . التي تصور أحمدري يقول للنازي : هذا
كتاب الأدريسي محمد بن محمد . وهو على سنة طريق السج في علوم أسرار
الكتاب والسنة . يقول النازي : قد علمت بذلك قبلت . سمعته في مادي .
أمره بدرس فأتت في ثمانى . لا بد أن يشرق على كتابه نور الأذن الرباني .
وها كنت الساعة يا أحمدري . أيتني به فأجبه برسول الله

وكذات كان . ذهب السيد أحمد مع أحمدري إلى الشيخ عبد الوهاب
وحمى من أول لحظة أن هذا النازي الأول ، ها هنا سراج الطريق . فلازمه
واقطع إليه بسكايته . وقد كان النازي في ساعات أطال نظرات تحرق
استرة الغيب فوجى ما لا يؤر وبشعره يحدث بعيداً عنه على الطريقة التي
يسمونها علماء اليوم Claryvoyance منها أنه عرف وهو في فاس بموت أحمدري
ساعة وفاته في شفيط . وقد علم الشيخ النازي للسيد أحمد هذا العلم بالغيب

تعليلاً لطيفاً جديراً بالذكر . ان المري او الواسطة الاولى بين النفس والمصادر الروحانية اذا انجبه في ساعات أحلال الى احد تلاميذه يراه بعين النيب ويراه ما دام حياً في حالات شتى ، « تارة انور وتارة اظلم بحسب سلوكه وطاعته ، وتارة اقرب الى الله وتارة ابعد » . اما اذا رآه على حال واحدة في المكان الذي بعده فيه فيستخرج من ذلك انه مات . أفلا يتطابق هذا الكلام اللطيف على الانسان اطلاقاً ؟ هو ما دام حياً متقلباً ، او بالحري يتنازعه دائماً عاملاً ، عامل الخير فيقربه من الله وعامل الشر فيبعده عنه تعالى . ولا يوجد العالمين او يؤيدها الا الموت .

والشيخ التازي على كرامته لم يكن للسيد احمد غير الواسطة الاولى . اما الثانية وهي بشرية كذلك ، فتجسمه بالحضر الي العباس . الا انه قبل ان تصل الى الحذر لا بد من الدخول في الباب الثاني اي شيخ الشيخ التازي . نعم قد كان للتازي كذلك شيخ هو عبد العزيز بن مسعود الدباغ من فاس . وما كان لعبد العزيز من الحياة الدنيا غير ستة وثلاثين سنة لزمه التازي مدة سبع عشر سنة منها .

قد اخبرتك وكيف اجتمع الادريسي بالتازي ، فاخبرك الان وكيف اهتدى التازي بالشيخ الشاب عبد العزيز الدباغ . يظهر ان شيخ سيدي احمد كان تاجراً في اول امره ، او انه كان يتجر في بعض الاحايين اوراقاً . فر يوماً بالدباغ وهو يريد ان يتجر في الحنطة فدعا الدباغ منه وحمس في اذنه : لا تتجر في الحب والتجر في الحسن . اشتره من يوم كذا وبه في يوم كذا ولا تبقه بعده . فعلم التازي بما قال فربح ربحاً كثيراً . فجاء اليه شاكراً . فقال الدباغ : ليس المقصود هذا ، وانما المقصود ان تتجر تجارة لن تبور ابداً . فقال التازي : كيف ذلك ؟ فلجأب الدباغ : اخرج مما ملكتك يدك فصدق به . فعلم بامرهم ولزمه منذ ذلك الحين واطلع على اسرار في العلوم والتفسير فلقنها

بواسطته من الحضر الي العباس . وقد عاش التازي ستين سنة بعد وفاة شيخه
الدباغ وكان هو وتلميذه الادريسي يزوران طريجه وينشدان هناك الاشعار .
لقد نبئت في القلب منكم حبة كما نبئت في الراحتين الاصابع

تعشقكم طفلاً ولم ادر ما الهوى فشاب عذارى والهوى فيكم طفلاً

من كرامات التازي انه غاب عن بلده مرة يذكر اخوانه في الله ثلاث
ولده فأشهر بذلك فارس الى اهل يقول : لا تدفونوه حتى احضر . فحضر
بعد ثلاثة ايام فضا طلب ابنه قائلاً : من قال لك قوت ؟ ثم باذن الله فقام
الولد حياً . ان كاتب الترجمة التي اعتمد عليها يذكر هذه الكرامة حكاًتها
حادث حادي المؤلف . واني تأمل الخبر حياً ينشر ما اظنه ظلاً الهياً حقيقة كلية
لا بد في مستقبل الانسان والايمان ان تصبح قوة من القوى البشرية العامة
يستخدمها صاحبها خير الناس . يستخدمها في الشفاء من الامراض على الاقل .
فاذا مرض احد في بيتك تقول له : من قال لك مرض . اشف باذن الله تعالى
فيشفى في الحال . وكان التازي يقدّر احباً بين اصحابه امتحاناً لهم ، فيقول
مثلاً : وددنا انما احد بشر من القوقاس ، او يعذب من البحر . فيقول
بعض اصحابه : كبير سن الشيخ . ولكن السيد احمد ، وقد كان اطوع له
من بنائه ، كان ينهض فيتمياً ويتروّد للسفر ويحيي . الى شيخه فيقبل بده
مودعاً ويقول : ساجي . لك يعذب من البحر . فيقول له التازي سرأ في اذنه :
يا احمد امرنا كله جد ، من يعط الجد يعط الجد .

ما اكبرها وما اجملها كلمة . اخذها السيد احمد عن شيخه التازي وجاء
بها الى مصر . من يعط الجد يعط الجد . كان يومئذ في العقد الرابع من
العمر ، فاقام في ارض الكنانة قليلاً ثم سافر الى مكة فاقام فيها ثلاثين
سنة يجادل ويناقش العلماء ، ويشرح ويعلم العلوم الروحية . وكان يقول دائماً :

لكل بي دعوة مجابة ، ولكل ولي عند نبيه طلبة مقبولة . هذه هي نقطة الخلاف بين السالكين من سنيين وشيعيين وبين اهل التوحيد الوهابيين الذين كانوا قد استولوا في ذلك الحين على الحرمين .

اما اذا فُيات قاعدة السيد احمد فيجبني لك ان تقبل كذلك نتائجها . فتقول ، والمنطق اساس المعقول : ولكن شيخ طريقة عند وليه طلبة مقبولة ، ولكل سالك عند شيخه شفاعته ، ولكن امرى . عند السالك مثلهما الخ . هذا نظام في العقيدة والايان بنفسه ^{الشيخ} الفرض السامي منها . قد رأينا مثلاً لاهوته في حلقة اندكر . وهناك امثلة اخرى عديدة في من يلجأون الى الاولياء ، والى ^{الشيخ} بل الى الاشجار والاحجار عند ضروب من كان من الابرار . ليس المقام مقام جدال في الدين وتفضيل بين السالكين والموحدين . ولكني اقول ان السالك الحنفي يصل في نهاية امره اللهم اذا كان مجدداً مخلصاً الى اسمى درجات التوحيد .

هذا السيد احمد ابن ادريس الذي لم ينقطع قط عن صحبتة المشايخ العلماء بأخذ عنهم وعن المتقدمين من السالكين حتى قيل له من الحضرة الالهية : لم يبق على وجه الارض احد تنفع منه الا القرآن . ففضى بعد ذلك سنيته عديدة لا يشتغل بغير الكتاب وتفسير آياته ودرس حقائق معانيه . واذن انه قال انما ذلك كلمته الماثورة : طريقتي ^{سُم} السعادة . ثم تدرج منها الى صكفة اكبر واجل : طريقتي ما فيها كون ^{القدم} الاول ها هنا والثاني عند الله . هوذا الصوفي في اسمى درجات التوحيد .

قد تدرج السيد احمد في الوسائط كذلك . فقد كان بينه وبين النبي كائنين واسطانت بشريتان هما التازي والدباغ واسطة روحية هي الحضرة

(١) يريد بالكون الوجود بيد العدم والعدم بيد الوجود . اي لا عدم في طريقته سابقاً ولا لاحقاً .

أبو العباس. والحضر الذي كان يجتمع بالنبي في حياته هو الواسطة بينه «ص» وبين الدباغ عبد العزيز الذي كان يجتمع به ويأخذ عنه في اليقظة وفي المنام. وكذلك السيد أحمد : فقد استغنى رويداً رويداً عن الوسائط كلها ، كما استغنى بالقرآن عن العلماء اجمعين ، وحار في آخر أمره - ويصح أن نقول في بداهته - يجتمع بالنبي مباشرة مثل الدباغ في اليقظة وفي المنام .

قال السيد أحمد : اجتمعت بالنبي اجتماعاً صورياً ومع الحضر فأمره النبي أن يافني المراتط الطريفة الشاذية^(١) فقلتها بحضرة «ص» ثم اقنيت بأمر من النبي أيضاً - إثر الادراك والتلاوت - ثم رفع النبي السيد أحمد إلى مقام الحضر وصار يسكنه ردون واسطة : يا أحمد قد أعطيتك مفاتيح السموات والأرض وهي التهليل اعصوص^(٢) والادلة العظمية^(٣) والاستغفار الكبير^(٤) المرة الواحدة منها بقدر الدنيا والآخرة . وقد قال له بخصوص الاستغفار الكبير : خزنها لك يا أحمد . ما سبقك إليها أحد . فلها اصطانتك لیسبقوا

(١) قد مر السيد أحمد طريقته احمدية نسبة إلى اسمه وهو نفس كذلك في عامة وعسير اما عنوان الطريقة الشاذية لأن أتباعها يسلكون بالهليل والادعية صفت الشاذيين . وقد كانت طريقة التاري شاذية مصرية أصل واسطة شيوخ بني ناصر في المغرب بالشاذي . وطريقته في ناصري في نظر المارفين اشرف الطرق الشاذية هناك ولا يسبحون حالاً للملأ .

(٢) لا إله الا الله في كل لغة ونفس عدد ما وسعه علم الله

(٣) منها : اللهم اني اسألك . . ان تصلي علي «ولانا محمد ذي القدر العظيم» . . صلاة داغة بدوام الله العظيم ، واجمع بيني وبينه كما جمعت بين الروح والنفس شاعراً وباطناً ، غبطة ومناجاة ، واحدة يا رب روحاً لذاتي من جميع الوجوه في الدنيا قبل الآخرة يا ظلم . - كتاب الاحزاب والاوراد صفحة ٥٨٢

(٤) منه : استغفر الله العظيم . . وأتوب اليه من جميع المعاصي صكها والذنوب والاثام . . من الذنب الذي أعلم ومن الذي لا أعلم عدد ما لحاط به العلم واحصاه الكتاب وخطه القلم . . كما بيني لجمال وجه ربنا وجماله . - كتاب الاحزاب

بها الأوائل .

لمعري أن من يتجه بكل قواه العقلية والفروجية والقلبية الى كتاب او الى امر او الى عقيدة او الى طريقة صوفية كانت او تجارية يرى منها ومن نفسه العيب . فكيف لا يتجمع بالنبي من قضي ستين سنة بفكر بالي ، ويقول ويردد كلمات النبي ، ويتوسل « ماصالة العظيمة » الى النبي في اللحظة وفي المنام ؟ ان صورة اصولها في قلبي كل يوم لتتبعكس امامي من حين الى حين فارأها بالدين المجردة كما ارأها بدين الحلم والروح ، وان كانت عقل بعين الحيال ، واسمها كذلك تطلق ؛ طالما حلت به ورودته مراراً وتكراراً ، لحظة ومثلاً . فضلاً عن ان السيد احمد الذي ابتعد بالتأني مدلاً وانتهى بحمد أصبح واني شيخه الاكبر وتوره الانور . وهو اي السيد احمد القائل : الاستفادة من شيخك اكثرها يكون بالتوجيه القلبي . اسأله بقلبك فيجيبك بقلبه « هوذا الصوفي الحقيقي يتكلم . وهذه فيه صورة من صور الجمع المدبنة .

اما من وجهة علمية عرفية فقد كان السيد احمد سيد العارفين وقطب الحقيقتين ، جامعاً بين علمي الظاهر والباطن . وله فيها الباع الطويل على الاخص في علمي القرآن والحديث « رواية ودراية » كما يقول صاحب الترجمة « وكشفاً وتحقيقاً » وهو يريد بذلك المعقول والمنقول ، الحقائق والوضعية والثقاليد « ما روي منها وما ادركته البداة وأقره العقل . واني ازيدك من كلام كاتب الترجمة ما لا غار فيه ولا مبالغة : « قد حطه الله بالمواهب

(١) واسألك يا الهي ان تحفظني بشهود ذلك باذا الجلال تحقيقاً كتباً وشهوداً هيباً يستغرق جميع ذاتي وصفاتي وجملة اجزائي وكيلائي ويخرجني من شهود ككل شيء . سواك واسألك باسمك العظيم ان تمنعني في شهود تجليات ذلك بالعين التي لا يحجب عنها شيء في الارض ولا في السموات وأقصر على جميع ذاتي لذة ذلك الشهود حتى اكون كمن لذة ذابة اليه ساربه في نفسي من نفسي نفسي . - كتاب الاحزاب

والارواء صفة ٨ و٩

المحمدية والعلوم الدينية^(١) والاجتماعية الصورية . كل هذا صحيح شريف .
واسرف من الاتيين الآخرين الاول اي تخلقه باخلاق النبي او ببعضها .

على ان هناك امراً يختص بعلوم السيد احمد قد يظن في ظاهره الشعرة
التي احدها . ولكنه امتثال على فهم السر في يده . فقد كانت كما قيل
لوح العلم المكنون ، ينتظر اليها فيرى ويسمع ما وراء المحوس والمطلون .
بل كان اذا سئل عن شيء في القرآن ينظر الى باطن كفه ثم يشرع يشرح
شأن من العلوم الدينية ، واذا سئل عن حديث شريف ينظر الى ظاهر كفه
ثم يتكلم بما يبهه القول . فما الصلة ياترى بين كفه وبين تلك العلوم والاسرار ؟
هكذا لو اذن للشيخ السنوسي بشرح « احزابه واوراده » . فقد يكون تكن
من امالة النقاب عن هذا السر في طريقة السيد احمد وفي يده . ولكنه لم
ياذن للسنوسي بشرح الاحزاب خوفاً من ان تفسدها الشروح . فقد قال له :
لا تخربها يا ولد السنوسي ، انما شرحها في جنة عدن .

اما السيد محمد السنوسي الذي اجتمع عندهما مكة للحج بالسيد احمد
الادريسي فهو من علماء المغرب الكبار . وقد أعجب جداً بالسيد احمد ولزمه
مدة اقامته في مكة ، فاخذ عنه وادعن له الاذعان الثام . لذلك ترى الطريقة
السنوسية في كثرة اليوم جامعة بين الادريسية والشاذلية . ولكنها تدمى
محمدية لاتصالها بواسطة الادريسي فالتازي فالدياغ فالخضر بالنبي . وقد عادت
الى العرب بواسطة السنوسي ، وسارت الى افريقيا بواسطة محمد المجدوبي
السراكني ، احد اولياء السودان « الشهير في وقته بين الحلاني » بالكشف
الصادق ، والكرامات الخوارق . فقد صاحب السيد احمد مدة عديدة واخذ
الطريق عنه .

(١) العلوم الدينية التي هي من لدن تعالى اما رأساً ياتوحي وبالمدعمة واما بواسطة
شريعة او روحية .

ثم انجه القلب الى اليمن، فبعث الله منها احد السادة، جاء مثل السنوسي للنجح. وليس خيراً من مكة لمن يروم الصيد، صيد القلوب. كلها تحوم هناك. جاء السيد عبدالرحمن بن سليمان الاهدل^(١) مفتي زبيد في عصره فالفى السيد احمد فيها: كالمافية للسقيم وكالشفاء للجرح الاليم. ولما عاد الى وطنه حدث في زبيد عن شيخه الادريسي رآني عليه كثيراً. ثم كتب ترجمته في كتاب دماء النفس الياني والروح الرجماني. وبين هو وبعض العلماء يوماً في ذكر كراماته. يذكر الصالحين لتزول الرحمت. هزهم الشوق اليه، ومنهم الوجد بين يديه، فقال السيد الاهدل: هذه مائة الاجابة ان شاء الله. ارفعوا ايديكم للدهاء. ان باقى الله به الينا. فلما تم المجلس قال: اوتخوا اليوم وهذه الساعة. وكان في مكة يومئذ ان حرك الله داعي السفر في قلب السيد احمد ثم امر به فخرج يعني مويدته يوم هاجهم الشوق اليه. وعندها وصل الى تهامة كان اول تزوله في زبيد عند السيد لاهدل عبدالرحمن.

جاء الادريسي اليمن مبشراً بعقيدته، داعياً الى ذريته، فاشراً ما منحه الله من بوم اسرار الكتاب والسنة. وكان حبه قول محترماً معجلاً، فنظمت في مدحه القصائد وتبارى في ذي الحنية شعراء. زبيد وبنت الفقيه وتغر ووصاب، وتهاقت عليه الناس شاهمة وحامة يستنبهون بشكائه ويستفهمون بهركاته^(٢) بل كان العلماء والمشايع له سامعين، ومنه اتخذين، وكانت زبيد نقطة دائرة اماله. اقام اول مرة فيها شهرين يوماً، وعاد بعد ان ضاف في تهامة اليها، فاقام فيها بضعة اشهر، فآخذ الناس يتسابقون الى اقتبال دموته

(١) السيد عبد القادر الاهدل في مراوغه اليوم هو حفيد السيد عبد الرحمن واحد افاضل العلماء هناك

(٢) ولقد املى دافاه الله من تلك الرقائق والحقائق ما استنادت منه قلوب سليمة، وتدأوت من جراحت غلاخا قلوب أبلسة. - من كتاب النفس الياني والروح الرجماني.

ونشر طريقته ، التي اجازها للسيد عبد الرحمن بن سليمان الاهدل هو واولاده
اجازة عامة « في جميع العلوم المقربة من الله تعالى » . ولا تزال زعامتها في
بيت الاهدل الى اليوم .

كما يجزن في اخبار رحلة السيد في اليمن ان تلك البلاد كانت منذ ستة
سنة ارقى مما هي اليوم . فقد كان اهلها متيقظين ، وفي العلم راضين . فكان
الشعراء والمعلماء يومئذ في المدن والقرى ، واليوم لا تجد في تمامها كلها
شاعراً واحداً ينظم باللغة الفصحى . اتلوم الترك الذين حكموا بعدئذ البلاد ،
ام تلوم التصوف الذي يرفع الفرد ولا يرفع عامة الناس . اني متيقن ان لا
تصوف في الجماعات ، وقد استحالت عندهم طريقتاً وحلقات .

عاد السيد احمد شمالاً في رحلته فزار المدينة ومراوغة وهاجل ثم صيا
البلدة المشهورة القريبة من ابى عريش ، فاستقر فيها واستوطنها ، فكانت
هناك خاتمة الرسالة الصوفية ، وفاتحة الطريقة الاحمدية .

شرفت صيا بكم قدمت مورداً للصلم والذل
ليت شمري ما الذي فعلت فعلت قدراً على زحل

ان اخر من اخذ عنه اثناء اقامته هناك هو الشيخ ابراهيم الرشيد صاحب
الطريقة الرشيدية فقد صحبه في صيا مدة السبع السنوات الاخيرة من حياته
فاغنم فيوض بركاته حتى النخعة الاخيرة منها التي فاضت من نفس السيد احمد
ورأسه الشريف على ركة قلبه « وذلك في تسعة بقين من رجب في السنة
الثالثة والخمسين والمئتين والالف (١٨٣٧ م)

قد قيل ان الرشيد كان اقرب الناس الى شيخ صيا ووليها ، وارضعهم
قدماً في بلومه واسراره . ولكننا سمعنا وشاهدنا في طريقته ما يتفني ذلك .
حلقة حضرناها في عدن فيها الولدان يتغنون ، ورجال يطيبون ويتصايون ،

وصوف من الحسن والشوق تيل بعضها الى بعض ، وعيون تنو الى القمر في
 السماء ثم الى الافار امامها ، وشيخ اطلقة جالس على منصة يراقب منها العمل
 بل التسلل انه في تعظيم الولد ان لا مستاذ يارح يملهم الفناء والخذاء والسجود ،
 فيستصي في اذكارهم الجلود ، ويعرس في الحلقة سر الوجود - خاتمة الشاهد
 والورد . ان مثل هذا التطور في التصوف ليجزى جداً . والي اجل السيد
 احمد ١٤ يجري باسمه اليوم في تهامة وعسير وفي السودان ، واعتصم بروحه
 الشريفة الطاهرة منها .

حققتي يا الهي بانسانيتي حتى اصكون افسان العين الكلية الالهية التي لا
 يحصرها شيء . ولا يقدر قدرها سواك .

وامعني غاية لزيد خطاك ومخادتك في شكل حال من احوالي بجميع
 كلياتي حتى لا تخلو ذرة من ذرات اجزاء ذاتي من ذاك السامع الالهي لحظة
 ولا اقل من ذلك .

واجعلي يا الهي لك عبداً عبودية خالصة لا راحة ربوبية فيها على
 احد من خلقك .

وتجلي لي يا الهي بجم الاسماء الجامع لدراتب الحقبة الالهية صحتها
 حتى اعطي كل مرتبة الحقبة حقها من نفسي .

وتجلي لي يا الهي سر توحيد الذات المطلك في آية الانانية الموسومة :
 انا الله لا اله الا انا فاصبني .

وتجلي لي يا الهي ياذا الجلال والاكرام فاجد لذة الوحي الالهي مني الي
 دائماً ابداً سرمد مقزعة ان يلحق بها او يقرب منها لذة في جميع
 الوجود بحيث لو وضع منها قدر رأس شعرة على جميع العالم لنام بعضه
 ببعض . من غير ان تفارقني تلك اللذة لحظة ولا اقل منها حتى اصكون

حقاً الهياً في نفسي .

من أين للامة الذين يصيرون في الخلقات ويرقصون ان يتفهموا مثل هذه الروحيات ، وبندروا مثل هذه الالهيات ؟ بل من أين لمشايع الطرق والسادات المتصوفين ان يدركوا مربي شيخهم الاكبر في « الاستواء الجامع للمراتب الحقية الالهية » وفي « آية الانانية الموسوية » و « سر توحيد الذات » و « انسان العين السكلية الالهية » ؟ انهم و ادركوا مقدار خفة من مقاصده ومعانيه في هذه الخلقات والتشوقات نفروا من الخلقات هاربين ، وراحوا افراداً حاكئين قانتين سالكين . ان بشرأ يصبو الى قلب الالهيات بل الى ذروتها ويستفي ان يكون انسان عين الله لتستوي عنده مراتب الحق كلها ، فجرى في كل مرتبة ، في كل دين ، في كل مذهب ، صلة الهية فيسطيها حقاها من نفسه . ان مثل هذا البشر العظيم لينفع في حياته الناس ، ولا ينفع بعد موته غير افراد من الناس بل يضر حشداً في ما يقام له من التكريات وما يسود باسمه من الجبريات .

اجل ، وقد يضر اشد الضرر بفلسفة في الزهد والفقر تصلح للزاهدين ولا تصالح للامم والشعوب الا اذا غلبت اجمعين . واسوي انها حتى في كايتهما وتحولها تحالف الناموس الطبيعي الذي جعل في العمل خلاصاً للانسان ونعمة . وقد . بعرق جبينك تأكل خبزك انها حقيقة اقتصادية واهية معاً . ولكني انما السكسلان اتفلسف في الرعد وقد اصكون صادقاً في زهدي مقتدياً بالنبي القائل : لكل نبي حرفة وحرفتي الفقر والجهاد وقد اكون كذلك فصيحاً بليغاً ، فاكسب رسالة اسمها « كيمياة اليقين » كما فعل سيدي الابراهيم احمد بن ادريس ، فابرم فيها ان طلب الرزق حرام ، واجبي بالشواهد الدينية ، والاحاديث النبوية ، والنواذر والملاح انبت ما اقول واستغري به الناس ،

فاظلم امة كاملة بمحدث من الاحاديث النبوية : - لو ركب الانسان الريح
وهرب من رزقه لو كسب الرزق البقي وادركه حتى يدخل فيه .

ما اجمله والطائفه حديثاً ، وما اقرب الموت من حقيقته . قد ينجر بها
امرؤ ويهلك بها امة جمعا . اني اذا اخبرت نفسي الفقر والزهد الخطي . اذا
استخلصت منها قاعدة لبسك بوجهها الناس او مثلاً يستلون به فكيف بي
اذا قصصت تعزيراً لطريقتي مثل هذه القصص البطيئة . كان امرؤ يصلي في
المسجد ويأزمه دائماً ليل يبار . فماله الامام : من اين تأكل ؟ فقال له :
من ملك السماوات . فقال : وهل يدلي لك بالقمة ؟ فاجاب : نعم . فاخذه
الامام الى بيته ودلاه في الخ وذهب الى السوق . وحككت امرأة الامام
وخادمتها وامامهما اكلة طيبة مما باكلها ، فطرق الباب طارق فضأت الاكل
في البئر . دته اكلة فوقعت على الزاهد فتناولها واكل هنيئاً . دلى له الاكل
ملك السماوات . اجل ، رزقك يقبلك كالظلل . كثر المؤمن ربه . قد وعد
الله العباد برزقهم وافه صادق بوعده . ان الاهتمام بالرزق اذن تكذيب
فه . ها هنا قلب الجلود في ما التوى من الاسلام ، وموكل الضعف والحرول
في معظم المسلمين .

ولكن في هذا الكتاب الصغير الكبير ، كتاب الاحواب والاوراد
غير رسالة « كيميا اليقين » العجبية التي يستوقف عنوانها المتكر الانظار ،
ويقفه فحواها الابرار والنجار ، ويساعد كذلك من يعني في الصوفية والزهد
ماسكاً صالحاً قريباً ان فيه كذلك « الحزب السيفي » وقصته اقرب ما فيه .

قد عرفتك ايها القاري . تعريفاً سطحياً بالحيدري العالم الشنيطي الذي
جمع « سيدنا احمد بولانا عبد الوهاب التازي » . وازيدك الان به علماً . يظهر
ان روحية الحيدري كانت مزدوجة اي مركبة من روحيتي الانس والجن .
ويظهر انه كان يباري الدباغ بالاسفار في عالم الغيب بقطعة ومناماً . فاجتمع

هناك بكبير من كبار الجن الذي كان رفيقاً لسيدينا علي رضي الله عنه . من
المعلوم في التاريخ ان علياً حارب الجن وغلبهم ثم اصطحب بعض المؤمنين منهم
في جهاده اخوانهم الكفار . ومن اولئك الصحابة قطب الجن القناني الذي
كان ابي كحطير ابي المباسم في . هو القناني الشهير بعينه الذي اجتمع به
الحيدري فلقنه « الحرب السري » من الامام علي . ثم تلقاه السيد احمد عن
الحيدري بروايته الثامنة وحرفه الواحد . اللهم ارحمنا .

ان الفرق بين هذا الحرب وبين نزع من الاحرار يحملنا على تفضيل
الحضر في الرواية وحديث . بل فيه ما يحذر من قدر الانس والجن واسطة
ولا يزايد الامام عليا والسيد ادرسي رومة ومضافا فيه من مرادفات
الادعية والخواصد ، والطائيات والاستغاثات . ما نجده في غيره من الصلوات .
وفيه من التسلط والغضب على الاعداء والاستغاثاة بربه عليهم ما يرووهك
ويؤمرون فيك لاول وهلة الائمة والصلحين الابرار . وانكثاك اذا تبصرت
قائلاً بطعن بالك وترى في دعوات السيد الساخط على الصواب . قدنا بملكك
في ما نسمع . ان من يستحسن شيئاً يرغب فيه . فلو كان السياسي او
التاجر او الجندي او الكاهن او الضبيب او الخمام يدعو على اعدائه دعوات
سيدي احمد اقلت : كفر بالله . ولكن المجنون بالحقبة الكلية ، المخلوب
اليها بجمعيته ، ومن صبح ايمانه ، وصدق يقينه ، وكرمت اخلاقه ، وصمت
اشواقه ، وتترعت عن اللؤم والجشع والاثانية والكبرياء والفتاى اعماله ،
وكان مهادناً في سبيل القضايل الروحانية والطفلية كلها ، ان هذا الرجل
يشتهي ان يظهر العالم والناس من اعدادهما .

وان اعداء مثل هذا الرجل لاعداء الحقيقة والصدق والامانة والايمان
والشرف والازالة وكرم الاخلاق . فيحق له ان يستجير منهم بالله وان يسأله
تعالى - وصاحب هذه الرحلة كذلك من المستجيرين السائلين - ان يعاد

بينه وبينهم كما باعد بين المشرق والمغرب . وفوق ذلك ، نعم ، وأكثر من ذلك : انخطفت الالهة ابصارهم بنور قدسك ، واضربت رقابهم بجلال مجدك ، واقطعت اعناقهم بسطوات قهرك ، واهلكهم ودموهم تدميراً ، كما دفنت كيد الحساد عن انبيائك ، وضربت رقاب الجبابرة لاصفيائك ، وخطفت ابصار الاعداء عن اوليائك ، وقطعت اعناق الاكاسرة لاتقيائك واهلكت الفراعنة ودمرت الدجاجة لحواصك المقربين ومبادك الصالحين . . . الالهة بك تصول على الاعداء ، واباك زجور ولاية الاحياء والاولياء . والقراء امين ^(١)

هذا في كتاب الاحزاب ، وبتلوه من المحامد ما لا تضاهي ورعاً واذانية .
 . . . جاء في اوله اخبر منبأ المحمودة الثانية وهي جامعة مستوفية ، وجيزة بليغة .
 هي روح اتحاد كلها .

الحمد لله بجميع محامد كلها ما علمت منها وما لم اعلم ، على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم اعلم ، بعد خاتمة كلهم ما علمت منهم وما لم اعلم ،
 واسكن السيد احمد شر كرمه صادق الالهجة في حالاته كلها فقد كانت له فترات من الحياة فيها الظلام انتثر من النور ، والبؤس اشد من الجور ،
 فتخرج لذلك من التعميم الى التخصيص ، ومن الحمد على ما لا يعلم الى الشكوى مما هو معاوم محسوس . اجل ، وقف مرة في « كنف الله وجواره » يمدد مثل ايوب الصديق المصائب والافات والامراض والمفاسد كلها ، ولم ينس القالنج حالياسور ، ولا استثنى وحشة القبور .

هذا ما في « الحزب السيفي » الذي تلقاه الادريسي عن المجيدري عن
 عظم الجان القفاني عن الامام الاكبر رضي الله عنهم اجمعين .

وايكنت وقلت هذا هنا في التعريف ولا حاشية لبعض الواجدن من
 اهل العمل المحققين « التي تذكرنا بالمتنظمين والمتموذين . قال المذكور في

كلامه عن حزب آخر^(١) : ان المشارة على الدماء السيقي معه مؤثر لا قوة
والغنى ، وهو بدونه لا يخرج من الوضعة والفقر . اي انك اذا قرأت الحزب
الغني وحده فتفقر ، واذا قرأت الحزبين تفنني . فما اشبه هذه الشروط بل هذه
الرشوات في الأورداد والأحزاب والمخبرات ولاجور عند المسيحيين . انها
واسع يقال لأفان التقوى وسينات الصلوات .

اسأل الله ان يورثه غفلة ذاك الذي لا يجهل ما يورثه الله بهرك .

ولا لطفك بجهنم التوابية لا تحرقك صور الكون كلها .

ان دون الله عز وجل سبعين سجداً من نور وظلمة وما اكسبه نفس
شيئاً من حسن قرات الحجب إلا زهات .

ما قرأت في الاستعارات الصوفية ، وما سمعت من الغايبات ، وما شاهدت
في صورها ، اجهل من هـ . حتى ذلك الحجب . وقد حركتها التمام الزمانية
فهمست اسمها هـاً في الاكوان .

واسألك بامر ذاتك الذي اضممت فيه حقائق البنانك والبرصان
وطاشت بجباله الباب . الاكوان الكرويين ، واندمجت فيه معارف
اوليانك واصفيانك المقربين ، حتى تاه الكل في الكل ، وتغير الكلام
في الكل . . . ان تخرجني من شهوة ككل شيء . سواك . . . فتستعبر
ارض تبغي كلها ميوتاً عشقية . . . هنا وهناك . . . وواء الورا . بلا
وداء ودون الدون بلا دون .

وهذه في نظري اجمال الازهار الروحية في روضة الصلوات الصوفية ، اذا
فاز بها السالك ، المالك هنا وهناك . كلمة اخرى قبل ان اتم هذا الفصل .
لو ارتقى ككل السالكين الى هذه الدوحة من الادراك الروحي والتذوق
الالهي لبطلت حلقة الذكر . واذا لم يرتقوا فحلقات الذكر كلها لا تفيد .

(١) الحزب الغني لبديي أويس الثرثلي . ولم يذكر شيئاً من مصادره الانسية او
الروحية او الخفية .

الفصل السابع

الادارسة في عسير

الرسالة الروحية - الحكم في عسير في العام ١٢٥٥ هـ - ابراهيم باشا مصري - الثشار الوهابية - ثورة الاحالي على الحكم المصري العجائزي - الثشار النظر ١٢٦٢ الاحمدية - خروج الصديقيين من البلاد - حكم الشريف حسين - وجود الاتراك سنة ١٢٨٩ - امار صنعاء والاساطق البحرية - الادارسة واشرف ابو عرش - زيارة الامام في صيدا - الادارسة في حشر والسودان - الخروج بالجواني العبيد - فساد الامم والملوك - السيد محمد الكبير - اخلاف - مصادر قوة - معاهدة - مع الانكليز - احتراق واعلاء - الترك والفرس - ما حسبه محمد العربي - المصالي والسفاسي ومضمر القوة والظلم فيها - علي بن محمد الامام الحالي - شجرة بيت الخلد *

واجعلني يا الهي لك عبداً محضاً عبودية خالصة

لا رائحة ربوبية فيها على احد من خلقك .

احمد بن ادريس

ان الرجل الذي توفي سنة ١٨٣٧ م في صيدا . فكفّن بكفن القديس وشيع الى القبر ولما لم يبلغ السيادة على احد من الناس . ولم يحلم على ما اظن واعتقد تلك عالمي ادريسي في البلاد العربية او خارجها . ولكن من ضريحه ، وقد اسي مقاماً ومزاراً ، مدت يد السيادة وهي تحمل رسالة طالما سمعها العرب ، خصوصاً البدو منهم ، واذعنوا لها . ولا غرو والدين عندهم اساس الملك في الدنيا ، والسبب الاول في خرابه لو انهم يفتنون . يوت الرجل الصالح الامير الذي لم يغيب في غير العبودية لله الخالصة ، المجردة من الربوبية على احد من خلق الله ، فيرفع الى مقام الاولياء . ويؤخذ من ضريحه حجر الزاوية لتلك عربي جديد .

كانت تامة وعسير يوم توفي السيد احمد بن ادريس في حكم مضطرب

لا تركياً يُعرف ولا مصرياً. ومع ان البلاد، من القنفذة حتى الحاء، كانت في حوزة ابراهيم باشا ابن محمد علي الكبير الذي احتلها بجنوده سنة ١٨٢٦م باسم الباب العالي. فالاهالي على الرغم من الاعدى عشرة حلة التي حملها عليهم من الطائف ومن البحر ظنوا نافذين منه فاثبت عليه.

ومن اسباب قوتهم على المصريين والحجازيين ان كثيرين منهم، اقتداء بزعيمهم في نقطة، انتحلوا المذهب الوهابي وكانوا من انتصار الامير سعود الكبير الذي استولى على الاقطار العربية كلها. وقد كان انتشار الوهابية في تهامة احد الاسباب في نجاح الطريقة الاحمدية. بالماومة تظهر القوى الكامنة في المذاهب وفي الجماعات. ولكن السيادة الروحية المصرية فازت نهائياً على السيادة الوهابية. لان توحيد الناس يومئذ في تهامة لم يمكن غالباً من اعتقاد بل كرهها للحكم السري الذي كان يوماً تركياً، ويوماً مصرياً، ويوماً عربياً، ودافعاً حكماً ظالماً جائراً.

استمرت هذه الحال ثشرين سنة. وعندما قررت الدولة ان تسحب جنودها من تهامة وسب سنة ١٨٤٠م^(١) كان بطمع بالسيادة فيها ثلاثة من امراء العرب، هم الشريف محمد بن عون في مكة الذي كان يساعد المصريين في حملاتهم على تلك البلاد، والشريف حسين بن علي بن حيدر من اشراف بني عريش الذين كانوا يحكمونها، والامام الزيدى في صنعاء الذي كانت تهامة سابقاً في حوزته وجزءاً من بلادها. فاتفق محمد علي باشا يومئذ مع اقدو الثلاثة وادعاهم وهو الشريف حسين فسلمه زمام الحكم في تهامة، على ان يدفع سنوياً الى الدولة قيسة من المال.

كان الشريف حسين في حكمه ظالماً، وفي سياسته مراوغاً مستبداً، بطمع بالاستيلاء على اليمن كله وماخراج الانكليز من عدن. فنشبت بينه

(١) في الفصل الثاني من القسم الرابع في هذا الجزء. يان الاحباب في الجلاء.

وبين امام صفاء حرب استمرت بضع سنين تناوبته فيها الهزيمة والنصر ،
فوقع مرة في يد الزيد اسيراً ، وبسط بعدئذ سيادته على اساكل تهامة كلها
حتى الحجاز ، فأنت من جورره ومظلمة الناس .

ثم بادت الدولة سنة ١٠٠٩ م تحاول الاستيلاء على اليمن وعسير ، فزلت
جيوشها بقيادة توفيق باشا في الجديدة واسترجعت الحكم من الشريف حسين
الذي عاد الى مقره في ابي عريش .

ومن عريب ما يعيد التريخ من حوادثه ان امام صفاء كان يحارب
يومئذ ايتروم الجديدة من الادريسي . وكان الانكليزي يومئذ كما هم اليوم
متذبذبين بين الاثنين اي بين حاكم الاساكل وحاكم الجبال .

تول توفيق باشا في الجديدة ، وبسط شيئاً من حكمه في تهامة ، وتقدم
بجيوشه الى صفاء كما اسلفت القول في الفصل السادس من القسم الثاني من
هذا الكتاب . وقد كان اليمن الاعلى اهم ما يعني في خطة الاستيلاء ،
فبادت تهامة الى ما كانت فيه من الاضطراب لا يحكمها فعلاً لا الاتراك
ولا اشراف ابي عريش . فجاء ابن ادريس يشيد بين ظلال الساداتين
المتداعيتين حكماً روحياً بل حكماً حقيقياً ، انتشرت كلمته وتعددت رساله
شمالاً وجنوباً في البلاد .

جاء الناس من اليمن ومن تهامة وعسير يزورون المقام في صباوويتهم كونه .
وكان السيد محمد بن الولي الجديد مقياً هناك تتنازع عوامل الدنيا وتوافل
الدين . ولكن المقام صار عرشاً ، وصار سيد المقام تدريجاً سيد الاقوام ،
فمرت في مجاري القدسيات السياحة ، وشرع ابنا ادريس يناهضون سرّاً
وعلاً اشراف ابي عريش حتى قفلوا عليهم . ثم حاولوا بواسطة المشايخ ،
ابناء الطريقة الاحمدية الجديدة ، ان يتغلبوا على الاتراك فلم يفلحوا في بادئ
الامر . ولكنهم استمروا يستمرون تلك السيادة الارثية التي اصبحوا

بسيها اثبت قدماً ، وابعد نفوذاً ، واوسع جاهاً من سائر اعدائهم في البلاد .
وقد تجاوز ذلك اجلاء عميرة فوصل بالمهاجرة الى مصر وبلاد المغرب .

جا . ابن ادريس مهاجراً من الغرب ، وراح ابن ادريس مهاجراً من بلاد
الغرب . ولد للسيد محمد ولد دعاء عبد المتعال فلما شب سافر الى مصر وتزوج
واقام هناك في قرية الزينية قرب الاقصر . وولد للسيد عبد المتعال عدة اولاد
سافر بعضهم الى المغرب فتزوجوا من بيت الشومسي هناك واقاموا في
القيروان . ان لهم كذلك بيوتاً في الزينية وفي ارجو بالسودان . اما في مصر
فمنهم اليوم ثلاثة هم السيد مصطفى والسيد السنوسي والسيد التريبي ابناء
عبد المتعال . وقد حافظ هذا الفرع من بيت السيد الاكبر على مقامهم
وسيلتهم فلم يتزوجوا من غير بيوت الاكفاء والاقران .

اما جد هم السيد محمد فقد استرسل الى اهوائه فاساء الى شريف ارنه .
بل ان فعلته التي اضررت ولا شك بسليكه لتجاوز الاساءة لانها حدثت وهو
لا يزال في ظل ابيه الابر ، قريباً من اثاره القدسية . قلت في فصل سابق
كلمة في اختلاط الشعوب جنساً ولوناً بالزوجة ، وقدمت شهرداً احياء على
بعض نتائجها ، ان من يحب بيت ادريس وينتاز على خيره واسمه ليأسف جداً
لما بدا من السيد محمد الاول رحمه الله وما كان عمله يستوقف الانتظار ،
ويحزن الانصار ، لولا مقامه الديني والمدني ، لان من يقتنون الجوارى في
الحجاز وعسب ويتزوجون بهن حتى من الاشراف كثيرين . الا ان من كان
بعيد النظر حكماً يدرك ان البيت الشريف الطالب للسيادة والملك لا يسلّم
بين شريفين كبيرين ، شريف مكة وشريف صنعاء . اذا كان لا يحافظ
على شرفه في دمه ونسبه .

اقتدى السيد محمد بالسادة زملائه فتزوج بجارية سودانية ولدت له ابناً
دعاه علياً ، فكانت بدانة الدم الاسود في سليقة بني ادريس بمصر . ثم

تزوج السيد علي بفتاة هندية هي ام السيد محمد الثاني فلم يصلح في خطأ ابيه شيئاً ظاهراً . ومع ان هذا الولد الهندي الام ، السوداني الاب المجد ونسب في بيته ، ولا النجاسة ولا النبوغ يصلحان ما تفسده السياسة بسبب النجاسة في ملكه .

ولد السيد محمد الذي يستحق ان يدعى الكبير في صبيها سنة ١٨٧٦^(١) وحي . به شاباً الى مصر فدخل كلية الازهر وتخرج فيها . ثم سافر الى كنفه بالمغرب فقرأ عنك على السيد السنوسي ، وجاء منها الى السودان فاقام في ارجو بدنته ، وتزوج بابنة الشيخ هرون الطويل شيخ الطريقة الاحمدية هناك . وسافر وتزوج في بلاد السود ، بلاد ابيه وجدته ، لانه لم يكن في دمه وهياكله ما يوقفه الى غير ذلك . ولكن نفسه الصغيرة الشريفة ابت عليه المحول والاستبعاد ، وكانت الاسفار قد زادت بعلومه ومداركه ، فكبرت معها المطامع واستيقظت قواه فشد الرحيل .

عاد السيد محمد من دنقله الى مصر ، الى مسقط رأسه ، الى قاعدة ملكه جله في ذلك الحين صوري او متزعزع ، فمكثت النوضى ضاربة في البلاد اطانيا ، وكان الترك جنوباً يحكمون حيثما يستطعون ، ويستفرون وؤوساء المشائر بمشاهرات لا يدفعون غير اليسير منها . فانقلب عليهم اصحاب الديون واستألمهم الادريسي اليه . وقد شاهد غيرهم من المشايخ يتشاغبون ويتفانون فاستفاد بهم فيه ، واستعان بزعيم على اتميه . حتى ساد اكثرهم فثبت كل كبير في قومه ، واقتدى بامام صناء . فأخذ منهم الزهائن ليأمن منهم الردة والحيانة . ثم مد سيادته شمالاً وشرقاً الى الجبال فجمع عدة افخاذ وبطون من المشائر تحت لوائه الذي رفع برهة عند حصن أبيها وعلى حدود حاشد وبكيل .

ولكن نجم السيد محمد لم يعلو ويتلألأ في سماء آل ادريس الا خلال حربين بين الدولة العثمانية ودول الافرنج ، اي حربها سنة ١٩١٢ مع ايطاليا

(١) توفي في نيسان سنة ١٩٢٣

ثم اشتراكها في الحرب المظلمى على الاحلاف . فقد كان في الحربين خصم
الترك اللدود ، والحلف الذي لا يتقش الصدود . اخذ من الايطاليين سلاحاً
فاستخدمها نارا وسياسة على عدوها وعدوه . واخذ من الانكليز مالا وسلاحاً
فخدم الاحلاف في الجزيرة خدمة ، وان صمرت ، لا تشوبها الاطماع ، ولا
يفسدها الخداع . وقد كان لا يزال له غير الاتراك عدواً . فحارب هذا العدو
كذلك باجاء من الخليفتين . ولكن اتصاهه على الزود في ذاك الحين كان
بعد اتصاهاً على الاتراك .

ان من فضائل السيد محمد نباته منذ بداية امره على مبدأ واحد . فقد
كان عربياً صلياً ، جسوراً في سبيل ما يبقيه ، يخاف اية دولة كانت على
اعدائه الترك ومن كان حلفهم من امراء العرب عليه . فاقذبذب في مبدئه ،
ولا تحول من زومه . حارب الاتراك وحليفهم الشريف وصديقهم الامام
فكان في العالم منتصراً ودائماً عزيزاً . لا انكر ان الاحوال كانت حليفته ،
ولكنه ساجها من لدنه بالخزم والمضاء .

وما يجمل الافرنج والعرب ان السيد محمد كان اول من انضم الى
الاحلاف من امراء العرب ، واول من حمل في البلاد العربية على دولة الترك
حليقة الالمان . فقد عقد معه الانكليز بواسطة حكومتهم في عدن المعاهدة
الاولى في نيسان سنة ١٩١٤ التي توجيها تعهدوا ان يقدموا له السلاح والمال ،
ويجسروا اساكل بلاده من التعديات الخارجية . فباشر في الشهر التالي القتال .
خرج ابن عمه السيد مصطفى في اثني عشر الف مقاتل على الاتراك فذبحهم
دحرات متواليات ، ووصلت جنوده شرقاً الى قرب حصنه وشمالاً في تامة الى
القفزة . واصكن الادريسي بعد ان استولى عليها في ١٠ توز سنة ١٩١٦
اخلاها للترك حين اصكراماً لاصدقائه الانكليز الذين عقدوا معه معاهدة
ثانية في كانون الثاني سنة ١٩١٧ تطلق بجزيرة قوسان وكان قد اخرج الحامية

الذكىة منها واستولى عليها .

صكان السيد محمد حصيفاً ذكياً ذا حنكة ودهاء ، يستعين على عدوه بكل ما حوله من زعامات وشعقات ، بالزرائق مثلاً على الاتراك ، وبالشوافع على الزيد ، وبالعشائر على الاشراف ، وبالانكلىز على الجميع . وكان له عون كبير في ارته الروحي ضائف نفوذه الشخصي وزاد ذكاه القطري لمعاناً .

ان مثل هذه السياسة الرجعية المدببة المتوكلية في معظم شأنها على الانكلىز لا تستغوب من امير يُعَد في البلاد دخيلاً ، وهو في تجهيز الساسكر والدفاع من نفسه يحتاج دائماً الى المال والسلاح اما خواجه سيد فلا يتجاوز المئة الف ريال اي اثنا عشر الف جنيه شهرياً ، منها ثلاثون الف ريال من الحديدية^(١) بيد ان جنده لا يتجاوز في ايام السلم الخمسة نفراً وهو يقوم اذ ذلك مقام الشرطة في البلاد .

ولكن الادريسي يستغفر في الحروب القبائل بواسطة المشايخ والمقدمين فيليه ثلاثون الف مقاتل وزيد ، وهم يحاربون على الطريقة الاولى حروب البدو . يجي رجال كل قبيلة او بطان او فخذ برادهم ووكائبهم وما عندهم من السلاح فيعطيهم الادريسي ما يحتاجون اليه زيادة ، ويمدهم بالذخيرة ، ويدفع فوق ذلك رواتب مرضية . ولكن الفناءم هي الخاذب الاكبر في حروب العرب كلها . اولاهما لما كان جند في تلك البلاد يذكرو . اما الامير الكريم الذي يفتد على المشايخ والزعماء فهو القاتل على زملائه في السياسة والمتصر على اعدائه في الحروب . ولم يكن في سلاح السيد محمد الادريسي وقواته في حروبه كلها احدى من هذا السلاح اي الكوم . فقد كان يحسن كذلك الى الكثيرين من السابلة والمشايع الذين يؤمنون صبيها من بلاد المغرب ومن مصر .

(١) اي ان خواجه السنوي غرمة وخمسين الف جنيه منها ١٠ في المئة ملور اي حبوب وغبرة و٨٥ في المئة ذهب ونفضة .

دعوته بالكبر ، وهو لا مشاحة اكبر من حكم في مصر من بني ادريس ، بل هو مدنياً سيدهم الاكبر كما ان جده السيد احمد اميرهم الاكبر روحياً . وفي الاثنين ، الصوفي والسياسي ، مصدر القوة والضعف في الحكم الادريسي . قد تكون العبارة مبهمه ، فيفهم منها ان مصدر القوة في واحدة من تلك القوتين ومصدر الضعف في الاخرى . ليس هذا ما اريد . ان في الاساس الديني لهذا الحكم قمة تغزه في البداية وتضعفه في النهاية ، تغزه في دور التأسيس والنشؤ ، وتغذله في دور التوسع والاستيلاء . ولا بد في الدورين من التطور ، ولا بد في التطور من التفتك في العناصر المذهبية . اي ان حكماً مثل حكم الادريسي يضاف في التوسع ، يرق في الامتداد ، لان اساس المذهب واساس المذهب الطريقة . والطريقة لها مقام قد تصغر في جوارها ولكنها تفقد وقعهم كلما بعدت عنه . وهما هنا لميري فحل الصوفي .

اما السياسي فمصدر الضعف فيه « وقد ذكرت مصادر القوة في السيد محمد ، انا هو في الدم الذي تحمل صفاء النسل وسلامة النسب في بيته . وليس نبوغه وكبر اخلاقه بحجة على ما اقول . فلو كان المرء شاعراً او صوفياً او فلاحاً او تاجراً لما عجز عنه وشككه ولم اثر الدم في حياته ومقاصدها . ولكن في الملك وفي السياسة ترى ذلك في يد اعدائه من الحليج الفاطمية عليه . خدمت الحروب الاجنبية مقاصد السيد محمد فاقسع ملكه وما ازدادت شوكته . فقد كانت قبل الحرب حدوده جثوباً بين ميدي والحيمة عند سيل يدعى وادي العين ، فامتدت بعد الحرب الى ما دون الحديدة فدخات هذه المدينة وسما الحبيبة والصليف وباجل وجمال والزبدية في ملكه . ولكنني لم اشاهد عندما كنت هناك ، لا في الحكم المدني ولا في السيادة الروحية ، ما يساعد على عمراتها ويثبت قدم السيد فيها .

فهل تتغير الاحوال فتتغير خلقه في ما ضمت به عليه ؟ ان ابنه البكر

علياً في التاسعة عشرة من سنه . وقد يليه الناس بعد ان عرضوا البيعة على عمه السيد حسن شقيق المرحوم السيد محمد فرفضها متمللاً بصحته وعزلته . والسيد حسن في العقد الرابع من العمر وهو يتجدي في سلوكه وزعمه جده السيد الاكبر .

ولد السيد علي الامام احملي في ذنقه سنة ١٩٠٥ من ام سودانية هي كما تقدم امة الشيخ هرون الطويل . وهي اول حرم الادريسي ولا تزال حية ومقيمة في جيزان . وكانت قد اقامت وابنها علي سبع سنوات في ذنقه بعد رجوع السيد محمد منها ، ثم جاء بها السيد مصطفى سنة ١٩١٢ الى صيا ، فقرأ السيد علي فيها الكتاب والحديث واللغة ، ونشأ في ظل ابيه مثرباً بادته في السياسة والوطنية . ان الطارفين هناك وفيهم سلطان الحج يشنون عليه ويقولون انه على جانب كبير من النباهة والهمة . اما المقربون اليه ففهم رفيق صباه وصديقه الحميم السيد العابد السوسي الادريسي المولود في مصر المقيم في جيزان . والسيد العابد الشاب اديب ، عصري الروح ، ذكي الفؤاد ، له آراء حديثة صائبة في هجران البلاد ميثوق ان شاء الله في قربه وقرب ابيه من حضرة الامام الى تحقيقها^١ . وللسيد علي اربعة اشقاء هم عبد الوهاب وعبد العزيز وعبد الرحيم . هؤلاء الثلاثة من امهات حبشيات متوفيات . ثم حسن الصغير وامه كذلك حبشية ولا تزال في قيد الحياة .

(١) لم يوفق السيد العابد ولا ابوه ولا عمه السيد مصطفى ولا الامام الشاب ومن تبعهم من الشافعي في دفع اغارات الزيد في ربيع سنة ١٩٢٥ . فاستولوا باسم الامام يحيى بن حميد الدين على المدينة كما تقدم وعلى الاساكن البحرية الاخرى . واستمر بعد ذلك الحكم الادريسي مضطرباً مترزماً الى ان تآذلت الامام هي من الامارة لعمه الامير حسن الذي عقد وجماعة ملك نجد والمجازر لملك عبد العزيز ابن سعود معاهدة بكة في سنة ١٩٢٧ شعبة بالمعاهدات التي كان يقدحها بعض امراء العرب والانكليز اي ان لها هو ما معناه : متحيزك بشرط ان تسع وتذعن .

هذه شجرة هذا البيت الحاكم في مسجد



الفصل الثامن

على ظهر الباخرة

ثيالي المشهورة - وفيلي المحزون - الرداء - الرفيق الجديد - البحر والمين والامواج ساكنة - بويخرة التهوي - بحث المسافرين - شي - يمشي - اصوات لديهم المنود - البحر اللطيف - لا خوف على من يشار بين الميث والمطارطة - رمان الكنيزي كروير - يجدينا الباخرة - يحيى - ان طالسة مثلنا في نهاية الرسمية - وعلمت نولي اكثرنا فكر ايها الافاضل « - شاطي - نهاية - جزيرة قبران - الصحاب - السيد العثماني - طحيط بعد نصف الليل - الرمان يساور المعبود ريمو - القربة الرسمية والارضية الاسكليزية .

جاء الجواب من حضرة الامام مرحباً بنا ، ورست في مياه الحديد ذاك اليوم باخرة وجهتها جيزان ، فآثرتاها على السيارة التي استشرت معينة وقتنا نتأهب للسفر بجراً الى العاصمة . لكن التأهب لا يشغل كثيراً من اصبح لي ملايسه وحاجاته اخف من الجندي في نهاية . ان قصة ثيالي قصة محزنة . نثرها في الطريق برأ ومجرأ . تركت الرسمية منها في مصر - ومن غير الانكليز من عباد الله يحمل ثوبه الرسمي الى البادية ؟ ثم تركت الشربة منها في جده ، والصيفية في عدن ، وما ان في الحديد افانر الدراويش والسالكين بما ارقيت اليه من القناعة والبساطة والحكمة . اجل ، وما فضل المسافر اذا كان لا يتنفع بشي . من مادات البلاد واهلها ؟ خرجت من القصر في قبافتي الحيازية احمل عصاي وفوطه فيها ما لا يستطيع حتى السالك ان يستغني عنه . اما رفيقي الجديد - وقد يسأل القاري . من الرفيق الاول ، عن القسطنطين . فالجواب واجب قبل ان نستأنف السفر . فبعت في الحديد بفراق القسطنطين . فقد وصله كتاب من جده فيه ان الوزير الشاهر في الديوان الهاشمي لم ينظم بيتاً في غيابه ، وان القارس الفيلسوف في القشلاق لم يسحب السيف مرة من نصابه ، وان نظارة الطيران مكسرة الاجنحة ،

والطيارين يائسون ، وان مديرو الميناء هجر الشراع وراح يرمي الابل ، وان الشريف الايطالي الذي استودعه ماله فرهارباً ، وان «توتو» كلبت المعبودة ، وقد اصنأها الشوق والنوى ، مشرفة على الموت . فلو لم يكن من نكبة جدة في ضيابه غير ما حل بتوتو اكفى به نكبة تستوجب رجوع الرفيق الزعيم في الحال .

جاء في صباح يوم والكتاب ببلده ، والدعوة تفرق في زاوية عينه ، وهو يقول : اعذرني يا امين . اود ان اوافقتك في الرحلة كلها . ولكن توتو - اقرأ - اقرأ ما يقوله الطبيب . توتو في حال الخطر . ولا عز في الدنيا كما تعلم اعز عشي منها - هوذا المركب في الميناء . سار كب اليوم فاراها بعد يومين اعذرني يا امين .

ثم نادى خادمه وبدأ يجمع ثيابه . فقلت لولا يبقى المدي معي ؟ فقال الولد وهو يش من رأس الدروج الى اسفله وثبة واحدة : وآمي ، انا مشتاق الى امي . مبالغا على عاداته في القم والنشيد اطال الله بعمر امك يا مديني ، وحرس الله توتوك يا قسطنطين ، يا من لا يبالي بما يفعل ويقول يا عدو نفسه في بعض ما يراه ويهواه . رأيتك ذات يوم عائداً من الباغرة تحمل رزمة كبيرة ، صك ما وجدت في خزانة القيم من الدخان ما قد يكفي عشرة رجال شهراً . فظننت انك تنوي المتاجرة في الحديد بالسكاير ولكني سمعتك تقول : قد لا يسر في الميناء باخرة اخرى في هذا الاسبوع .

كنت اشفق عليك منها ، ايها الرفيق العزيز ، وكنت ارى لك الخير الجرم في نجد ، اجل ، كنت ابغى تأديبك هناك ، وفطمتك عن هواك . فبالتك دعت رفيقاً لأراك «تيسط» في بلاد الوهابيين اذا داومت التدخين . فاشارك الان وتلك اللغائف التي كانت تملأ الواحدة الاخرى في فلك ؟ وكنت تدخن في اول الرحلة المظترة الذهبية القم ، فصرت تدخن ، لمفي

عليك ، ما لو شئت رائحتها «تؤثر» لأعني عليها . وانت الشاعر الذي لا يسر
 بنور الجليل من منظور وملوس ومشروب ومشوم . فاسأل الله ان يعصك
 دائماً من كل مكروه ، ومن كل هوس يشوه النفس ، وان يملكك دائماً من
 تلك المطرة الذهبية الضم ، ويملكك فوق ذلك الحكمة والاعتدال ، دمت
 محروساً في كل حال ، وفيت الحقيقة شقيق الخيال .

اما الرفيق الجديد فيحصل في اسفاره يدل الدخان سجادة الصلاة ولا
 يقتدي ظاهراً بالسالكين في سواها . فقد كان معه كذلك من الامتعة
 والحقائب ما لا يليق بالفلاسفة ، وخدام هو من السادة ، ليغرش له السجادة .
 وكنت انا في ذي الابهة جزوا منها افئس عن رفيقي الصوفي فلا اجد به
 الوكيل السياسي ، واغرب ، ا في حاجاته ومواضيه سجادة الصلاة .

خرجنا من القصر فاذا بثلة من الجنود العارية في الباب رافقتنا الى
 الرصيف . وكان هناك وجهاء المدينة والمتوظفون في انتظارنا للوداع ، لوداع
 الوكيل المحترم ، وانا في ميتة عباءة وعقال ليس غير . فاسري في ذلك لان
 البشرية آنفرت تطلبت في علي الصوفية . ثم سمعت فضل الدين يزجر الماسكر
 والمودعين . لم يشأ ان يرافقه في المنبوك الى الباخرة ، فاستأنست بذلك
 وحمدت الله . لا بد ان يظهر التصوف في صاحبه ، في حركاته او اشارته ،
 ولو في الحقيقة الاخيرة من ساعة الرمييات والترهات .

وكان الهواء اساكناً ، والحر من شمس النهار كامناً فيه ، والبحر رهواً ،
 وضوء القمر عليه كالسكرين يكفن الابعاج فاشغل التوتيون المجاذيف ،
 ووصلنا بعد ساعة الى جانب برجة لا صوت فيها ولا حركة ، ولا نور غير
 ذاك الاحمر الضئيل في رأس الدقل . فنادى احد رجالنا الريان فلم يجبه ، ثم
 نادى وكرر النداء . فنهض احد التوتيين يفرك عينيه ، ثم نهض آخرون وبادروا
 الينا يسبون ويؤجرون . « لستا بلصوص يا كلاب اتولوا السلم لحضرة

الوكيل « فازلوا السلم واعتذروا ، فعدنا الى ما هو شبه جركب فحم منه بياخرة .

مشينا بين جثث بشرية عارية حامدة قضى الحر والليل المزج عليها فاصقت بعضها ببعض ، ونامت نوم الاموات بين البضائع وفوقها ، تحت الالغام وعلى الصناديق ، في الاقدار ، في كل مكان . صعدنا سداً اخر الى ما يسمى الدرجة الاولى فرأينا في الغرف المفتوحة ابواباً مائلاً نائمين نوم الاطفال . ما ايقظ نداءنا احداً منهم . ثم قول الرهان وهو انكليزي حليق في قوب النوم فسلم على الوكيل واعتذر . فالتأملت بصرة المومي الى ما في نفسه من التهذيب والكياسة . ثم نادى احد الخدم فكفر عن الله بان امر لنا بزعامة من السردا باردة وبسكاس من الوسكي . فشرينا وشكروا ، ورغب في الحديث فعدتنا . فكان انتقالنا في مائة الى شي من المدنية مستحب ، وادبر في رهان باخرة مستغرب .

وكانه احس بما تسال الى الاجفان فتنهض يتقدمنا الى ظهر البياخرة ، الى كتفه الخاص ، حيث الاسرة العسكرية ، فتمنا كلنا تحت القبة الزرقاء وليس بيننا وبينها غير حجاب واحد هو الشراع . مائة فقط . ثم ضجعات وقرععات ، واصوات ترجع الاموات ، وسلاسل تشد ، وابواب تسد ، وحبال تنق ، وجرس يطن ، وصوت الزبان فوقها يحرك المييد والمديد . سرت البياخرة ، وهدأت الاصوات والضجعات ، فعدنا الى ما يشبه النوم وانبلج بعد قليل الفجر على وجوه صفراء ، وعيون فيها الدبول والياء .

اول ما شاهدته قرني دولاب الزبان ، ووراء ولد في قوب الزرق على صدره نيشان ، يقرأ الحلك ويدبر الدفة . وكان الزبان واقفاً قبائته وراء طاولة عليها الخريطة البحرية . فقلت في نفسي : لا خوف على من يتنام بعنه الخريطة والحلك . اما الولد صاحب الثوب الازرق والزنار الاحمر والنيشان

فهم من الذين ووثوا الحرفة عن اجدادهم . هو من سلبية اولئك البرتغاليين الذين فتحوا الهند قبل الانكليز ، ولكنهم لم يشقوا فيها اعزاء . فقد كان الجزويت في استكثارهم عوناً للانكليز عليهم . اما ابتناؤهم اليوم ، وقد اختلط دمهم بدم الهندوس لم شي . من دينهم الكاثوليكي ، فهم يقيسون على شواطئ البحر الهندي ويدعون غوا Goa ويستقدمهم الانكليز في كل الوظائف الزمنية ما سوى المالية منها . ذكرت النيشان ، وما هو الا تطريز بالحيط الاحمر والاصفر يطرزون به قصائهم ، كل نفسه في ساعات الراحة من العمل . ما رأيت في الثوبين انظف ثوباً ، واخف حركة ، والطف شكلاً ، من ولد الـ « غوا » ابن الهند والبرتغال .

كشفت الفجر عن البوينة وركبها فكان فضاءً . هلك رطاً كرهط الحجاج في اشكالهم والوانهم واجناسهم وقيافاتهم وعدم اكترائهم بآدم فيه من ضيق وحرق وقذارة . كل يهتم لأمره . لما يلزم المؤمن ويتعقم عليه ساعة الفجر . هذا يصلي ، وذاك يدق البن . هنا امرأة تنفخ بالعار ، وهناك شيخ يغسل فتاجين القهوة ، وآخر يدخن المداعة هذا يعد اكياسه ، وذاك يلبس ثيابه . وهناك فوق زنايل النمر شاب احكم بين رجله مرآة صغيرة وهو يلف عمامته على رأسه ۞ هتدياً بتأني الفتاة التي تجلس الى المرأة ترين شعرها . والى جانبي سابر النور يومي بجديدته الى القمر ويسحبها منادياً بالانكليزية : سبعة ، ثمانية ، عشرة ونصف ، فلا يزال خريبين من الشاطي ، شاطي . شهامة الموحش المقيم ، ولا يزال رفاقي نائمين ، الأفضل الدين . فقد كان تلك الساعة من المصلين .

ان الباخرة التي نحن فيها مسافرون ، وقد صنعت في بلاد الانكليز ، هي من يواخر القهوجي المشهور في عدن والبحر الاحمر ، صاحب صديقنا خان لهادور الفيلسوف الخديدي . والقهوجي اسم لشركة من « عبدة النار »

توتيوها كما ذكرت من الـ «غوا» نصف المسيحيين ، وربانها معاونه والمهندس من التتار التي صنعت الباخرة في بلادهم . هذه شركة ملاحه شرقية هندية ، واسكنها لا نستفي عن الانكليز مديريين ابوانوها . وهذا الانكليزي ، وقد اعتاد ان يامر في الشرق ، لا ينعرض من حال توجب عليه الاتجار باوامر الهند سادته .

قال الزبان هاي : كنت قبل الطرب اسير باخرة في البحر الانكليزي محمولا خمسة وعشرون الف طن وترا في الان على رأس هذا المركب العجيب اخدم التهرجي الفارسي نجس ما كنت اتقاضه من شركة انكليزية . وما العدل ؟ حامض التهرجي احسن من مر البطالة في بلادهم . . . ولكنني احب العرب واحقرهم . ما رأيت شعباً هادئاً في السفر كرمياً ، على ما تراهم فيه ، مخلداً الى السكينة ، جليداً قوياً ، سكوتاً مثل العرب .

تزلنا الى المائدة في ثيابنا الزميمة ، انا في قبضي البدوية واراداني موبلة حول وسطى ، وفضل المدين في سرواله الهندي وتركته تعال الى ركضه . وجاءنا الزبان هاي ، بارك الله فيه وفي ذوقه ، حافياً بلبس « الجاما » اي ثوب النوم . جلسنا الى المائدة وهو يقول : خلعت نعلي اكراماً لكم ايها الافاضل . اهلاً وسهلاً بكم الى بيت التهرجي ، بل الى بيتكم . الباخرة لكم ، تأمرون فيها ؟ تشازون .

كذلك كنا نجلس الى المائدة ورئيسها هذا الانكليزي المذهب الفاضل الذي رأته عيناه احسن من « الفريقتا »^(١) باخرة واحسن منا ركباً . وهو دوماً لا يرى غير الحسن في الناس . وما كان في حديثه مرة مستهجن ، بل دائماً مفكهاً مفيداً . السميات ؟ ريطنا في عتقها صغراً ورميناها في البحر ، فبدت لذلك الباخرة الصغيرة وبفضل الزبان هاي ، ونحن في كنفه على الظاهر

(١) اسم الباخرة .

في عزلة الامامجد وعزهم ، بدت كيهنتنا الخاص ، لا تشكلف فيه شيئاً يزعج
او يسيء ، ولا نضطرب الى اجهاد النفس حتى في لبس الشمال . بدو متعصبون ،
برابرة متدنون ؟ اي وايلك . انما هذه هي الذلة الصافية الحقيقية في الاسفار
البحرية .

حكنا نسير في مضائق خفية وظاهرة قرب الشاطئ . بين جزر صغيرة لا
امعاء لها ، الا قرآن وهي اكبرها . ولها في حنري البحر الاحمر من الاهمية
ما للطور في الشمال ، لان فيها محجرة صعباً للاجساد القادمين بحراً من الشرق ،
من الهند وجاوة وعن العراق وايران ، فيرجون عليها للتطهر في رواحهم
وعيشهم ، قبل الطبع وبعدة ، فتتقاضم السلطة الانكليزية رماً مدة الثلاثة
الايام التي يقيمون فيها . وجلالة الملك حسين يفتح على الرسم ، وعلى الثلاثة
الايام ، وعلى عجز قرآن ، وعلى الجزيرة كلها بحداويرها . لا لزوم لها وعندنا
جزيرة ابي سعد . هذا صحيح . ولكن في قرآن مركزاً لاسكياً افادنا ،
ومعمل تلج انعشنا ونحن في الحديدة . وهما يفيدان وينشان كثيرين غيرنا ،
فلا نشارك جلالة الملك اذن الا في قسم من احتجابه . لا نطلبوا الحجاج
بدفع الرسوم .

وها هي الجزيرة الى شمالنا ونحن نسير بينها وبين الشاطئ . وها هي
الطريق على منضدة الزمان تضيء بالاعناق المختلفة تحتنا وحولنا . من هو ياترى
اول من سبر هذا البحر العربي ، البحر الاحمر ، وغمره من بحار الشرق ؟ من
ذا الذي ركب الامواج والاهوال ومد يده الى مكان الم يستطلع اسرارها ،
ويكشف للتوقي اخطارها ؟ من ذا الذي قاس المد فيه والجزر وحدد الطرق
بين الصخور الكامنة تحت المياه ؟ من ذا الذي فتح سبل البواخر وامنّها في
الليل بالانوار ؟ هو الانكليزي ابن البحار وسيدھا . ليعرف بفضل كل من
سبح باخرة في البحر الشرقية وطأ الى عالمه ليسلم من الاخطار .

اجل ، قد تستغني شركة بواخر شرقية عن الزمان الانكليزي . ولكنها

لا تستفي بها كانت عظيمة عن خرائط الانكليز البحرية . هب ان دولة
بريطانيا المتطام تفككت غداً وتفتت ، وعادت انكفروا ۞ كانت في
عهد السكون الاولين ، حكومة صغيرة وامة مثل جزائرها حقيقة ، نعم
قليل غنية بعلومها وبرجلاتها . ولا خوف وايم الله على امة عندها العلم وعندها
الرجال . لا ترتب ايها القاري . انزيتا اقول ان الانكليزي الحقيقي هو
مثل هذا الرمان الذي يسقط من عرشه وبطل . ليسكاً باخلاقه في احط الحالات
الاجتماعية واحقرها ، ليسكاً بعمل ليومه ، ولا بأثف ولا يشع ولا يسكار .
يل يعمل العمل المفروض عليه مجدداً مخلصاً زهياً .

كان منا في الدرجة الاولى رجل من حضرموت ينام في الغرفة لا على
الظهر ولا بؤاكتنا . رجل طويل القامة ، حسن الطلعة ، قوي البنية ، مقتول
الساق . وهو من سادات ضيرون ، مدينة العلم في ذاك القطر ، ومن ادبائها ،
جاد الذهن ، فصيح اللسان . حدثته فحدثني متنازلاً متكلفاً ، وما كان في
ما باع به ليجرح من دائرة النكتم والتأديب . الا اني علمت من تلميحاته انه
عالم من العلماء وخطيب من خطباء حضرموت المشهورين . وهو ينظم كذلك
الشعر . قرأ شرقاً وحافظ ابراهيم والمنقول من البستاني وغيرهما من شعراء
وادباء مصر وسوريا ، ولم يسمع بالريفي الا مؤخراً في عدن .

- سمعت ان الاساذ جاسوس للانكليز .

- قد يكون ذلك .

- وكيف يشخدع به امرأتنا يا ترى ؟

- العصة لله .

- صحيح . ولكني سمعت كذلك انه رسول الملك حسين وفي خدمته

وانه مع ذلك يحسن اللغة العربية .

- كثيرون حتى في الحجاز من لا يحسنون اللغة العربية .

- صحيح . وفي حضرموت كذلك .

- وهل انت مسافر الى جيزان ؟

- ان وفق الله .

وكان قد اخبرنا الريان ان السيد من تجار حضرموت ، حسب ادعائه ،
وانه مسافر الى ميدي . ولكن رفيقاً من عدن اخبرني انه رآه في دار الاعتماد
هناك يعني مقابلة المعاون . ثم علمت انه من زعماء الحزب الشيوعي في
حضرموت القائم على الحزب الثوري ولسطانه ، وانه جاء ليرفع قضية الى
الانكليزي في عدن والى السيد في جيزان . اما فضل الدين الذي يعرف السادة
من رايثهم فقال اذ رأى الرجل : هوذا سيد شجاع . كثيرون مثله يبحثون
الى جيزان ليلدحوا الامام ويستجدوه . وعندما نزل مساء ذلك اليوم في ميدي
ظننت فضل الدين متعاملاً قتل : بل هو قاتل كما قال الريان . فاجابني هو
شجاع كما اقول . وسيرجع وسيتري . قد قدر الله ان يكون الرجل رفيقنا
الى جيزان ومنها ، فيسسم القاري ، عنه ومنه في ما بعد .

ميدي بنت الحرب ، اي انها نشأت في اثنائها وهي اكبر مدينة تجارية
اليوم بين الجديدة وجيزان . بيد انه لا وكالة لشركة التهوجي فيها فيضطر
الريان ان يقول المبل الذين يبحثون لنقل البضاعة من الباطنة الى البلاد ويدفع
اجورهم . واحكم هؤلاء من الصيد والمولدين . هذه حكمة تهيد لما اقص
عليك . غت تلك الليلة على عادي فاستنقت نصف الليل لاصوات نلج وتضج
وقد اختلط اللسان فيها ، الانكليزي والعربي ، وتناكرا .

- يا اولاد الزنى تبحثون في هذه الساعة من الليل تساموني ؟

عرفت من الصوت ان الريان يتكلم . ثم - وهي الكلمة العربية الوحيدة
التي يحسنها - امش ، امش .

وكان الريان الثاني وهو رجل ضخم الجثة عريض الصوت قد استفاق مثلي

وجمع زميله بتسخط ويسب . فخطبه بصوت مريض قاعس مطاط .
 دهمهم يا قبطان وعد الى سريرك . اولاد الرثى غدارون . ثم الربان :
 يا فتانة المييد ، يخيشتكم رزقكم فلا تباؤنه الا بشروط . امش ، امش !
 والا اكبر رؤوسكم . اذا كان التهوجي بعيد النار فهل يحق لـكم ان
 تسرقوه ، يا فتانة المييد يا اولاد الرثى ! اذا كنتم لا تشتغلون بروبية واحدة
 مثل العادة - امش .

ثم الربان الثاني وهو يقف في سريره من جنب الى جنب ويقول : دهمهم
 يا قبطان وعد الى سريرك . اولاد الرثى ، انا اعرفهم ، غدارون .
 الربان : ما في شغل لكم . امش . الباهرة تسافر هذه الساعة . امش .
 زعيم العمل - على ما قلنت - باللسان الانكليزي المنفع : يشتغلون
 يا قبطان كما تريد . يشتغلون بروبية واحدة . انا الكفيل .
 ثم سمعت الربان وهو عائد الى سريره يقول : اذا كان الانسان بعيد النار
 فهل يحق لهؤلاء المييد ان يسرقوه .

ولكن المييد قبلوا ، شكراً لفضله وامانه ، ان يشتغلوا بروبية واحدة
 نهاراً ، فباشروا عملهم في الليل وانتهوا قبل الفجر . هذه هي الحادثة التي
 ايقظتني تلك الليلة فسلمني المييد بعد ذلك ، في ضجيج العمل والفرقة
 الراحة والنوم . ومع ذلك قد كنت مسروراً بما علمت . لا اظن ان شركة
 التهوجي التي لا يزعج يفتلتها الدائمة شي . في البر والبحر تعرف ان ربان احدي
 بواخرها يدافع عن مصلحتها هذا الدفاع . ولا اظن ان الربان هاي ، وانا
 اعرف شيئاً من طباع امثاله الانكليز ، يجرها ويتن عليها ، فهو يعمل ما
 يمتقده واجباً عليه ويستكت .

في صباح اليوم التالي جاءني فضل الدين يقول : قد عاد السيد . هر سيد
 شحاذ كما قلت لك .

نقلت : هل علمت بجاءت الليل البارح - هل سمعت الريان يتمخط على
الصيد ؟

فقال : سمعته وشكرته باسم القهوجي . لو كان السيد ريان هذه
الباغرة لما كان يخرج من سريره في تلك الساعة اكرواً لـاحد من الناس .
- ولكن تربية السيد شرقية وتربية الريان انكليزية .

- نعم ، والشرق كله في حاجة الى التربية التي تعبد العمل وتغرس
في العامل مبادئ الجد والامانة والزاهة والاخلاص .

والوسائد الوثيرة اللطيفة ، واغطية الفروش النظيفة ، واما الولدان فكانوا راقصين
في الحوش يحملون بدل المراوح البنادق والجنبيات .

جيزان بلدة قديمة في نهاية تكاد تبعد عن ابي عريش شرقا بعدها عن
صيا شمالا . فهي من البلدتين رأس المثلث الزاوي على البحر الذي يحيطها
كافلال من ثلاث جهات . بلدة صغيرة لا يتجاوز سكانها المئة الاف نفسا
ولكنها كانت في الماضي على ما يقال اكبر مما هي اليوم واوسع عمراناً .
بناها احد المحسنين الى الانسانية ليغرب ابناء الجبال من البحر والرزق ،
احد المحسنين المدفونة بحوزهم في ازرهم . على انه لم يبق من مؤسس جيزان
واقار غير اسم البلد الذي يحمل العارفون الى كلمتين جا وزان اي جاء الزان ،
من اسس المدينة وزايتها بخلق الله . ولكننا لا نعرف من هو ولا نتيقن ان
ما شيده وزايتها كان في مكان جيزان اليوم او في نيمه من سيطات تهامة .

نقلنا اليها وهي من القلعة شمالا فاذا هناك مجموعة اكواخ من القش
هرمية الشكل يتخللها بيوت من الحجارة شبيهة بعمائد الاقدمين ، مربع سطحها
اصفر من مربع اساسها . ويدها مفردات وثوبت من التخليل ، وحولها ذاك
الحط الذي يحيط بها كعلة الفرس ، وهو ازرق ساعة المد ، اسود ساعة
الجزر ، اصفر في ساعات الشفق والغروب . وفي الساحة الكبيرة يدها وبيننا
قنص من القش بأوي اليه احد الخرس في النهار . وفي الجهة الغربية من
الساحة المسجد الجامع ، وهو بناء صغير ذو مأذنة متواضعة واماوان تحتله
الشمس اول النهار . ووراء القلعة ، او بالمعنى القصر شرقا بجنوب ، قلعة
اخرى تشرف على البلد والبحر ، فيها بعض المدافع وحولها المتاريس .

سرونا بيتنا الجديد ، وهو احسن في جيزان مركزاً وبناء ، واستأنسنا
بتشاهد من نوافذه لا اية فيها ولا جلال . ولكننا تومى . كلها الى حياة
شرية بسيطة ، اجمل ما فيها ، من وجهة فلسفية ، القناعة والصبر والسكينة

والأطشنان . على أني من وجهة اجتماعية اقتصادية ، حرت في امر اصحاب هذه الفضائل القدسية . حرت في امر اهل هذه البلدة وموارد رزقهم .

عندها رسونا في مياه جيزان وكان اول ما دنا من الباخرة سنوك يحمل صاحبه بعض الوسائل واكياساً صغيرة ثقيلة ، اكياساً عديدة فيها الذهب والفضة . فسألت الزبان هاي عما اذا كان لمصرف عدت فرع في جيزان . فحدثك ثم قال : اني اعجب لهذا الامر . من اين يجيء الذهب الى هذا البلد ؟ وفي كل سفرة تحمل منه اكياساً الى عدن

اجل ، ان في جيزان ذهباً وفضة ، وان كنت لا ترى فيها سوقاً او اترأ ظاهراً للتجارة . وان في جيزان ستة آلاف نفس تحيا وتحمد الله ، وان كنت لا ترى حولها بقعة ارض خضراء . فن اني يخينهم الرزق وكيف يتاجرون ويغورون . ويتمكنون من تخزين اموالهم ذهباً وفضة في المصارف . مدن ؟ سؤال بديه حري بالحواب .

كانت جيزان في سنتي الحرب الاولى المدينة الوحيدة في تامة المفتوحة للتجارة . وكان العمم العربي من شبه الجزيرة او جله يستقي من مواردها . فكان ميناؤها ميناء البلاد كلها . ثم انتقلت التجارة الى ميدي . اما اليوم فجيزان هي احدى عاصمتي الاذريسي ، وهذا اول مصادر الخير فيها . هي نقطة دائرة خصبة انحاؤها ، غضة حواشيها . يزوم الناس من المغرب الأقصى ومن مصر ومن اعالي عسير ومن المدن جنوباً وشمالاً في تهامة ، فيجيء بهم الرزق ، التجارة والسكسب والحجرات . يحمل الحنطة اليها تجار ميدي وابناء الجبال ، ويخولون من معدنها الملح ومن شواطئها البضاعة التي تجيء بها بواخر القهوجي والسنايك . جيزان مركز استيراد وتوزيع . جيزان مورد تجري اليه الاموال من هذه الجهة ومن تلك ، فتسوق منه الى الجهات كلها . وهكذا تعيش جيزان من لا شيء . ترى ؟ وتضيف فوق ذلك السادات والعربان ،

وتفدق على كل محترم كسلان . اما سيد هذه الحركة الحفية ، وقطب تلك الاريجية ، فهو السيد الادريسي .

جاء رسوله بعد ساعتين من وصولنا بدعوتها اليه ، فرحبتنا ^{١٠١} . وترى
السيارة وسرنا في اسواق البلدة الضيقة والضييق بين ركضون وراءنا ويصيحون
حتى وصلنا في المنحنى الغربي منها الى رتبة تشرف على البحر يحيط بها سور
كبير . استقبلنا خارج السور فرقة من الجنود الادريسية احاطت بالشور
المنفوشة ، والصدور المكشوفة ، والبنادق المشوقة لاضبط من التركها
هنا ولا صوت الزامل ولا العزبان ^{١٠٢} . ثم انزلنا من السيارة ومشي بين صفين من
الجنود الى بوابة حارسها موكب عليق سام ويده على رأسه وادخلنا آمنين ، فاذا
نحن في حوش كبير وبين آخرين من الجنود . مشى فريق منهم الى باب
دخلناه فاذا بقمي مولانا واقفاً يسلون ويحجبون . حلوا محل الجنود فتقدموا
الى حوش ثالث واستقبلنا عند بابه وزيراً حضرة الامام وحاشيتهم ، فدخلنا
واياهم الى رواق صغير ، وقفنا فيه عند باب كبير ، فدخلنا لعلنا نعال ذلك ودخلنا
الى المقام الشريف المنيف ، الى قدس الاقداس والتقديس ، الى مجلس مولانا
الامام ابن ادريس .

وما المكان عجب بضعة انواع اخرى من ارض الله وسقته القبة الزرقاء .
وهو محاط بأربعة جدران عالية في احدها باب يغني الى بيت الحرم ، وفي
الثاني باب اخر يدخل الامام ويخرج منه ، وفي الثالث ثالث هو باب المسجد
الخاص . اما الساحة فهي وسطها منصة تعلو قدماً واحداً عن حاشيتها مبروشة
بالسجاد والدواوين المرتفعة والمساند . عودا المجلس الشريف والمقام المنيف ،
وفي صدره حضرة الامام جالساً ، ورواءه عبد يروح له بمروحة خصيصه من
الخوص .

(١) راجع الفصل الثاني من القسم الثاني صفحة ١٠٠

وقف لنا ورحب بنا ترحيباً جميلاً . فلم على الدكتور فضل الدين سلام
الإمامة على أحد المقربين منها ، قبله في وجهه « وسلم علي مصافحاً ، ثم امر
لنا بالجلوس على ديوان قربه . وحكنا في المجلس ساعتاً اليد السنوسي
والمفتي وقاضي القضاة وغيرهم من اصحاب الوجاهة والعلم .

رأيتني لأول مرة امام سيد من السرد ، امام عبد يسود مليوناً من العرب ،
وفيهم الوف من السليمة النبوية . وقر التقرز لأول وهلة في نفسي ولكن لم
يسكد يتكلم مسترسلاً حتى ارتحمت الى حديث ومات اليه ، فوأتيتي رويداً
رويداً مكبراً الرجل معجباً به . كان السيد محمد بن علي بن محمد بن احمد ابن
ادريس ، رحمه الله اجمعين ، جاحظ العين صغيرها « وضع الحدين ، دقيق
الأنف ، ضخم الشفة والرقبة ، مستدير الوجه ، نحيف اليدين ، عريض
المنكبين ، طويل القامة ، شديد البأس واللهجة والنضب . لم يكن فيه من
ملاحة المييد البارزة شيء ، وشكل وجهه ، ولونه شديد السواد ، وكان
فيه من اثر الجنس السامي الآري - اسلفت القول ان امه هندية - ما ذكرت ،
اي الأنف والجبين واليدين . وكان يلبس الثقلات المصبوغة اذصف في
عقيقه ، ويجلس مقرباً على الديوان ، ويتكلم بصوت عال فيه بعض الفنة ،
وله في الوقفات اشارة معينة خاصة به كأنه يحر الاثاب والماء ثم الماء
والاثاب ايثبت ما يقول .

شكرته على ما اتيته في الطريق منذ دخولنا بلاد من الحفاوة والضيافة
والاكرام ، فقال : هذا ما ينبغي ، وهو قليل في جانب ما تسعون اليه . انتم
تسيرون في البلاد العربية لحيرها وخير اهلها ، وتقاسون المشقات من اجلهم
ومن اجلنا نحن حكامها . فتستحقون اضافة الاكرام الذي تشكرونا
عليه . ولا شكرا يا حضرة الاديب على الواجب .

فقلت : وانا كذلك اقوم في رحلتي بنا اعتقده واجباً علي . اني اشعر

يا مولاي بأن في عروقي من الدم الذي يجري في عروق العرب . اقلن ذلك ، بل اعتقد به . نعم ، وإن كثيرين في بر الشام من قحطان ، من بني غسان مثلي . فقال السيد وهو يرفع النظارات عن عينيه : وتعم النسب . غسان ومجاعة العرب . ونحن نحن . كل عربي حميم يعرف الواجب عليه ويقوم به من قحطان كان أو من غسان . نحن يا حضرة الاديب عرب قبل كل شيء ، ونفاد على اصغر صفات الامور الوطنية من المطامع الاجنبية والسياسة الأوروبية ثم ادخل فوراً الى اميركا . كأنه لم يشأ أن يسكن . الحديث ساعثد في الموضوع اندي لس حاشية من حواشيه . وكانت سؤالاته تدل على انه عالم ببعض شؤون تلك البلاد الا انه لم يطالع ترجمها . قصصت عليه قصة نيويورك واصحابها الهنود الاولين ويدهم المدينة الى الأوروبيين شيء . من الودع لا تتجاوز قيمته الخمسة وعشرين ريالاً . فسر جداً بها رسألي قائلاً : وهل ملك اميركا اليوم من الهنود ؟

فقلت كلمة في الجمهورية الاميركية ورئيسها . فقال : وهل للامير كمين دين ؟ فاجبته قائلاً : شيء . من الدين ، نعم . ثم سألتني وكأنه كان يستدرجني الى امر اراده ، لانه كان سألني في اميركا من الاديان .

وهل الكاثوليك هناك اكثر من البروتستانت ؟ - وما عددهم اذن ؟

- لا يقل عن عشرة ملايين ،

- كثير . وما تأثيرهم في السياسة ؟

- يزداد نفوذهم يوماً فيوماً .

- وهل يكون رئيس البلاد منهم ؟

- ليس ما يمنع ذلك شرعاً او في القانون الاساسي . ولكن الحكم

في البلاد للكثرة وبالاقتراع .

فاسترأني ايضاحاً في طريقة الاقتراع والانتخاب وكان يعي الكلام

ويتأمله ويبرز رأسه من حين الى حين استعساناً .

- ولكنهم ينفذون اموالاً كثيرة في انتخاب الرئيس . افا كان خيراً ان يعطوه ربحاً دائماً ويقيموه ملكاً عليهم ؟ فيومروا اذيين من الولايات .

- كان جورج واشنطن يا مولاي رئيساً أولاً وثانياً - هي القصة التي كانت اقضها على امراء العرب وفي محالهم ، وصبرت الخجل ان ارددها . « ما هربنا من الملوك لنقيم ملكاً علينا » كلمة قالها جورج واشنطن الاول والاخير ، ابو الجمهورية ، اعجب بها كل من سمعها في الجزيرة . اما السيد محمد فقال : امرنا نحن العرب بغير امر الامويين . اذا رفض اميرنا الامارة فمشترون حوله في الميدان يطلبونها وينتدونها ويختارون من اجله . على الامير الحظ اذن وهذه حالنا ، مهر تعددت كتابات الملك واشتدت صغوباته ، ان يثب مكانه كالجندي ويقوم بواجبه دفعا للفوضى ، وحقق الله .

ثم انتقل مرة اخرى فوراً . وما كان اسرعه استقلالاً واحده ، فأنني - وآلا جغرافياً : وهل اميركا بعيدة عن خط الاستواء ؟

- اميركا الشمالية من حدودها الجنوبية تبعد عن خط الاستواء يا مولاي خمسة عشر يوماً في البحر . واهم مكانها ، اي قارة العالم الجديد ، هي شطران . الشطر الاسكندر شمالاً والشطر الاصغر جنوباً من خط الاستواء .

وهل يمكن الوصول الى روسيا عن طريق اميركا ؟

- بجزء من سان فرانسيسكو الى اليابان ثم الى حيدرآباد فروسيا ، نعم .

- نعم هذا ولكن هناك طريق اقصر . بين اخر بر اميركا واخر بر روسيا مضيق . اذكرك امير ؟

- مضيق بيرينج .

- نعم ، مضيق بيرينج ما هي المسافة فيه بين الجبت ؟

وبها هنا رأيت نفسي في مضيق من البحث . ما جال قط في ذهني أني سأسأل مسائل جغرافية في مجلس الامام لا استطيع الجواب عليها . ولا تأعبت لمثل هذه المبادأة المزعجة . فقلت : لا ادري . ولكني اظن وكان ظني بعيداً عن الحقيقة . ولا عجب . ان اخر عهدي بمضيق يورنغ يوم كنت ادرس الجغرافية في مدرسة ليلية بنيويوك ، وكان استاذنا يقول بين المرح والحد : من يجيد السباحة يسكنه ان يصبح من اميركا الى روسيا .

لكي لم اترك القصة الا بعد خروجنا من مجلس الامام ، فتأملت جداً . ولت ذاكرتي ورجحتها لانها لا تلييني ساعة يزعم ويليق وتعيد لها اني الذهن ساعة لا تفيد . وتسنيني قصة افككه حضرة الامام بها ثم قلت في نفسي : سأقصها في المقابلة الثانية ان شاء الله . ولكن الامام لم يبدن بعدئذ من الموضوع . ولا انا ، والحق . قال : تذكرت القصة الامرة واحدة وذلك لما صكنا نقاباً في المائدة بينه وبين الملك حسين . فكيف يجوز ان اوقف البحث لاقص قصة مهما كانت مضحكة ؟ هل اقول له : علي ذكر بني عائض يا مولاي ، او علي ذكر القنفذة اقص عليك قصة مضيق يورنغ ؟ حالت السياسة والذاكرة دون القصة ورغبتني الشديدة في قصها فلم يسعها السيد محمد .

خرجت من مجلسه وفي من الرجز تذكارات كلها حب واعجاب ، وهي اليوم ، وانا بعد سنتين اعيد ذكرها ، لا تحرك في غير الاعجاب والحب . فيصبح اذن ان انقل الى القارى . كلمة من مذكراتي في جيزان .

اول ما يروقك ويطوبك من السيد محمد اسانه العربي الفصيح . الجرد من الاصطلاحات والاهجات المحلية . ثم وقفات في الحديث وحكمتها - إنها - في التمكن والتسليم . واول نظرة في مواهبه واخلاقه تريك انه ذكي الزود شديد العارضة ، حفيف حكيم ، وهو ساذج ، كريم الاخلاق . لا اثر الروحانيات في وجهه . ولكن قياس الفراسة الذي

يصبح في البيض قفاً يصبح في السود . ان في الولايات المتحدة بعيداً
يمرقون الدجاج وعبيداً لا يحبون بغد الكتاب المقدس والسيد المسيح
- جاء في المزمور الواحد والخمسين : طهرني بطروني فاضهر - اغسلني
وابيض لكثير من الثلج - وعلم يؤمنون بكل الانبياء وبكل شيء - اذا
خرجت احداً منهم في رئاسة الجمهورية وقبارة داوود يفضل القيثارة ولا
غزو . . . قد تكون روحانية السيد محمد اذن كاملة لا تظهرها كانت
اللغة وسبب الوجوه ، لا تظهرها غير الاعمال . والى متيقن انه و كان
في الولايات المتحدة اساد المذنبين من السود هناك .

نظرة الرب : اصف الى ما تقدم ان السيد محمد الادويبي صريح في
حديث ، صادق في ما يقول ، ساذج في ما هو دون معقوله ومعلومه .
كثير الخلق والغلب ، ميل الى السلم والائتلاف . . . احسن ما في العبد
قلبه اذا حسنت اخلاقه . واسكر ما في السيد محمد قلبه ولا عرو .

تمددت اجسادات والاحاديث التي كان قطب دائرتها أولاً الملك حسين
والوحدة العربية وثانياً الامام يحيى والصحاح . وكان اجتماعاً دائماً لانه لان الحر
في جيزان لا يأذن ابداً بالاجوال او ناقل الاعمال تياراً ، فكنا يحكم الشمس
والبحر ، والميزان دائماً فوق المنة « فارتميت » في الظل ، نستسلم الى ما تبطل
فيه الحركات كلها ، الاحركة التامس . وهذه تضعف فتقف احياناً نستغيث .
ولكننا كنا نحمد الله مرة في النهار على حمامين باردتين بكمرة واحيلاً
ونكفر ابداً عما نهله عمداً او في حال الانعام من المحامد .

خرجت الحر في اماكن كثيرة ، من المكسيك الى عدن والعراق ، فاما
وجدت حراً جازماً محاسن الحر كلها وفي اعلى درجة منها مثل حر جيزان . ان
الشمس ما هنا قريبة جداً منك . كأنها على الارض تشتعل فتربل اشعتها
عكساً الى كبد السماء . بل كأنها جيبك تشاركك في الحياة فتجلس على

كبتك تقبلك في فلك قبلة تدوم اثنتي عشرة ساعة ولا تنقطع. وإذا نظرت إليها واثت تلجأ إلى الماء، منها تراها ترقص في هواء كأنه حجاب من الشاش الهندى الأبيض فتبدو أشعة الشمس فيه كخيوط الفضة ساعة الظهور، وكالوهج الأصفر ساعة الاصيل فتقع يديك إلى عينيك لتقيها سهامها الذهبية .

أما الزمالة، بها هنا يشترك البحر والشمس عليك، فها تون يجيئها من يدي المد والجزر، ولها جسم من حكرم العناصر في تمامة، ولها رائحة هي بهت الطعاب والسيخة والملح، ولها فوق ذلك خاصة في الهيام تلصقها بك إذا دنت منك . فهي كورق القراء الخلو تجذب الذبابة إليها فتعلق بها . بل هي كثر يمسكه البحر وقد راك تنزع كل نيايك من اجل معبودتك الشمس، فتلبسه كرها واثت نشتهي فوقه ثوباً من الامواج، فله موجة تعيد اليك الحياة . ولكنتك في القاعة، في القصر، ضيف محترم والامواج تحتك بفتيان والفتيات بالاعبوثا، فلا يلبق بك في ذي البلاد العربية التي يرم فيها الاحترام فيؤلم، ما يجوز للصبيان .

الفصل العاشر

بين الامامين

ساعة الامين . والرأس المنصور - ساعة الاستقبال . والحل والحل - النية
والملك حسن - الساعة بسنة وربع النسيب فرينة ميسرة - ان سمود -
الخالفة الرابعة - الارزاق - حرمناهم واخرجناهم من البلاد - الامام
يعني - حنا وناه مقاعدني - فداضة من ورق - حنا من الامام علي
الافراسي - وهذا اليوم كتاب الله عليه - كتاب من الافراسي في الامام
- وقد انكشف الحال في رواية من كل ناحية - الطريق من الامام .

كنا في القاعة محوم على القلح حوم الفراش على الدور ، فنتقل من غرفة
الى غرفة ، ومن رواق الى رواق ، اتقاء وجه الشمس . وما كما نحتش على
ساعة الظهور حولنا ساعة حبي . الحدم من بيت السيد السنوسي وعلى رؤوسهم
الامطابق ، وفي مقدمة سيق عليه غطاء ، ونحت الغطاء الرأس المقطوع .
فنتجلس الى مائدة شيخنا هذا الذي كان من ساعة حياً وقد حشي بالأرز
والبيض والزبيب ، وفي الوسط الرأس ينظر عطفاً اليك . الخجني والله وحسب
الي الشجس في مذهب الهندوس .

والحق يقال انني مللت الاجم ، خصوصاً في مثل ذلك البيط ، وكنت
اشتهي بعدد شي . من الاوز بقعة خضراء ارعى فيها . واشتهي قبل
كل شي . الماء . فاجده في النارة فاتراً ، فاصبه في الكأس فاذا هو اصفر اللون ،
فاغض عيني واشرب باسم الله . اما كرم الادارسة فاكان ليخل قطعاً بقاعدة
الضيافة عندهم - قوزة كل يوم . اغدق الله عليكم ايها الافاضل ، وبارك
الله فيك يا جيزان ، برصكة تشين من اجل سادتنا بني اندريس آلة تصفية
الماء ومعملاً للثلج .

- هات الملوحة يا ابكر .

يدخل السيد ابكر ويده عدة مراوح وعلى سنامه خروما سر فضل الدين .

— قل له احكيم نامح . اجبني نصف النيل .

ثم يدخل الحاجب . الشيخ الشافعي يعني التميمي على الاستاذ .

— صر على النبي . هات القميص والجملة يا ابكر .

وكان فضل الدين يدفع على احيانا مؤونة المقابلات في النهار .

— قل لاشيخ ان الاستاذ لا يستقبل الا تبارا — بعد نصف النيل

كذلك تمكس احياء في تهامة . ففقدوا الشمس ، تهكنا ، فيجئنا
النيل فرم ووقفنا القمر . — سنة من الفرج . — الا اننا والحق يقال لم نكن
لنمر بشيء ضرورنا بكلمة الحاجب : جاءت الحين . والحيل من حضرة الامام
وهما رسول يدعونا اليه . فتركب ونسير في ضوء القمر ونمش ، ونحضر
محلس الامام فلندرس ، ونواصل السعي في سبيل السلم ، فالألفة ، والتضامن ،
بين ثلاثة من ملوك العرب .

— المسئلة بين وبين الشريف^(١) — الكلام لحضرة الامام — قريبة
مبسرة . نحن اولاده ، نخومه ومحله . ولكننا نطلب منه ان يبادلنا الاحترام .
قال تعالى : وشاورهم في امرهم . — فبادلنا ، ليشاورنا نعم ، هو لنا بمثابة
الاب ونحن اطؤه الارشادون . عندنا حكمة ، اه ، حكمة في الدين وفي
السياسة . وعندنا قوة . القائل في بدنا . . . واقه لا تمر اربعة اشهر على
الماهدة الا نكون اصلحا الامر بينه وبين ان سمود فتسير القوافل آمنة الى
مسكة والمدينة . . . ان عند الشريف الحرميين ، ونحن نبذل انفسنا من اجل
حب الحرميين . لا خير في حياة المسلم اذا كان لا يفار على الحرميين ويسعى
دائما في المحافظة عليها .

اعتصمت القروعة عند ذكره ابن سعد فقلت : اذا اصلحتم بين جلالة الملك وسلطان نجد فهو ولا شك يسمى ليصلح بين سيادتكم وبين الامام يحيى . فيتم اذ ذاك الاتفاق الرباعي ، او التحالف الرباعي ، وهي كما اثن حجر الراوية في الوحدة العربية .

مقال سيادته : هذا كلام حق . ولكن الامر بيننا وبين ذاك الرجل ^(١) بعيد .

- وليس على الله يا مولانا امر عسير .

- نعم صدقت . وما نحن يا حضرة الاديب ببعيدين مما تروم . ولكن ذاك الرجل اضر بنا ، اضر بنا والله ضرراً جسيماً . ونحن نفقناه . وكان نفقنا مجرداً من كل ضرر وعش . اما نحن والمالك حسين فقد كان لضرر والنفق بيننا ومنه . لذلك ترى الامر قريباً بيننا . . . العرب خداعون غدارون .

كان يردد رحمه الله هذه الكلمة كل مرة يحيى . على ذكر هذا الرجل ، اي الامام يحيى ، في المقابلات الاولى . ولكنه عندما تخفى مقاصدي غير لهجته .

- نحن اول من حمل على الاتراك في الحروب الكبرى ، اول من انضم الى الاحلاف . اما هو فاتفق والتزم والتصحب الى شهادته واقام هناك بعيداً عن ساحة القتال ، اي لم يخرج جاءنا عن العرب من الترك ؟ اية منفعة نفعونا بها ؟ نحن حاربناهم قبل الحرب ، وحاربناهم اثناء الحرب ، وستحاربهم اذا عادوا الى بلادنا . نحن كئنا نحاربهم في نهامة اردتهم عن ابن حميد الدين . اوقفناهم مراراً في رحمة عليه . وقفناهم عنه فراح يعتقد وايامه صلحاً ورا . ظهرنا هذا في اثناء الحرب . اما قبلها فكنا وايام متعاهدين . عقدنا محافة لمحاربة الاتراك وضربهم من اليمن . ولما جازوا يبرون في بلادنا ليضربوه من جهة الشمال اوقفناهم وقفناهم : كيف نقبل وبيننا وبينه عهد الله . وصل الترك بعدئذ

الى صاعقه فمها يضربنا من وراء ، من الجبال ، فلم ينعمهم ابن حميد الدين
حليفنا صنو عهدنا . كأن العهد عنده قذاحة من ورق .

وفي حكمتين اطلعت عليها اواعد من الامام يحيى الى السيد والثاني
جوابه ما يزيد سياسة الرجلين بياناً ، وعقليته جلاء .^(١)

في كتاب الامام الى « صنو السيد العلامة » بعد السلام مقدمات ادارية
في تاريخ المفاوضات ووسائلها^(٢) ثم انه يرحب بسعي كل من يجرؤ الله في
دفع الدوائس الاجنبية « وصوت هذه القطعة العربية اي اليمن من تدخل
الاجانب » وعدوان يحدث من اي جانب .

واعلموا يقيناً ان ليس لنا غرض ولا مقصد في غير القيام بخدمة الله
بالقلب واليد واللسان . ووافقه لولا ان ترى نجتم القيام علينا بالدفاع عن
عادة الكافرين على هذه الاصفاع لما حركنا ساكننا ، ولما اظهرنا كدنا .
وتصرح لكم باننا مما يبتغىكم وبين الدول من الروابط والسلام بانهم
من المقاصد الضارة بالاسلام والمسلمين وما يروجون من التسلط العام
والسيطرة الشاملة على كل من قعد وقام ، وبانهم لا يدفعون الاموال
والذخائر الا مقابل غرض عظيم يعدون الاستفادة منه لدولتهم ومثلهم .
ولم يحلمهم على اظهار عدواننا الا عدم المساعدة منا لهم في بعض البلاد
اليسنية . ولولا ذلك لما كان بيننا وبينهم \equiv كان وما سيكون . قد
انصقم بنا اوضحتموه لثري من القيام بالعدل والنحو والتشريع لدفاعهم

(١) بعد دخول الاستكثير الجديدة وغروهم منها واستلام الادريس زعمائها من
بعض رجال الامامين في عهد المصلي بينها . وقد ذكر الامام يحيى اسماء ثلاثة من وصل
السلام والوفاء

(٢) تاريخ الكتاب ٢٥ جمادي الثاني سنة ١٢٨٤ ، والاشارة الادارية فيه هي : بعد
وصول عيب حسن بن مقل وانفاقه احتججه ، بالقاضي جدها فخري واطلعهما
على ما يبد شرقي والمرض علينا . . .

وذهبهم وحروبهم في البر والبحر^(١) وذلك هو الغرض المقصود . ولكن بقي امر وهو هل لهم من حجة يتجوز بها ويحاولونها فديعة لهم الى مقصدهم الحديث من ادعاء الحق في اي جانب لهم من اليسن . وهل لكم من فكالك من تلك الزاوية يزول به حضل وسببهم الى اي تجاوز . المؤمن من صداقتكم مع كتابنا هذا ان لا تكتبونا شيئاً . فانه لا يخاف بعد بوس ، ولا تطار بعد عروس . وانتم اعرف بسياسة الدول ومساكنها الى الوصول الى افراضها بنا بغيره من مثولات الخيل . وهذا اليكم كتاب اخ الى اخيه لانتظر في ما يمر الاسلام والمسلمين ويدفع كيد وضرر الكافرين .

وختم الكتاب انتخاب مجد السلام القادر ، واستنهاض المسلمين على جهاد الكفار الذين « تسلطوا بانواع التسلطات الجبينة على المسلمين فصاروا لا يملكون مستقلين قباد انفسهم . ولكنهم الاهواء تحت فأنمت ، وو عقل المسجون وعملوا بنا امر الله به الخ . »

اما جواب السيد محمد بن ادريس الى « الجلباب الشريف والمقام المنيف » الصو العلامة الامام يحيى بن حميد الدين فبعد حمد الله والسلام بطله بوصول كتابه مع النقيب الشرفي وبؤكد به ان بقيته المقصودة وضافته المنشودة ان ترى انفسنا على محكم الاخاء والوفاق مع جميع الامة فرداً فرداً . فضلاً عن هو مثلكم من ضئنا وضيمه رحم العلم والسب^(٢)

(١) اي الانكليز وفي هذه الحيلة اختلاف هل ما قيل لي وقصد سبي . لان شرقي لم ينطق بهذا الكلام او بطله ولا السيد الادويسي ولا احد خاصه . ومن اير للادويسي ان يجارب الانكليز براً وبحراً . فضلاً عن انه كان يومئذ صديقهم وحليفهم . اما المقصد منها قضاة . وقد كان الادويسي يفتي بقرب الانكليز من الامام كما كان يسمي الامام ايمن بين السيد والانكليز .

(٢) من ضئنا وضيمه رحم العلم والسب . اما العلم فلا مشاحة ان السيد محمد

ولو نظرنا الى ما جرى من الحوادث حتى كاد لم يكن هناك وجه
توصل ، ونفوس بين يدي الله ما تفعل وتُفعل ، فعدا الاخ اخاء الى
حكم السيف والسنان ، بل كثر عليه ما هو انكسر من وخزات القلم
واللسان ، لطال الشرح وقادى الحال ، ولكن حيث اوجب تعالى على
الكفاية ان يكونوا اخواناً ، وفي الحق امرأاً ، فلا يخلص ■ ولكم
لدى الباري من الحجة ، الا ان نسلك واضح طريق هذه الحجة .
ما اشرتم اليه في ما بيننا وبين الاجانب فلو راجعتم التاريخ بالنظر لما
قد مضى سناً وبين العليان وقد امددنا ما عمت ثم وقع الصلح بينهم
وبين الترك فاكشف الحال عن براءتنا من كل دسيسة ^(١) . بل ظهر
لعموم ما اجراه الله على يدنا من الحق المعام ^(٢) لاقتضت لكم الحسنة
الحاضرة وعرفتكم المثل الساتر : ما شبه الليلة بالواحة ، وفي الجنة ما
حالت وحال اهل اليمن الا كما قال حجة الاسلام :

كان جنو حمرة الامام بالعلوم الاسلاميه والفقه والفتوى واما السبب في طعن الزيدود
به طعناً شديداً ما قلته في الترتي واختلاط دم ■ دم الاشراف في فصل سابق .

(١) « اكشف الحال من براءتنا من دسيسة » متعدياً ناهداً وابطالياً اضم
بدمية براءتنا ادخال الاجانب الى البلاد العربية . فانرا : هذا اجني . والزيدود
يحسبون الاداءه دخلاء في اليمن ويتوالموا والاجانب علينا فكان ان احدث ما
الاجانب وسلاحهم واستخدموا في محاربة اعدائنا الاتراك . اما الايطاليون ، وهم في
الشاطيء افريريقي من البحر الاخر قيادة الادريسي ، فلم يطاؤوا ارض غامة ، ولا
اثر لنفوذهم هناك اليوم . ثم اضم الكفة نفسها عندما دخل الانكليز المدينة . وما
حسوا ان يخرجوا منها .

(٢) « اجراءه الله تعالى على يدنا » كل امراء العرب او من قام منهم بعمل خطير
ناقم يقول هذا القوم : سخرنا له الله . وفيه نواضع وقنوق . « الرجل الكبير
مواضع لانه لم يسب كبير حمله الى نفسه بل الى الله الذي اجراه على يد عبده . في
هذا الادعاء يقول ضمت للناس : لو لم اكن عطشكم وزميتكم لما غصني الله حديقكم
واحتارل آفة غيركم .

تولت لهم قولاً دقيقاً فلم أجدهم الغزلي ناسجاً

إن الله تبارك وتعالى إذا فتح باباً للخير فلا يراد لفضله . وإما ما طلبتم البيان فيه عن اليمن وما ترمي إليه السياسة الأجنبية فمن المعلوم أنها لما قامت الحرب الأوروبية اعثت دولة بريطانيا مساعدة العرب إذا أرادوا الاستقلال دون أن تتدخل في شئ من شؤونهم . ولكن من الأسف أنهم على إراء متفوقة وأحوال مختلفة ، ومرت عدم القرصة وكانت غر ولم يرموا إليها رأساً . . . على ما نشهده الآن في الاختلاف وعدم الانسواء لما يرفع شأنهم ديناً وسياسة . اتبعوا على أنفسهم عدم الرشاد فاحترقهم آت من العلم وصاروا مرضة لأخطأ قوميتهم من بين سائر الأمم . فلا حول ولا قوة . ومثلكم على وفور من العلم والسياسة ، وبعض من المثالي والروائية ، فلا يحفى عليكم كيف يكون لم شعث هذه الأمة ، وما هو الأقوم عند الله طريقة في رجال هذه الأمة ، وحسنا الله ونعم أوكيل . في ١٥ شعبان سنة ١٣٣٩

في هذين الكتابين يتضح أمران : الأمر الأول أن دعوة الإمام يحيى دينية تافهاً وسياسية فحشاء ودعوة السيد الأديبي دينية إسلامية وسياسية قومية غائبة . الثاني : في كتاب امام صفاء غفوس ومفتود ومحمديات قلنا نفيد ، وفي كتاب دهم حيزان صراحة مدبرة وتخصيص ليس فيه اهتمام .

والمرء في ايام الحرب ابعد عن المحاطة والحداد منه في ايام السلم ، فنفع
الادريسي وانتفع به . ما هنا قوة وضعف فيها حكمة ووجدان ، وفي
اتحادهما نفع سوي متبادل .

اما بعد الحرب فانقلبت الحال ، وسامت الاعمال . امت حليفة السيد
ولا قصد لها ظاهراً في بلاد العرب غير نفوذ تنده الى مقامات السيادة ، لمرض
مجهول كثر المشكمتون به وقتل المدركون ، دون ان تبدل شيئاً مما كانت
تبدله أثناء الحرب . زد على ذلك انه كان لها في الحرب عدو حقيقي معروف ،
وليس لها الآن غير اعداء سبائين . فاستمرت على سياسة القروض توالي هذا
الامير علناً وتفاوض عدوه سرا حتى ساء حالها ، وسامت اعمال رجالها .

ويؤدي ان يورد القريشان : الانكليز واهدقارهم العرب ، الى شي .
طبعي ، يدل في العلاقات السياسية واوالية تكون الفائدة فيه متبادلة متساوية .
الا ان ذلك لا يكون اذا ما سياسة القومية الصريحة من قبل الانكليز ،
وبالصدق والغشاة والافاد على الحسن من الزبدن الادريسي من قبل العرب .
كانت انكلترا تقدم في الماضي السلاح والدخيرة وتدفع الاموال فيسيطر
بواسطة على الرجال ، فانفقت منفعة محلية وقوية ، وما كسبت بوجه الاجال
من العرب عير المقت والاحتقار . ولمعري انها في ما كسبت غير مظاهرة .
فقد افسدت باموالها الامراء واهلكت بسلاحها المشائر ، وهي لا تزال تسمى
في نعرها وتثبيت سيادتها في البلاد العربية على تلك الطريقة القديمة . وهذا
لا يكون بعد ككل ما تغير وساء من الاحوال . فالسيد الادريسي نفسه لم
يذعن لمسلها الاذعان التام حتى يوم كان يقبض مالها ويسلم المشائر بسلاحها .
وكثيراً ما كان يردده في ما يقو حون خائينين لم يربط الانكليز احد مثلي .
رقصت الانكليز . محته يردد هذه الكلمات مراراً في حضور وكيل
انكلترا السياسي صديقي محمد فضل الدين . ومهما كان من زعمه فلا احد

يتكر ان السيد كان عربياً حراً صلياً يأتي للسيطر الاجنبي كما ياباه غيره من
ملوك العرب الكبار ، الا انه لا يرى الضرر والكفر في موالاته اجنبي ينتفع
به . اما الانتفاع انما الحرب فمرفقاء . فاذا عسى ان يكون في ايام السلم ؟
هذا دوام العلاقات الولاية بين امراء العرب وبين انكلترا . ولكنها
لا تدوم كما قلت على الطريقة القديمة . لا ولا . تبادل ولا اكرام حقيقي
مع التذبذب والنفس ، والدسائس والاورهاب . ان الحكمة كل الحكمة
والخير كل الخير للفريقين في خطة جديدة مجردة عن السياسة وحب المباداة
التي لا طائل تحتها . واذا كان لا بد من السياسة الى حين فاجدا فيها ذلك
الصراحة البعيدة عن ال « لا » وال « نعم » معا ، وعن الحيل والخداع .

اني لا ارى في هذا الزمان غير التجارة والاقتصاديات والعلم سبلا تروية
الى الولاء الاكيد بين الامم وفيه النفع المتبادل الدائم . اننا نتاجر معكم ،
ونحكمكم الامتيازات ، وبأذن لكم بينة المستشفيات مثلاً والمعاهد العلمية ،
ونبذل لكم فوق ذلك طريق الهند من البحر الاحمر ومن الخليج ونناظر
عليها ، فتسدونا في مقابلة ذلك بالمساعدات الادبية والسياسية والمالية التي من
شأنها ترقية البلاد وتعميرها واحياء موارده الرزق والثروة فيها ، ونعمقونا من
الوكيل السياسي والمتمد والمندوب لتبديلون القناصل بهم ، فستقيم العلاقات
بيننا وتصفو موارد الثقة والوداد^(١) .

هذا ما اشرت به شفاهاً واشير به كتابة على الدوام ، وقد كان السيد
الادبسي من رأيي فلما وصلنا ونحن نبحث ذات ليل في المعاهدة بينه وبين
الملك حسين الى بند يحدد علاقة الامير العربي بدولة اجنبية قل : ولا بأس

(١) في معاهدة حده التي عقدت في ٢٤ ايار سنة ١٩٢٢ بين جلالة ملك بريطانيا
المعظم وجلالة ملك نجد والنجاز برهان صاقل على ان الحكومة البريطانية بدأت
تعمل بهذه السياسة الجديدة الجديدة التي تشترك فيها المصالح العربية والانكليزية
وتتساوى فيها الحقوق والواجبات .

من ذكر انكلترا في المعاهدة بل يجب ذكرها . فقلت : وان كنت من رأي مبادتكم في تفضيل انكلترا على سواها من الدول الأوروبية فلا استحسن ذكر اسمها في المعاهدة بينكم وبين جلالة الملك حسين . ولم اكنم السب وجله سياسي في ما دعاني الى مخالفته ، بل صرحت برأيي ، وكان فضل الدين حاضراً اجلسات كلها ، دفاعاً عن القضية العربية والتعهد الاكبر فيها ، وهو تألف مارك العرب ومخالفهم في سبيلها . فقد كان الملك حسين ناعماً يومئذ على الانكليز ، وكان الامام يحيى حرباً عليهم ، وانا ابغى عقد معاهدة بينهم وبين الأدرسي ، فكيف السبل الى ذلك واحد الثلاثة يقيد نفسه بانكلترا ويسجل في بند من بنود المعاهدة تفضيل اياها على سواها من الدول الأوروبية . فقلت مصرأ :

خير لكم يا مولاي ولانكلترا ان لا تذكرها في المعاهدة . واني لا ارى ما يوجب ذكرها هنا خصوصاً في معاهدة بينكم وبين امير عربي آخر . صحت افكر دائماً بالملك حسين الذي وعيت في خدمته خدمة حافية تقرب امراء العرب منه وتربطهم بالمعاهدات واياء ، خدمة تفيده امكته من ارساله الوفود الى انكلترا وجنيف ، وكانت هذه الرغبة تشير بما افعل واقول . ولم يكن الامام يحيى ولا الأدرسي مقبولاً في عمل مجرد عن الاقراض السياسية والذاتية كلها . فخفت ان يفسده ذكر انكلترا ، فيرفض الملك ان يوقع المعاهدة بسببها وينحصر الامام كذلك مساعي الملك في سبيل الصلح بينه وبين الأدرسي . لذلك دافعت عن نظريتي بكل ما عندي من حجة ورفق . ودافع السيد عن نظريتي لا اعتقاداً فقط على ما اظن ، بل رغبة بالحافظة على صداقة الانكليز . فلما خرجنا من المجلس تلك الليلة هنأني فضل الدين وقال : قد نلت من الامام ما لم ينله احد قبلك .

جاءت المعاهدة وليس فيها ذكر بريطانيا العظمى ولا كلمة تشير اليها .

وكان الإنكليز مع ذلك راضين بها . مما دل على أن الإنكليز لا تمارض في عقد معاهدات ولائية اقتصادية - دفاعية كذلك - بين امراء العرب اذا وفق الامراء الى من يسعى في هذا السيل سبياً فيه زاهة ووطنية حقّة ، ثم شي من الاعتدال والانعصاف

وما في آيات من هذه المعاهدة ما يختلف في موادها عن المعاهدة بين الملك حسين والامام يحيى
التمهيد واحدة في المبادئ

المادة الاولى : البلاد العربية اقصاداً وادنائها باد اسلامية لا تقبل التفرقة والتجزئة والغشك بعضها من بعض من حيث الجماعة الدينية والقومية والوطنية واتحاد المسكن . وانما المراد من عدم قبولها التفرقة تعبير اشكال اماراتها الموحدة وتحويل امرائها وحكامها المشهورين المعومين الذين يتولون ادارة شؤونها واعمالها وسياسة داخلية . وانما المطلوب اجتماع السكفة القومية^(١) وتوحيد السياسة على وجه يرضاه الله وتصلح به احوال البلاد من غير تدخل اجنبي يحل باستغلال البلاد العربية^(٢) على ما يعرف من المواد الآتية

المادة الثانية : يعترف جلالة الملك لسيادة الامام الاخيرسي بالامامة ويعترف بسيادة الامام لجلالة الملك بالملك^(٣)

- (١) قبل السيد محمد باقر الذي قدّمه وهو عدا : وانما المطلوب اجتماع الكلمة القومية راجع شرح هذه المادة في مساعدة الامام صفحة ١٩٢ من هذا الجزء .
- (٢) راجع الشرح في مساعدة الامام صفحة ٢٥١ من هذا الجزء .
- (٣) كان قد اعترض الدكتور فضل الدين على هذه المادة لان المادة الثالثة تعني بالفرض المطلوب . فقال السيد اعترضه . ثم جاء في منه مع مستحقين من المساعدة الرسيبة هذه الكلمة : بعد امدانكم النحية الزاهرة . صدرت نسختان احدهما بدون مادة الاعتراف بالامامة والملك حسب اعترض جناب الحكيم البارحة لانا نظرنا لذلك بعد ذلك مع صحبنا . وفي الاخرى تلك المادة . ففكر الحيات في اية النسختين اردتم .

المادة الثالثة : يختص جلالة الملك بسياسة ما تحت ادارته في الجباز وغيره داخلية وخارجية . ويختص سيادة الامام الادريسي بإدارة بلاده الداخلية والخارجية . وليس لاحدهما ان يعقد معاهدة اجنبية في ما يتعلق بإدارة الثاني من البلاد ، ولا ان يغير شيئاً جازياً من طرف صاحب ادارتها . ولا ان يتدخل بإدارة داخليتها لا خاصة ولا عامة^(١) الا بعد المشاورة والاتفاق بينهما . واذا فعل احدهما شيئاً من ذلك او عقد معاهدة اجنبية في ما يتعلق ببلاد الآخر منفرداً فلا يعتبر ما فعله ولا يعتمد عليه وليس لاحدهما نقض معاهدة سابقة لتاريخ هذا الاتفاق من الطرف الآخر في ما يتعلق بحصية عاقدتها وببلادها ، ولا تتم في بلاد الثاني الا اذا تم الاتفاق على ذلك . ويترتب على هذه المادة فصل الحدود بين الفريقين على الوجه المعتدل حتى يصلح كل فريق الجهة التي اليه ويعد بها المدة اللازمة وقت الحاجة للطرفين^(٢) . و كانت حرت المداكرات باوفاق من ما جرت الان قبل سنة زعمياً لتتمكن الجميع من احتياض الحدود المعتدلة وما يتربط اليها من الفوائد المشروعة اعلاه . حيث كان لا حائل بين الجوارين ولا منازع آخر بينهما . اما الان فان نسبة للحدود فيكشف حصول التزام ثابت من جلالة الملك حين يعلم الامتراض في مسألة نوا عسير على فرض ارتفاع المنازع الاخر منه بالكلية^(٣) او ارضائه

(١) كان قد امر الامامان اوقوف هذا الحد فاقفها باضافة الحدة الشرطية بعدها اي « بعد المشاورة والاتفاق » الى اخر الحدة اي « فلا يعتبر ما فعله ولا يعتمد عليه » والغرض منها تفيدح في ما يعود السيل الى الوحدة العربية .

(٢) ما قيل اي من « ولم كانت جرت المداكر » الى اخر المادة . اضافها السيد محمد . فارتأيت ان تضاف في كتاب خصوصي الى جلالة الملك لخاصة ارضية لا انسية . فلم يمتنعن رأي وامر ان تكون جزءاً من هذه المادة . وفي ذلك دليل اخر على سلامة نية السيد وتسامح وجهه الى .

(٣) يراد بهذا المنازع ابن سمود سلطان نجد وهو يمثل مدينة اجا التي كانت قاعدة

يجزء لا يحول بيننا وبين جلالة الملك حسين في الجوار . وهذا يقتضي ان نقوم بسعي الاصلاح بينه وبين السلطان عبدالعزیز ابن سعود^(١) لاجل تبيذ حدود معتدلة بين الاطراف الثلاثة .

المادة الرابعة : الاتفاق على مدافعة من اراد الاعتداء على احد الطرفين . وهذا حق المسلم على المسلم . والكل منا يبحث في تلك الحادثة والسعي فيها بما امكن من الاصلاح سواء كان ما يرجع الى الخارج او المعارض في الداخل . فاذا لم يكن الا مجرد الاعتداء والتمني فيلزم حصل من الفريقين المناصرة لصاحبه^(٢) وبهم الامداد بقدر ما امكن من مال او رجال او سلاح او معدات حربية وعلى طالب المدد ان يقوم باوزان المطالبين^(٣)

المادة الخامسة : اذا وقع تشاجر بين رعایا فريقين ورد الى حكم الشرع فينبسط قاضيان من الجهتين او قاض من احدهما حسب التراضي الفصل
المادة .

المادة السادسة : الاتفاق في العمل الذي يحفظ القطرین من اي تدخل اجنبي . فاذا حدثت مشكلة مهمة كالمقود والمعاهدات يلزم كل من الطرفين اخذ رأي الطرف الاخر حتى يؤمن الاتيان في الموضوع ويكون العمل بقوله تعالى : وامرهم شورى بينهم . وقوله عز وجل : شاورهم في الامر .

المادة السابعة : تبادل المنافع التجارية من الطرفين مع تسهيل امور الصادر

لواء حيدر في الماضي

(١) ولا شك ان السيد الادريسي كان قد غار بسببه هذا الشريف لما كان يشه وبين سلطان نجد من الثقة والولاء .

(٢) في هذه المادة الدفاعية نقض مادة الهجوم اي المادة السادسة من معاهدة الامام والهدف منها كلف بد حكم الشطر^(٤) في من الجزيرة مضى عن بعض . راجع المادة السادسة ونسجها صفحة ٣٤٣ .

الفصل الثاني عشر

جوارح وسادات

لأسماء الأديس في عاصمة دار الفرس - اخبار العاصية - العازية المنجزة والسيد
المسادل والمناهي الذي سبب في تبيده وبعثه الرحمة - ابو فرات - الدتسات
العسان - وقد ان سموت - سادنة وين الرواسين وعامه شقيق - لا تشاورها
يا ابتنا - نجر ٥ - السيد الحضرمي - فضل الشهادة عند السادة - الاثران يفتقون
الجولاني والمعيد - السيلارة كمد - شهر النورق - معاصر من معاصر الله -
صبيد من الامجاد - سدي - سوق الرقيق - برمنه جارية الاستاد -
سايوك الجواني الشنشر - سيد من غور الامجاد - هنشا الطريق في الليل -
الاحبة - الحراب - الضيف - معاذن للبحر - القطن - آخر فرقاننا في الرمن -
السائل اصعب يدور - السيد الحضرمي يقرأ القلعة - النجدة من القر ٢ -
بات النعم

وقف الحاجب في الباب يقول: الحاج محمد. فنهض فضل الدين واستوى
جالساً على الديوان. ومن هو اطيع محمد؟ هو في عاصمة ابن اديس نائب
ابليس. شديش وحريدة اخبار وحجام، وطبيب يضرب الميون، ويناخر
بالدر المسكون، ويأوس كل الفتون. هم من مراکش، جاء مثل كثيرين
من اخوانه الى بلاد السيد حاجاً، وبقي فيها ينتقل مع الامام فيعيش في ظله
المفذي للروح والجسد معاً. والحاج محمد جبار، يكتب يده الحيازة. صافحته
مرة واحدة وصرت بعدئذ احسنتني بالسلام من بعد عشرة اقدم. اعجب
بتلك اليد ويد ولا غلاب البهوت، كل اصعب منها نيوت، وهي مع ذلك
يد ساحر، يدها الى ادق اعضاء الجسم البشري الى العين فاشفيها - بشهادة
الدكتور فضل الدين - من الآلام. يقبض السكين، وينذرها وغير الله لا
يستعين. وما فشل مرة في علية من الصلوات، ولا عصته الميون والحدقات.
لكن ذلك لا يؤهله لآكرام فضل الدين الذي كان يستقبله ولا يستقبل

غيره في النهار . دخل بلهث والعرق يتصبب من جبينه ، فجلس على الأرض ، طوى نفسه على السجادة امامنا ۞ وبدأ باسم الله .

— سافر الـ « موتر » الى صيدا منذ ايام وعاد اليوم كاملاً بكل اجزائه والحمد لله . وحضرة القاضي فيه سالماً متعافياً رذن الله . وقد رفق بين السيد وجارية من جواريه جاءت تشكوه الى مولانا . ولدت هذه الجارية ابنة فلم تمض يوماً ~~صبيحاً~~ . فعول السيد على بيع الجارية فاحتجت متهمه باسرع والحق في جانبها لان ولدت له ولد ابنة باسرع . واصغر السيد يقول : هي حارية نحس ، جارية جانية ، لو انها ولدت ابنة حية لما استعفت ان ارفعها الى مقدم الزوجة فكيف وهي تجيئي بالاموات جانية تستحق فوق البيع الذبيح . ولكنني ارحمها وابيها مقماً . فقال القاضي : وقد نبتت في قلبه ربحانة الرحمة . بثلاث رانت من امر البيت يليق العدل ويليق الحنان . فقد قال صلى الله عليه وسلم : قال : فميت بدفتور الحديث . ولكن القاضي اتهم السيد فدخلت التقوى والحنان الى قلبه . فقاطعه فضل الدين قائلاً : نار الجحيم في قلبه . فقال الحاج : ولصكته رحماً يا دكتور . قال لها : سألوك بذكرتي مرة اخرى فاذ جنتي بولد ذكر حي كان لك ۞ تريدن . والا اتبعك باثنتك . قلبي يد القاضي ، وركبته ، ورجله . واشكري الله الى محبته . وجبران تشكر الله على عودته سالماً في الـ « موتر » .

رفع الحاج محمد رأسه ومسح بطارف قبضه انرق من جبينه ثم طوى نفسه ثلاث طيات — البنية على كعبيه وصدره على ركبتيه — ومد عنقه نحو فضل الدين وهمس قائلاً : سيدخل عم مولانا الامام على فتاة اخرى ابو فرائح يبغي شراء فوخة سوداء ورايح امر يستأذن صهره . وداحت المسكينة الى الامام قبكي وتفتيت . فقال الامام الى عمه الشائب : لا اصبح لك بها الا اذا كتبت كتابك عليها . اخذت ابتك بالكتاب والسنة فكيف احل لك

.. لا احله لنفسي ، فقبل ابو فراح بذلك وسيدخل الليلة هذه الليلة على الفرقة
الدنقلية .. لا وافه ما رأيتها ولكني سمعهم يقولون انها احل ما جاء من
دواء البحر .. فدة - دواء ..

ورفع الحاج رأسه وصعد الزفريات ثم قال : والسيد .. عاقام انه
وحجب عليه .. جاءته احدى جواريه بولد .. ابعد انه الدنقلية عن بيت
سادتنا ، فرقة سوداء ، رأس البلاء ، في كنف حريس ، الادارة يا دكتور
يا دكتور .. ولا يدجون سوداء المراح

صحت الدكتور وامر له بالقهوة وشرب الحاح وسبح بقبضه العرق من
جيبه ووجهه واستألف الحديث ..

- سيرة عبد وقد ابن سعود .. اعطى مولانا على واحد منهم صلياً
وكسوة .. وقد كانوا ليلة البارحة في المجلس الشريف فتناقشوا وهدأوا ، شاعروا
في التوحيد والاولياء .. ختمت واقه على الشائقة من هؤلاء الوهابيين ، فذكر
الرجل الذي ضرب ابنه في ابها لانه فخرى على زوجة ابيه وفر هارباً الى صيدا ،
فقبض عليه فيها وسجن باسر من الامام .. جاء كتاب من عامل ابها يقول
فيه : ارسوا اخي ايها .. انتم لا تحبون الفصاح .. شرائعكم لا تنفع ..
عندكم حماة وقاضيات وتعبضات ورشوات .. احبلوه عينه عندنا السيف ..
واعل قال احد هؤلاء الوهابيين : لا يطهر الاسلام من الشرك الا السيف ،
وهو حجةهم الوحيدة .. من يصلي الى العظام في القبور ويستغيث بالاشجار
واحجاره يشرك الله ، يكفر بقة ، والكافر يقتل .. فرد عليه احد علماءنا
بقوله : وانتم تستغيثون بالنبي ، انتم كذبات مشركون .. فقال الوهابي :
ذاكر النبي نجداً ولا تستغيث به ابداً ، فقال عالمنا الذكر والاجلال
بتنهات الاقتداء ، والاقتداء ، عز شيئاً النداء ، وفي النداء الاستغاثة .. فقال
وهابي : هذا ابهام وكفر الابهام اشد من الكفر الصريح .. دامت المناقشة

ساعتين فدخل اذ ذاك مولانا فقال : لا تشعلوها يا ابناء ، نجد . وجادلهم بالتي هي احسن . ثم قال والانكلير مشركون وليس علينا ان نهدىكم الى الدين الخفيف . . من آمن باقية وباليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم . الآية . ونحن اصدقاء الانكلير . الخاض لهم ما داموا مخلصين لنا ، وانتم في نجد فكذلك ان افه يهدي من يشاء . هذا ما قاله مولانا الامام . وقف الحاج محمد عتيقة وقد عمد ان حرق قبضه فأمرها اولاً وثانياً على حبيته ثم دنا من فضل الدين هامساً : سنبوك جواد يصل الى يدي بعد يومين . ثم مال بوجهه الي وقال : السيد الحضر مي يسلم عليك .

صكت قد سبت رقيب في الباغية ، وهذا ان الحاج محمد يشيت ما قاله فضل الدين . . قرأ السيد قصيدة في مجلس الامام يمدحه فيها فاسر له مولانا بمئة ليرة ، وهو عائد ، مكتم في الـ « موت » الى الجديدة .

وبفضل الدين لهذا الخبر عن الديوان مستعجلاً باق . ثم دعاني وهو واقف امام الشباك لاشاهد ما شهد في ذلك الحين فوافيت في الزواق الخادم ابكر - السيد ابكر - وحوله بعض ابناء قريته ماؤوا يسلمون عليه ويقولون يديه - هذا سيد ولكنه خادم مخلص . لا بأس اذا قبل يده اثناء بلده . ولكن في السادة الشحاذ والمخلص والرائي والذاقل والمناجر بالزوق . والناس بقباون ايديهم وركابهم . ان مراوغة^(١) مدينة السادة ، كلها سادات وفيها من كل من ذكرته . بذلك السيد الى السوق حاملاً الملة فلهذا يحتاج اليه خضر وجوب وطه وحلوى ، جرد ان يدع عرساً واحداً . ولا احد يقول : لا . ولا احد يخش ان يتبع ورقة عجم . وفي اشهر رجب ورمضان وشوال يخرج السادة يشعرون رمضان والشهر السابق واللاحق ، هذا فصل الشحاذة عند العادة . في البصطاب : وانذر عشيرتك الاقربين ، فن

(١) مراوغة هر عن مسافة عشرين ميلاً شرقاً من الجديدة .

يتنزها اليوم ؟ عادات وخزعبلات وقبايات يها منها الاسلام اذا تزوج
 السيد ابنة من غير آل البيت وولدت له ابناً فمن الواجب عليها ان تقبل يده
 وركبته ورجله كل يوم لانه سيد ولانها من عامة الناس . وابنها يحترعها ،
 ينظر اليها فنظر السيد الى السيد . مثل آخر : حيد عنده جارية وخدام . تزوج
 بامرأة حرة . فزوجة الخادم تحترع جارية السيد ولا تحترعها ولو صارت اما
 وزوجة شرعية . وكثيراً ما يحدث في مثل هذه الحال ان السيد يبيع الجارية
 الى خادمه ويصكره على طلاق زوجته فيتزوج بها . فساد لا يطهره غير
 الجميم . من فعل الاتراك انهم كانوا يقتنون الجوارى والسيد ويعطونهم
 شهادات الدين . وكان السادة يوم كان الترك في البلاد يعتبرون هذه الشهادات .
 اما الان فلا قيمة لها . . . ولا تظن ان سادات حصر موت ارقى من سادات
 اليسن . هذا واحد منهم عرفناه رفيقاً وسيراً فقتنا مرة اخرى اعوذ برب الفلق .
 ولكننا علمنا بعدئذ ان حضرة السيد سبقنا الى مريدي وسيرافقتنا من
 هناك . فقال فضل الدين : والحمد لله الذي دفع عنا بعض البلية . رحبنا
 السيارة صباحاً بصحبنا جندي من جنود الامام ، وهو سيد من سادات اليسن
 الاعلى ينهز السنين عمراً . دقيق الانف والقيم واليدى . حلق الشارب ،
 ابيض اللحية . يعني الطالعة ، لطيف الحيا . جلس بعد ان سلم الى جنب
 السائق ، وشد غبته بين يديه فسرنا تبغي مديتي التي هي على مسيرة ستين
 ميلاً من جيزان . وكان السهل الذي رحنا غوتراً فيه كبلاد حرب صلاله
 درب . مروننا يتدن ملح هو للحكومة قرب قرية تدعى مضايه . ولم يكن
 في الارض حولنا ما يريح النظر من السبخات غير شجر الشوى الذي كانت
 صفوفه تمتد اميالاً الى جانب الشاطئ . كلنا جدار اخضر قائم بين البحر
 والسهل . اما قشر هذا الشجر فابيض مثل عوده والمتكلم منها شبيه بالعظام
 يحجمه العرب حطباً . واما الودق الشبيه بوردق النار فيعماه الغزلان . كنا
 نرى اسراباً منها عادية ، شاردة ، نافرة . من كل ما تحرك في تلك الارض سواها .

وفي تهامة مظهر من مظاهر المد غريب . ان مياه البحر تجري تحت الارض ، خلال شقوق في القبة رملية ، فتدرب الى مشافة خسة اقبال في بعض الاماكن ، وتظهر فوراً في السهل لجواري حائلة ، تجوف في الصيف مياهها فتبدو سيخات موحلة لزجة اذا علقَت السيارة فيها استحال على غير الجبال جرّها منها .

سجّيت اسكوت السيد قدامي وقاديه . سألته سؤالاً قادراً بوجهه واجاب بصوت لطيف ولغة فصيحة انه من عرب حاشد . من احوارث فيهب ، وان جبال حاشد هي كاطلقة حولهم . هم . هو زبيدي ولكنه منذ نشر سنين « في خدمة هذا الامام » اي الادريسي . بعد ان اجاب سؤالي امال وجهه وسجّكت . أصبني من الرجل محاسن ثلاث فيه ظاهرة - حسن طبعه ، وحسن منطقته ، وحسن ادبه . وهو سيد زبيدي . بل هو سيد من الاملج ، شريف حتى اعاراف اقامه كما يقول الانكليز . وفيه برهان جلي على أن في التعميم ضلّالاً . اجل « ان في السادة كما في طبقات الناس كلها ثلاثة رجال ، الشريف طبياً ، والشريف ورائة ، والذي لا شرف له . »

وصلنا الى ميدي التي هي على مسيعة ساعتين في السيارة من جيزان قبل ان يشتد حر الشمس ، فاقفنا فيها يوماً نستطلع احوالها ونستكشف اسرارها ، اما الاسرار فهي والحريم في بيوت القش الهرمية ، واما الاحوال فاول ما يظهر منها اناس اكثرهم من السود والمولدين يزدهون في اسواق تباريه فيها الروائع والاقدار .

والكن للاشغال ، للصناعة والتجارة ، اثرأ باهراً فيها لا تجد مثله حتى في الحديدة . ذلك ان ميدي اليوم هي جيزان في اثناء الحرب العظمى ، وقد كانت المدينة الوحيدة على شاطئ البحر الاحمر الغربي المفتوحة للبواخر والتجارة قسراً منها الى العقبة ، بقية اليمن ، فيجبال عسير ، وفي الشمال

الى جده . ثم تجارة ميدي فاكثرها بالسلاح وبالرقيق وبالتهريب . اذا احتاج
انام صنعا . مثلاً الى الفخوة والبناتق يشتريها في ميدي او يطلبها لقرسل من
طريق ميدي . واذا اراد احد تجار الحبار ان يهرب بضاعته فلا يدفع عليها
رسوم الحرك يستجلبه الى ميدي ، ومنها برأ الى جده . واذا اراد احد السادة
شراء جارية حسنة . يجيء الى ميدي فلا تضل خطاه ومناه . وانك لتجد فيها
اللؤلؤ ودهن السمسم الذي يحضرونه بين حجارة تدبرها الجمال ، والبنات
السافرات اللواتي يتفرعن من آلة التصوير نفوذ الغزلان . ولا غرو وشهرة ميدي
هي في المحرم المتنوع ، اي في الرقيق والسلاح ، وسهام الملاح .

ان الدكتور فضل الدين في صفته الوحشية والخصومية هو رقيب المتاجرين
بالرقيق وعدوهم الاشد . اغضب الحاج محمد المغربي بان سبوحكاً من الجواربي
يصل قريباً الى ميدي فباشر عند وصوله البحث والاستفراء . جاء احد
« اصدقائه » من تجار الرقيق مسلماً . فسأله صكيك السروق ؟ فقال : واقفة
يا حاكم .

— يلزمنا جارية للاستاذ .

— غرضك يا حاكم على الرأس والدين . ولكن لا يوجد اليوم . لا
وافد ولا واحدة .

— ولا عند اصحابك ؟

— لا وافد السروق واقفة . لم يدخل ميدي سبوك واحد منذ شهرين .

— غرض الاستاذ غرض لدينا . فتشولو على دنقلية . والتمن يرضيك .

— سنبذل الجهد . غرضكم يا حاكم وغرض الاستاذ على الرأس والدين .

راح ولم يرجع . وجاء اخر فكانت اجوبته قومي . الى ربب في نفسه
بحسن نية الوكيل . فانسكر بتاتا .

- لا جوارير في ميدي ، ولا احد يتاجر بالرقيق اليوم - لا والنبي ولا احد يشترى .

- وها من يشترى ويدفع ما تشاء . هات لنا دوسوندية .

- توكل على الله عرض الحكيم لشقيه بعمود .

وراع كذلك ولم يرجع . ثم جاء رجل طويل القامة ، طويل الشارب ، حسن الصوت ، جاحظ العين ، فسلم سلام الاحباب وتربيع على الديوان .

- سئري قريباً ما يسرك يا حكيم . والله ما نبغي الا خدمتكم وخدمة

مولانا السيد . لا يوجد جارية واحدة اليوم في ميدي . نطقنا البلد . والتجار كلهم يلعبوننا . لا يهم والله اذا سكنته راضين . اول سنوك يدخل ميدي نحن ورجالنا نحجزه بدم مولانا ونملككم بذلك .

وقد علمت بعدئذ ان الرجل من اكبر تجار الرقيق في نهاية . له قصر كبير من ميدي والخدمة يستخدمه تهريب الجوارير والسلاح . والرجل عالم بقصد الحكيم ويظن انه يجادعه . على انه يتبع احبائنا في ما يخال به . فاذا حجز سنوك مرة في السنة وسام من فيه الى الحكومة يشترين بعدئذ بواسطة احد رجاله يأخذهن الى القصر .

سأله نضال الدين عن السنوك المنتظر وصوله فقال : بعد شهر في الاقل .

صاحبه سافر البارح الى جيبوتي^(١) هيننا عليه ، كن مطمئن البال .

وقد يكون صاحبه احد رجاله . عرفنا بعدئذ انه كان صادقاً في

بعض ما قاله . ولكن الرجل لم يسافر الى جيبوتي . ان في هذا الخبر بداية حادثة يجي . ذكرها في الفصل الثاني .

تزلنا الساعة الثانية بعد نصف الليل الى الساحة لتركب السيارة فلقينا

(١) مدينة على ساحل بلاد الحبشة جنوباً وهي مستعمرة فرنسية .

هناك رفيقنا السابق السيد الحضرمي وهو ينتظرنا

وضع الخادم أبكو ائمة حبه في السيارة دد ارجنا وأحكم بيننا
حقية جاءت شبه مسند استندنا اليه . ثم اشار فضل الدين الى السيد ان
يجلس جنب السائق . فاني وقال : ارفعوا هذه الحقية واجلس معكم .
فضل الدين : يد الاستاذ تلمه وهو يحتاج الى شيء . يستند اليه . تفضل
اجلس قدادنا .

السيد مثلي لا يجلس جنب السائق .

فضل الدين يشلو الفاتحة : والسيد يحوقل : ثم : اجلس مرثي . اعز
السيد رأسه ، فامر فضل الدين السائق بالسير ، ورفع السيد ائمة الى السيارة
وصعد الى جنب السائق وهو يشلو الفاتحة . فقلت اننا مع الاثنين : ههنا
السراط المستقيم .

والظاهر انه لم يكن قينا احد من انعم الله عليهم . او ان السيد هو
سيد بروج النجوس فجدبنا كلنا اليه في تلك الساعة وحجب عنا سواء . ان
اعانا فيتنا لا نعرف في السماء نهمياً تهدي به . ضللتنا الطريق : وبقينا سائمة
ندور في سهل حكه درب مثل بلاد حرب ، ولا اثر فيه يرى لدواليب هذه
السيارة الماركة التي لم ترل طفلة في البلاد . بعدنا في الدوران ثم عدنا قدوتنا
من ميدي ، فمن ائمة علينا برجل ههنا السراط المستقيم . ثم ضللتنا ثانياً وثالثاً
قبل ان نصل الى جبل ، وهي القرية التي فيها قصر الشجر بارقين ، وعندنا
اتفاقاً او وحياً الى اثر الدواليب المتقطع الذي كان يبدو ويختفي في نور
القمر الضليل .

وصلنا الى النجبة عند شروق الشمس ، فالتفتنا كاخديلة حافلة بآثار
الفتائل الايطالية والانكليزية ، لاثنا ضربت مرات من البحر في الحرب
الابطالية التركية وفي الحرب العظمى . الا انها لا تزال على شيء من العمران

في ايستته الجيدة ، وفي اسواقها التي لا تشبه اسواق ميدي بالروانج والاقذار ، ولا بالناس وحركة الاشغال هي قريبة من البحر ولا تزال الكياسة التركية بادية في بعض ارجائها ولا سيما في دائرة الحكومة ، حيث استقبلنا بعض الافاضل من عسير ومن الحجاز كانوا سابقاً في خدمة الدولة ، منهم رجل له ابن في الوديس كان حاضراً ليلة الوليسة والرقص التي احيها جلالة الملك حين اكرواماً في فكتب الى ابيه بصفتها . ومما قال : وكنا ساعة الفجر لا تزال نقص حول النار . هذا اجل ما سمعت في وصف تلك الليلة التي ودلت اخبارها الى اليمن .

واما سكان الملحية ، وفيهم الصوماني والسوداني والمولد ، فلا يتجاوز عددهم اليوم الحصة الاف وهو خمس سكانها قبل الحرب . وفيها ثكنة مجهزة وقلعة متقدمة ، واخرية كما قلت كثيرة . فقد كانت في اخر الحرب المظلي هدف الرصاص والنار من البحر ومن البر ، لان مساحك الادريسي بقيادة ضابط انكليزي كانوا مخدقين خارج المدينة ، وكانت ابو حلق على مسيرة ساعة منها جنوباً ، في يدهم فتجيتهم الذخيرة والمؤونة والماء كذلك من المراكب الحربية . وما عم ان تغلب الاسطول الانكليزي فخرج الترك من المدينة ودخلت مساحك الادريسي اليها . وبعد قليل وصل الى تلك البلاد خير الهدنة فأرغمه الانكليز هكذا : ١١ - ١١ - ١١ ، اي ان الحبر وصل الى الملحية في الساعة الحادية عشرة من اليوم الحادي عشر من الشهر الحادي عشر من سنة ١٣١٨ هـ كان السيد مصطفى يومئذ قائداً عن ابن عمه الامام والدكتور فضل الدين طيباً في الجيش الادريسي . فقول بعض الضباط لاننا نرى الى البر يمدون معهم للغير السيد . احتفلوا بالنصر وبانتهاء الحرب في بلاد لا تنتهي وانساء فيها الحرب .

استأثرت السبع صباح ذاك اليوم فرقة ونحن قريبون من الشاطئ . بالتمشية

وهي قرية صيادين ، وكذلك بالحويكة التي لم يكن فيها ساحتين غير الأولاد .
ففرجوا جميعاً يلاقوننا ويكشفون لينا سائقوا السيارة وظل بعضهم وهم يشيرون
بمكالمة لزان سائرين معنا بضع دقائق ، فتقهقروا الا واحداً ادهشنا في ثباته
ومدوه . ثم سمعناه يقول للسائق : دله دله ، اي على مهل . كأنه اراد ان
يرافقنا بل يسابقنا الى الحديدة .

سمعت السوات والارض طلبة الولد ، فوقفتنا فجأة . وقفنا تاماً . نرقت
دواليب السيارة في الرمل ، فخرجنا كلنا الا السيد الذي ظل جالماً . وجاء
الولد يساعدنا فدفعناها الى الامام . اخرجناها مع من فيها من الرمل وعدنا
الى محالنا وفضل الدين يقول : والحمد لله يا سيد . فاجاب بلا خجل ولا
اعتذار : والحمد لله .

دع السيد يادكتور واستقبل السراب . هوذا السراب ! وقد نراى
لنا بعيداً فقلنا له لاؤل وهلة احدى تلك البحيرات المالحة التي تتعرب اليها
مياه البحر ، او لساناً من البر امتد اليه . وكانت اكواخ القرية تنعكس في
السراب فيشبه ظلها ظل الاشجار - ظلال في المياه ، ولا مياه ولا ظلال .
اما لون السراب فكان اشبه بلون السماء منه بلون البحر . لذلك كنت
قرية ابن عباس كأنها واحة في وسط البهيرة او سمان معلق في الفضاء ، تحته
وفوقه السماء . ولما دونا منها بدت اكواخها لا ربب فيها ، وكانت المياه اي
السراب المحيط بها يتقهقر ويضيق كلما تقدمنا حتى غاب رويداً رويداً
عن الابصار .

بعد ان اجتازنا ابن عباس غرقنا ثانية في الرمل ، فخرجنا ندفع ونحرق ،
والسيد في مكانه لا يتزعزع . فرجونا ان يتفضل فيزل في اقل فتخلف
علينا المصيبة ، فقلنا متروكاً . وما مكادت رجله الشريفة تضأ الارض حتى
تحركت الدواليب وجرت السيارة بامه انه ، فركض السيد وراءه وهو

يظن انها مستنور جارية .

وصلنا الى الصليف المشهورة بجعلها . وقد كانت قبلي الحرب عامرة
بشرة انكليزية صنعتها الدولة امتيازاً لاستخراج الملح من ارضها . انها لقرية
جميلة قائمة على طرف هلال من البحر في البحر ، والهلال ذيل ضلع اي جبل
يمتد شرقاً الى الزيدية في سفح جبال السن . خطرت لي ونحن نجتاز هذا الجبل
الضيق الطويل ، هذا الضلع في الارض ، فخطر قد يهيم الانكليز والاماميين
اذا كانوا حقاً يصفون الصلع . ها هنا الحدود الطبيعية في نهاية بين السن
ومصر ، بين امام صنعاء وامام حيران . فتكون الزيدية وما دونها جنوباً
الزيد ، وتكون الصليف وما دونها شمالاً للادارة . والجبل فاصل بين الاثنين
تغيرت التربة دون ذلك الجبل جنوباً فقلت فيها السبخة وكثرت الرمال .
وقلت كذلك المياه المالحة وبدت هنا وهناك ، في النبات والاشجار ، دلائل
الماء القراح . فهناك السلم والالب والشر والنخيل . وهاك دلائل الاجتهاد في
بقعة من التطن شاهداً غيرها في الطريق بين دوع البحري وعجلانه . قبارك
الماء العذب ولكن الرمال كنا قد علقنا ثلاث مرات اخرى فيها وما
كان السيد يشرف الارض برجله الا بعد ان ندعوه رسمياً ونزجوه .

انقصف النهار واشتد القيظ الى درجة يسكاد لا يحمسها حتى ابتداء البلاد ،
فكنا ونحن نسامد السيارة على عذوها الرمل نحس بالنار تحترق ثمالنا فتحرق
ارجلنا . وكان السيد الحضرمي يزود بالطين بلة في سلوكه يفيظ حتى الاولياء .

فضل الدين ، ويده على السيارة ورجلاه مثل دواليبها في الرمل المحرق :
يا سيد يا ابن النبي تعال ساعداً والا تبقى هنا . فقال هذه المرة السيد وليس
نعله رجاء على مهل يعيننا فوضع يده على السيارة وهو يقرأ الفاتحة وكأنه يريد
تسيورها باللس والصلاة . فازدادت السيارة تمرداً ، وفضل الدين غيظاً ،
فقال : سيادتك مثل السراب ، بل السراب احسن لانه يسر العين .

كنا ساعتر في شد حالنا أصيب السائق بدوار فوقع مغشى عليه ،
وكنت انا اقع كذلك من شدة القيظ والعياء ، وفضل الدين وحده يعالج
البيارة ويستعين بالله من برج الثعوس . فاولئنا السيد الصالح ابصر الى
تربه اقرب قرية منا يستنجد رجالها ، فعاد بعد ساعة ومعه بعض الاقوياء من
العرب والسود يرأسهم قزم جبار ملهم علينا فاضحكنا ، وحرك البيارة
فادهشنا وملأ قلوبنا ابتهاجاً .

- السلام عليكم وعلى بنت الجن . هل تبغون تكسيها او تسيرها .
اذا تبتم الى الله نكسرها ونقلكم عنده وتركبون غداً المجمعين مثل المؤمنين .
خلصونا لما حكتنا فيه ، بارك الله فيهم ، واخذ الصغير البشيش فتناحه
ورجاله وودعنا قائلاً : الحمدوا الله وتوبوا اليه . ولا تقطعوا الحمد ما دمتم في
بنت الجن هانئين .

ما كدنا ننتهي من المحدثات حتى بدأنا بالحوفة . وكان السائق لا يزال
متأثراً بما اصابه ففاصت البيارة للمرة العاشرة وعلقت الدواليب و - لم ياصيد
فقال السيد المحترم : لا اقوم ولا ازل حتى نصل الى الحديدية . فقلت :
وحكنا شدة القيظ قد اضطرمت في أيضاً : سنزل هنا وقبتي هنا : ان
من يراك يظنك قريباً شيطاً ولكن لا قوة فيك لا جندية ولا روحية ،
يا الضيعة النسب .

لم نجب الرجل بكلمة . وظل صاحكنا حتى وصلنا الى الحديدية فودعنا
هناك واحذر عما بدأ منه .

وبعد يومين جاء الخادم يقول : رأيت السيد الحضرمي في السوق
والتجار الحضارمة يشون وراءه بعيدين عنه ، وهو يثني ويبرز كتفه وكأنه
حاة الدد .

ثم علمت انه من كبار سادات صيرون ومقامه هناك شبيه بمقام اسقف
عندنا . فثلث لافني اسقفاً رفيقاً في السيارة تجلسه جنب السائق ، ونستمينه
على جرها من الزمل ، ونقول له فوق ذلك : انت مثل السراب . بل السراب
احسن منك لانه يسر النظر . فاسفت لما بدا ، ووددته رفيقاً مرة اخرى
لا تكفر عن ذنب كان فيه ، سامحه وسامحتا الله شريكاً كريمة .^(١)

(١) جادني جريدة عربية طبع في جاوه وفيها مقال طويل يكتبه احد المضارعة
هناك يدافع فيه عن هذا السيد المحترمة « كبير قومه » وفخر السادة العلماء ، ويطن
علي طناً عجيباً ، « كصف الخط فيه كل اثار تعلم والادب في صيرون . ولكن
الكتاب لمحمد لاني شي » ١٢ جاء في هذا الفصل والفصل السابق من اخبار السيد المحترم .

الفصل الثالث عشر

تجارة الرقيق

للمراقبة في البحر الأحمر - الحكومة الاسكتلندية في عدن - الحكومة الافرنسية في جيبوتي - سلطان ناجورا - بلاد الحبشة - مصر التجارة - رئيسها الاسكر - حديث من الرقيب في عدن - التشريعات تكيد الوجدان - في المصالح يحصلون النفاذ - الحكومة الجزائرية تكانوها قناصا - حادثة الجديدة - الوكيل يعاول توقيف السبوك وتخليص الأوراق - الحكومة تظن بمرورهم الى المدينة - هناك الى عامل الجديدة - الإغناء يسافرون نسيلا الى ميني - آليات قرائية واحداث - بويمة تاجر بالاعتقال - التهمة على السادة والاعراف .

ايما رجل كانت له جارية فأدبها

واعتقها وتزوجها فله اجران .

حدثت شريف

كنت اسكر وجود النفاذ في العالم اليوم ، فعبثت هذه البلاد ورأيتها بعيني . كنت اظن ان التجارة بالرقيق محرمة وممنوعة شرعا في هذا الزمان فغاب في البلاد العربية فاني . كنت اؤمل ، على فرض وجود الرقيق والنفاذ ، ان تكون الحكومة تاحضة الامر متعنية المجرمين ، ساعية في سحق هذه التجارة المستنكرة ، الاثيمة ، فوجدتها في الحجاز وفي سائر نافلة واسقاء او متناومة ، او عاجزة . بل وجدت الحكومة احيانا حليفة الاثقياء .

اما الحكومة الاسكتلندية سدن فلها بعض الفضل في المراقبة في البحر الاحمر ، وفي ما تحجز بواخرها الحلوية احيانا من السنايك حاملة الرقيق . ولكنها لا تكمل عملها . فهي بعد ان تحجز السبوك تطلق سراح الصيد والمستبدين مآ . او باخري تميد اذا شاوروا الى بلادهم وتبعث النافوخاء والتوقيين الى جيبوتي لتحاكيم هناك الحكومة الافرنسية .

والحكومة الافرنسية الجيبوتية رعاها الله فحسبي اكبر تجار الرقيق في بلاد الحبشة اي سلطان تاجورا^(١). اما هذا السلطان الدنقلي المستقل الذي لم اكره في زيارته فالذي يظلم من امره هو انه ابعد نظراً واكبر دهاء من الذين يحومون به . هو سلطان ، نعم . ولكنه كذلك عامل حافظ ، وتاجر ماهر ، يحب المال كثيراً ، وله في احواله حرفتان غير « التسلط » واحدة شريفة وهي « الكفاة » - ايسر في تاجورا من يحسن صنع المال مثله - والاخرى . تباركت ثرة بطشك ايتها الحبشية . اذا كسدت النعال عند السلطان فلا تنفذ الجوارى ولا تكسب روقهن .

ان لسره في بلاد الحبشة رجالاً يجسرونه دائماً بيناعون او يخفون . او يستفرون من البنات والصبيان ، وهو يبيعهم الى تجار الحجاز وعسير . الى تاجورا اذن لا الى جيبوتي بحسبي . تاجر الرقيق ، فبحسب به السلطان الاسكافي ، ويقتنيه له الكيس ، فيسله التاجر ذهباً وفضة ويعود استبوك الى بلاد العرب ملازم الجوارى والاميد . قد قيل لي ان الحكومة اسبوتية الافرنسية تقام السلطان الدنقلي ارباحه في هذه التجارة المستنكرة . وما لا ريب فيه انها تحسن معاملته وتكرمه وتجاهله . دعاه مرة احاكم الافرنسي ليتزل بضمة ايام ضيقاً عليه في جيبوتي ، فقبل السلطان الدعوة .

جاء الى جيبوتي يزور احكاماً فاستقبل استقبالاً يليق بمقامه وانزل في قصر فظيم قرشه ووراشه من باريس . فحدثت السلطان نفسه ان هؤلاء الافرنسيين تجار مثله ويريدون من بلاده ارباحاً كثيرة . فلماذا لا يقتدي بهم ؟ اغتم السلطان هذه الفرصة للشينة فدعا تجار المدينة الى القصر ، وباعهم كل واحد من فرس ورياش « ووضع المال في اكيسه وعاد الى قاعدة ملكه .

(١) تاجورا مقاطعة حاشية مسطحة شرق حيور شبة بالزراعر الشع المحببة حول عدن . !

ان تجورا اذن مصدر التجارة بالرقيق ، وان سلطانها ، وهو تحت الحماية
الافرنسية ، سلطان تلك التجارة . فتمتجب بعد ذلك من فساد المدينة الغربية
في الشرق ونفور الشرقيين منها ؟ حدثت وكيل المعتد في عدن بالامر فقال
ان لا حق لهم من وجهة شرعية بمقاومة النخاسين لانهم غالبا من بلاد لا سيادة
لهم اي للانكليز فيها . فقلت : ومن جهة ادبية ، ومن جهة دينية ، ومن
جهة محض انسانية ؟ اذا جردنا المدنية الغربية من الادب والتأديب واحلب
الانساني فلا يبقى فيها ما يؤهلها للسيادة يوما بالشرق . واذا المعتد مثل
بنخاس من تهامة او من الحجاز او من اليمن فامر بشقه في ساحة عدن ايقظ
ان السيد الادريسي او الملك حسين يمتنع عليه ؟ واذا احتج ملوك العرب كما هو
التنصير القاري ان العالم المتحضر ينصرهم في هذا الامر على الانكليز معها
كان حتمهم الشرعي ؟ ينصرهم العالم والذي نذهب بأمرهم باعتاق الرقيق ؟ اني
انصر كل من يدمي في حق النخاسة وان تجاوز حدوده الشرعية على من
يحميها او يتقاضى عنها وان كانت حكومته مفسدة .

ان في الحجاز من يحلون ويحذون النخاسة ومنهم من بأسف انما غيروا
مسترة ويامن المراقبة الانكليزية الا اني سمعت ان الملك حسين يستنكرها
وينهى عنها وان حكومته تسعى في مقاومتها واستئصالها . فتمتعت بالبحث
لاتثبت الامرين . لا ريب ان جلالة الملك حسين يستنكر المردية وهو اعلم
الناس بما جاء في القرآن وفي الحديث بشأن الرقيق والاعتاق ولكن حكومته
والاستغناء هي يوما نائمة ويوما متناومة . وقد تأكدت انما تشارك النخاسين في
ما تفرضه ضريبة على كل رقيق يدخل جده .

حدثت انما حيزت ذات يوم منبركاً من سناريك الاثم والمار بما فيه من
جوارر وعبيد فأوثهم واحسنت معاملتهم ثم - ماذا ؟ قد اطلعت على نسخة
من تقرير الوكيل البريطاني في جده وفيه ما يلي : قبل ان الحكومة باعت

الأرقاء على حسانها . وحقبة اثنا اذنت بربهم على حسب اصحابهم ،
واكتفت بتعصيل الضريبة المفروضة اي خمسة وعشرين ريالاً على كل رقيق . .
يحيى . المتخاضون بالصيد اما بحر في السنايك واما براً من ميني . وقد اطلعت
القاري . على شي . من حال الشظاة في تلك البلدة واسمته كلام بعض النجاسين
وهم يجادون الانكليز والحكومة الادريسية ، على ان احد السادة قال لي
واثبت قوته بعض المتوطنين ان الحكومة واقفة للنجاسين بالمرداد ، بالمرداد ؟
بعد وصولي الى الحديدة حدثت حادث يدل على احد امري . اما ان الحكومة
تلقف بالمرداد وتنام ، او اثنا لا توجد الا عندما يكون اخراجاً ، فلا
ترى اذ ذلك ، يشغل ال .

اعود الى يومتي فاقول منها ما يلي :

الحديدة في ٩ يونيو ١٩٢٢ - - - في القعدة ١٣٤٠

دخل على اوكييل مأمور المدينة يقول : سبارك جوارر رسا في المدينة
والناخذه ورجاله دخلوا البلد . وقد اعدنا ايضاً انهم سائرول الى ميني
وانهم لم يرسوا في الحديدة الا لبيتوا بعض الراد .

اوكييل : قل لمدير الشرطة ان يحضر حالاً .

بعد عشرة دقائق حضر المدير .

اوكييل : هل علمت بسبارك الخواري الذي في انديا ؟

المدير : نعم .

اوكييل : وكيف تأذن بدخول الناخذه ورجاله الى المدينة ؟

المدير : معهم اذن بميني من الحكومة .

امر اوكييل مدير الشرطة ان يحضرهم له . فحضرهم بعد نصف
ساعة وكان يتقدمهم رجل ضويف اقامة شديدة الوطأة ، حاد النظر ، دخل

المسكان كأنه سيده وتقدم الى اوكيل مصافحه مصافحة الاقوان وجلس على الديوان . من الرجل ؟ هو من كبار الموظفين في الحكومة الادريسية بيدي الذي اشار اليه تاجر الرقيق هناك ، جاء الحديدية خصوصاً ليلاقي السنيوك المذكور ويوافقه محافظاً الى مقره .

بعد استطلاع الناخوذاء علمنا انه جاء من تجوزا ، وان معه اربعة وعشرين رقيقاً منهم عشرة صبيان والبقية بنات يتراوح عمرهن بين الثامنة والثالثة عشرة ، وان صاحب المال « - الصناعة - » سيقم الى ميدي . وما عدا هؤلاء اموريون ، اما اذن الحكومة فهو هو المحافظ بنفسه .

ها هنا انتهت صلاحية الوكيل الصحابية ، ولكنه طبيب وله كذلك صلاحية طبية . فسأل الناخوذاء ان يحضر الارقاء ليحصيهم قبل ان يدخلوا المدينة . فوجد ان يجي بهم بعد الظهور .

تصادف ان يكون الحديدية اليوم منقطعة عن العالم ، والسبب الوحيد في المراسلات البرقية هو بواسطة سنيوك الى جزيرة قران ، اي ست ساعات في الريح الموالي ، ومنها باللاسلكي الى عدن . صدر الامر باعداد السنيوك لتاسفر ، وروى الاصيل ودنا الغروب ولم يجر الناخوذاء بوعده على انه جاء في المساء . يمتد ، فلم يتمكن من شدة النوم والريح من ازال العبيد الى البحر ولكنه سيحضرهم صباح الغد - « والله باله » وأشار بيده الى السماء .

وكان قد كتب اوكيل الى عامل الحديدية الكتاب التالي :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . قد بلغني ان بالقرب من ميناء الحديدية اليوم سيقوم كما يحمل عدداً من الجواري والعبيد ، قيل خمسة وعشرين ، جاء بعض تجار الرقيق بهم من الشاطي . الافريقي . وهم متوجهون الى ميدي قصد التجارة . وقد سمعت ايضاً ان الحكومة

الادريسية اباحت لهم ذلك ، الامر الذي استغريته جداً ، فبجئت الفت
اليه نظر سيادتكم وأعيد ما قلته مراراً ان التجارة بالرقيق ، فضلاً عن
انها مضمومة في الكتاب الكريم بل مذهبي عنها ضماً ، وفضلاً عن ان
الدول المتشددة وفي مقدمتها بريطانيا العظمى تمنعها منعاً باتاً ، فهي تشين
الاسم الاديبي وتضر بالحكومة الادريسية اديباً وسياسياً ضرراً جسيماً .
واني في طلبي من سيادتكم ان تحلوا المسئلة محل الاعتبار والاهتمام افصح
من عقيدتي وعواظي كسلم وعن رغبة الحكومة البريطانية التي امثلها .
اما السنيوك المذكور فاعلم ان تتخذ الحكومة الطريقة السريعة الفعالة
لحجزه ومعاقبة ناغوزاه وبجريته وتجار الرقيق فيه ، ثم تمتص اولئك البنات
والصبيان من الاسر . فان في مثل هذا العمل تويد الحكومة الادريسية
اسماً شرفاً وعدلها عدلاً ، وتبعين على رغبتها وقوتها في تنفيذ احكامها
المبنية على الشرح الكريم . وفقكم ان الى ما فيه خير الخراء .

محمد فضل الدين

معتد بريطانيا السياسي

جا . الجواب ، فلم يكن مرضياً ، على ما فيه من عذر ووعد وقاسية ،
اما الجواب الحقيقي فاليسكه من يومتي :

في ٣ يوليو - ١ ذي القعدة

جا . مأمور الميثا هذا الصباح وفي وجهه غير منجع . ثم جا . مدير الشرطة
وفي وجهه ما يثبت الحجز . نعم اتولوا الجوارى والعبيد ليلاً خارج المدينة
وجاء . . . « احد متوظفي الحكومة في الحديدة » فاختار من الجوارى واحدة
واشتراها . ثم ساقوا الباقيين وهم حفاة عراة برأ الى ميدي .

سألت وسذاجة الجاهل في سؤالي : وهل اعدوا لهم الركائب للسفر ؟

فاجاب المدير : اعدوا لهم يا سيدي الشياطين .

امش - امشوا . وهم يشنون حفاة عراة من الحديد الى ميدي . مني
ميل في شمس شامة وقيلها . وانك اذا وقعت دقيقة في تلك الطريق في
نصف النهار تحترق النار نملك وتحرق رجلك .

وحاكم ايا السادة انتم اعيان الحجاز ووجوه اليمن ، انتم حياة التجارة
بالرقيق ، انتم امن النفاس الاكبر ومورد رزقه ، انتم الطالبون ، انتم الراغبون
في الاستعداد . فاذا كنتم حقا مسلمين فمودوا الى كتابكم وقرأوا عفا الله
عنكم . جاء في سورة النساء وسورة المائدة من النصيح بالاعتاق الجزئي
المتدرج ، ثم في سورة البقرة وسورة التوبة وفيها الامر بالاعتاق التام .

وهل من بأس بالاعتاق التام يوم دمام العبودية في العالم ؟

ايما رجل كانت له جاريرة قاديا فاحسن تأديبها
واعتقها وتزوجها فله اجران - حديث شريف .
ولا يقل احدكم عبدي امتي وليق فتاي
وفتاي - حديث شريف .

فهل من يدعو الى المساواة يحلل الاستعداد والنفاسة ؟ انه لمن العار ايا
السادة ان تنادوا بالحرية والاستقلال ، وتدعوا اليه والاحسان ، وتفاخروا
بالعلم وحب الانسان ، ثم تطمع بالخدمة مجانا او لفرض في النفس تستبدون
في هذا الزمان من عم مثلكم من طينة واحدة ، ولا عذر لاكم في ذلك ،
ولا ما يحلله او يحيزه لا ادباً ولا شرعاً ولا حياء . واذا اتخذتم الآية - وما
ملكتم ايديكم - حجة وسلاحاً فانكم تخرجون وتسلحون بالحرف على
المعنى ، وبالعرض على الجوهر ، وبالخال ، وقد زال ، على الحقيقة . تسلحون
بظاهر الامور وكل ما فيها من جوهر وقصد شريف هو ضدكم ، يشهد على

جعل فيكم ، او على علم افسده حب الذات .

اجل ان اكثر الذين يقتنون العبيد اليوم من الاشراف والسادة والاعيان ، فلا اظنهم يجهلون ان النبي اراد بحق العبودية تماماً بالطرق المسكنة في زمانه .
فنهى عن ظلم العبيد ، وامر بتعليمهم ، وبالاحسان اليهم . بل امر باعتاقهم
وجعل الاجر في الاعتاق اجراً بل اضعاف الاجرين .

ايها رجل اعتق امراً استنقذه الله بكل عضو منه

عضواً منه من النار - حديث شريف .

افلا ذكركم يا سيادي ، وانتم تفاخرون بانكم من السليقة النبوية
المباركة ، ما جاء في الكتاب ؟ افلا أنعمت الى الحديث الشريف ؟ افلا
اقتديتم ولو في هذه بالنبي ؟ اليكم صحيح البخاري ، اقرأوا فيه الفصل في
الاعتاق وقضه .

دخلت جارية على عائشة فقالت اشتريني واعتقيني . فقالت عائشة :
نعم . فقالت الجارية : ولكن لا يبيعوني حتى يشترطوا ولائي . فرفضت
عائشة . ولما علم النبي بذلك غضب وجاء الى عائشة يقول : اشترينا
واعتقها وديمهم يشترطون ما شاؤوا .

فهل من يقول هذا القول ويعمل هذا العمل يحل العبودية والخصاسة ؟
ان من يستعبد الناس لا يستحق الحرية . ان من يتاجر بالرفيق في هذا الزمان
لا يستحق لقب انسان . ان من يشترى الرفيق بفادي بشره ويفقد كرامته
نفسه . اجل ، وان امة لا تستنكر الخصاسة ولا تهتف عليها فتسحقها لأذل
في عين الله ممن لا يعرقون الله ، واحط في نظر العالم المسدود من يعمدون
الجارية ، ويأكلون لحم الانسان .

الفصل الرابع عشر

خطبة الى اوجدة

كتاب الى الملك حسين - والامر شورى بينهم - اصلاح ذات البين - حين نية
الافرنسي - تحييد الحدود بين الجزائر ومصر واليمن - بريطانيا العظمى -
المدخلات الأجنبية - الخطوة الاولى الى الوحدة - شعب الى وزير الخارجية -
الاتفاق مدعومة لازمة للوحدة - توحيد النظام العسكري والسياسة الخارجية -
الشروطات اللاسلكية - العهد القومي - صندوق التوفير من مال الزكاة -
الذي لم يوفق الملك حسين على التمام

وذهبت احليدنة بعد تلك الحادثة التي دونت في الفصل السابق . بل
ودعت نهاية أسفلاً لما حصان من ختام رحلتي فيها . على انه لو حدثت قبل
سفري الى جيزان ، وكانت فاتحة الاشجان ، لما اظنني كنت قرأت ما ابلغه
من عقد معاهدة بين السيد والملك . وكيف افوز ومثل هذه الحوادث ، بل
هذه المآثم التي تقترف تحت عين الحكومة ، تتبع السخط والفيظ ، وتضعف
فوق ذلك الغرم واليقين في من يسعون في سبيل الامة وعمرانها . ولا عمران
وربك مع نخاسة ، ولا رقي مع رقيت .

بيد ان لنا في من يشعرون شعورنا في البلاد العربية وروون رأينا املاً
بحق تلك التجارة الممية واستئصال شائتها . اقرب السبل الى ذلك انما هو
الغرم في الحكومة ، والوجدان في السادة والاعيان . ثم اتفاق بين الملوك
والامراء الحاكمين على المؤازرة في مقاومتها ومحققها . ولكنك سميت في اضافة
بند في هذا الموضوع الى المعاهدة لو كان لي سابق علم به . فمسي ان ما فاتني
لا يفوت غربي ممن سيقفون الاثر ويسعون في انجاح العمل ان شاء الله .

قبل سفري من الحديدة ارسلت المعاهدة الى جلالة الملك حسين مشفوعة
بالكتاب التالي :

صاحب الجلالة العظمى ايده الله

حيا الله مولاي الملك بالخير والسعادة . اما بعد قد ارسلت كتاباً
مع الصديق قسطنطين في الشهر الماضي نسى ان يكون حار موضوعه
استحسان جلالته . والان ، وقد عدت من جيزان ، اسارع الى
الكتابة بحدود المادة التي تباحثنا فيها وتم الاتفاق عليها .

ان في سيادة السيد الأديبي قلباً كبيراً ، وله نظر في الامور غائباً
ثاقباً ، وعند جلالته من الاخلاق ما لا غر عليه . من حديثه الذي
علق في ذهني : «مسئلة بينا وبين الشريف قريبة» (١)

وقد اطلق سيادته على لمخترين من معاهدة او تعهد لمعاهدة كان النظر
فيها سابقاً مع السيد السقاب . فاضفنا بعض ما جاء فيها الى المعاهدة
التي كتبناها وعرضناها على سيادته . ثم اضاف سيادته اليها ، بعد تكرار
البحث والمداولة ، المادة الخامسة وما جاء في المادة الرابعة ابتداءً
« وكل من يبحث في ثبوت الحدية ويسعى فيها بما يمكن من الاصلاح »
« من حد » « مجرد ابتداء » « والبقي » وما جاء في المادة الثالثة بخصوص
الحدود ابتداءً بـ « وبما » الى هذه المادة فصل الحدود بين الفريقين «
الى غيرها . وقد استصوبت رأي سيادته بخصوص اصلاح ذات البين
قبل المدا . وبالتص في مسئلة الحدود على هذا الشكل اي التعهد من
جلالتكم بعدم الاعتراض في لواء غير الى ان يتم بينكم « تغيير حدود
« مثلة فاصلة بين الاطراف الثلاثة » وعسى ان يكون الاربعة كذلك .
واني اعتقد ان حضرة الاعام يحوي رغبة بالضرورة ايضاً الا هم اذا اجتناب من
رب يأمن اليه . وان مفتاح هذا الباب بيد جلالته الان . اما ما
اضيف الى المادة الثالثة بخصوص الحدود فاهو الا الاساس للعمل .

بقي مسألة أخرى . كان قد اضاف سيادته بنداً بخصوص بريطانيا العظمى وحاجة امراء العرب الى موالاتها وصدقاتها . فبحثت وسيادته في الموضوع وصرحت برأيي الذي يختلف مبدئياً عن رأيه ، وقد ضمن في المادة الاولى من المعاهدة في قولنا « وتصلح به احوال البلاد من غير مداخل اجنبية تحل باستقلال البلاد العربية » وقد اقتنع سيادته بقولي ان ينبغي ان يكون الولاء والاعتماد من الامور المعروفة واشتق منها بيننا ، لا من الامور المسجلة في المعاهدات الرسمية . فتنازل عن ثبات المادة ، التي مقدم المعاهدة : لتسكن بوضعها كتاب من سيادة الامام واخر من السيد السنوسي . فمضى ان تنال استحسانكم وتوقعكم قريباً وتعيدوها مع الوفد الى جيزان . لست ارى يا مولاي غير هذه الطريقة الى تحقيق امالنا في الوحدة العربية . لان الحقيقة الثابتة التي لا يارى فيها من كان عارفاً باحوال الجزيرة هي ان امراءنا اليوم ، وان كانوا يتبعون الى الاتفاق ، لا يزالون متنافرين متشاكين . وقبل كذلك متعاضدين . فينبغي ان ان تكون الخطوة الاولى خطوة سلام وولاء بين الاقربان والاكتفاء ببقية ان شاء الله خطوات فيها ما نشده من وحدة سياسية قومية عربية . واني لأسمى طائفتي في هذا السبيل . ولكن لا نجاح لعل لا يشارك فيه ذو الامر ذوي الاواء . فالامر الان جلاتتكم . ولا اشك انكم ستسمعون ، وسيكفل سعيكم بالنجاح . في اصلاح ذات البين بين السيد الادريسي والامام يحيى ، كما انه سيسعى هو في اصلاح بينكم وبين ابن سعود . وفقنا الله الى عهد محالقة ربانية في الجزيرة قريباً . ايدهم الله في المساعي الوطنية الشريفة .

الخصام جلاتتكم

وصحبتني صاحب الأقال وزيد الخارجية صديقي الشيخ فؤاد
الخطيب ما يلي :

عريزي الشيخ فؤاد :

السلام عليك ، سي ان تسكور ، بخير ، وان يكون واصلك كتابي
السابق الذي أرسلته مع العزيز قسطنطين . وها انذا اكتب اليك الان
بخصوص معاهدة اخرى تبناها والسيد الأديبي فيها وتم الاتفاق عليها .
وقد أرسلتها الى جلالة الملك حسين ، صعوبة بكلفة صريحة بشفع بها
عني واختلصي . لا بد من الصراحة في الأمر . ان الاتفاق بين امراء
العرب مقدمة لازمة للوحدة السياسية . والاتفاق لا يكون الا اذا تنازل
كل امير عن بعض شباته . ثم في الحجاز تغون اوحدة العربية ونحن
نضيقها والامراء الذين حدثتهم بغيرتها . ولكنهم حراس على استقلالهم ،
وهم يحشون نفوذاً يفتشونه سرى اليكم وتمكن منكم . قد اذات
هذا الظن من صدورهم ودافعت في مواقف عديدة عن جلالة الملك .
ان ان قسطنطين اخبرك بذلك ، وبنا اصلته من سوء الظن في القضية
الاميركية بعض .

بقي ان اقول هذه الكلمة . لا تعالوا الان بتوحيد العلم ، وتوحيد
النظام العسكري ، وتوحيد السياسة الخارجية . لا . ولا بالاعتراف بان
جلالة مولانا الحسين هو ملك العرب ، لان ذلك مبسر . وقد جهدنا
هو الزم في البداية . ان الوحدات هذه دوجات في سلم الرقي القومي
السياسي ، ولا بد ان تصالوا اليها ونصدها . الحكم يا شيخ فؤاد لا
يصكره صاحبه . عليك اذن وعلى الأمير زيد ان تقرأ النظر في المسئلة
وتبدلا الجهد في اقناع جلالة الملك حسين اذا كان لم يقتنع بما كتبت اليه .
قد يكون عقد هاتين المعاهدتين امراً بسيطاً ، ولكنه مهم اذا

اعتبرته مقدمة لحظير الاحمال . ومن الرزم الاشياء التي ينبغي ان تصعب
 هذه المعاهدات التلغرافات اللاسلكية . فقد تباهت والسيد الادريسي
 خصوصاً بذلك ، وهم مستعدون ان يقرموا بنفقات آلة تركيب في جيزان
 او في صيدا . اني افضل صيدا . وسنحتون ملياً في الامر عندما تؤمرون
 جيزان ، والمعاهدة بيدكم وقد وقعها جلالة الملك حسين . اما انككتروا
 فهي على ما علمت راضية بنثل هذه المعاهدات ، واثمة فيها . واما ما قد
 يشعها من عيوب فبديهية فذلك من شأن مرء العرب لا من شأنها . فتي
 تمت وسائل المواصلة بوجود مثيلين للاامين في مكة ووجود التلغراف
 اللاسلكي بينكم كلكم تتفقون ان شاء الله الى تقرير امور اخرى
 مهمة في التوحيد السياسي العربي .

وعندي ان من اهم المواد في هذه المعاهدات المادة التي تختص
 باذخار قيمات معاومة من المال كل سنة لتصرف في المستقبل في الانشآت
 العمومية المشتركة اسبابها ومنافعها . في هذه المادة اذا عمل بها بداءة
 الاستقلال الاقتصادي الذي بدونه لا يتم استقلال مياسي في هذا
 الزمان . راني رسول هذه الفكرة ابشها في ديوان كل امير وكل سلطان
 عربي . صندوق توفير من مال الزكاة ، هوذا استقلال العرب ومنافعه
 اذا كانوا يفتقون . صندوق مشترك يصرف منه بعد عشر سنين مثلاً في
 مدسكة حديد بين الحجاز وعسير واليمن . واذا احتاج حكام البلاد
 الى اخصائين من الاجانب يستأجرونهم ويدفعون احوالهم من اموال
 عربية ، ويشتركون ما يحتاجون من مواد وادوات باموال عربية . فلو
 كانت المعاهدة بين الملك والامام وبين السيد والملك محصورة في هذه
 المادة ومادة الدفاع والناصره فقط لكنتي بها الان خيراً وتفعماً للجميع ،
 وقمرها اذن . وفقكم الله واحال بركاته . صدقكم المخلص

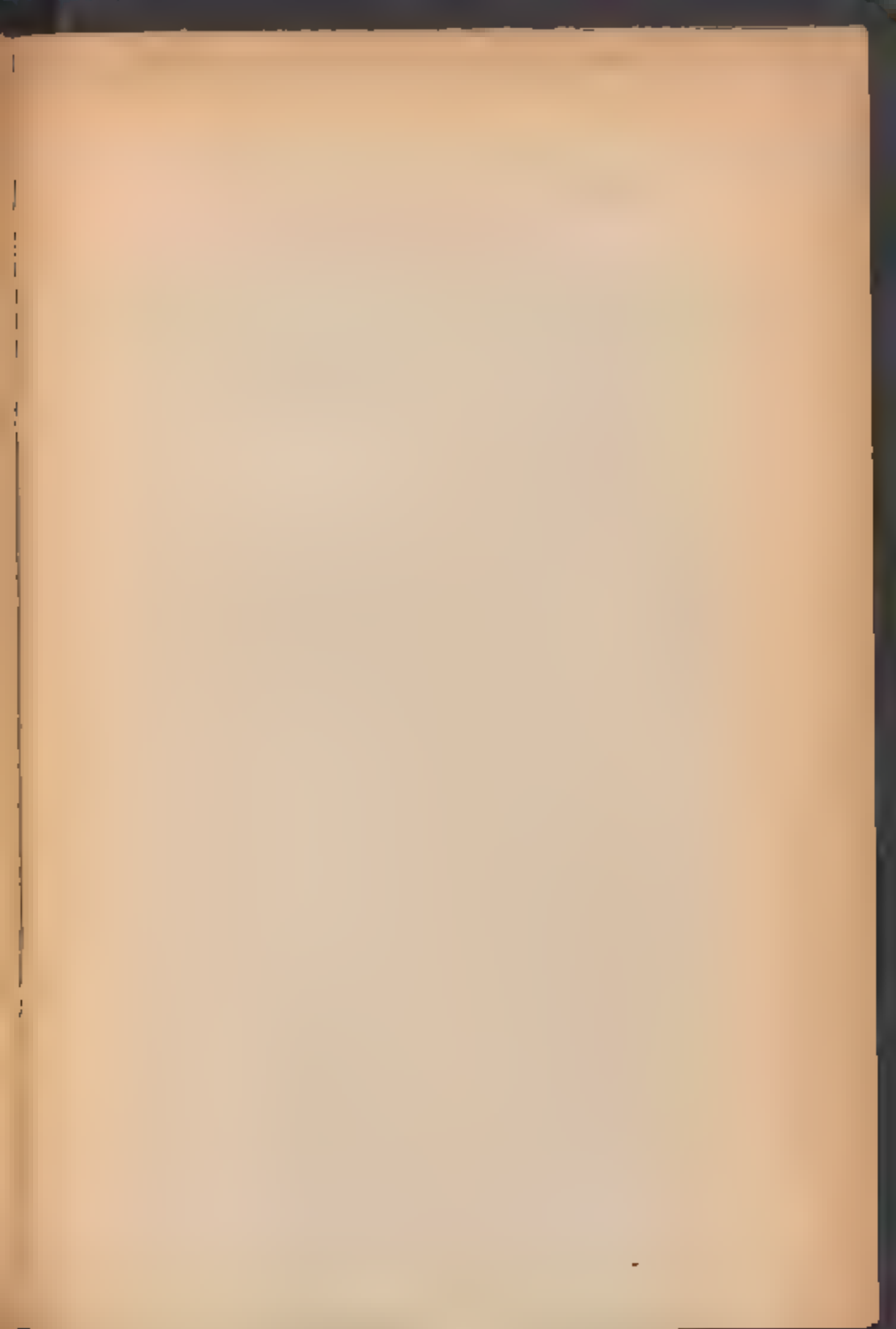
ها هنا تنتهي مهدي السياسة في اليمن وعسير .

ورغبت في خدمة الامام بتقريب قضيتهم من فهم الانكليز ومصلحتهم ،
وبتقريب الانكليز من عقلية الامام ، وبتمهيد السبيل الى الصلح بينه وبين
الادريسي ، فاقترحت ان يعقد مؤتمر يقابل هو وخصومه فيه الازاء ويتعارفون
ويتفقون ، فالى حضرة لاسباب ادوكها ولا سبيل الى تداركها ان الامام
طامع بالاستيلاء على اليمن كله ، وهو طامع كذلك ، على ما اظن ، باللقب
الذي لا يعترف به الملك حسين .

ورغبت في خدمة الملك حسين بقصد معاهدتين تربطان الحجاز واليمن
وعسير في البدانة ونحو يخطط من حربه ، لاعتقادي ان جلالة يثل فكرة عربية
قومية شريفة . فلم يوقع واحدة منهما ولا اظنه استحسنها لاسباب ادوكها
ولا سبيل الى تداركها . لم يعترف الامام بحجي ولا السيد الادريسي بان
جلالة الملك حسين هو ملك العرب^(١) . ولكنهم مداه اليه يد الولاء والموازة
فرفضها . من هو حجر انقرة اذن في سبيل النهضة العربية ؟

الشمس الضم الثالث

(١) كان مبدأ هذا الفاشل في الحياة هو مبدأ ذاك البطل في رواية اسحق : كل
شيء او لا شيء . وقد سمكت خايته بعد ثلاث سنين مثل خاية البطل في الرواية :
لا شيء - الا الفم له ولا له ولكل مريديه . اقر متبعين - واطن ان كل من له
شيء من العلم في الحوادث العربية بعد الحرب سمارسكني هذا اليقين - انه لو وقع
الحسين واثين المعاهدتين لما كتب تلك التكتبة في خريف سنة ١٩٢٤ . راجع تاريخ
نجد الحديث : صفحات ٣٠٩ - ٣١٧ .





صو المطان عبد الكريم فضل

سلطان حلب

الضم الرابع

الحج

والنواحي القسح المحمية

خبر

والتواحي التسع المحمية

سنة ١٣٩٠ هـ

هرودها : جنوبي ساحل البحر العربي من باب المندب الى بغداد والقرب
من الثقا ، حديق الثمن والاربعين من العقول الشرقي والرابع
شر من العرض الثاني . شرقاً حضرموت . غرباً البحر
الاحمر . شمالاً البلاد التي يحكمها الامام يحيى . وقد قلقت
جيوشه بعض الحدود القديمة بينه وبين اصحاب الحماية .

مضايرها : نحو الدين وخمسنة ميل مربع .

سكانها : نحو ثمانية الف نفس .

اهم قبائلها : القبايلة واليوافق وآل فضل والمواثق والحواشب والشيخية .

اهم بلادها : شقرة والحوطه وبلخاف على البحر العربي وطيم وآيين
وانصاب ومسيب ومجان

مذاقها : السنة ، شوافع وحنفيون . الشيعة ، جعفريون واما حليلون
وزيديون . وفي عدن اليمود والمهندوس والنصارى . وفي
البحر داخل البلاد من لا يذنون على الحادات الجاهلية لا
يعرفون الاسلام .

الفصل الاول

الثالث المادي في لندن

للمبدأ المادي في السياسة الانكليزية - توجهات المرونة في البلاد العربية - رتبة
تحت رتبة 'لندن وريكة' لا تضر - لاسمها ولشاهرات والتدخلات - 'لندن'
تتبع الاستقلال 'لندن' وتحت 'لندن' تلك المال تتخذ على استقلالات -
التماثل ومبدأ الترحيل - مجلة افريقية دور من سنة ١٩٠٩ - لندن معها
الاعمال السيولاروك - لندن اليوم - شعوب والديان - التواهي اي التمر
الافري - الثالث المادي - الورق والنفوس والنبات - الاستثمار والاستثمار -
الاورشليم المدا - بمظهر ليدن - الدماء عن عدن - المبدأ التجاري في الدماء -
المال انظر من الرجال - من هو الكاسب عن يدك امشاهرات ا. من يتبعها

قال المستر لويد جروج مرة ان المبدأ المرن في السياسة هو اصلع المبادئ،
حل المشاكل الخارجية والاستراتيجية ، لا تكن قاسياً فتكسر ، ولا تكن
نظلم الانكليزية اذا ظننا ان هذا المبدأ هو دائماً مبدؤهم في البلدان التي يحكمونها
خارج الحواجز البريطانية . في البلاد العربية فلاربيب ان المرونة هي غالباً
روح سياستهم قوياً وعملاً . وقد يتخذونها في الازمات اطلاق مدفع او في
الاقبل متاوردة بحرية ، فتعود السياسة بعدد قدر الى مجاريها المتتوية المائعة .

ان من ينعم النظر في بلاد العرب واحوالها اخفريقية والحياسية
والدينية ، وفي ثنث ا. ودها واختلاف ترعاتها ، يرى بعض الحكمة في خطة
سياسية تمتد الى حقل مكان دون ان تنقطع او يمتد شي ، من الضعف .
مدها ، مطها ، من لندن فتصل الى صنعاء رقيقة لطيفة . مطها من الكويت
فتصل الى ما وراء الهنداء ، ومن شرقي الاردن فتصل الى الحواف فتداعب
اطرافها الوهابية وتتناق بالامل ابن سود . مطها من الحديدة فتتخذ في صياها ،
ومن جدد فتلتري وتندق ولا تنقطع حتى في ظلال الكعبة . ولكل مطه
خطة ، ولكل يدقظ اسلوب خاص بصاحبها في الاين ريفات لكل الرؤوس ،

والسوائل تدخل في كل الكوؤوس .

ان اجلي ما هنالك من مظاهر المبدأ المرن هو ما يصنع في دار الاءاء
بمعدن من الرقائق الياضية . هذه رقيقة قسرة ، وهذه رقيقة تخنق ، وتلك تؤلم
ولا تضر ، وبينها حكاها درجات في الضغط والارخاء ، في الربط والحر ،
توجيه احوال اليمن الاسفل والمصادر القاضية تلك الالحاء . وكيف لا وفي
سلاطينها من لا يلدس غير القوطة ، يستر بها عورته ، ومن هو في بسره وفرش
بيته واخلاقه وتهذيبه من ارقى امراء العرب . اجل ، ان بين الاثنين درجات
في الوحشية والتمدن لا يمكن الخاكمة الذي لا يسه من الامر غير احكام
والمدلعة ان يشملوا كلها بنفوذ ، ويقيدها بحكمه ، الا اذا عمل بمقعدة
نوبد جورج السياسية

وهذه القعدة مظاهر شتى ، اولها المعاهدات الولائية ، في المشاهرات
المالية ، ومدافع الترحيب والتوديع من يحيى ، الى حدث من السلاطين او سافر
منها ، ثم الالقاب والنياشين ، ثم التحزب لبيت طامع بالملك على بيت مائت
او عكس ذلك ، فالتدخل في السياسة المحلية عند الانتخاب وحين حد
الحكام . واخيراً ، بل يصح ان يكون الاخير اولاً ، المحافظة على استقلال
كل سلطان وامير ، عملاً وعبته وبعدها بريطانى العظمى . نعم ، ما من
امير او سلطان او شيخ قبيلة الا ينبغي الاستقلال التام ، ولا بأس اذا قيد
بمشاهرات وبهدية شكل عام . هذه لعمرى بلية العرب الكبرى التي توافق
مصاحبة الانكليز الكبرى . وكأني بهم يقولون الاديء العربي : انت تبغي
الاستقلال ، انت مستقل . نحن نعرف بذلك وندفع لك المال لتتألف على
استقلالك . نحن لا نبغي الا ما تنفيه وهذا عهد الولاء والحماية . ولكن في
هذا العهد اريقة التي تخنق ، فيه السند المشهور : لا يحق للسلطان او الامير
ان يتعاهد واحد زملائه او ان يبيع او يؤجر او يهب شيئاً من بلاده الى احد

امراء العرب او الاجانب او يمنى ، متيازاً دون ان يستجو ويستأذن الحاكم في عدن .

هي سياسة التفريق ولا شك^(١) وسياسة الاستيلاء والاستئثار كذلك . فدانيسكليز وهم سادة عدن ونحو حواها ، لا ينفون نفوذهم من الاوربيين هناك ، وامراء العرب يماهدونهم على ذلك ، فـ « مشاعرات يقبضونها ذهباً وقضة وحماية عند الزوم » ، لدى السطة من جند وسلاح ، كلمة الانكليزي وعنده : سناً عدك يا حضرة الامير ، تعقد ستفلاتك فندفع عنك صكك صائل من الداحش وعن الخارج .

١٠) الحمية فامرعا عجيب وفيها عاباً تنعكس الآية ، ويحمي العرب الانكليز ، والانسكليز العرب . فذلك هم يستمعون في الاقل المشاهرات . ومنهم « احد قافنا المخلصون المحبرين » الذين حاربوا من عطف الكفرا واميراطور الهند لقباً^(٢) او رتبة ونيشاناً فتطلق لهم المدافع ترحيباً وتوديعاً في عدن .

هذه خطة الانكليز في عدن والنواحي القمع الحمية ، وهي تختلف عن خطتهم في سعي مثلاً بعض الاختلاف ولا تلتزم اساساً بخطتهم في العراق .

(١) كانت سلطة حاكم عدن الاول القائد م. س. Capt. Haines مبنية على القاعدة : قرق تسد . دون الحكومة او باخري ادارة شركة الهند برزاند ، تشأ ان تده بما يحتاج من الجنود لحماية عدن فاذا قامت على الانكليز احدى القبائل كان الحاكم يثير قبيلة اخرى عليها . « عرض القبيلة الوايلة على لقبيلة المادية فلا تضطر الى جنود بريطانيا » .

٢) والله وان كان عدد الدماء تاريزم . مثل هذه السياسة تقيد الانكليز في عدن لاجل ائوح الثقة بين القبائل . « مماها كتيبه ادارة شركة الهند الى الحاكم حينئذ الكرنل جاكوب في كتابه : ملوك ثمرج منجعة » .

(٢) النياشين الانكليزية التي تمنح الانكليز والاحانب في الشرق الادنى والاطوسط منحهم برينين E. C. I. اي Knight Companion of the Indian Empire

و R. C. S. I اي Knight Companion of the Star of India

وربى هذين الطرفين في القاعدة المونة ، بين عدن وبغداد ، مظاهر اخرى في المرونة سزاها في الكويت وفي البحرين .

حكّانت عدن منذ خمس وثلاثين سنة من املاك الدولة العثمانية امّا وفي حوزة سلطان حج فعلاً ، وكانت قبل ذلك في قبيل تأسست سلطنة الحج في حكم ملك اليمن او ادوم صعد ، تفاخر الملك بعدها والاه كل البحرية بتجارتهما . فقد جمها في سنة ١٨٠٠ م حنة عربية تجارية بنى التجارة باليمن ، بصحبها رجل اسمه لاروك ، صائب كتماناً صغيراً ، صنف فيه تلك الرحلة ، فمرقنا هذا الاجني بمنى عربية في ذلك الزمان ، وبجاركها الكرم الاخلاق الذي ارسل عنده يصر مواصب لاجانب رجالاً من قبله يستقبلونهم ويرحبون بهم ، وخدامين يحملون الزاد والحلوى والمطبات

اقام الافرنجيون في عدن بضعة اسابيع شاهدوا فيها ما لا يشاهد السائح اليوم . قد حكّانت في تلك الايام عدن العرب والتوحيد ، بل عدن الشرق الصميم ، الرقيق الجانب ، الكرم الخلق ، الغري الشان ، وفضل لكاتب تلك البضعة المسبولا لاروك في وصف المدينة وصفاً ثمت جده صورة سفرها على الجاس رسم هولندي في ذلك الزمان . رأيت الصورة وقرأت الكتاب ، فقلت : اين ارميا ينثر الامطار في ندي الديار ؟ اين سوروك الذي كان يطوق الجزيرة باعدن ؟ واين قصورك تفوق قصور ابن ذي جدن ؟ واين حماماتك الجميلة المرصوفة بانواع الرخام ، المزودة ببقية من عهد الاصنام ؟ واين مساجدك ذات القباب البيضاء والرقاء ، والمآذن الدقيقة البناء ؟ واين آثار ادبائك وشعرائك ، ومن سكان ينشي سامد الرأس تحت واثك ؟ بل اين تلك اللغة اليوم من رطانات وطعنهانيات سرت من الشرق ومن الغرب اليها ؟ بل اين تلك الروح روح قحطان ، وتلك المسكارم مسكارم مدائن ، وذلك المظهر

الشريف النقي مظهر الوحدة القومية ، وريته نهضة الأمة والفروسة

قلت ان عدن تلك الايام كانت عدن العرب والتوحيد ، ولا اريد بالتوحيد الدين فقط بل اللغة أيضاً والحس . اما الوحدة الخفية فكان قد تحملها شي . من خليط المنود الذي هاجروا الى هذه الزاوية من الازد العربية قبل ان احتلها الانكليز . كان البنيان^(١) في عدن يوم جاءت البعثة الافرنسية ، والمسيو لاروك يذكرهم في كتابه ويقول انه يهود المدينة اي التجار والصيارفة بها . وكان العربي الذي في الزمدي يكرههم وينفخ فيهم الاخذان ، ويحسن اليهم كل الاحسان ، وهو لا يدري ان انباءه في المستقبل سيكونون من خدامهم وخدام من جاءوا كذلك من المغرب .

اما عدن اليوم فمدينة الشرك هي لا مدينة التوحيد . مدينة عمومية لا اوربية ولا شرقية ولا عربية . مدينة التجارة والفحم والمضارب العسكرية . هي من الوجهة الجيوبية جبل طارق الشرق ، ومن الوجهة التجارية مركز استيراد وتوزيع ميه في البحر العربي ، ومن الوجهة البحرية العمومية هي مستودع فحم ابواخر العالم التي تجري بين الشرق والغرب ، وهي فوق ذلك وقبل كل ذلك للمستودع الثالث للبواخر الانكليزية في الطريق بين الجزائر البريطانية والهند . اما المستودعان الاول والثاني ففي جبل طارق والديوس .

ان المدينة تقسم قسمين عدن الفحم والحصون والسياسة وتدعى التواهي ، وعدن التجارة والمربقات وتدعى كك اي المسكر . في الاولى وهي على الشاطيء دار الاعتماد والقنصليات وبيوت الضباط والمتوظفين والاقوال ، وبعض المخازن التي قباع فيها بضائع الشرق والغرب الرديئة باسعار غالية . وفي الثانية وهي وراء الجبل على مسافة خمسة اميال ، في فيه الهركان ، او ما كان يركن في قديم الزمان ، وفيها اوبعون الفأ من السكان من كل شعوب

(١) بيا في لغتهم صاحب حانوت وبنيان بينيرو الهند كثير الاحقاد والافتاد .

الأرض والأديان - فيها المسلم الذي يعطي إلى الله ، والفارسي الذي يعطي إلى الشمس ، والنسبا الذي يعطي إلى الأوثان ، والمسيحي مكرم الصور والصلبان ، والاصمعي صاحب صاحب الزمان ، واليهودي مسبح الذهب الزمان . وفيها من يفسلون ويكفون امواتهم ومن يحرقونهم ومن يحملونهم إلى برج السكينة لتأكلهم النور والمقبات

كل هذا لا يجرؤ ولا يتنافرون ويرجون ولا يقاتلون . اما يوشم فواحدة لا تعرف أغربية هي ام عربية ام اوربية ، واما ادبهم فهي كالأشجار والأدغال في غاب ورمح في ظلالها لا يتقون ولا يتطورون . الزامرون والزهرات والشائكون والشائكات . قلت ان يوم زاد المسبو لا روك عددا لم يكن فيها غير الاسلام وحقة من اليهود والبيان . اما اليوم ففيها من المذاهب الدينية مئة مذهب ومذهب تدين كما في فم البركان ، سلام وامن . وليس فيها غير واحد من المذاهب السياسية ، اصوله الثيرة ، ويفرزه الدينار والقوة ، هو مذهب الاحتلال . والتاجر ، وطنياً كمن او اجنبياً ، هو دائماً مع الحكومة . او باطري لا يهبه من الحكومة غير الامن والنظام . ومما قيل في حكومة عدن الانكليزية قال امن والنظام ركان فيها ثابتان .

ندعى عدن الثانية المعسكر لان فيها الشككات وقبلاً من جيش الاحتلال . وهي في حلقة من الجبال السحاب يكتل قنتها حصون قنينة مهيورة لان الانكليزي يستنون عنها اليوم بالراكب البحرية . اما اشهر ما فيها من الآثار ما تبقى من ظل مجدها الغابر فهي اسداد الماء ^(١) تلك الاسداد المنيعة

(١) تاريخ هذه الاسداد مجهول . ان المؤرخين من يقول انها بنيت في القرن الخامس للمسيح ومنهم من يعود بها الى الف وخمسة مئة قبل المسيح . ونسباً لا يخلص في امرها انها كانت سردومة عند الاحتلال الانكليزي فحفرت ودرست سنة ١٨٥٩ وانها تسع غائبين مليون جالون من الماء .

في مضيق متحدو دين جبلين ، بناءً متيناً محكماً ، مخفوراً بعضها في الصخور ،
سد فوق سد ، يصب اواحد مياهه حين يتلى . في السد ثغره ، حتى تنفضي بعد
امتلاء عدة امداد الى الخزان الآخر القائم عند سفح جبلين . ولكن هذه
الاسداد وهي من اجل الاعمال الهندسية في العالم ، لا تقتل . من الامطار الا
او مرتين في كل بضع سنين .

وفي التواهي اي عدن السياسة دائرة اشغال هي اهم من كل ما ذكر
هناك . بين تلك الرؤى المكثلة بالحصون الحديثة ، المتصلة بعضها ببعض بواسطة
الاتفاق ، رابية لا علاقة لها مباشرة ، لحروب او بالسياسة . رابية عامرة نبوة
منبذة ، بيوتها كلها حديثة بناءً ومهندسة ، ومهنة سكانها اعم من المهن الرسمية
كلها . هي قرية قائمة بذاتها فيها المطاعم والحانة والنادي واسباب اللهو والرياضة
والراحة جميعها . واليه ومنها تمتد الاسلاك ، اسلاك البحر الحديث ، سحر
العلم والمعل . من الشرق وجنود الشرق الكبيرة ، من استراليا والفلبين ،
من افريقيا واوروبا ، من قارات الارض تجري امواج البحر في اسلاك العلم
والعمل . فتتجههم وتطنن في اعماق البحار ، وتبرق تحت لك . على صدر الينس ،
ونورها سكام في السلك ، والسلك في القماش ، والقماش في القار ، والقار في
الحديد . هي انباء العالم . انباء التجارة والسياسة والاجتماع ، يحملها البرق
تحت الامواج فتصل الى عدن ، تلك الرتبة المهمة فيها ، الى مركز البرق
هناك . ثم تتوزع منه كما تتسوج اليه امواجاً . فتربط الامم الشرقية والغربية ،
وتنضي على المسافات في المعاملات والمراسلات ، تحصرها في سلك نصف يتد
من تلك الرابية شرقاً وجنوباً ، والنصف الاخر غرباً وشمالاً . وهذا السلك
هو حياة الاتصال بين الشرق والغرب ، بل هو حياة التجارة واحد اركان
الدنية والعمران .

لا شك ان في العالم دوائر برق اكبر من تلك التي في عدن . ويمكن

ليس في العالم على ما افطن الله منها . اقصى ذلك الدنس . اوقف العمل على
تدث رابية . اسكت المنة التي تسند ليل نهار هناك ، فتعود البحار الى
علمها القديم واسباده في المسافت ، وتبي قارات العالم القديم كلها ، آسيا
واروپا وأفريقيا والاراليا ، وكل منها في مرة احرز او الجبال ، لا صلة
بينه مع تلك التي يحكمه اوصول او البحار .

احل ان شركة الصحراف في عدن لاهدى ابدي المدنية والممران .
وهناك في تلك الاهرام والركام . على شاطئ البحر به سودا . واسكنها في
الممران بيضا . هي يد الفصح والبخار . وفوقها وفوق المدينة نور وهاج بينو
الميناء . بلا وبديع حركة الوجود والمراكب زواره الملونة . هوذا ثوب عدن
الماضي . موش البرق على هذه رابية . وهرش الدور على جارتها . وعرش
البحار على الشاطئ . فوق ركام القمم العالية . ان فيها كلها حياة يسكب
الغروب اسبها ولا يودعها بالما الشرفون . وكيف يذرونها وهي في
رلاوتها تحوي التجارة والبحارة . اطلقا يورثت القارة . اارة عدن ،
قتصدهم وتفرق المراكب في البحر . ثقيل ابواب شرفات المجمع فتفت
وتسند حركة البواخر بين الشرق والغرب ، وتنفطع اذ ذلك آخر صلة حديثة
بين القارات كلها .

هنا اذن في اسلاك العنق وفي اسباب الخدر همة هذه الزاوية الجنوبية
من البلاد العربية . ومعلوم ان اساس الاثنين العلم والاعتقاد . وسياج الاثنين
الامن والنظام . يستطيع سلطان خليج او امام صنعاء ان يوجد الامن والنظام
ويؤيدها في عدن ؟ او يستطيع اذا فوض اليه امرهما ان يحافظ عليهما ؟ لا
ظن ان احدا من ابناء العرب بها صفت وطنية وكبرت همته بحجب اليوم
بالايجاب . او يستطيع العالم اليوم شرقا وغربا ان يستغني عن البرق والبخار ؟
الظن ان رجلا عاقلا يحبس بالاجاب . وهل يريد الشرق ان يستقل بكل

الاستقلال فيقطع الصلات كلها بينه وبين العرب ؟ لا اظن ان احداً من الشرقيين ، هما غالي بالوطنية يجب بالاحباب .

لا بد اذن من البرق والثور والبخار في عدن . ومن يدر تدبيرها وتحافظ عليها وتحبها . واليد اليوم انكليزية . وقد تكون غداً يابانية او عربية . لكن الغد قد . يهبط اليوم ويهبط العالم اجمع ان تبقى هذه المحطة الكبيرة ، هذه الصلة المهمة ، في كنف الامن والنظام . ولو كان في ذمة من البقن ان الامم يحجب باستطاع ان يقوم مقام الانكليز لما فضلت احداً وطنياً كان او اجنبياً عليه . اني آسف ان الروح العربية تقلصت في عدن وافضحت وانه لم يجرني ويجزئك ايها القاري العربي الغري ، وقد اشرقتنا على شيء من مجد غارها ، ان نراها في يد الاجانب . ولكننا في زمان سيده المال ، وحاكمه الاقتصاد ، ومديره الاول العلم . وليس عندما من الثلاثة ما يؤهلنا اليوم وخيفة صموده في معدل هذا الزمان الاكبر .

لنعدل حتى في القضاة . لنقل الحق ولو كان علينا ان عدنا محقة في طريق العالم ، وان للعالم كله مصلحة فيها . مه استأثر الانكليز اذن فهم ولا ريب مقيسون بعض الواجب عليهم . وان العرب أنفسهم ليتفقون بحكم فيه الامن والنظام . على اننا نبغي من الانكليز اكثر ما يشاهده السائح في اليوم الاول من اقامته في عدن . تبقي منهم العدل الذي اشتهروا به وتبريزه في بلادهم . تبقي منهم الانصاف الذي هو من نزاياء الشعب السكوتي . تبني منهم الاهتمام لما فيه تمسك البلد وصحة اهله في اجسامهم وعقولهم - المحافظة على شيء من الروح العربية - مدارس تعلم الناشئة لغتهم واداب بلادهم - ماء يصلح للشرب ^(١) . مضى على الانكليز في عدن خمس وثلاثون

(١) المرافق في عدن لا تزال من الطراز القديم . والماء وهو مالح يجر من بحر في شيخ عثان ويوزع بمراجل تجرها الجمال . والطرق وهي دافئة في حاجة الى اصلاح

حسنة وهم لا يزالون يستخدمون الأسمان والقربة لرش الأسواق .

قلت الانصاف ، وهالك مثلاً واحداً من آفاته . في عدن صياغة ونجار عديدون يتاجرون بالأوراق المالية والنقود ولكن ليس فيها غير مصرف واحد هو فرع من فروع مصرف الهند - الانكليزي - المشهور . وهذا المصرف لانه اوحيد يستبد بالتجار استبداداً يبرقل التجارة ويضعف اسبابها . قد شكوا كثيرين منهم الامر الى الفناصل على مصرفاً اميركياً او افرنسياً او ايطالياً بفتح له فرعاً هناك بواسطةهم فيخفف المناظرة استبداد مصرف الهند واستشاره . ولكن دون ذلك صروبات ظاهرة وخفية ، وحكومة عدن ولا ريب يد فيها

اني لا ارى عذراً لمثل هذا الاستقثار الذي يعد صفارة في الاستعمار . بيد ان من العدل ألا افرد الانكليز بالذنب واخصهم دون سواهم بالتغريب . فالفرنسيون في جيبوتي مثلاً والابطاليون في مصوع هم من هذا القبيل مثل الانكليز في عدن . قد لا نجد تجراً واحداً انكليزياً او ايطالياً في جيبوتي فكيف مصرف هو افرنسي ؟ وقد لا نجد ، هذا افرنسياً او انكليزياً في مصوع فكيف مصرف هو ايطالي ؟ ان هذه الروح الأوروبية الضعيفة في التجارة والاعتماد ، وان شئت فقل روح الاستقثار والاحتكار ، لمن اول اسباب الاضطراب الأوروبي في الشرق . فإذا كنت لا تطبق اخاك الأوروبي مراحماً ، اذا كنت تدين عليه بفروضة بفتحها فليستمرها مثلك في بلاد غريبة ، فكيف تطبق ابعاني او تحسن به الظن في الاقل ؟ وبأي حق والحال هذه تطالب ماء الثقة والاحترام ؟ اني مخلص لك ايها الاخ الأوروبي في ما اقول . قد يطبعك الشرقي ويجدك ، وبسكونك الجانوس على اخيه ، ولكنه في قلبه يكرهك ويحتقرك . وليس هو وحده المسؤول الماوم ، عد الى نفسك والافارقة لا تزال على الطريقة القديمة . فما عدد الحكومة في ذلك كله فقة المال .

مؤيد جاكوب في كتابه « ملوك العرب » صفحة ٢٦٣

ايها الاخ الاوروبي وفكر في ما اقول . اني ابغى لك ولايت الشرق غير في
بلادهم مشتركة ، متبادلاً ، متساوياً .

سكن روحك ايها المستعمر لا تفسد المنصفين من الامم .
اهمك تقول : سناهم ، ثم تدفعهم وعمرهم وليس لهم الحق ان يتبع
صوابها التفاهة . هذه هي روح المستعمر الاوروبي في عدن وفي غيرها
وفي مصوع ، وقل ان شئت في الهند وفي الجزائر وفي دارابلس الغرب . وهي
الروح التي تفسد في الشرق اهم مظاهر الحكم العربي التي الادارة والنظام
وحدا الحكمة في اجازهم تفسدهم ، وحدا العدالة في استقلالهم تحلهم من
عواقبه الوخيمة . لمست ثمن يفتخرون بميولهم ويظفرون قوماً من العرب
وجوهم ويكرهون . وسكني الخبيث واقه على الاوروبيين من يدهم ما فيه
البلاء فيهم في الشرق . الشرق العقل والشرق الجوع ، الشرق المنصب
والشرق الله . هل - بهنس بهظة واحدة على المدينة الاوربية .
بحدودها ، لانه لا يرى فيها غير سبيلنا . في الشرق والشمال ، والاعمال
والثروات . ودي اذا قبل ان نأزب تلك الحالة ان يعدل الاوربيون
الشرقي . فيثقاه الاثنان ويألفان ، ويألفان او حدرا اخر ومنه .

قلت ان الامن والنظام في عدن ركبتان . ولا شئت ان الارباب
قد بذلوا في سبيلهما شيئاً من القوة بسياً . وروايتك من الرئاسة والله .
ثم تطعجات من مال ورجال ليس في الامم الاوربية تصور منهم ايها
واسبق منهم اليها . بيد ان اختلافهم عدل واستبانة على التواصي المحورة
لها لا يخلوون من الحيف والاحقاد والحداد . لا ينكر ان الامن والنظام
من الامور الجوهرية الاساسية ولا تقتصر اهميتها على الانكليز وحدهم بل
على العالم اجمع . ولكن الاحاب ذ اكتشفت تشين ، والسبل اذا ادركت
تستجير كوامن الوجد والفتن . من مشهور عن الانكليز انهم في سبيل

مقاصدكم كرماء ، ولكنكم أيضاً حكياء . اذا بذلوا المال يمدون ما توفر عليهم من الرجال . واذا ذهبوا المشاهرات يتفاوضون بدلها الادوات .

قد عموا عند احتلالهم عدن بانه يجب لحايشها جيش كبير يقيم فيها . ولكن ادارة شركة الهند يمتد فضت تلك الحطة التي تقدم الكلام عليها . ثم عندما استلمت الحكومة البريطانية زمام الامور في الهند ، واستخدمت بعض القوة في تزييد مركزها في عدن ، رأت انها تحتاج الى قوات بحرية وبحرية تقيم فيها دائماً . وقد تعجز مع ذلك عن الحاية اذا لم يكن لعدن منطقة كالدرع يسواها من تعديت العرب الذين يقيمون بها من السفن الثلاث اي من الشرق والغرب والبال ، ويحاربون ضد لقرون ، ويقتصرون بالرجال . فأنشئت لذلك سياسة اخرى بدعه الشدة ، وهاشرت المفاوضات ، وانشأت من الاراضي ما لم تستطع الاستيلاء عليه بالسياسة وله نشأ اخف بالقوة . فتم لعدن الدرع الذي تحتاجه وهو خط يمتد من القدم على البحر غرباً الى دام الامير شمالاً ، ومنها شرقاً شمال الى ما القيد على البحر . ثم اقامت في هذه المنطقة الانكليزية الاستحكامات العسكرية ، وانشأت اليها الجيوش من الهند ، ونقلت مع ذلك في خطر دائم من العرب المحييين بها ، من الضليعة والحواشب والنباح وغيرهم .

فما العمل اذا ؟ قد يكلفنا الدفاع من ١ الى ٢ الف ليرة في الاقل يوماً اذا فرضنا انه يتعين علينا ان نقيم فيها دائماً عشرة آلاف جندي . وقد يكلفنا الدفاع عن المنطقة التي ظنناها ورعاً مئمة الف ليرة اخرى . ولكنني اقف عند حد في النفقات لا يتجاوز نصف هذه القيمة ، اي الف ليرة كل يوم ، وافترض ان الحكومة الانكليزية تستطع بذلك ان تدفع العربان وتزودهم ، وتستولي على بلادهم فتدخلها في منطقة الاحتلال . ولكنها تضطر عندئذ ان تضعف قواتها العسكرية ، فتضاعف النفقات ، تدفع عن هذه المقاطعات غارات

عرب الجبال من زيود وشوافع شرقاً وشمالاً . النتيجة : اننا صكنا نوعنا في
السن زادت النفقات والاعطار . فانولاء اذن خير من المداء . على ان لا بد
لنا من قوة زهب بها أولاً من نيفي ولاه . فاذا كسرتنا هذا الامور ، وتكلنا
بذاك الشيخ ، ثم صافحنا ووالينا وبذلنا المال مشاهرات ، كان لنا من الصداقة
والاخذان ما يزيد .

وكذلك كان . موت علي عدن بعد احتلالها سنون فاحته فيها انكسرتنا
بكثير من المال والرجال . حاربنا القبائل ثم عاهدت امراءهم واحداً واحداً .
ضربتهم ، وقرقتهم ، واقامت اعدود بينهم ، ورفعتهم الى مقام السلاطين ،
واشتت صداقتهم بالمشاهرات المالية . وما هي تلك المشاهرات بالنسبة الى
نفقات الحرب والدفاع ؟

اليك جدول الحساب الثاني . في المنطقة المحيطة تسع ولايات او امارات
او سلطنات . فله فرضنا ان كل امير يتقاضى الانكليزية اربع مئة روية كل
شهر وهي اكبر المشاهرات ، اذا استثنينا مشاهرة سلطان لحج ، وان في كل
امارة زعماء ، ورجال الامير او اعداءه ، يتقاضونهم كذلك مثل هذه الدية ،
فيبلغ ما تدفعه عن رجال الامراء التسعة ورجالهم سبعة او ثمانية الاف روية
كل شهر اي خمسة مئة ليرة انكليزية ^(١) . فلو دفعت هذه القيمة يومياً لا شهرياً
لثور عليها ضعفاها او في اقل مثلها كل يوم . واذا فرضنا ان في الافتراضين ،
اي حساب الجيش وحساب الامراء ، بعض المبالغة وهي دون الحقيقة لا فوقها .
ان النسبة بين الاثنين في كل حال لا تتغير ولا تخفى . عشرون الف جندي
الدفاع بغوم مقاسهم عشرة امراء او سلاطين . هذه هي النسبة الاساسية .

(١) راجع لائحة المشاهرات في آخر هذا الفصل .

عن الكاتب الخن ؟ أمن يدفع المشاهرات ام من يقيضها ؟

انها من الانكليز سياسة الغرم ، تنقلوها سياسة الحكمة اي المبدأ المون
المقرون بالقاعدة التجارية في الاشغال ، ومم لا مرا . فجار لا يبارون ، كما انهم
ساسة محنكون . فاذا خيروا بين نفقات الجيش والمشاهرات يختارون الثانية
ولا غرو . انها اذا اعتبرت مصالحة انكثروا اولاً ثم العالم الذي تهمة محطة
المواصلات الهقية والبخارية ، لصنعة غائمة . اما اذا اعتبرت مصلحة العرب
فيتميزنا الاسف والتم لانهم الخاسرون في حكل حال ، الخاسرون وان
تضاعفت الاموال .

الفصل الثاني

من اجل شركة الهند

المنطقة الشرقية - انجلترا تدفق من الثورة البلشفية - خوفا من هجومها على بلادها -
معاهدة لندن سنة ١٨٤٥ - انجلترا وعبر بلادها من سوريا ومن الشرق - شركة
الهند مستقلة لآخر - فرنسا - استقلالها سنة ١٨٣٩ - معاهدة ١٨٤٥ - الخبز -
حاجات الهند - سرديا - الهند - انجلترا - انجلترا - انجلترا - انجلترا - انجلترا -
عندك - وحده معزولة - انجلترا - انجلترا - انجلترا - انجلترا - انجلترا -
الانكيز في الهند - والهند - انجلترا - انجلترا - انجلترا - انجلترا - انجلترا -
ولقد تمت هذه -

لا يزال اوتو العلم يذكر من ان جرمه عاودت الحروب الصليبية وفانوت
موتزلور ان - انكز المنفعة المشؤومة في سياسة وروور والشرق الاقصى التي تعاقب
في اذيالها اكبر الصايحين - ان نجدهم في طواحيها - انهم الاحكام والفساد
في ظلالها احسن المقاصد والنيات - فكان الشقاق على امة منها وجميعها بالنسبة
الى ما افادت به من الشراف والوجدان - الا وهي المسئلة الشرقية - ولا يزال
اوتو العلم والانصار يذكرون كذلك - برعب القذافات كان للدهر فيها
اليد الكبري - قامت الدهر واريد الحروب التي سيطر على الرجال والامم
- ورغم ميولات اهند التي الخسرت - برعب اصوات الخلافات - واصوات
الده صواريخ - وروور شابل في القوة والاستانة - وماجزات في دوائر
السياسة يتكلم اديبك - العالي - فيها الاسد البريطاني - ان انكزاني - دومة
الدول واحيانا وحدها كانت تدافع دائما عن سلامة الدولة العمانية - ولم يكن
دفاعها لينحصر في السكينة المشؤومة والمقورة بل حثها بتجوزها الى السيف
والمدفع والاموال - بيد انه لم يكن يحثها بحائنا لوجه الله -

(١) سواراج Swaraj - كلمة هندية برادها الحق الذاتي المفضل او ما يدعى في
الانكيز Home Rule

ليس القصد من هذه الكلمة ان اجدد وحكم تلك المسألة السياسية الخطيرة التي يرضى ان امر ان قد من نفسه مؤثرا نورا . والله قضى ان يعود ما تروى ، الى تسعين سنة مضت فاقص عليه قصة تتعلق بعدد وشركة الهند الشرقية ، وبدواع بريطانية العظمى عن الدولة العثمانية .

من اسفائق المأثرة التي كانت تشغل الدولة والاسكتلندي في تلك الايام ان محمد علي باشا واسطة انه ارهم كلمة قد استوفى عن سوريا واحتل من الدان العربية جميعا وثلاثة ارجو . من الذين سمعت الدولة ان يخرج من هذه الاقطار لم تقابل ورثت اسكتلندا ان عاصم محمد علي باشا في البلاد العربية لا تلتزم مع مصالحها ، لاسيما ان يتعلق منها رفاه وشركة الهند الشرقية ، فامتثلت اجسام ، او ردت حركت الاسطول دواعي الدولة . وانتهت هي القصة الى ان تجري الخراج لمصريين من الدلائل السورية وفي السحاب ابرهم باشا من اليمن .

ثم بعد مؤتمر لندن اجريت في ١٥ شهر صفة ١٢٠١ م هذه كانت اعني الى الحرب بين فرنسا واسكتلندا ، اقيمت بوجه سوريا الى الدولة حامية وأقيمت محمد علي في ولاية مصر ، ولكن قضى على محمد علي في مصر كانت لو فازت في ذلك المؤتمر السياسة الانجليزية التي كانت تحتل مقاصد الاتحاف الحفية . لم تكن تلك المقاصد يرمز بها اليوم ، وقد تمت الزمان عنها الحجاب ، وحقت بعضها الحوادث ، فيها قد انقضت طريق البر من مصر الى سوريا ، فالعراق ، فافند .

اما الطورت التي كانت تستوجب الاهتمام مباشرة فهي طريق البحر . وقد كانت اسكتلندا في تلك الايام ، ايام البخار الاولى ، تفتش عن مكان في البحر الاحمر او البحر العربي يصلح ان يكون مرسوفاً للمحرم لتسويق البواخر في طريقها الى الهند ومنها . فأتى رجال الشركة الهندية الشرقية

ان عدن اصبح مكان هذه الغاية ، وفعلوا عشرين سنة يحومون عليها ويسعون بالمعاهدات وبالسياسة ان يرفعوا فوق قلاعها العلم البريطاني . وكان ابراهيم باشا وهو في تمامه يبيعها كذلك ويخبر سلطان علي بخصوصها . اوجس الاسكندر خوفاً من ابراهيم فاقترنت مصالحهم بمصلحة العثمانيين واتحدوا سياسة عليه .

كتب رئيس اوزارة الاسكندرية يومئذ اللورد بالمستون الى محمد علي باشا سنة ١٧٣٨ يقول ان ما حق له في البلاد العربية فيجب ان يسحب جنوده منها . ثم عقد معاهدة مع الدولة تحول الاسكندر الانجار في المثلث العثمانية ، وطلب منها ان تكون من مركز تجارياً في تلك الانحاء . على انهم كانوا يبيعونها مستودعاً للقمح كما قلت . وما هي اهميتها للدولة في كلا الحالين ؟ عدن ، ان هي عدن ؟ وراء ثلاثة بحار ، في اخر البلاد العربية ، تبعد القوي ميل من الانشطة ، ولا سيادة حقيقية للدولة فيها .

سلك السلطان عبد الحميد اقومان ولكن شركة الهند الشرقية كانت تعلم ان السيادة الحقيقية في عدن هي للعرب وان اقومان وحده لا يكفي . وفي سنة ١٨٠٩ حدثت بشدة بينهم . كانت المراكب الاسكندرية تمر في تلك الايام بعدن للتجارة وحدث ذات يوم ان موكباً شراعياً غرق هناك فسطا عليه العرب ونهبوه ، فبغت ادارة الشركة القبطان هياس (١) على مركب عربي في ثلاثة من اجنود يعصب التمريض فجاء الى عدن وفافوض السلطان ، فقال علي الذي كان قتيلاً فيها ، فاني سموه ، فاحتج الاسكندري بالاقومان ، وحدثت المظالم العربي عيضا . ومن هو سلطان العثمانيون ؟ وهل يهب بلاد يست ؟

حرب القبطان هياس عدن في ١٩ ايار سنة ١٨٣٩ وامر السلطان الخامية

بالدفاع ، فحدث بينهما وبين الانكليز قتال لم يدم خويزلا . سلم العرب ،
ولكن سلطان الحج في ازدياده الخطأ اله يولي ومقاومة الفاتحين تكن من عقد
معاهدة معهم حفظت له بعض حقوقه ، وقطع الانكليز معه عهداً بان يذهبوا
له تودعاً عن الاحتلال ستة الاف ريال مسانحة ، كانت بداية ثلاث امشهرات
التي تبليح اليوم نحو مئة الف روبية

احتل الانكليز مع شركة الهند الشرقية قسماً من عدن يدعى التواحي
ولم تكن يومئذ غير اشراف لصيادي السمك ، لا يتجاوز سكانها المئتين
نفساً وظل السلطان فيها مائة قصيرة فقط اذ قد بغوم الى جنب السلطة
الانكليزية سلطة اخرى وطنية او اجنبية ، فزاحت المثلث بين السلطان
ووكيل بريطانيا العظمى ، فحدث قتال ثان كان للانكليز غلبة فيه - يقول
عرب عدن : كاد الانكليز كيدهم المعروف - فانصروا على المبادلة ابي
قبيلة السلطان واخرجوه من التواحي واستولوا على دن اسبابهم . ثم
ذاك الحين لم يأذنوا اسلاطينهم ان يكون لهم في عدن بيت ولو صغيراً . ثم
حدثت المعاهدة التي من شروطها :

اولاً : ان يعترف السلطان بسيادة الانكليز ويقبل حمايتهم في ممتلكاتهم .

ثانياً : ان تكون البلاد مستقلة في داخلها استقلالاً تاماً .

ثالثاً : ان تكون المايلات بين العرب والسلطان رأساً دون تدخل
الانكليز . " قد صكان هذا التدخل احد اسباب اختلاف
بين الفريقين " .

رابعاً : ان يكون له الحق بان يصدر ما شاء من القوانين في بلاده .

خامساً : ان لا يمتد معاهدات مع الاجانب لا امراء العرب لا يعنون
من الاجانب " (١)

(١) قد تدعوا من هذه القاعدة الى قاعدة لعمد : قصر الاحيين الذي المستقل في

سادساً : ان يكون له راية خاصة وجند وحج ونج الاقارب والرتب .

سابعاً : ان تكون بوابة عند الحدود بين المسلمين وان يكون ما
دونها في بلدة الشيخ عثمان من الملاك سلطنة حج .

ثامناً : ان لا يجوز لأجنبي التملك في حج والدخول اليها بدون اذن
من السلطان نصبه الحكومة لبريطانية .

الخط تحت الأثر الاخير في لافت النظر اليه خصوصاً : تأملها ايها
القارئ . ان فيها مثالا لمقاعدة المودة في السياسة لم يفهم الا انكلترا :
بدون اذن تعطيه الحكومة لبريطانية وهي حقيقة الحال : لانهم يشاهدون
ان يسوا كرامة السلطنة . فحسوا البند لغير السب دلتين ويضحي القرابين .
لنت يا صاحب السمو صاحب الامر . وكيف نحن نخدمك بشي امره ،
نترك ملك في اقطار الاذن . وهو لان ~~صعدك~~ . اذا وصل السائح الى
عند وشار . راية سلطان حج يتجه اليه . يقوم بواجبه في اولى ان يكتب
كتاباً الى حرم سلطان الرياسة والثاني ان يصيب الاذن رجلاً من دار الامداد .
فاذا كان هناك من مانع يعطون حرم بذلك ويفقدون الاذن عنه . والا
في حرمه ويجددون وقته ومذاقته . ولا يتجاوز حرمه حدود الحج ولا يقيم
فيه غير ايام معدودة .

اشربنا في الفصل السابق الى شعيرة الدواع من عند اذا كانت وحدها
البلدة المحتجة ما لم تخصص الحكومة خفاق وبصر الخدعات فيضطربون اذ
ذلك الى مكان تقيم الجنود فيه . وبكلمة بسيطة عاقت دونهم عند فسحوا
في توسيع الحدود . ولكنهم اكتفوا ببضعة اميال شمالاً وفيها بلدة الشيخ
عثمان ، فقلبوها من السلطان لرفض طلبهم . فادوا : نشرها ، فقال : لا .

نظره سكانهم الايدي ، ولا يبقى دهر آخر فرب ان يفهم معاهدة دوق ان
بشائر ويستأذن حكومة وحالة الملك .

قالوا : هي لازمة ، فلم يكثر .

فلما أتت ذاك دار الاعتماد الى وسائل التحمل الحكومة البريطانية في بلادها ، كان للسلطان شقيق محمد المال اكثر من حبه الشيخ عثمان وكانت لهذا الصبي يد في ادارة امور السلطنة ، معززة بثقة اخيه . فتقرب الانكليز منه وتم سنة ١٨٨٩ الاتفاق بينهما وبينه سر على التنازل عن الشيخ عثمان في مائة مئزر قدره عشرون الف ريال ، اي اربعون الف روبية ، اي الفان وخمسة مئزر انكليزي . فمضى صحت البيع بالنيابة عن اخيه السلطان ، فاعيد الانكليز صكاً شريفاً وحدوداً شرعية حدودهم التي تمت تلك القرية وهي على مسافة عشرة اميال من عدن .

اما السلاطين فلما علم بالامر طردوا اخاه من البلاد وصادر اولاكه وحرره حقوقه في الاسرة المالكة . ولكن ذلك لم يؤثر في خطة الانكليز وسياستهم . دخلوا الشيخ عثمان واقاموا فيها حامية قوية لم يستطع السلطان ولا خلفاؤه ان يقاوموها . ولم يكن احتجاجهم الدائم على شرعية البيع ليجزي نفقاً ، فرفضوا بعد مدة بقسمة اجار فرهم . وعقدوا معاهدة جديدة مع الانكليز قبلوا فيها ان يكون دار الامير ، وهي قرية بعد نصف ساعة من الشيخ عثمان ، الحدود الفاصلة بين خليج وبين الحكومة المحلية .

ومنذ ذلك الحين حتى اليوم . تضطر هذه الحكومة في الدفاع عن عدن الى توسيع الحدود مرة اخرى ، فان يزال بمركز السلطنة الحموية في دار الامير .

اما الشيخ عثمان فقد اصبحت بلدة عامرة بالمساكن الهندية والحدائق ، والمصايف والسفارات ، وبانواع الموبقات . وفيها كذلك مقام الولي حاتم بحر ، وسائق اغنياء عدن ، وجثينة حيوانات سكانها غزال وقنفذ وسعدان .

الفصل الثالث

سلاطين حلب

مؤسس سلطنة حلب - حسن العبادة - الحامان محسن بن فضل الصقلي -
 للمعدة سب ربيع الأكتيف - السلطان فضل بن علي بن محسن - أركان تلك الأربعة
 - السلطان أحمد بن فضل - الثاني وأمار صنها - علي الأتراك - المناوشات السرية
 بيضا وابن الأفرنجي - ثقت حسن تحريك الأتراك - السلطان أحمد بن علي بن
 سبيل الوحدة السرية - مقرب إلى محسن - الزواعة في حلب - السلطان علي بن
 محسن بن فضل - أبو عبد الرحمن المصطفى محسن بن فضل - السلطان العالي -
 تحريك علاقته مع الأتراك - المناوشات مخصوصة مساعدة جديدة - عطاء العبادة
 في السواحي القوم - طريقة الرواية وتدخل الأتراك - السقال وفتحها السلطان .

في سنة ١٧١٩ ، عندما جاءت البعثة الأفريقية إلى اليمن ، كان حاكم
 عدن مستقلاً عن إمام صنعاء . وبعد ست وعشرين سنة من ذلك الحين استولى
 علي بن عبد أول سلطان من سلاطين حلب . حستان هذا الرجل قائداً من قواد
 الزيد ، طامعاً بالسيادة والهدى ، تهاجلاً على ما يظهر في الأمور الدينية .
 إقامه إمام صنعاء . عاملاً على اليمن الأسفل فتوسع بالإجازة الامامية وأقام
 نفسه حاكماً مطلقاً مستقلاً ، بل أقام نفسه سلطاناً . وبما أن عرب البلاد التي
 استولى عليها من الشوافع ، فلا يعززون حاكماً زيدياً ولو أطاعوه ، نبت من
 أجلهم وفي سبيل مطامعهم مذهب أجدادهم ، واتخذ المذهب الشافعي سراجاً
 إلى التناجح قوياً - هو مؤسس سلطنة حلب -

ثم خلفه في الحكم أمراء من عرب العبادة الذين اشتهروا بالشجاعة
 والعدالة ، وبحبهم الزراعة التي هي حتى اليوم مصدر ثروة حلب الصغيرة وموضوع
 اهتمام سلاطينها . والعبادة من اليمن الأعلى ، زيدية الأصل كما تبين يتون
 بنسبهم إلى عرب حمدان .

من سلاطين حلب أربعة مشهورون ، أولهم محسن بن فضل الذي احتل

الانكليز عدن في عهده . وقد كانوا عقدوا في سنة ١٨٠٢ اول معاهدة ولائية تجارية مع والده السلطان احمد فاستمرت موعية الى سنة ١٨٢٧ ، فنقضها السلطان حسن عند ما ادركه مطامع الانكليز الذين كانوا يعيشون في تلك الايام عن مكان في البحر العربي يصلح مستودعاً للفتح . ولكنه غلب في نهاية امره فاضطر ان يعقد وايام معاهدة عندما احتلوا عدن سنة ١٨٣٩ كما اوضعت في الفصل السابق . ومن بنود تلك المعاهدة بندان لا زى لهما غير الاثر الضئيل في المعاهدات الحديثة ، اولها : ان لا يحق للاجنبي ، وان كان موظفاً بريطانياً في حكومة عدن ، ان يدخل الى الحج بدون اذن من سلطانها ، والثاني : ان من يتكسب جرمًا من الانكليز او من رعاياهم في البلاد يحاكم عوجب شرائعها .

قبل الانكليز في البداية يهذين البندين ، ثم سموا في توسيع الحدود الشرعية شيئاً فشيئاً ، فعدلوا البند الاول بل نقضوه . اضافتهم اليه تلك الكلمة الاعتمادية « فقالوا : لا يحق لاجبي ان يدخل الى الحج بدون اذن سلطانها والاذن يطلب من دار الاعداد بـعدن . وقد اسسوا محكمة قاضيا مسلم هندي فقطت على البند الثاني الذي يختص بمحاكمة الاجانب .

صكان السلطان حسن غيروا على استقلاله ، توافاً الى السيادة الواسعة النطاق ، محسناً الى العشار ، محباً للعلم والطا . ولكنه كان متقلباً في سياسته ، يترقب الفرص لتحقيق مقاصده التي لم تتفق يوماً واحداً مع مقاصد الانكليز . غلبوه اولاً وثانياً ، في سنة ١٨٣٩ عندما احتلوا النواحي وفي السنة التالية عندما حاول ان يخرجهم منها ، فدارت عليه الدوائر وكان هو من الضائعين . اخرجوه من عدن ولم يأذنوا بان يكون له بعدئذ بيت فيها . ولا اذنوا بذلك لاحد من خلفائه كاهم .

ولكن خلف السلطان حسن لم يتاوى . الانكليز ولاهت ظاهراً امرهم ،

بل ولي وجهه الشمال والغرب فسمى ان يعقوض في داخل البلاد عما خسره
سلفه في سواحلها . هو السلطان فضل بن علي بن محسن والد السلطان الحلالي .
وقد كان باسلاً مقداماً حكيماً ، يقرن البطش باصالة الرأي ، ويرى ، وهو
امي ، ان لا عز للملك بغير الثروة ، ولا ثروة بغير الزراعة ، ولا زراعة بغير
الامن والمعدل . فحسب في سبيلها كلها سعياً شريعياً ، امتشق الحسام وكان
منتصراً في غزواته كلها ، فاستولى على الحواشب ، ويمكن نفوذ العبادلة في
العشار ، واكتسب سياسة الصدق والفرم ثقة الانسكلير واعجابهم ولكنهم
غلبوه بسياسة اللين ، بالقاعدة المرفقة ، فاعاد الى سلطان الحواشب ملكه
بعد ان استولى عليه بضع سنين ، فاستحكمت بعدئذ الملائق بينه وبين
عدن والمنبيري .^(١) حكم السلطان فضل ثلاثين سنة وكان في حكمه عادلاً
حكيماً ، فنشئ شرائع لا تزال حتى اليوم مرعية تتعلق بالزراعة ، وبإدارة
الاوقاف ، وبتسهيل صلات العشار بعضها ببعض .

اما خلفه السلطان احمد بن فضل بن محسن ابن عم السلطان الحلالي وقرين
سلفه السلطان محسن في الذكاء وحب العلم والهداء ، فقد كان اشد حنكة
ودهاء من اسلافه واسكنه لم يكن مثلهم كرمياً . احقره الانسكلير ظاهراً
وتسدوا في معاملته ما كان من خافه ابي التتكم والمراربة .

وقد كان بين السلطان احمد والامام المنصور والد الامام مجي صلة ولا .
ادت الى اتفاق سري بينهما ، من شأنه مقاومة الترك والترعة التركية في
اليمن . ولم يقف السلطان احمد عند هذا الحد في مناقضته الاتراك ، بل مد
يد اولاء والعون الى السيد الاديبي فكان سراً عتداً له في مصر ، وارسل
الى الشريف حسين وهو يومئذ امير مكة دعوة للانضمام اليهم ، او الكف

(١) المنبيري هي عاصمة ملطنة الحواشب .

في الأقل عن مساعدة الأتراك على امام صيا وجوران^(١)

هوذا السلطان احمد عدو الترك واول من سعى على ما اعلم في حيل الوحدة العربية . فقد دعا امراء العرب الى مؤتمر عام يعقد في احدى عواصم الجزيرة للنظر في مصير الامة العربية وتوحيد حكومتها وسياستها . ولكنه ، بعد ان ارسل منشوره الى الامراء ، عدل عن عمله لاسباب مجبولة . وقد تكون الحرب التركية الايطالية احد تلك الاسباب ، لانه تغير في سياسته حوفي عواطفه بعد تلك الحرب تغيراً سريعاً مدهشاً .

كلما جئت على ذكر الأتراك في البلاد العربية اراني مكبراً السيد محمد الادريسي وتبانه في مبدئه وجهاده . فقد كان الامام يحكي عدو الأتراك فصار حديقهم في الحرب العظمى . وكذلك كان سلطان خليج السلطان احمد بن فضل ، فتحول في الحرب التركية الايطالية عن سياسته ومبادئه ، كانه لم يسع سراً وجهراً في تقويض السيادة التركية في البلاد العربية . وقد كان من امراء العرب الذين ساعدوا الدولة بالمال ايضا ، فدعي لذلك الى مصر ليقابل مندوبها السامي رؤوف باشا ، فلبى الدعوة ، وعاد من القاهرة يحمل وساماً من اوصية الدولة ، ويحمل ايضاً غراساً من ارض الفرامنة .

ان للسلطان احمد مساعي معززة في تحسين الزراعة في خليج . فقد جلب الاغراس من مصر ومن الهند وكان في اهتمامها بها مثالا للفلاح عالياً . وقد كان شغفاً كذلك بالاوصية ، فصلك منها باسمه وصارع يمنحها الناس من عرب

(١) سكان الادريسي في تلك الايام خارجاً على الدولة وهدداً بؤامرة تركية شريفة زيدية . فسمى السلطان احمد ان يقاومها ويدفعها بانفاق او حلف عربي فلم يفلح بذلك . جاء عزت باشا الى الحجاز في اذار سنة ١٩٠٥ يستنجد الشريف على الادريسي فانجده بحملة يعودها غلام الاميران عبدالله وفضل . وكتب الى السلطان احمد يستنصره على عدو الدولة ويسأله ان يرسل في سبيل الصلح بينها وبين الامام مجر . ولكن سياسة السلطان احمد كانت يومئذ مخالفة لسياسة الشريف حسين .

وهنود وانكليز . ثم باشر تنظيم المالية والجرك فسق قوانين عديدة ، حالت دون تنفيذها الحرب العظمى . لا مودة في القول انه كان سلطاناً كبيراً ذا همة قضا ، وذكاء ودعاء . هو السلطان الزراع السياسي « محب الابهة والاشجار القريبة . ولكنه لم ينجح في دار الاءتاد نجاحه خارجها .

وما كان في خلفه ما يؤمى الى التوفيق والتحسين من هذا القبيل . كان السلطان علي بن محسن بن فضل سلف السلطان الحالي رجلاً ورعاً تقياً يحترم علماء الدين والسادة الاشراف احتراماً جزيلاً ، ولم يكن له ارادة تستقيم وتستند في السياسة والرياسة . ولكنه لم يهتم لادارة الملك فاتكفل في ذلك على ابن عمه محسن فضل شقيق السلطان الحالي .

كان السلطان محسن^(١) ادبياً ذكي الفؤاد ، عصياً في اراده واعماله ، محباً للاصلاح والمعمان ، عالي الهمة ، بعيد النظر ، شديد البأس ، ثابت العزم والارادة . فباشر في ايامه القصيرة اصلاحات كثيرة في الجندية والمالية والمعارف ، ولكن الاقدار لم تشأ ان يكملها بنفسه فتوفي في عتق عقيب الهدنة عن اثنين وثلاثين ربيعاً . ان مثله من امراء العرب شديدي النزعة الى القومية العربية ، الراغبين في تعليم الناشئة على الاسلوب الحديث ، الساعين في تحقيق امالهم الوطنية العالية ، ليؤسف على موتهم في ربمان الشباب . وقد وقف السلطان محسن ثروته كلها على انشاء مدرسة عصرية ومستشفى وصيدلية في الحوطة ، فتأسست المدرسة وسيتم قريباً بناء المستشفى بفضل السلطان الحالي .

هو السلطان عبد الكريم فضل العربي الصميم في حديثه واخلاقه ، ولا اقول في ملايه التي هي هندية اوروية . اما ملاعه العربية فكل اخلاقه

(١) كل اعضاء الاسرة المالكة يلقبون السلاطين ، وهم يدعون السلطان الاكبر « الوالد الملك والسلطان المؤمن » .

وحدثه لا غبار عليها . هو نجيل الجسم ، عصي المزاج ، مستطيل الوجه ، دقيق الذرف ، غائر العين ، في الخامسة والأربعين من العمر . لكنه يظهر أعظم من ذلك لما في وجهه من تجدد وقيام ، ولما قاساه أثناء الحرب من الشدة والأحزان . وهو مثل أخيه الباسل وأبيه سلطان ملح الكبير يكره النفوذ الأجنبي ويسعى معاً مادناً سلباً في مقاومته وتقويضه . ولا عجب إذاً كان من مسايعه أن يستعيد بعض الحقوق التي نالها السلطان فضل أبوه فأضاعها من خلفه .

على أن السلطان عبد الكريم يقتدر إلى شيء من شدة أبيه وطموحه ، ومن نشط أخيه وعزمه . فهو والحق يقال أقرب إلى الأدب والزراعة منه إلى السياسة والإدارة . له ذوق في الموسيقى ويحسن بعض الأحيان التعرف على البيانو . وله رغبة في المطالعة فيهم خصوصاً بتاريخ العرب والإسلام . وهو مثل السلطان أحمد شفيق بالزراعة يقضي ساعات من يومه في إبانته . لذلك قيل فيه على ما اعتان أنه قليل الاكتراث بضعف الإرادة . وقد يتخلل فزعه . وهو عصي المزاج ، فترات يسي الناس فهم أسبابها ونتائجها .

ومن مزاياه أنه يحترم الرأي والحرية المذكورة في الناس . أما علاقته مع الإنكليز والندارة ظهورها فيها . على أن له في دار الأعداء ما يجزئاً وقلقة مسموعة ، فيستشير أول الأمر في كثير من المسائل التي تختص بالمشار وأحوال البلاد الداخلية .

إن في ملح على صغرها نهضة في التعليم قد ذكر ، وهي على صغرها سيدة النواحي التسع المحمية ، سيدهم أدبياً ومعنوياً وفي بعضها سياسياً أيضاً . فإن أم السلطان عبد الكريم من الواقع ، وبينه وبين العوالم ولا ، وثيق العرى ، وله على الضيعة والحواشي سيادة لا بد أن تمتد إلى سواها .

أما الامارة في ملح وفي النواحي التسع فهي انتظامية لا ارتئية . لذلك تقدم السلطان عبد الكريم اثنتان من أخوته بعد موت أبيه السلطان فضل .

ولكن الانتخاب اى المباينة هي من قبل الخاصة فالمبايعون هم القائل^(١) اى حكام البلدان الذين يعينهم السلطان فيجتمعون مع رؤساء العشائر لينتخبوا ولي العهد الذي يجوز ان يكون من غير الاسرة المالكة . ولا شك ان هذه الطريقة تفتح ابواباً واسعة لتدخل الانكليز في شؤون البلاد وسياستها فيولون عليها من الموالين هم من يشاؤون .

اما ولي العهد فهو ينتخب في عهد السلطان احكاماً فيصبح منذ ذلك الحين مقيداً بالسياستين ، سياسة ملج وسياسة عدت ، ورهين الارادتين ، ارادة المستبد و ارادة السلطان التي قد تكون « وان حكانت وطنية ، جائزة مثل الاولى . هو ذا موطن الضمف والخلل في تلك الحكومات العربية الصغيرة كلها . لا نقول ان الانكليز اخترعوا هذه الطريقة في الارث ووضعوا قواعدها ، ولكنهم ولا شك ينتفعون بها انتفاعاً يضر بين هم اصحابهم وحلفائهم واصحاب البلاد التي احتلوها .

حيذا لو ساعدوا اذن في تنعيم هذه الطريقة فيكتبوا حب الناشئة العربية الراقية وتنفق اولياء الامر في البلاد ولا اظنهم يفقدون في ذلك شيئاً من حقوقهم الشرعية او من نفوذهم الصالح المقيّد . اما غير ذلك من حق او نفوذ فهو يضر بالانكليز اليوم اكثر من ضرره بالعرب . اجل ، ان الحقيقة البليغة الرائعة التي يجب ان تدبرها اليوم وزارة المستعمرات بلندن او دائرة الشرق الاوسط في تلك الوزارة هي هذه : كلما قل تدخل بريطانيا العظمى في شؤون الامراء الوطنية والخاصة تعزز مركزها لديهم . وكلما تقلص نفوذ الانكليز في داخل البلاد ازداد في السواحل . او بالاحرى حكما امتعوا ، حكمة وتزاهة ، عن مد يدك الى ما وراء حدودهم المعروفة نبئت قدمهم ضمن تلك الحدود . ولا اظنهم يبنون اكثر من ذلك .

(١) حاكم الولاية او ما ياتلها يدعى في اليمن عاملاً وفي نجد اميراً وفي هذه النواحي حاقلاً .

الفصل الرابع

ملج في الحرب العظمى

جزيرة الشيخ سعيد - سرخها واحتلالها - احتلال الامم يحيى - زحف الاتراك على عدن - الهجوم الانكليزي لتتقدم الى الشيخ عثمان - تأخير النهضة الانكليزية - الامور لواء علي حبيب باشا يناوش سلطان نجع - وقعة الدكير - تدوير نجع - وصول النهضة الانكليزية في الليل - اطلاق النار خلف هي السلطان وزجال - الاسيرة المالكة في عدن - نجع وعدن شهدا لان وتسللان - تركي كريم المنشار - وما جزاء الاحسان والاعوان -

في باب المنذب ، على مقربة من رأس البر اليمني ، جزيرة صغيرة تدعى الشيخ سعيد ، قد جاء ذكرها في تقارير عدن الرمية أثناء الحرب ، وسيجيء ولا شك ذكرها في المستقبل في تقارير وصكوك لا يطلع عليها غير القليل من تمهيم امتيازات النفط والمعادن .

هذه الجزيرة هي اليوم في حوزة الامام يحيى بن حميد الدين ، وقد كانت أثناء الحرب في يد الاتراك تابعة للساحل الجنوبي الغربي الذي يتصل ببلاد عرب الصبيحة . وعندما انضمت الدولة الدينية الى الدول الوسطى ، وشهوت في تلك الحرب الضروس السيف على الحلفاء ، قررت القيادة في اليمن الزحف على عدن . فلما علم بذلك الانكليز اوقفوا ثلاثة طوابير من الجنود في البحر صكناوا مسافرين من الهند الى السويس ، فضربوا في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ الشيخ سعيد ليدمروا الايلر والحصون والمستودعات فيها . ولكنهم لم يستطيعوا ، لشدة الانواء ، القبول الى الجزيرة فقتلوا الى البر ^(١) قريباً منها

(١) قد اخضب هذا الاحتداد الامام يحيى فاحتج عليه . فكثب اليه الكرنال جاكوب الماون الاول يومئذ في داء الاتحاد بقول : ان الضرورة الحربية ملتهمة على ضرب الشيخ سعيد وان ليس لهم في ذلك قصد خفي او سياسي ، وان جلاءهم قريباً من تلك الناحية يثبت ما يقول . - ملوك العرب لجاكوب صفحة ٢٥٩

في حامي مدافع البواخر الحربية ، فتتهقر العدو الى داخل البلاد . ثم دمر
الانكليز قلعة ترينه وغيرها من الحصون في تلك الناحية ، وهدموا بعض المدافع
فقتلوا انهم اوقفوا الاتراك في الزحف على عدن . نعم ، اوقفوهم سبعة اشهر ،
فعادوا اذ ذاك الكرة على جزيرة الشيخ سميد فاحتلوها ، ومشت جنودهم
من مأوية الى ملحج تقصد الهجوم على عدن .

وكانت السلطة الانكليزية فيها قد احتاطت للأمور بما لديها من قوات
الدفاع القليلة ، فامرت بنقل الحامية من عدن الى الشيخ عثمان ثم بالندم الى
ملحج . جاء في التقارير الرسمية : « ان شدة الحر وقلة الماء ، وفرار الهجاعة
المأجورين انحوت الجنود في الطريق وحالت دون الفاية المقصودة » .

على ان طليعة الجيش وصلت مع ذلك الى محبتها في ذاك اليوم وتنازلت
الاتراك خارج ملحج قبل ان تصل الجنود اليها ، فدارت الدائرة على الانكليز ،
فنهقوا عن ملحج مهزومين ، فدمروها الاتراك في ٢٠ غور سنة ١٩١٥ وبهيوها .
ثم زحفوا على الشيخ عثمان فاحتلوها في اليوم التالي .

ولكن النجدة التي وصلت بعدئذ الى عدن اخرجت الترك من الشيخ
عثمان في ٢٠ غور ، فعادوا الى ملحج وتحصنوا فيها ، وظلت شروعات منهم في
أم المند والوهط ، فحاول الانكليز مراراً ان يخرجوهم منها فلم يتمكنوا
من ذلك الا بعد ان انجذبتهم عشاير العرب التي استجدها . ولكنهم لم
يستطيعوا ولا حاولوا بعدئذ ان يخرجوا الاتراك من ملحج . فظلوا فيها الى
نهاية الحرب .

هذا ما وصل بالشرق الرسمية الى الدوائر الحربية في الغرب من اخبار
تلك الزاوية العربية القصية ، وليس فيه كلمة عن نكبة ملحج وعما حل بالاسرة
المالكة وبسلطانها حليف بريطانيا العظمى . فبحث اروي الحمر كله حكما
معيته وثبته من مصادر شتى هناك .

في السنة الثانية من الحرب أي في صيف سنة ١٩١٥ كان لدولة العثمانية في اليمن خمسة وثلاثون ظاهراً ، أي نحو خمسة عشر ألف جندي ، أكثرهم من الحوريين . وكان منهم قسم في مأوية تحت قيادة الأمير لواء علي سعيد باشا الجركسي الذي سعى أن يضيف إليه قوة من العرب . كان سعيد باشا كرمياً الأخلاق جواداً ، فأحبه العرب وانضم إلى جيشه بضعة آلاف من الحوشر واليوافع والصبيحة^(١) فعول اذ ذاك على مهاجمة عدن ولم يكن قصده غير اشغال الانكليز هناك . وبما أن ملج ، وعي في طريقه ، سلطنة مسجلة دوت إلى سلطنتها يستأذنه بالمرور وبهذه المنعونة عليه وعلى ملكه . فإلى السلطان إلى لادته حولت الدولة العثمانية ونشرت محاربتها . مما أشبه ملج والاحجيين من هذا القبيل بالنجيات وأهلها ، ليست يأتوا بدرب يمتازها المحتاجون .

خرجت جيوش سعيد باشا من مأوية وسقطت على ملج ، فاستقر سلطانها الزرع بعض العشائر المحاورة فاجتدوه ، وخرجوا وهم بضعة آلاف يارتقون الأراك وهم ضعاظم عدداً واحداً فهم عدة . فاصطدم الجيشتان قرب الشكيم ، على مسافة عشرة أميال من ملج ، فانهزم الاحجيون . ولذلت أسباب ثلاثة - أولاً : لم يكن معهم من عتاد الحرب غير القليل . ثانياً : لم يسكنوا على شيء من النظام . ثالثاً : لم تكنهم النجدة من الانكليز إلا بعد المزمرة . وقد جاء في التقارير الرسمية أن لأربطاء تلك النجدة ثلاثة أسباب أيضاً . ولكن هناك سبباً آخر غير القبط وقلة الماء وفقر الميخانة . فقد سمعت في عدن أن الجنود الهندية عصوا يومئذ ضباطهم لانهم كرهوا أن يحاربوا اخوانهم المسلمين . والحقيقة التي لا ريب فيها أنهم ابطأوا في الانجاد ثم انهزموا .

(١) وقد كتب إلى الامام يحيى يطلب منه المساعدة فلم يلب الامام طلبه سراً فقدم . بل أن الامام سكتا قال سعيد باشا عندما سلم إلى الانكليز ، كان يحارضي رأيه في الزحف على عدن .

عندما دخل الاتراك طليح كان السلطان علي واسرته لا يزالون في القصر يدافعون عن انفسهم ، فاضطروا ان يخرجوا منه عندما بدأت الحجارة تنساقط عليهم من الجدران التي كانت تحترقها القنابل ، فبادروا في الفسق الى القرار ووجهتهم الشيخ عثمان اما الجنود البريطانية فسكانوا قد خرجوا من تلك البلدة لينجدوا الانجلييين ، فالتقوا بالسلطان واسرته تحت جنتي الظلام ، فظنهم من كشافة العدو فاطلقوا عليهم النار ، فقتلوا عدداً منهم واصيب السلطان علي برصاصة في رجله ، فنقل الى عدن وتوفي من اثر الجرح هناك^(١)

دخل الاتراك الى طليح فدمروا قصور السلاطين ونكلوا باهل المدينة ، ففر الى عدن من سلم من الاسرة المالكة وكثيرون من الاهالي . وعندما خلف السلطان عبدالكريم السلطان عليا كان من اول اعماله انه احتج احتجاجاً شديداً على حكومة الانكليز لانها لم تقم بواجب المعاهدة بينها وبين اجداده ، فقبلت حكومة لندن الاحتجاج وعزلت حاكم عدن وقائد احمالية فيها .

اقام السلطان والاسرة المالكة في عدن مدة الحرب كلها ، وهم يستعينون على الدهر بما كانت تدفعه الحكومة لئلا يسهل عليهم ، في حين ان املاكهم وقصورهم وبلادهم كانت في حرزة الاتراك يستعينون بها ويجرياتها . حتى اصبح هؤلاء في غنى عن الامداد والتموين من مركز القيادة الثانية في داخل اليمن . بل كانوا بعد ان استقر امرهم في طليح على شيء من اليسر وجانب من الامن والاطمئنان يستغرب مثله في ايام الحرب بين المتحاربين .

والسبب في ذلك بعد القريتين على ما اذن عن ساحة الحرب الكبرى وعن مركز حكومتيهما . كان الجنود والضباط يسعون ولا شك بولايات تلك الايام واهوالها ويمجدون الله لما بينهم وبين تلك الولايات من المسافات .

(١) « انا في اماننا مزلون من وفاة السلطان علي المقررة » . عارلد جاكوب في كتابه ملوك العرب ، صفحة ١٦٧

فلما امن الانكليز على مركزهم في عدن والشيوخ من تركوا خليج الاتراك .
ولما امن الاتراك على خليج ونواحيها تركوا عدن للانكليز . ففتح كل با ملك
يده ، وكثلت القناعة بكرم الاخلاق .

اجل ، بينا كانت دوى الحرب تطحن الانسانية في شمالي فرنسا وغلا
الارض هولا وقبوراً ، كان الترك والانكليز في هذه الزاوية المباركة من
اليمن السعيد يتبادلان المعروف والاحسان وكان للقائد الجركسي سعيد باشا
الفضل الاكبر في ذلك بشهادة الانكليز انفسهم . اما العرب فلا يزالون
يذكرونه اليوم بالفخر والاعجاب .

قلت ان شيئاً من اليسر عاد الى خليج بعد نكبتنا لان الاهالي والعساكر
شرعوا يزرعون ويشتغلون ، فازدهت بالاعضرار والثمار تلك البسة الحصنة
التي تستقي من فرعي وادي دين . اما عدن وهي في فم البركان فلا ترى
فيها ولا في جوارها ورقة خضراء . فتبادل القائدان السلام ، ثم الكلام ،
ثم : - هذه بقولاتنا نرسلها اليكم كل يوم على الرأس والعين . فشكر
الانكليز الترك قائلين : وهذا الورد والسكر لكم مننا ما تبثون .
وهذه فوق ذلك السكر . مهتف عسكر الدولة : ليحي الانكليز .

كذلك تم الصلح بين الاحلاف والدول الوسطى ، او بالحري بين هؤلاء
في عدن وفي خليج ، قبل ان انتهت الحرب بستين . ولما اعلنت الهدنة دخل
علي سعيد باشا الى عدن ليسلم سيفه الى الانكليز ، فاستقبل فيها استقبالاً
جيداً . دخل المدينة لا كالمهزوم بل كالفاتح المنصور .

الفصل الخامس

الشدن الحديث في الحج

أثر من الآثار في تاريخه الطائر - من عين ونجم - وفد للرحمن - من
البحرين الزامية - من السلطان - رغبة الاستقبال - معية المظاري
والأثوري - وزير السلطان السيد عاوي الجفري يقوم بمكثلة - السمر كروم
تقتل أعيركا في خطبة - من معمر كحة وكلة - سلطان ممدون - الواسطي
السلطنة تخدم لأشبه العربي - مادة السلطان - غرفة الديار - في
السلطان - من شاعر وسلطان - اختار - شاعر نجم وقيلوبها - من الشعر
السلطنة - من السلطنة القصبة - المذلل والكتاب - عرب العجور - من السلطنة
المظاري والملك والملك - المظاري ومشتق الزمان - نالوت العربية في نجم .

كتبت بعد وصولي الى مدن كتابا الى صاحب السور السلطان عبد الكريم
 فضل ارجب اليه في الشرف بزيارته وكتبت بواسطة قنصل اميركا الى دار
 الاعمال اساذن بذلك - فجاء في اليوم الذي جواب السلطان مرحبا بي ، ثم
 جاءني بعد يومين من معاون المصنف كتاب ختمه اذن باسمي واسم رفيقي واذن
 اخر باسم القنصل الذي شاء ان يرفقنا

ركبنا من محطة عدن قطاراً عسكرياً ، غطاه ضيق وعمرانه قديمة ، جئنا
به من الهند ، وقاطرته اتر من الانوار في تقويم الخمار . فركضت بنا وهي
ترجرج وتقرقر في ارض سحابة قروية من البحر ، وموت باكام من الملح هناك
مستخرج منه ، ثم يواجة الشيخ عثمان بين صفوف من مقاهيها . ومنها الى دار
الاميراي الحدود بين عدن ولحج ، ثم حضر ، فيها لاجل ، فزينة الهراقي ،
فالخوطة . وكأها ما عدا العاصمة ودار الامير اسماء لاكوخ من القش واللبان
يتغلها شيء من شجر الاسل واميال من القفر الذي تهب فيه رياح البادية
وهي تحمل السوم والموت من الربع الحالي . ويمتد خط الحديد من الخوطة
الى مكان يبعد ستة اميال عنها يدعى الحداد .

اما المسافة بين عدن والحوطة فلا تتجاوز العشرين ميلاً ، اجرتاها
بساعتين - حتى البخار يستشرق في الشرق - ووصلنا الى العاصمة بخير وسلامة ،
فرحب بنا في المحطة ولي العهد و آخر السلطان وغيرهما من القصر ، وهم في
ملابس تدهشك منها لاول وهلة الالوان الزاهية البهجة ، ثم شكلها الذي
يختلف عن ملابس البدو والحضر في اليمن وفي الحجاز ، ما ذكرني الملحي
في فوطته المخططة التي تصل الى الركبة وعمامة الطويلة الذؤابة بغير
الاسكتلندي اذا لبس ثوب مشيرته اي الثبوة الملونة والقبعة ذات الريش .

ولكن السلطان احمد وهو قائد الجيش يلبس مثل اخيه السلطان المالك
مبد العكريم ، الا ان له شمعاً بالالوان الباهرة . رأيت اول مرة في سطاتون
ابيض ضيق حول الساق ، وفوقه معطف الى الركبة اسلاصولي الشكل ، الا
انه من الحرير الازرق الضفط ، يشاطره زقار واخر محدود الى وسط الخيل ،
وفي الزقار خنجران هائلان مرصعان بالحجارة الكريمة ، وبلى رأسه عمامة
صفراء حمراء زرقاء ملفوفة في شكل هرمي - هي الموضة ، عند اعيان الحج
- وطلي اضلعه ما يناقض كل ذلك اي روح عصرة حتى الكفر . - سنعود
الى السلطان احمد بعد ان نقابل سمو اخيه .

ركبنا من المحطة في سيارة فوصلنا الى القصر فذهب الى استقبالنا عند
الباب سمو السلطان ، وهو يلبس فوق ثيابه الافرنجية عباءة بنية ، وعمامة ملونة
هندية ، ومعها حاشيته ووزيره الاول السيد علوي الجفري . ثم صعد بنا الى
ردهة الاستقبال في الطابق الاول ، وهي ردهة انيقة جليلة ، يدخل اليها نور
الشمس في جلباب من التتوي يلبسه ايام الزجاج الملون في النوافذ - وكأنه
من بيت الصلاة عند المسيحيين - وتلففه السُجف البيضاء ، الخمرة كأنها من
قصر انكليزي . ان في هذه القاعة مجلسين افرنجياً وعربياً ، فرش الاول
غربي الشكل الا انه من صناعة الهند ، فمثل زاوية منه آلة القونتراف ،

وقرئ الثاني دواوين عربية تُقطَّعها المساند والنسائد . وهناك بين المجلسين طاولة عليها مجلدات ضخمة هي شرح البخاري ، ذاك السفر الجليل المدهش ، التريد في بابهِ ، المتاز بالشروح الثلاثة للكلمة النبوية ، اي شرح شرح الشرح . ولا يجوز ذكره بغير الاجلال كامل الاحياء ، فهو القسطلاني على صحيح البخاري ، والحُرْجِي على القسطلاني ، والامام النووي على الحُرْجِي . .
— وهوذا يا صاحب السمو المستر كروس C. M. Cross فنصل اميركا في عدن .

فرحب بموه به واجلسنا ، اصكراماً له على ما اظن ، في اثناس الاول الرسمي الذي يستقبل فيه ضيوفه الافرنج . ثم تطف فاحلنا كنا محل الامل والاحباب على الدواوين العربية التي تبعدنا عن الفونوغراف وتقربنا من البخاري .

— كان فنصل اميركا السابق صديقنا يزورنا من حين الى حين . ولكم ما كان له عندما من الحب والاكرام قال هذا السلطان ، وكنت انا الزمان فسررت بالقنصل لانه قليل الكلام . شكر موه وسكت . فاستلمت اطراف الحديث شاكراً ، ونشرت منها المألوف في السلام والتبجيل ، ثم المعروف من ظاهر سياحتنا ، فاوقفتني عند هذا الحد كلمة من السيد عاوي شوقت الي حديثه . وهو اليف الالبسامة ، برأق العين ، مصيح اللسان ، يستأنس به جليسه من مجرد النظر اليه . ولكي عرفت انه الوزير الاكبر وانه اهل لذا المقام العالي لانه مثل القنصل الاميركي قال كلمته وسكت .
— مقاصدكم شريفة يا حضرة الفاضل وقد عرفناها .

فاضاف السلطان عبدالكريم الى ذلك كلمة اخرى لطيفة : وسيزودنا الاستاذ معرفة ان شاء الله . زيارة مثله لا تنقضي في جلسة واحدة . ثم سألنا عن صحة المالك حسين ، فكان دور القسطنطين ، الذي اجاب بتا بسر الحين ،

ويومع بال المهجين ورجل مكة الاكبر . ثم مال نحوه الى القنصل فقال : يجب ان تفض النظر يا حضرة القنصل . ليس عندنا ما يلقى بكم ويشرفنا في نظر الامة الاميركية العظيمة غير حبنا لكم واخلاصنا .

ترجمت الى الالة الانكليزية هذه الكلمة وفيها جميل التواضع واللفظ فادعيتني من المستر كروس جوابه الذي تجاوز الكلمتين قال لا فاض فوه : سأقل كلام مكرم الى حكومتني واحب ان اقول بالاصالة عن نفسي ان في العرب فضائل كثيرة تشرفهم في نظر الامم القريبة .

هناك بعدئذ بحسن جوابه وحسن سلوكه . ومن ادري ياخواني الاميركيين مني ؟ فقد كنت اغشى منه سكوتاً يعني . او كلمة توجب الترح والنفير . وهو مثل اكثر الاميركيين لطيف كريم في ما يفعل اكثر منه في ما يقول .

بعد ان شربنا القهوة نهض السلطان وتقدمنا الى الجهة الاخرى ، الى المجلس العربي قائلاً : هذا بيتكم . ربنا انتم تملكون . وراح تتبعه حاشيته الى داخل القصر . فجلسنا نحن الثلاثة وفي كل منا شيء ياتي السكتان .

— سلطان عربي في ثياب هندية افريقية .

— سلطان كريم حكيم .

وقال المستر كروس : سلطان متبدن .

وسندعشك من قدن هذا السلطان اشياء اخرى كثيرة . هذه بحجة عربية من مصر ، وهذه جواز من القاهرة ومن الاسكندرية ، وهذه في ألواح الفوتوغراف اعان مصرية وانشيد انكليزية ، وهذا يا مستر كروس النشيد الوطني الاميركي تحمكه جوقه طبع العسكرية ! سررقنا بالنشيد الاميركي لانه كان من اجل آيات الترحيب والاكرام . والحق يقال ان ما من احد

يزور لحج إلا ويحجب بذوق سلطانها الذي تقضض عنه مجالسه ، ومائدته ، وسياواته ، وخيله ، وكتبه . انك ترى اشياء من الشرق والغرب مجتمعة غير متنافرة في قصور لحج ، وتجد حتى في ازالة الضرورة الطريقتين الشرقية والغربية .

تنا في الاسرة ضمن الكلال ، وجلستا والسلطان الى مائدة تعددت وتنوعت الوانها ، فكان الطاهي شرقي خدم في مطبخ تولد اوروبي ، وشربنا التناك في المداعة الهندية الشكل الطويلة القوام والي^(١) وركبنا السيارة بصحبنا ولي العهد واحيانا السلطان نفسه او اخوه السلطان احمد الى خارج البلد تشرف على يساقيتها الا ان الدهشة الكبرى كانت في غرفة « البلياردو » وفيها طاولة انكليزية كبيرة اعدت عليها ذكرى ايام كنت بهذه اللعبة هائما جزأ .

اما عاين لحج ومستشفياتها فاكثرها في قصور الامراء وفي البساتين ، وللسلطان عيد الكرم غنابة خاصة بالانثين . اجل ، انك لتجد الشرق والغرب مجتمعين حتى في الاشجار . فخذ التفاح الشامي في جوار القصب الهندي . ولكن الزراعة ، على اهتمام سلاطين لحج وشفقتهم بها ، لا تزال في طور النشوء . مشينا صباح يوم رحرو السلطان الى احد تلك البساتين فكان اول ما اوقف النظر منا رجال يحفرون بئراً كما لو كانوا في ايام ماد وقود . فما المانع من استخدام الآلات البخارية ونفقائها مثل اجرة العمل ان لم تمكن اقل ، ان ارض لحج صالحة الابد الارتوازية . وهي مع ما يجري فيها من مياه وادي دُين تحتاج الى هذه الابد لان نهري الوادي يجفان في الصيف فلا تكفي الارض اذ ذلك مياه الصهاريج .

ها هنا وجدنا نقص في اسباب الزراعة واحيانا ، فان ارض لحج خصبة

(١) المداعة الارجبية والي القربش .

جدا . ويمكن ان يزرع فيها القطن الذي رأينا قليلاً منه في البساتين اذا بني سد في حوفها الشمالي على مرتفع من وادي ذبب نصب مياهه في الصيف فيسقي الارض المزروعة كلها .

انتم ما تشكرونه يا مولاي من صغر ثمر القنب فاجاب عن امرين عدم التلقيح وقلة الماء .

- ولكن عينا في الحج على صغره اطيب من حب الهند .

والعنب اي Mango والمان Paraya من الاشجار التي لا ترى في غير الداهن الحارة . مشيت في ظلالها الوارفة ومعه يعرفنا بان ينبت في الحج وما يزرع في البساتين

- هذا السو الذي يذكره الشعراء .

فقال رفيعنا الامير صالح وهو شاعر :

صنأتي عداة البين يوم نحتلوا ندى سمرات الحلي نأقف حنظل

ومنه الشوكي العربي والاشوكي الهندي .

وهذه شجرة تعطي قطناً افضل من القطن ودود الحرير نسيها شجرة

« القطن الحريري » . هي تشابه في ملولها ومحولها شجر الحور .

- وهذا القطن الذي يستخرجون منه البارود .

فقال الامير صالح : وكان عود السككيت عند الاقدمين .

وهذا الأسل صديق الابل .

قات : وهو شبيه السلم .

فقال الامير الشاعر :

امن تذكر جيران بذي سلم مزجت دماً جوي من مقلة بدم

ولكن شاعر لحج وفيلسوفها ، الذي لا ينظم ولا يكتب كلمة بالتشعر ،
انما هو السلطان احمد فضل ، قال لي ذات ليلة طال فيها السر وما ذوى غصته :

— وما التعصب وما المذاهب كلها ؟ بلية الامم والله ونكبة الاوطان .
لو كان العرب يقاتلون لعلوا ان خلاصهم ما هنا الا ما هنا * وأشار الى رأسه
ثم الى قلبه * نعم ، ان العقل — رانت يا حضرة الاستاذ ادري يا قاله شاعر
العرب الكبير ابو الغلا المري — ان العقل مصباح الحقيقة ، والحقيقة اساس
كل عمل صالح ثابت مقيد — سياسياً حضان ام دياراً — اما القلب فقال يا ضال ،
والعواطف متفتة . هذا الزيدني يعنى تيانته وجسه . في النيل انظر الى النيل
ينيه الجرد . والقلن يصيح بالمزحة بقودة . والعقيدة يشتمها الوهم . والوهم
منشأ العواطف والتصور . ان جربت النيل لما كنت شاباً فلم يدع بني الجرد .
ولو حكم كل امرئ عقله في الامور انما ضللت في كثير منها مثل النيل ،
ولما رأيت هؤلاء الجهال المشايخ عندنا . وقراهم . ترى خيرات * ذروا *
منهم غداً عند الزيد . قد قيل لي ان الزيد ينيلون به ما بهم ونسايهم حداداً
على الحسين . لا يزالون الى اليوم يحذون على الحسين او الاجدر بنا بالاستاذ
ان نحد على العقل في بلادنا وعلى العلم .

اما السلطان احمد وهو الحادى الفيلسوف ، حاد المزاج ، شديد الهبة
والباس ، فيجد في قلبه لا في ثيابه . كان يزورها كل يوم وهو يحمل البناضلة
من الورد فيمشى النفس متاً ، كما كانت الزوان ملاصقة تمتلئ البصر . وكما
كان حديثه يمتلئ العقل والامال . وهو لا يتجاوز الاربعين . له شغف بالعلوم
والفنون نادر في تلك الناحية القصية من البلاد العربية . يطالع الجرائد
والكتب والمجلات ، ويحدثك في سياسة الامم كما لو كان تزيل القاهرة .
وهو من غزاة الصيد والتصوير والموسيقى ، فيحسن الغزف على كثير من آلات
الطرب ويدير الحزقة العسكرية التي اصحمت النشيد الاميركي . ولكن مهته

المتعددة لا تبعده عن الحقل والبستان، فهو مثل أخيه مزارع كبير يحجب العمل في الأرض بيده . أما رأيه في المدينة الغربية فهو على شديد توثقه العربية لا يرى فيها الضرر الذي يتوهمه بعض الشرقيين .

— وما ضربنا إذا لبنا الأفرنجي وكانت عقولنا سليمة ووطنيتنا صادقة ؟ إذا كانت قميتي في هذه المأمة وفي هذه الجنية فلا كانت الجنية ولا كانت المأمة ولا كنت أنا .

١- السلطان أحمد فضل هو الملك الجمهوري في حلب . وهناك السلطان الصامت مهدي بن علي ابن عم السلطان الحاكم . وقد يكون صامتاً لأنه ولي العهد الظاهر المؤيد ، وقيل المقيد ، بالسياسات العبدية والهجنية ، الإنكليزية والعبدية . قلت : الظاهر ، لأن هو السلطان عبد الكريم ، في ما نسعى إليه من الإصلاح الذي تقدم ذكره ، يأمل أن يكون ولي العهد ابنه الأمير فضل ، وهو في السادسة عشرة من العمر يتلمن العلوم والآلة الإنكليزية من اساتذته في القصر . اقترحت على السلطان أن يرسل الأمير فضلاً إلى مدرسة في سوريا أو في مصر فقال انه يوفى في ذلك ولكن الأم لا تصبر على فراق ابنها .

— واكتننا ستحضر إلى حلب إن شاء الله اساتذته من مصر وسوريا يعلمون في مدرستنا .

هذا ما قاله لي عندما زورته ثانية بعد رجوعي من اليمن لاهنته بعيد الاضحي . وقد هناك يومئذ تلاميذ المدرسة القضائية في القوه من القضاة والمحطبة قديمة الامتوب عقيمة المعنى . اما كتب التدريس التي امر المعلمين بان يعلموني عليها فهي مصرية ومنها سورية وكلها حديثة . فاستشرت بذلك وقلت في حكاية القيتها على التلاميذ ان حلب زاوية اليمن المباركة ، وستصبح بفضل سلطانها زاوية العلم والتمدن . هذا اذا تم ما يقصده من الاستعانة بالاساتذة والاطباء العرب يحلبهم من سوريا او من مصر .

وحذا الانكليز عوناً له في هذا السبيل . حذا منهم المساعدة في تأسيس مدارس وطنية تعلم فيها اللغة العربية والعلوم الحديثة . ليتهم يهتدون بالتعليم ويحسبوا بالسياسة ويكمل ما ينقص جانبهم فيها . فقد ساعدوا في تنظيم جيش الحج الصفي ، وسهروا على ارضاء سلاسلها بما يظنونه اكراماً كبيراً . وثما يضحك في تاريخ علاقتهم السياسية والولائية انه في ١٠ ك ١٨٩٥ قررت الحكومة ان تريد الدفء التي تطلق اسلطان الحج من النعمة الى الاحد عشر مئة . وفي سنة ١٩٠٣ منحت مئة الف ورتبة فارس في كركوب الهند . وعلم في رسالتهم يخاطبونه كما يلي : «مودة الامراء الكرام ، وقلدوة النجباء الغضام ، سمير السلطان محبنا وصديقه السيد عبد الكريم فضل بن علي المبدلي ص ك ي . سي . آي . اي . R. C. I. E.»^(١) وهو يبادلهم هذا الاكرام والتعظيم فبرده اليهم كلمة كلمة . وتوجت «مودة الامراء الكرام وقلدوة النجباء الغضام» الى الانكليزية ، وهي تتقدم اسم مواطنهم الانكليزي ، وكانت تفكره وزارة المستعمرات . ولكنها تظل محروجة في رؤوس الكتاب والمترجمين في دار الاعتماد .

اما العرب فلا يخجلون مثل هذه الترهات وقلما يعرفونها . فهم يخاطبون سلطاتهم بقولهم : السلطان الممان او الوالد المالك . واهالي الحج من عرب اليمن والمولدات ، اهم قبائلهم بعد المبادلة العربي واهل البان واهل سلاط . وفيهم الحبور من ناحية في حضرموت تدعى حبر قوب مكللا ، معرفتهم شديدة تضرب الى السواد ، فيظنهم السائح لاول وهلة مبدأ . هؤلاء الحبور^(٢) يشغلون في الحج كل الاشتغال الشاقة . في الحقول تجدهم وفي القصور ، يحرقون ويحصدون ويحسنون العمل .

(١) راجع الشرح في صفحة ٣٧٧

(٢) جمع حجري

ان الخجري اكبر جسماً واشد ساعداً من الملعجي ، على ان وجه هذا اذق ملامح من ذاك ، وفيه من سياء الذكاء ما قلنا نجده في الخجري الشيط الباسل . اما الثياب فالجود يستنون عنها شكلها ما عدا القمطلة والمامة . وقلنا نجد لجيها ايا كان ومهما بالغ في اللبس او العري ، لا يحمل خنجراً من تلك المتناجر الرائعة المفضضة القبيضة والنصاب التي تصنع في الحج . ومنها ما يكون نصابها مزدوجاً بشكل اللامين في « الله » فتظن صاحبه حاملاً خنجريين . ما رأيت في شكل من يستنون عن الثياب في البلاد العربية ويقولون لسرتهم الى السواد من هو اشد بأساً ، وارب طلعة ، من حجري بلبس عمامة كبيرة منبقة ، ويحمل خنجراً مزدوج النصاب . انه مع ذلك لثقي .

كنت وسمو السلطان في احد باتيته خارج المدينة فرأيت الخجري يجرى الارض ، ورأيت بحلي وهو واقف على صندوق كبير في الجوفية . للقاطرة حيث تنتهي سكة الحديد . عامل من عمال الشركة يشتغل في تصليح مستودع الماء ، فأذنت الشر بالنزول ، فتك عمل ، ووقف مكانه بحلي صلاة المغرب . ان ذلك لحبل ، وان دب يستوقف العامل في عمله لذكر الله لاجل .

بيد ان بعد ساعة رأيت الوجه الثاني من ذا الجمال . عند رجوعنا ذاك اليوم الى القصر تناولت مجلداً من صحيف البشاري وقتته عرضاً فاذا انا في باب المسواك والاحاديث النبوية في المسواك والشروح وشروح الشروح على الاحاديث النبوية في المسواك . أطلعت الكتاب وقصت جزءاً آخر منه فاذا معاشة تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعما كان مسلكه في التسل قبل الجماع وبعده في الليلة الواحدة « فضلتني اقراً مذكرات احدي الخواطين الافرنسيات .

ولما جا . السلطان احمد تزودت تلك الليلة اشترت الى ما كان من حظي

في البخاري فقال : لو قرأته كله كما نقرأه نحن في شهر رجب لكان حقلك
أحسن . ثم قال : البخاري يا حنزة الامتاز مثل صندوق زجاج نحتنا من
اوروبا . صندوق كبير ، كبير جداً ، فيه ست كؤوس اوستة قناديل ملفوفة ،
مدفونة ، في قنطار من القش . هذا هو البخاري .

لمست اذكر الآن اذا كانت الكلمة هذه للسلطان احمد او للشيخ علي
رضا السروي الطرابلسي ناظر الجمارك في السلطنة العثمانية . كلاهما عريق في
الحكمة وحرية الفكر والتساهل الديني . الا ان علي رضا ، مثل السلطان
مهدي ، سكوت لا يحب الظهور . وقدما يعرض فكمرة في غير مجلس الامة
والاطمئنان . وكان من حظي ان اجالسه غير مرة ، وان له ولابن اخيه
عبدالقني الرافعي فضلاً علي بعض المعلومات في الفصلين الثالث والرابع من
هذا القسم من الكتاب .

الفصل السادس

النواحي التسع المحمية

مبدأ الحياة في السياسة الانكليزية - المساعدات الولاية - الهندان او القبلان -
 دور الولا والمطامير - ولا يامر بالعدل - دور الحماية - ولا يامر بالكتابة -
 لا تشيد على فلان في منصبه - لا تصيعة - آله عضو او القتل - المراتل -
 يوم لا من له - الواحدى - حرب لا يعرفون القرآن ولا النبي - المولل -
 الزعم حوتل مستثنان - سلطان اللواظ السلل جى من الانكليز زيادة في
 المشاعر وحبية ولويد - سلطان القواظ الغلية لا يجي من الانكليز قير - البعد
 والمجران - القوي - القليبي - الحواشب - القلوب - الدم - السلطنت واصغرها
 - الغلة - مساهمة الامانة - النش - الامرم - جندى - الزيد - يلقون للدهم
 زمينيا - الامام يقتدي به لا كبير - القولا - نصلا - الامام -

ان السياسة الانكليزية جسم حي يتجهده الساسة الانكليز بالقربة
 ويساعد في نموه الزمان . وادب تشيق ذلك في كل قضية مهمة ، خارجية
 كانت او داخلية ، اذا اطلعت على تاريخها . وقد اعربت في الفصل الاول من
 هذا القسم من سياستهم في مدن واكرف نشأت وتطورت ، وازيد القارى .
 علما في هذا الفصل الاخير بعض حقائقها .

مبدأ الانكليز عند احتلالهم مدن يمدون والمشاو جهودا لسيطة تضمن
 لهم الهدنة في الاقل ريثما نجسهم النجيدات . وتدعى هذه الجهود جهود صداقة
 وود . اول من عاهد من العرب عشيرة المزبي التي هي اليوم من عشائر
 نجد . والمعاهدة هي آية في البساطة والايثار . فبعد ذكر اسماء التريقين تقول :

هذه معاهدة بين الانكليز والمزبي . نحن الان اصدقاء . ونشهد
 بالسلم والاولا . قلوبنا ونفائنا واحدة . الامان الدائم على مدن وعلينا
 نتعهد به امام الله . واذا اخذ الانكليز احداً من عشائنا او اخذنا احداً
 من الانكليز فلا يؤذى المأسود او يهان .



في سنة ١٨٣٩ عقدوا مثل هذه المعاهدة مع اليواقع من المنطقة السفلى من بلادهم ومع الحواشب وغيرهم ، والقاعدة السياسية فيها كلها واحدة : الولاة ثم العطاء ، ثم الاستيلاء . فقد تدرجوا من المعاهدة ذات البند الواحد الى المعاهدات الطويلة ، وفيها كلها نجد اليوم البند الاول المهم الذي يقيد الامير او السلطان او الشيخ بالانكسار دون سواه من الامم . اذ لا يحق له ان يقاوض او يرأسل دولة اخرى ، او يعاهدها ، او يقبل مساعدات مالية او غير مالية منها بدون معرفة بريطانيا العظمى واجازتها .

والمتد الثاني اهم من الاول :

لا يحق لفلان الامير المعاهد ان يبيع او يؤجر او يهب او يوهب شيئاً من ارضه او ملكه لغير الحكومة البريطانية .

وفي بعض المعاهدات يجمع التندان في بند واحد شامل وهو :

يتعهد فلان الامير المعاهد في مقابلة مساعدة مالية ان لا يتنازل عن شيء من ارضه لغير الانكليز ، وان يضمن ما توجبه السياسة الانكليزية ، وان لا يقبل مساعدات مالية او غير مالية من دولة اخرى .

واذا اخل بأحد هذه البنود يقطعون عنه الراتب الذي شرعوا به ذلك الحين يخصون به المتعاهدين . كانت هذه الزواجب تأنه في البداية تتراوح بين عشرة ريالات والمئة ريالاً في السنة الى كل امير ، ثم نشأت تردد مع السياسة والمصلحة حتى أصبحت الآن تتراوح بين الحسين والاربعمئة روبية كل شهر . سلطان نجح ، وهو كما تقدم اكبر المتعاهدين ، فشاهرته تزيد على الثلاثة الاف روبية .

هذا دور الولاة والعطاء . ولكن الانكليز كانوا يتدخلون في بعض الاحايين في شؤون اصحاب المشاهرات ليصلحوا مثلاً بين صديقين متخاصمين

من اصدقائهم ، فيورثهم التدخل مسؤولية توجب عليهم الاستمرار . فيستمررون
مصلحين ويكتبون ما لا بد منه من عدا . احد المتخاصمين . يقيمون الحدود
بين الفريقين ، فينصبون الممد البيضاء الفاصلة ، فيجي من ذا يرضى بتدخلهم
ثلاثاً نفسه منبهوناً ، فيرفع تلك الممد بل يكسرها ، فيقوم بجاره الذي رضي
بالصلح ، صلح الانكليز ، ويدافع عنها ، فيباديه ثانية ويقانله ، ويستصر
عليه احد قدام الانكليز ، فيضطرون ان ينصروه بالسياسة والمال ورجال
ايضاً ليعزوا في اقل كلمتهم ويثبتوا نفوذهم فيفتح عن ذلك كله تلك الحماية
التي لم تكن كما يقول بعضهم من مقاصدهم السياسية الاولى . ولصحتك
تذكر ايها القاري . ما كتبه مجلس ادارة شركة الهند الشرقية الى المتمد
الانكليزي الاول في عدن^(١) هوذا الجهم السياسي الحلي الذي يساعد في
غوه الزمان .

انتقلنا من دور الولا الى دور الحماية فامسح الانكليز حلفاء صديقهم
الامير العربي والمسؤولين من استقلاله وسلامه ملكه . قد تطول مدة الشؤ
كما في تاريخ الياقوع مثلاً الذين عاهدوا الانكليز سنة ١٨٣٥ عهد صداقة
وولاء . وه يعتقدوا معهم المعاهدة التي امسوا توجيها تحت حمايتهم الا بعد
سنتين سنة . و كأن النسو السياسي يوجب على الساسة اكثر ما يتعدونه
في البداية ويؤمن اليه . فالانكليز في عدن لم يبقوا عند حد التدخل لاصلاح
ذات الذين بين امير وامير بل تجاوزوه الى التحزب السياسي الذي اشرفت
اليه في فصل سابق . خذ البرهان من هذه العبارة التي تكثر في التقارير الرسمية
التي يرصها المتمد الى وزارة المستعمرات :

« ان لنا بدأ على فلان في منصب فقد نصرناه على من كان من

امراته يتنازع الامارة » .

اما الذين عاهدوهم من العشائر وساعدوا في تقسيمهم امارات وسلطنات
وبسطوا الحماية الانكليزية عليهم ، فهم يقطنون البلاد التي تدعى النواحي
التسع المحبة اي المنطقة الجنوبية من اليمن الاسفل . وهاك اسماؤها وبعض ما
علته من الثقات عنها .

الصبيحة

القبيلة المركزية بدر . فاذا نظرت غرباً منها ترى قديماً من بلاد الصبيحة
التي تشد على الساحل من وادي عمران حتى باب المندب ، والصبيحة عشائر
متعددة منها الطايفي والبراني بكلمة الشيوخ ولعقال حكماً يدوي . وهم
مختبرون بالفرود والقدرة ، يُقدر عدد من يحمل السلاح فيهم بعشرين الفا .
على ان ما ساطان هم ولا رعيم كبير لجميع قبائلهم او بالحرى شرهم . وليس
لشائيتهم وعقائهم مشاهرات معلومة . لكنهم يجلبون الى عدن شكل ثلاثة
اشهر مرة او يملكون اقاربهم ليدفوا الاكراميات التي تقاوح بين الحزبين
والمتة رومية ، وبعضهم يتأوخا بواسطة سلطان الحج

آل فضل او الفضلي

واذا اتجهنا من عدن شرقاً ونزلنا امامنا مئة ميل من الارض تمتد على
الساحل من حدود البادية الى خليج ، الشرقية عند ام المُند الى حدود الدواليق
القريبة في المقاضن - والبلدان على البحر - تحيط بذلك آل فضل ، الذين هم
اقوى العرب واشدهم حول عدن شرقاً شمال منها . فان اسلاطنتهم عبدالقادر
بن حسين الفضلي عسكرياً من قبيلة الخاصة ، وعنده من العشرين الى الثلاثين

الفا يحملون السلاح^(١) اما عرب الفضلي فن البدو ، وهم ذوو بأس ومروءة ، يسارعون الى النجدة ويوفون دائماً في القتال . ويظهر ان السلطان عبدالقادر يرضى مثل زميله البدي في توسيع ملكه ، فقد طلب من الانكليز سلاحاً ومدافع فلم يلبوا طلبه ، والملائق بينه وبينهم مترامية في هذه الايام . بيد انه لا يزال يفيض المشاعر وهي اربع عشرة روية ، ولا يزالون يحسبون به بتسعة مدافع عندما يتصرف عدن .

الموالي

هم جيوان آل فضل على الساحل ، وبلادهم اصغر النواحي التسع ، مساحتها مئة ميل رتيق شرقاً ومثلها شمالاً . وهي تقع الى تسعين الموالى العليا والموالى السفلى . اما الاولى فيحكم اليوم قبلاً منها السلطان صالح بن عبدالله المومني ومرآته في الانحاب . ويحكم قبلاً آخر شيخاً يبادل بل يفوق السلطان صاحباً قوة ونفوذاً ومرآته بشوم . وهناك بعد اسمها البرقة وميناء هو الخوراء يحكمهم شيخان مستقلان الواحد عن الآخر ، ومستقلان ايضاً عن شيخ بشوم وسلطان الانحاب .

في الموالى العليا آثار حموية كثيرة ما اكتشف غير اليسير منها وفيها مشايخ وعلماء يوزون المال على الاستقلال ، ويسعون في مقابلة ما يتقاضونه من المشاهرات لتوسيع النفوذ البريطاني في بلادهم . بيد ان ليس بينهم وبين عدن غير معاهدة ولا عقدت سنة ١٩٠٠ .

اما الموالى السفلى فاهلها اصداق الانكليز منذ سنة ١٨٥٥ حين غفروا معهم عهد ولا . على ان يتبع السلطان دخول الرقيق من افريقيا الى بلاده .

(١) يتبع هذا الفصل لائحة في المشاهرات كلها وما يستطيع ان يحمله كل سلطان من لفائفه وقد يكون الفرق شاملاً بين مدد من يستطيعون حمل السلاح ومدد السجين .

ولكنهم مع صداقتهم للانكليز واختلاطهم ، وهم على ساحل البحر ،
بالاجانب ، فلا يزالون على شيء يروع من الوحشة . وفيهم قبائل لا يعرفون
الديانة الاسلامية ولم يسموا بالنبي محمد . وهم يتزوجون بدون عقد نكاح
مثل عرب الجاهلية ، وينكحون اخواتهم وزوجات ابائهم ، ولا يصومون
ولا يصلون . سألت مرة في دار الاعتداع اذا كانت السياحة في بلادهم
مكنة واجابوا : نعم ، اذا كانت لا تمسك حياتك .

ان اساطير العرائق السفلى الخالي اي بكور بن ناصر مشاهرة صغيرة لا
تتجاوز المئة روية . اما عدد من يستطيع حمل السلاح في هذه الناحية الكبرى
فيقدر ثلاثين او اربعين الفا . ولكن عدد من يستطيعون مجيئهم لا يتجاوز
الثلاثة الاف .

الواحد

ثم جيران العرائق شرقا شمال ، مملكة بلادهم حبان ومينازها المعروف
بالحاف ، ووسطاها علي بن حسن له مشاهرات وليس له مدافع تكريم
وتوجب . ذلك لان عرباته الدو بخلاف عربان العرائق وامراتهم ، يتفرون
من الانكليز ويحاولون التفتل من رقة الحبة التي اوتقوا بها منذ سنين .
والعريب العجيب في هذه الجهة من اليمن الاسفل ان حبان ، وهي بلدة قديمة
ذات حاض مرصوف بالعلم والادب ، ويشيرون ، وفيها اليوم عدد من العلماء ،
لا تبعدان خمسين ميلا عن العرائق السفلى التي لا يزال فيها من العرب من لا
يعرفون القرآن والنبي . اما النواحي الاخرى فللاسلام ولسلالة النبي السادة
والاشراف مسكنة عالية فيها . وكل قبيلة سيد يسمى منصب هو رئيسهم
الروحي فيأخذ منهم النفور ، ويحكم بينهم ، ويستغاث به وبكار اجداده .

العوازل

إذا عدنا من بلاد الواحدى غرباً فاجتازنا بلاد العوازل عند الخط الرابع عشر شمالاً من خط الاستواء نصل إلى الدنينة بلاد العوازل البدو ، وهي في ملتقى الأودية الثلاثة رقيق وذرى ومروان ، تربتها خصبة ، ورجالها أشداء . كانت الدنينة في الماضي عاصمة السمود ، « ديرة » الصيادين ، فقد رفض العوازل الحماية الأنكليزية ، وحاربوا الجنود الذين صدوا من عدن اليهم فقتلهم ورددوهم خاسرين . ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا التخلص من النفوذ الاجنبي لأن جيوشهم العوازل اصدقاء الانكليز وانصارهم . قبل في اليوم خرجوا على السلطة البريطانية انتقم الانكليز من القبيح منهم في بلد فاجلوهم عنها بالسياسة .

البراف

إذا وصلنا البحر غرباً عند الخط الرابع عشر من العرض وقطعنا وادي الرقوع نحو بالطرف الجنوبي من الجبال البيضاء ، وهي بلاد خصبة فيها عدة انهار واهلها موالون الانكليز . ثم ندخل في بلاد البراف وفيها كما يقال سبعون الف مقاتل وعدة « شيعات » مستقلة خلا السلطين العليا والسفلى هي مثل العوازل تقبل الى قسمين . اما البراف السفلى فاكثر اهلها من البدو وعم منذ سنة ١٨٥١ اصدقاء الانكليز مخلعون لهم . ويظهر ان البراف ثابتون في العداء لنامتهم في الولا . فقد كان بينهم وبين جيوشهم آل فضل عداء منذ ١٨٧٣ استمر عشرين سنة ثم بسطت الحكومة البريطانية حايثها عليهم سنة ١٨٨٥ فازالت ذلك العداء القديم او كادت . ولكن سلطان البراف السفلى محسن بن علي قائم على الانكليز اليوم لاسم رفضوا ما طلبه من

الزيادة في المشاهدة وهو يعني فوق ذلك لقباً يصحبه نيشان ومدايق ترحيب
مثل الزملاء والحيوان .

أما سلطان البوابع العليا فضل بن محمد ومركزه الخبطة فانه عداوة له
بالانكليز ولا فضل لهم عليه ، ولا هو يعني معهم عير البعد والافجرا .
هؤلاء البوابع مثل العادلة اكثر عرب النواحي النسخ تروية ونفداً ، منهم من
التجار من تتصل تجارتهم بطنس وبالجوا في البحر الهندي وببوم بوم
العادلة نسب وقراية . واهل البوابع العليا بفاخرون اقراية وحملتهم
باستقلالهم كل الاستقلال فيقولون : لم يدخل ولن يدخل اعدائي ابي بالانك
اذا حكومة لندن فكانت قد عيت في الماضي احد مشايخ عرب النواحي
ليحافظ على حدود ذلك واتب شهري قدره سبعة رياللات .

العلمي

ثم من العشار التي لم يتمكن حكمه من عرس من ضبطهم واستدراجهم
الى الموالين المحيين . فلم يكن يتها وببوم منذ سنة ١٨٣١ حتى سنة ١٨٩٥
علائق رسمية ، وانكها كانت تدفع المشهرات الى شيخهم بواسطة حارس
الى الغرب سلطان الحواشب . ثم عقدت معهم ماهدة شبيهة بالمعاهدات التي
عقدت مع جيرانهم . اما الحماية او الاملاء او الصداقة فلا تزال اسمية . وكذلك

القطيبي

وهم مثل الصبيحة قوم غزاة . كانوا في الماضي يغزون الضالع والعلوي ،
ويتقاضون القوافل رسوماً ، ويقطعون عند الحاجة الضرق ثم دخلوا في
صف المتعاهدين اصحاب الاعاشات ولكنهم اوا الحماية ، ودار الاعتماد لا

تركن اليهم . اما شيخهم الحالي الشيخ محمد صالح الاخوم شيخ بلاد القطيف
والاجعود فقد قاوم الزيد عند ما رحلوا منه ثلاث سنوات - على النواحي
التي ينبغي الاستيلاء عليها كلها . ثم صالحهم لان دار الاعتدال لم تقدم بالمساعدة
الحربية والمالية التي حثوا يطلبها ، وحال من حال الامام يحيى فخره
الانكليزي . وقد يخشون بسببه العلويين وغيرهم من الخمينيين . اما

الحواشب^(١)

جيران القطيفي والحج والصبيحة فهم والمزيبي اول من عقدوا مع الانكليز
معاهدات . ويشاربون مع من « بلاد كاهم قروش »^(٢) عندهم من الحصة الى
المشرق الف مقاتل كما يقال وسلطانهم اليوم محمد بن علي بن مقيم . هـ
الذي كان ولي العهد عندما زرع اياه في المسيحية .

المقارب

قبل ان نتقدم شمالاً لنختم هذا الفصل يجب ان نعرف القاري . باقدم
السلطات المستقلة واصغرها ، اي سلطنة المقارب ذات القبيلة الواحدة
والبلد الواحد . المقارب فخذ من الصادقة اعلنوا استقلالهم في العقد الرابع
من القرن الثامن عشر ، اي حين اعلنت الولايات المتحدة الامة كية استقلالها .
وهي مثل تلك الولايات لا تزال مستقلة عزيزة ، بل هي فريدة في بابها لا
زادت عدداً ولا نقصت ، ولا كبرت ولا صغرت . اماها قانون بقسمة الجبار
فيهم يحكمون شنائهم وحكمتهم في يد احمد مدينتهم الوحيدة بل بلادهم

(١) راجع الفصل الثاني من القسم الثاني صفحات ٩٧ الى ١٠٠

(٢) اشارة الى الكلمة المأثورة في تلك النواحي اوودها بفتحهم : « لا ناقة حد
ولا حد دولتي سلطان من ملاكني قروش »

جمعاء ، فيقيمون فيها طليئين . وما اشبههم بين الانكليز والصليحية
والعبادة بملكة لكسمبور قبل الحرب بين المانيا وفرنسا والبلجيكا . ولكن
الحرب قضت على لكسمبور ، ودمرت ملج ، فقريت من سلطنة يو احمد
ولم تمسها شي . من الضرر والويل .

الضالع

ينقلنا البحث في هذه الناحية من الجنوب الى الشمال ، ومن سياسة
الانكليز الى سياسة الامام ، لانها تدخل في منطقة الدين الاعلى ، وهي في
الطريق الى صنعاء شمالاً بقرب من بلاد الملوي ، وفيها قبائل متعددة . كان
يحكمها الامير نصر بن شايف الذي اجتمعنا به في ملج يوم كنا هناك لأن
الزيود كانوا قد احتلوا الضالع وانخرجوه منها . ولا عجب اذا استعاد الامام
بني هذه المناطق التي كانت سابقاً من ملك اجداده . قد قيل ان اجداد
شايف الضالع من المولدين ، لكن الهائم من عبيدة اليمن ، ثم استقلوا في
طاسعة القرن الماضي واقاموا منهم اميراً عليهم .

قد احتل الزيود بلاد القطيف والاجود ايضاً ، ووصلوا الى الجبال
البضاء ، فشرعوا ينشرون الدعوة الامامية وينصبون حسابات السياسة
والاستيلاء شرقاً وجنوباً حتى بلاد اليرافق وآل فضل . وقد كان الشيخ محمد
الاخرم اول من وقع في جبالهم ، اول من اتبع الهدى .

دعاه الزيود الى الضالع باسم السلم والامام فبني الدعوة بعد ان خذله
الانكليز كما تقدم . ولما دخل البلد اطلق الزيود من اجله ، اقتداءً بحكومة
عدن ، اربعة دافع ترحيباً واکراماً ، فترحب الشيخ ورفع الادعية للحضرة
الامامية بصنعاء ، فمينة الامام امير الجيش في القطيف والاجود ، واخته
براتب شهري ، وربع العشر من فحكة تلك المقاطعات ، وبالثب قدح من

الدرة ، وباربعته يدي من الزيد الاشوس يدعى النواحي العاصية
ويدخلها في طاعة الامام . ولم يكن الشيخ الاخرم ليعرض من الانكليز غير
مئة روية كل شهر . فهي ياتم اذا ولي وجهه شطر صنعاء وعاد الى قديم
الخدمة والولا . ٩

ان حضرة الامام ، اذا ناب على هذه الجهة ، لمن الفائز بها يفيقه من
الانكليز . فهو يقتدي بهم فيعارهم في البرق الاسفل بتلك السياسة التي
هي عندهم رأس اسباب السيادة . الا وهي سياسة الولاء والمطاء ثم
الاستيلاء . ونراه لا يقصر حتى في الجزاء والاصكرام ، فيرفع الى المناصب
العالية المشايخ والفعال ، ويدفع لهم المشاهرات ، ويخضعهم فوق ذلك بجزء
من الزكاة . اي دهانة الانكليز ، ان عندنا المدافع ايضاً نطلقها مرجحين ،
باخواننا المسلمين ابناء اتباعنا الاقدمين .

الرواتب الشهريه وجيوش الدواحي المحمية

الرواتب الشهري . ما يخطره ان يحسده

روية	من الجنود	
٣٢٨٠	٢٠٠٠	السلطان عبدالكريم فضل بن علي سلطان لمح
٣٦٠	١٠٠٠	عبدالقادر بن حسين الفضلي سلطان شعرة
٢٥٠		صالح بن عبدالله العواقي سلطان الموالي المايا
٣٥٠	٣٠٠٠	الشيخ حسن بن فريد العواقي شيخ
١٥٠		حسن بن زوييد
١٦٠	١٠٠٠	السلطان ابو بكر بن ناصر سلطان الموالي السدي
٢٠٠		السلطان حسن بن علي سلطان بني قامة
٨٠		صالح بن مر
٨٠	٣٠٠٠	الشيخ مالم بن صالح بن عاتق جابر شيخ من بلاد يافع
١١٠		ابو بكر علي شيخ المروطة
٥٠		محمد بن حسن
٨٠		عبد الرحمن الملاحي شيخ الملاحي
٤٠٠	١٠٠٠	السلطان حسن بن علي بن ماتي سلطان اخواشب
٣٠٠	١٠٠٠	الامير ناصر بن شبيب امير الصالح
١٠٠	٥٠٠	الشيخ محمد صالح الاخزم شيخ قبيلة الطاييب
١٠٠	٥٠٠	عبدان المولي
٦٠٤٠	١٣٠٠٠	

ولاصحاب هذه المشاهرات اكراميات ايضاً ، يتناولها بعضهم كل ستة اشهر مرة وبعضهم كل سنة ، تتراوح بين الثلاثة والالاف روبية . وهناك اخرون من المشايخ والعلماء تخصهم مدن بمشاهرات واكراميات صغيرة . اما السلطان عوض بن عمر القميطي سلطان تكللا في حضرموت فيستطيع ان يحشد الفتي جندي ، ولكن مشاهرتهم اسمية ، وهي ستون روبية لا غير ، لان آل القميطي ذوو ثروة كبيرة في حضرموت وفي الهند .

(تم الجزء الاول)

فهرس الاعلام

ملاحظة

- عدد من مجموع تعداد الأرقام ما بين التوقيع - مثلا ١ - ٥ يعني ١ ٢ ٣ ٤ ٥
 أو أن هذه الكلمة وردت في أكثر الصفحات الواردة بين عدد التوقيع

- حرف الألف -

آري ٣١٩	أبن حميد الدين (القاسم بن يحيى) ١٢٨
أب عديدة ٨٥ ٩٥ ١٠٥ ١٠٧ - ١١١	أبن حميد الدين (محمد سيف الاسلام بن يحيى) ١٢٨
١١٩ ١٥١ ١٨٨ ٢٥٥ ٢٣٧	
أبراهيم باشا الشريف بن محمد ٦٢ ٢٩٤	أبن حميد الدين (الظاهر بن يحيى) ١٢٨
٢٩٥ ٣٨٦ - ٣٨٨	أبن حميد الدين (الامام يحيى) (راجع يحيى)
أبراهيم (صافى) ٣١١	أبن حميد الدين (إمام الحسين)
أبراهيم الخليل ٢٧٥	أبن ذي جدر ٣٧٥
أبن أبي طالب (الحسن بن علي) ٦٢ ١٠٣	أبن زيدون ٢٣٦
١٢٤ ١٢٤	أبن شافى (صلى) ١٢٥ ١٢٥ ١٢٧
أبن أبي طالب (الحسين بن علي) ١٠٣ ١٢٤	أبن صالح (الشريف سالم) ١٢٧
١٢٤ ٢٩٤ ١٢٤	أبن عباس قرية ١٦٩ ٣٥٠
أبن أدريس (السيد أحمد) ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٨	أبن العربي ٢٧٤
٢٨٩ - ٢٩٤ ٢٩٦ ٢٩٤ ٣٠٠ ٣٠١	أبن عيسى بن جند (للشريف حسين) ٢٩٥
٣٠٣	٢٩٦
أبن أدريس (قنادة) ٦٢	أبن يحيى جبران (موسى) ١٢٤
أبن أدريس (السيد محمد بن أحمد) ٢٩٦	أبن - حصن - عديدة ٢٩٨ ٢٣٧ ٢٦٢
٢٩٧ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤	أبن بكر (الخليفة) ١٢٤
أبن جبريل (صليان) ١٢٤	أبن جادود ١٢٤
أبن جعفر الصادق (إسماعيل) ٢٣٨	أبن جندب القندي ١٢٤
أبن حميد الدين (السيد أحمد بن عبد الله) ١٢٨	أبن حلقه قرية ٣٢٩
أبن حميد الدين (الحسين بن يحيى) ١٢٨	أبن حنيفة (الامام) ٢٧٦ ٢٧٧
أبن حميد الدين (القاسم بن محمد) ١٢٤	أبن سميد بنزير ١٢٤ ١٢٤ ٣١٠

- أبو هريش ١٢٠ ١٢٥ ٢٢٠ ٢٩٤ ٢٨٧ - ٢٩٤ ٢٩٧ ٢٩٨
 ٣١٦ ٢٩٦
 أبو الدلائل المري ١٩ ٨٩ ٨٤ ١٣٤ ٢٧٤
 ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٣
 أبو عاتق بلد ٢٢٠
 أبو أنطه ٢٩٥
 أبو النوام ١٥٩
 أبو هادي شيخ مشايخ الفقهاء ١٩٦
 أبيه بلد ٣٧١
 الأحمود ١٩٧ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٢٥
 أجياد قبة ٧١ ٧٠
 أحمد بن حسن (الأمام الحادي) ١٨٤
 أحمد بن خليل (الأمام) ١٥٩
 الأحمدي طريقة ٢١٠ ٢٧٥ ٢٧٨ ٢٨٥
 ٢٩٤ ٢٩٦ - ٢٩٨ ٢٨٧
 الأعرم (فلاحيه عبد صالح) شيخ الطبيب
 ٢١٥ ٢٢٤ ٢٢٧
 الأخطل ٢٤
 الأعوان ٥٥ ٥٩
 الأمانة ٢٢٠ ٢٧٨ ٢٩٤ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٤
 الأدرسي (السيد حسن بن علي) ٣٠٢
 ٢٩٨ ٢٩٧
 الأردن ٢٢
 الأدرسي (السيد حسن بن محمد) ٣٠٢
 أرفخ (واشظون) ١٥ ١١
 أرتدا ١٣٥
 الأدرسي (السيد الموسي) ٢٩٧ ٣١٩
 أرتشت ٢٦٩ ٢٧٠
 الأدرسي (السيد المبدأ السوسي) ٣٠٢
 الأهر كية ٢٩٨
 الأمانة ٣١ ٥٧ ٦١ ٦٦ ٧٠ ٧٢ ٣٨٨ ٣٨٩
 ٣١٥
 الأدرسي (السيد عبد الرحمن) ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٧
 الأدرسي (السيد عبد العزيز) ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨
 الأدرسي (السيد عبد الحال بن محمد بن إبراهيم) راجع يهود

[illegible]

— حرف الاء —

[illegible]

بنو مرارة ٢٣٨	بنو مرارة ١٠٥ ١٠٧ ١٢١
بنو مروان ٢٢٠	بنو مروان ٣٧٥
بنو مطر قبيلة ٨٠	بنو مطر قبيلة ٥٨ ٥٣
بنو مطر قبيلة ١٢٠	بنو مطر قبيلة ٨٠ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٩
بنو ناصر ٢٨٣	بنو ناصر ١٩٩ ٢٠٠ ٢٩٨
بنو نمر ٣١	بنو نمر ٦٢٥ ٦٠١
بنو هذيل ٢٢٠	بنو هذيل ٣٧١ ٣٧٢
بنو ابي اليان ٢٧٠ ٢٧٧	بنو ابي اليان ٦٠
بنو (نقرة من الاسماعيلية) ٢٣٨	بنو (نقرة من الاسماعيلية) ٢٥٨
بنو - بوذي - بوقيون ٢٦٧ ٢٧٠ ٢٧١	بنو - بوذي - بوقيون ١٢
بنو حودان ٨٨ ٧٠	بنو حودان ٥١
بنو - جيل ١١٩ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٩ -	بنو - جيل ٢٦٧
بنو - ٢٣٧ ٢٣٤	بنو - ٨٠
بنو - ٢٦٥ ٢٥٧ ٢٣٩ ٨٠	بنو - ٨٠
بنو - ٢٨٦	بنو - ٦٢
بنو احمد مدينة ٢٢٦ ٢٢٧	بنو احمد مدينة ٢٨
بنو اعراب ١١٩ ١٢٢ ١٢٧ ١٢٨	بنو اعراب ٢٢٠ ٢٨ ٢٨ ٢٨
بنو - ٢٧٢ ٢٢١	بنو - ٢٨
بنو - ٩١ ٥٦ ١٢	بنو - ٢٢٠
بنو - (ووج) ٧٢	بنو - ٢٢٠
بنو - ٨٥	بنو - ٥٨

- حرف التاء -

٧٢ ٧٠ ٦٧ ٦٥ ٦٢ ٦١ ٥٢ ٣٦ ٣٥	٢٥٨ ٢٥٦ ٢٥٤
١٢٦ ١١٧ ١١٣ ١١١ ١١٠ ٩٥ ٨٩	٢٨٥ ٢٧٨ ٢٧٦
١٢١ ١٢٣ - ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ -	٢٩٠
١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤	٢٩١
١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١	٢٩٢
٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢	٢٩٣
٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩	٢٩٤
٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦	٢٩٥
٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣	٢٩٦
٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠	٢٩٧
٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧	٢٩٨
٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤	٢٩٩
٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١	٣٠٠

تاجوراء وسلطانها ٢٥٨ ٢٥٦ ٢٥٤
 التاجوري (الشيخ عبدالوهاب) ٢٥٨ ٢٥٦ ٢٥٤

تاجوراء (بن ابي بكر) ٢٥٨ ٢٥٦ ٢٥٤
 تاجوراء ٢٢

تاجوراء قرية ٢٥٨ ٢٥٦ ٢٥٤
 التاجوري - تاجوري - تاجوري او الدولة التاجورية

٢٧١ ٢٦٧ ٢٨ - حنزون	٣٢٣ ٣٢٠ ٣١٢ ٣١١ ٣١٠ ٣٠٩ ٣٠٨
٦٣ - رواه	٣٥٣ - ٣٥١ ٣٥٧
المواثب أو السلطنة الموشية ٩٢ ٩٤ -	حجاز جبل ٢٣٧
٩٩ ١٠٠ ٣٧١ ٣٨٣ ٣٩٤ ٣٩٧ ٤٠١	حاب ٧٣ ٧٢ ٦٨
٤١٥ ٤١٧ ٤٢٣ ٤٢٤	حاه ٧٣ ٧٢
الموارثه قيلة ٨٠	حذان قيلة ٨٠ ٢٢١ ٣٩٢
المرة ميناء ٤٢٠	الحمره ١٥
٢٩٦ ٣٧١ ١٢٤ - ناصية الحج	حزه الشيخ (٢٣٥ ٢٣٢ - ٢٤٤ ٢٤٨
٤٠٤ ٤١٥ ٤٢٣	٢٥٠
المربطات قيلة ٢٨	حس ٧٣ ٧٢
المية ١٢١ ٢٣٨	الحوي (ياقوت) ٤٤
	حبر - حبرية ١٨٠ ١٨٦ ٢٢٦ ٢٢٠

- حرف الحاء -

الحندق قرية ٩٦	الحداد قرية ٤٠٤
الحدير قرية ١٤٦	الحرفة قرية ٥٨
الحوة قرية ٣٥٠	الحضر ابو عباس ٢٧٨ ٢٨١ ٢٨٣ ٢٨٥
الحوخة قرية ٢٠٥	٢٩١
الحولان بلاد ٨٠	الحطيب (فراد) ٢٩ ٤٤ ١٠٤ ٣٦٥
الحمام احمر ٨٤	خليج فارس ٦٨
	الخليل ابراهيم (راجع ابراهيم الخليل)

- حرف الدال -

دائن وادي ٩٤ - ٩٧ ٤٠٣ ٤٠٨ ٤٠٩	دار الامير قرية ٣٨٣ ٤٠٤ ٤٠٩
الدائنة ناحية ٤٢٢	داود (النبي) ٣٥٣
دجلة نهر ٦٨	الداودية (فرقة من الاساعيلية) ٢٢٥
دروين ١٠٣	٢٣٨ ٢٣٩
الدكيم قرية ٣٩٩ ٤٠١	الدباغ (الشيخ عبدالعزير بن مسعود) ٢٧٨
دشوق ١٤ ٦٤ ٧٣	٢٨٠ - ٢٨٣ ٢٨٥ ٢٩٠

- حرف القاف -

القطيع ناحية ١٩٧ ٢٠١ ٢١٥ ٢٢٣ ٢٢٨	قابل (الشيخ سليمان) ٥٢
قطيع ٨٠	قابل (عبدالقادر) ٥٢
القميضي (نال) ٢٢٧	قاسم (ابن الامام يحيى) ١٤٨
القميضي (حزب) ٣١٢	قاسم (الشيخ) ٥٧
القميضي (السلطان موسى بن عمر) ٣١٢	القاهرة ٢٢٢ ٢٢٥ ٢٢٧ ٢١٠
٢٢٧	القحراء ١٩١ ١٩٥ - ١٩٧ ٢٢٦ ٢٥٨
القفاي ٢٧٨ ٢٩١ ٢٩٢	٢٦٣ ٢٦٤
القلم (بحر) (راجع بحر القلم)	قحطان ٢٠ ١٥٩ ١٧٤ ٢٢٦ ٢٢٠ ٢٢٥
قوران جزيرة ٢٠ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦٠	القدر ٦٨
٢٥٨	القراطة ١٤٠ ١٤٥
القنداد عتاء ٢٨ ٢٩ ٢٩٥ ٢٩٨	القرش (عبد بن جدران) ١٢
القنوجي ٢٦٩ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٢ ٣١٤	قرويش قبيلة ٢٨ ٣٥ ٣٨ ٢٢٦
٣١٧	القصب ناحية ١٢
القيروان ١٩٧	قطر ناحية ٢٢
	القطيب ٢٢٤ ٢٢٥

- حرف الكاف -

الكاف ١١	الكالوايكيون ١٧٢ ١٧٥ ٢٠٨ ٢٢٠
كبرى ٢٧١	كاهل قرية ٢٥٧
الكعب ١٦ ١٨ ٢٥ ٢٧ ٢٨ ١١٢ ٢٢٢	الكسي (احمد بن يحيى) ١٦٣ ١٧٠ -
كفره بلد ٢٩٨	١٧٢ ١٧٦ ١٩٠ ١٩٩ ٢٢٤
كال (مصطفى) ١١٩ ١٢٩ ١٣٦	كاشغر (اللورد) ٦٧
كسبون (مقبر فرنسا) ٧٥	الكثيري (حزب) ٣١٢
الكوفة ١١ ٢٦٦	كرد هلي (محمد) ١٤
كوكبان جبل ٢٣٠	كرزق (لورد) ١٣٦
الكويت ٢٢٢ ٢٢٥	كرايل (طامس) ١٠
	كرويس (قاضي اميركا) ٢٠٤ ٢٠٦ ٢٠٧

- حرف الالم -

للحيئة	١٦٨ ١٦٦ ١٦٢ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٢٠	لازوك	٣٧٢ - ٣٧٥
٢٣١ ٢٣٠ ٣٦٧ ٣٦٩		لاهور	٢٦٧
للم	١١٩ - ١٢١ ٢٢٦	لبنان - لبناني - لبنانيون	٩ ٢٤ ٢٠٤
لكسبور	٢٢٥	١٠٧ ١١٠ ١١٩ ١٢٢ ١٣٠ ١٣١ ١٣٤	
للكنة قرية	٢٣٩	٢٢١ ٢٢٩ ٢٣١ ٢٣٤ ٢٦٧	
لندن	٥٩ ٦٠ ٧٢ ٧٣ ٨٧ ١٩٨	لحج - لحيجيون	لحج او السلطنة الامانية
٢١٧ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٨٧ ٢٩٨		٨٩ - ٨٦ ٨٧ ٨٩ ٩٦ ٩٨	
لورنس (الكركل)	٦٨ ١٢٢	١٠٣ ١٠٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢٥ ١٢٧ ١٢٨	
وزان	٣٨٧ ٣٨٦	١٩١ ١٩٢ ٢٠١ ٢٠٨ ٢٢٦ ٢٢٧ ٣٠٢	
الليث بلد	٥٨	٣٧٥ ٣٧٦ ٣٨٦ ٣٨٨	
ليكة وادي	٥٠	٣٩٣ - ٣٩٥ ٣٩٧ - ٤٠٧ ٤٠٥	
		٤١٥ ٤١٧ ٤١٩ ٤٢٦ ٤٢٥	

- حرف الميم -

٤٢٧ ٤٢٢	مارب	١٢٨
ممن بن علي بن مانع (سلطان الموصل)	مارون - موارنة	٢٦٧ ١٠٣
٤٢٧ ٤٢٤	ماسينيون (لويس)	١٨٤
ممن (السلطان فضل بن علي بن)	مالكي - مالكيون	٢٦٧
٣٩٧ ٣٩٤	ماوية قرية	٨٠ ٨٩ ٩٠ ٩٣ - ٩٥ ١٠٨
ممن (الشيخ محمد علي)	١١٠ ١١١ ١٢٠ ١٢١ ١٢٨ ٢٢٢ ٢٢٤	
محمد بن ابو قبي	٢٣٧ ٢٤٠ ٢٤١	
محمد بن عبدالمعين بن هون (الشريف)	الذي	٩٤
٢٩٥ ٦٢	مننة قرية	٢٢١ ٢٢٨ ٢٣٣
محمد علي باشا	مشرع	٢٢٩
١٠٤ ٦٤ ٥٧ ٥٦ ٣٨ ١٢ ١١	المجيدري	٢٧٨ ٢٧٩ ٢٩٠ - ٢٩٧
٢٨٣ ٢٧٥ ٢٢٨ ٢٢٢ ١٨٦ ١٤٨ ١٤٤	ممن (الشريف)	٧٠
٢٨٥ - ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١	ممن بن علي (سلطان الشوافع)	

مضايقة قرية ٢٢٤	٢٢١ ٢١٥ ٢١٢ ٢١١
منبر قرية ٢٠	معدية طريق ٢٨٥
المطحة قرية ٢٥٢	البحر بيناء ٨٠ ١٤٢ ١٥٢ ٢٠٣ - ٢٠٥
الغروب بلاد ١٥٦ ٢٧٨ ٢٨٢ ٢٨٤ ٢٨٥	٢٩٦ ٢٩٥
٢٨٢ ٢٧٦ ٢١٧ ٢١٠ ٢٩٨ ٢٩٧	الدقة ١٢ ٢٨ ٢٢ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩
منعق وادي ٢٢١ ٢٢٩ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣	٢٢٦
الفلحي (الشيخ عبدالرحمن) ٢٢٧	مراكش ٢٢٥
مقيل (نقيب حسن بن) ٢٢٨	الراحيكسي (الحاج محمد) ٢٢٥ - ٢٢٦
الكارمة (فرقة من الاسمايلية) ٢٢٩ ٨٠	٢٢٦
مكة ١٢ ١٦ ٢٨ ٢٩ ٣٤ ٣٥ ٣٦ - ٤١	مراوغة بلاد ٢٨٧ ٢٨٨
٤٢ - ٤٣ ٤٦ ٤٧ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٦١ ٦٢ ٦٣	مرسين ٦٨ ٧٣
٦٦ ٦٧ ٧٠ - ٧٢ ١١٢ ١٥٧ ١٥٧	المراني (احمد) ٢٧٥
٢١٠ ٢١٢ ٢٦٦ ٢٧٨ ٢٨١ ٢٨٥ ٢٨٦	المرغنية طريق ٢٧٥
٢٩٥ ٢٩٧ ٣٠٢ ٣٢٦ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٥٧	المرغد وادي ١٠٥ ١١٠
الكبيك ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٥٣ ٢٥٣	مروان وادي ٢٢٢
مكلا (في حدر موت) ٢١ ٢١٢ ٢٢٧	مسار جبل ٢٣٨
مكافون (السر آتور) ٦٧ ٦٩ ٧١ ٧٢	المسارحة قرية ٢٢٠
ملعان جبل ٢٢٧	مسقط ٢١ ٢٩
مناخة مدينة ٨٠ ١١٩ ١٩١ ٢٢٢ ٢٢٣	المسيح (السيد) السيجون ١٣٠ ١٣١
٢٢٨ - ٢٣٥ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٤٢ ٢٤٣	١٣٥ ١٥٨ ٢٦٩ - ٢٧١ ٢٩٣ ٢٩٣
٢٤٧ ٢٤٨	٢٧٧ ٢٥٥
المرقل قرية ١١٠	السيدية قرية ٩٢ ٩٤ ٩٦ ٩٧ ١٠٠ ١٠١
النصور (الامام) ١٤٠ ١٤٥ ١٤٧ ١٤٨	٢٩٤ ٢٩٤
٢٩٤	نصر - نصري - نصريون ١٢ ٢٣ ٢٣ ٢٤
النصون ٢١	٥٦ ٦٧ ٦٩ ٧١ ٧٦ ٨٢ ٨٦ ٨٨ ١٢٥
النفوطي (مصطفى) ٣١١	١٣٥ ١٦٢ ١٧٠ ٢٢٩ ٢٥٤ ٢٥٧ ٢٦١
نفي بن علي (السلطان) ٢١٤ ٢١٤	٢٦٢ ٢٦٧ ٢٨١ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٨
نواصب قرية ١٣٤ ١٤٤	٣٠٥ ٣٠٢ ٣٠٢ ٣١١ ٣١٧ ٣٨٧ ٣٩٢
نوتر لندن ٣٨٧	٢٩٥ ٣٠٧ ٣١١
نوتر لوزان ٣٨٧ ٣٨٧	مضوع مدينة ٣٨١ ٣٨٢

الركد ٢٤٩	مور نور ١٢١
ميدى ميناء ٨٠ ١٦٨ ٢٢٠ ٣٠١ ٣١٢	موسى وادي ٢٣٧
٣١٧ ٣٢٠ ٣٢٣ - ٣٢٦ ٣٢٩ ٣٣٢ - ٣٣٥	موسى (بن يحيى جبران) ١٢٢
٣٦٠	الموصل ٧٣ ٩٨

- حرف النون -

نحلان وادي ١٠٥ ١٠٧ ١٢١	ناصر (الشريف) ١٧١ ٢٨٣
ندم (محمود بك) ١٣٦ ١٩٢ ١٩٦	ناصر (ابو بكر بن) (سلطان الموالق)
النراقية (قرقة من الاسماعيليه) ٢٣٨	السفل ٢٢٢ ٢٢١
النصارى ١٨٢ ١٨٣ ١٨٥ ٢٧١ ٢٧١	النصرية ٢٨٣
نصيف (الشيخ محمد) ٥١	النبي شبيب جبل ٢٢١ ٢٢٨ ٢٣٦ ٢٣٧
نصاني (حارب) ٥٢ ٥٣ ٥٤	نجد (البلاد الجديدة) ١٧ ٢٠ ٢٢ ٥٥
النقود ١٣ ١٤	٥٨ ٧٤ - ٧٦ ٨٥ ١٤٢ ١٩٢ ٢٠٩
النساوي ١٤٨ ١٥٤	٢٣٦ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٧ ٢٤٧ ٢٤٧
نوبة الميرالي قرية ١٠٩	٢٣٨ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٧ ٢٤٨
نيويوروك ٩ ١٠ ١٢ ١٤ ٢٠ ٢٣ ٢٩ ٨١	نجد الاخر (بقعة ارض) ١٠٧
٨٢ ٨٨ ٩١ ١٢٥ ٢٣٥ ٢٣٨ ٢٤٠ ٢٤٠	نجران ٨٠ ١٨٩ ٢٣٩
٢٢٢	النجف - النجفي ٣٦ ١٤١ ١٨٤

- حرف الهاء -

٢٦٦ - ٢٧١ ٢٩٨ ٣٠٨ - ٣١٥ ٣١٥	الحاشية ١٥ ٣٥ ٣٧ ٣٨ ٤٢ ٤٣
٣١٦ ٣٢٠ ٣٢٤ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٧ ٣٨١	٥٢ - ٥٤ ٥٨ ٥٩ ٦١ ٦٢ ٧٢ ٧٣ ٧٥
٣٨٦ ٣٨٦ - ٣٨٩ ٣٩١ ٣٩٣ ٣٩٥	٣٩٧ ٣٩٧ ٣٩٧ ٣٩٧
٣٩٦ ٣٩٩ ٤٠١ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٧ -	هاي (الريان) ٣٠٩ ٣١٣ ٣١٧
٤٠٩ ٤١٢ ٤١٨ ٤٢٣ ٤٢٧	الحجرة قرية ٢٣٨
الحندوس ٢٢٠ ٢٢٦ ٢٦٨ - ٢٧١ ٢٢٥	حدان جبل ١٥٩ ٢٣٩
٢٧١	الحمداني (حسن بن احمد) ١٥٩
هوغارت (الكركل) ٦٨	الحند او الحكومة الهندية - الحنود ٢٠ ٢١
هينس (القائد) ٣٧٤ ٣٨٨	٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤

